





تأليف

(الامام الفقيه أبي محمد عبدالله بن مسلم)

(ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ رحمه الله)

طبع على ذمة ملتزمه

(محمد مصطفى فهمي واخوته)

(طبع بمطبعة الفتوح الادبية)

التي مركزها بجوار سيدي عبدالله الجويني بشارع النبوية بمصر

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي صاحب كتاب المعارف وأدب الكاتب كان فاضلا ثقة سكن بغداد وحدث بها عن اسحاق بن راهويه وأبي اسحاق ابراهيم بن سفيان الزيادي وأبي حاتم السجستاني وتلك الطبقة وروى عنه ابنه أحمد وابن درستويه وتصانيفه كلها مفيدة منها ماتقدم ذكره ومنها تفسير القرآن الكريم وغريب الحديث وعيون الاخبار ومشكل الحديث وطبقات الشعراء وكتاب التفقيه وكتاب الخيل وكتاب أعراب القرآن وكتاب الانواء وكتاب المسائل والجوابات وكتاب الميسر والقداح وغير ذلك وقيل ان أباه مروزي وأما هو فولده ببغداد وقيل بالكوفة وأقام بالدينور مدة قاضيا فنسب اليها وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة ومائتين وتوفي في ذي القعدة سنة سبعين وقيل في رجب سنة ست وسبعين ومائتين وكانت وفاته فجأة صاح صيحة سمعت من بعد ثم أغمي عليه ومات رحمه الله

وقتيبة هي تصغير قتبة وهي واحدة الاقتاب والاقتاب الامعا وبها سمي الرجل والدينوري نسبة الى دينور وهي بلدة من بلاد الجبل عند قرميسين خرج منها خلق كثير

﴿ قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه رحمه الله تعالى ﴾

نفتتح كلامنا بحمد الله تعالى وتقدس ربنا بذكره والثناء عليه لا اله الا هو لا شريك له الذى اتخذ الحمد لنفسه ذكرا ورضى به من عباده شكراً وصلى الله على سيدنا محمد الذى أرسله بالهدى وختم به رسل الله السعدا صلاة زاكية وسلم تسليما كثيرا أبدا

﴿ فضل أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ﴾

حدثنا ابن أبى مريم قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا وكيع عن يونس بن أبى اسحاق عن الشعبى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال عليه السلام هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين الا النبيين والمرسلين عليهم السلام ولا تخبرهما يا على حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحمامى رضى الله عنه حدثنا أحمد بن حواش الحنفى قال حدثنا ابن المبارك عن عمر بن سعيد عن أبى مليكة قال سمعت ابن عباس رضى الله عنه يقول وضع عمر رضى الله عنه على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع فلم يرعنى الا رجل قد أخذ بمنكبى من ورائى فالتفت فاذا على ابن أبى طالب كرم الله وجهه يترحم على عمر رضى الله عنه وقال والله ماخلفت أحداً أحب الى أن ألقى الله تعالى بمثل عمله منك يا عمر وأيم الله ان كنت لارجو أن يجعلك الله مع صاحبيك وذاك انى كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وكنت أنا وأبو بكر وعمر وانى كنت لاظن أن يجعلك الله تعالى معهما وأخبرنا ابن أبى شيبة قال حدثنا زيد بن الحباب عن موسى بن عبيد قال أخبرنى أبو معاذ وأبو الخطاب عن على رضى الله عنه قال بينما أنا جالس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

مريم عليهما السلام فقالوا يارسول الله أفلا تبعث أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقال صلى الله عليه وسلم هما لا بدلى منهما هما مني بمنزلة السمع والبصر وحدثنا قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا محمد بن الزبير قال أرسلني عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصري رحمهما الله تعالى أسأله ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر رضي الله عنه فأتيته فاستوى جالسا وقال أي والذي لا اله الا هو استخلفه ولهو كان أعلم بالله تعالى وأتقى لله تعالى من أن يتوثب عليهم لو لم يأمره

﴿ استخلاف رسول الله أبا بكر رضي الله عنه ﴾

عن ابن أبي مريم قال حدثنا الغرياني عن أبي عون بن عمرو بن تيم الانصاري رضي الله عنه وحدثنا سعيد بن كثير عن عفير بن عبد الله بن عبد الرحمن قال حدثنا بقصة استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وشأن السقيفة وما جرى فيها من القول والتنازع بين المهاجرين والانصار وبعضهم يزيد على بعض في الكلام فجمعت ذلك وألفته على معنى حديثهم ومجاز لغتهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في مرضه الذي قبض فيه متوكئا على الفضل بن العباس رضي الله عنهما وغلام يقال له ثوبان رضي الله عنه ثم رجع صلى الله عليه وسلم فدخل منزله وقال لغلامه اجلس على الباب ولا تحجب أحدا من الانصار رضي الله عنهم فاحدقوا بالباب وقالوا للغلام ائذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عنده نساؤه رضي الله تعالى عنهن فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهم فقال من هؤلاء فقيل له الانصار رضي الله عنهم يبكون فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والعباس رضي الله عنهما فدخل المسجد واجتمع الناس اليه فقال صلى الله عليه وسلم انه لم يمت نبي قط

الاخلف و راءه تركة وأن تركتي فيكم الانصار رضي الله عنهم وهم كرشي التي آوى اليها أوصيكم بتقوى الله تعالى والاحسان اليهم فقد علمتم أنهم شاطروكم و واسوكم في العسر واليسر ونصروكم في النشط والكسل فاعرفوا لهم حقهم واقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله وهو معصوب الرأس شديد الوجع فلما كانت الصلاة أتى بلال المؤذن رضي الله عنه يدعو الى الصلاة ففتح صلى الله عليه وسلم عينه وقال للنساء أدعن لى حبيبي فعرفت عائشة رضي الله عنها أنه يريد أبا بكر فقالت ارسل الى عمر فان أبا بكر رجل رقيق وان قام مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم افتضح من البكاء وعمر أقوى منه فأرسلت الى عمر رضي الله عنه فاتى فسلم ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم عينيه فرد السلام ثم أطرق عنه فعرف عمر أنه لم يرده فلما خرج أقبل صلى الله عليه وسلم عليهن وقال أدعن لى حبيبي فقالت عائشة رضي الله عنها يارسول الله ان أبا بكر رجل رقيق فلو أمرت عمر يصلي بالناس فقال صلى الله عليه وسلم انكن صواحبات يوسف عليه السلام أدعن لى حبيبي انما افعل ماأومر فدعى أبو بكر رضي الله تعالى عنه فلما جاء قال له اذهب مع المؤذن فصل بالناس فلم يزل أبو بكر رضي الله عنه يصلي بالناس حتى كان اليوم الذي مات فيه رسول الله وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فأتمروا فقال قائل يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يصلي في مقامه فقال أبو بكر رضي الله عنه معاذ الله ان نجعله وثناً نعبده وقال قائل ندفنه صلى الله عليه وسلم في البقيع حيث دفن اخوانه من المهاجرين والانصار فقال أبو بكر انا نكره ان نخرج قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين اظهرنا الى البقيع قالوا فما ترى يا أبا بكر قال سمعته صلى الله عليه وسلم يقول ماقبض نبي قط الا دفن جسده حيث قبض روحه قالوا فانت والله رضي ومقنع وكان العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه قد لقى عليا كرم الله وجهه فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم يقبض فاساله ان كان الامر لنا بينه وان كان لغيرنا أوصى بنا خيرا فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس لعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه ابسط يدك ابايعك فيقال عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ابن عم رسول الله صلى

الله عليه وسلم و يبايعك أهل بيتك فان هذا الامر اذا كان لم يقل (*) فقال له على كرم الله وجهه ومن يطلب هذا الامر غيرنا وقد كان العباس رضي الله عنه لقي أبابكر فقال هل أوصاك رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء قال لا ولقي العباس أيضا عمر فقال له مثل ذلك فقال عمر لا فقال العباس لعلي رضي الله عنه ابسط يدك ابايعك و يبايعك أهل بيتك

﴿ ذكر السقيفة وماجرى فيها من القول ﴾

وحدثنا قال حدثنا ابن عفير عن ابي عون عن عبد الله بن عبد الرحمن الانصاري رضي الله عنه ان النبي عليه السلام لما قبض اجتمعت الانصار رضي الله عنهم الى سعد بن عبادة فقالوا له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض فقال سعد لابنه قيس رضي الله عنهما اني لا استطيع ان اسمع الناس كلاما لمرضي ولكن تلق مني قولي فاسمعهم فكان سعد يتكلم و يحفظ ابنه رضي الله عنهما قوله فيرفع صوته لكي يسمع قومه فكان مما قال رضي الله عنه بعد ان حمد الله تعالى وأثنى عليه يامعشر الانصار ان لكم سابقة في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الاوثان فما آمن به من قومه الا قليل والله ما كانوا يقدرون ان يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرفوا دينه ولا يدفعوا عن أنفسهم حتى اراد الله تعالى لكم الفضيلة وساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ورزقكم الايمان به و برسوله صلى الله عليه وسلم والمنع له ولاصحابه والاعزاز لدينه والجهاد لاعدائه فكنتم أشد الناس على من تخلف عنه منكم واثقله على عدوكم من غيركم حتى استقاموا لامر الله تعالى طوعا وكرها واعطى البعيد المقادة صاغراً داحرا حتى أثخن الله تعالى لنبيه بكم الارض ودانت باسيافكم له العرب توفاه الله تعالى وهو راض عنكم قرير العين فشدوا أيديكم بهذا الامر فانكم أحق الناس

(*) من الاقالة لا من القول اه مصححه

وأولاهم به فاجابوه جميعا ان قد وفقت فى الرأى وأصبت فى القول وكفى بعد ذلك مارأيت بتوليتك هذا الامر فأنت مقنع ولصالح المؤمنين رضى قال فاتى الخبر الى أبى بكر رضى الله عنه ففزع أشد الفزع وقام ومعه عمر رضى الله عنهما فخرجا مسرعين الى سقيفة بنى ساعدة فلقيا أباعبيدة بن الجراح رضى الله عنه فانطلقوا رضى الله عنهم جميعاً حتى دخلوا سقيفة بنى ساعدة وفيها رجال من الاشراف معهم سعد بن عبادة رضى الله عنه فاراد عمر رضى الله عنه أن يبدأ بالكلام وقال خشيت أن يقصر أبو بكر رضى الله عنه عن بعض الكلام فلما تيسر عمر للكلام تجهز أبو بكر رضى الله عنه وقال له على رسلك فستكفى الكلام فتشهد أبو بكر رضى الله عنه وانتصب له الناس فقال ان الله جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق فدعا الى الاسلام فأخذ الله تعالى بنواصينا وقلوبنا الى مادعا اليه فكنا معشر المهاجرين أول الناس اسلاما والناس لنا فيه تبع ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مع ذلك أوسط العرب أنسابا ليست قبيلة من قبائل العرب الا ولقريش فيها ولادة وأنتم ايضا والله الذين آووا ونصروا وأنتم وزراؤنا فى الدين ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم اخواننا فى كتاب الله تعالى وشركاؤنا فى دين الله عز وجل وفيما كنا فيه من سراء وضراء والله ما كنا فى خير قط الا كنتم معنا فيه فانتم أحب الناس الينا وأكرمهم علينا وأحق الناس بالرضى بقضاء الله تعالى والتسليم لامر الله عز وجل لما ساق لكم ولاخوانكم المهاجرين رضى الله عنهم وأحق الناس فلا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة والله مازلتم تؤثرون اخوانكم من المهاجرين وأنتم أحق الناس أن لا يكون هذا الامر واختلافه على أيديكم وابعد أن لا تحسدوا اخوانكم على خير ساقه الله تعالى اليهم وانما أدعوكم الى أبى عبيدة أو عمر وكلاهما قد رضيت لكم ولهذا الامر وكلاهما له أهل فقال عمر وأبو عبيدة رضى الله عنهما ما ينبغى لاحد من الناس أن يكون فوقك يا أبا بكر أنت صاحب الغار ثانى اثنين وأمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فأنت أحق الناس بهذا الامر فقال الانصار والله ما نحسدكم على خير ساقه الله اليكم وانا لكما وصفت يا أبا بكر والحمد لله ولا أحد من خلق الله أحب الينا منكم ولا أرضى عندنا ولا أيمن ولكننا نشفق مما بعد اليوم ونحذر أن يغلب على هذا

الامر من ليس منا ولا منكم فلو جعلتم اليوم رجلا منا ورجلا منكم بايعنا ورضينا على أنه اذا هلك اخترنا آخر من الانصار فاذا هلك اخترنا آخر من المهاجرين أبداً ما بقيت هذه الامة كان ذلك أجدر أن يعدل فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأن يكون بعضنا يتبع بعضاً فيشفق القرشى أن يرفع فينقض عليه الانصارى ويشفق الانصارى ان يرفع فينقض عليه القرشى فقام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه وقال ان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا الى خلقه وشهيداً على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه وهم اذ ذاك يعبدون آلهة شتى يزعمون أنها لهم شافعة وعليهم بالغة نافعة وانما كانت حجارة منحوتة وخشبا منجورة فاقرؤا ان شئتم (انكم وما تعبدون من دون الله ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقالوا وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله تعالى المهاجرين الاولين رضى الله عنهم بتصديقه والايمان به والمواساة والصبر معه على الشدة من قومهم واذلالهم وتكذيبهم اياهم وكل الناس مخالف عليهم زار لهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وازراء الناس لهم واجماع قومهم عليهم فهم أول من عبد الله فى الارض وأول من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بالامر من بعده لا ينازعهم فيه الا ظالم وأنتم يا معشر الانصار من لا ينكر فضلهم ولا النعمة العظيمة لهم فى الاسلام رضيكم الله تعالى أنصاراً لدينه ولرسوله وجعل اليكم مهاجرته فليس بعد المهاجرين الاولين أحد عندنا بمنزلتكم فنحن الامراء وأنتم الوزراء لا نفتات دونكم بمشورة ولا تنقضى دونكم الامور فقام الحباب بن المنذر بن زيد بن حرام رضى الله عنه فقال يا معشر الانصار املكوا على أيديكم فانما الناس فى فيئكم وظلالكم ولن يجير على خلافكم ولن يصدر الناس الا عن رأيكم أنتم أهل العز والثروة وأولوا العدد والنجدة وانما ينظر الناس ما تصنعون فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وتقطعوا أموركم أنتم أهل الايواء واليكم كانت الهجرة ولكم فى السابقين الاولين مثل ما لهم وأنتم أصحاب الدار والايمان من قبلهم والله ما عبدوا الله علانية الا فى بلادكم ولا جمعت الصلاة الا فى مساجدكم ولا دانت العرب للاسلام الا بأسيافكم فانتم أعظم الناس نصيبا فى هذا الامر وان أبى القوم فمنا أمير ومنهم

أمير فقام عمر رضي الله عنه فقال هيهات لا يجمع سيفان في غمد واحد انه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا ينبغي أن تولى هذا الامر الا من كانت النبوة فيهم وأولى الامر منهم لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته الا مدل بباطل أو متجانف لاثم أو متورط في هلكة فقام الحباب بن المنذر رضي الله عنه فقال يا معشر الانصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر فان أبوا عليكم ما سألتم فاجلوهم عن بلادكم وتولوا عليكم وعليهم من أردتم فأنتم والله أولى بهذا الامر منهم فانه دان لهذا الامر من لم يكن يدين له بأسيافنا (*) أما والله ان شئتم لنعيدنها جذعة والله لا يرد على أحد ما أقول الا حطمت أنفه بالسيف قال عمر بن الخطاب فلما كان الحباب هو الذي يجيبني لم يكن لي معه كلام لانه كان بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاني عنه فحلفت أن لا أكلمه كلمة تسوءه أبدا ثم قام أبو عبيدة فقال يا معشر الانصار أنتم أول من نصر وآوى فلا تكونوا أول من يبدل ويغير

﴿ مخالفة قيس بن سعد ﴾

قال وان قيسا لما رأى ما اتفق عليه قومه من تأمير سعد بن عبادة قام حسد السعد وكان قيس من سادات الخزرج فقال يا معشر الانصار أما والله لئن كنا أولى الفضيلة في جهاد المشركين والسابقة في الدين ما أردنا ان شاء الله غير رضا ربنا وطاعة نبينا والكرم لانفسنا وما ينبغي ان نستطيل بذلك على الناس ولا نبتغي به غرضا من الدنيا فان الله تعالى ولي النعمة والمنة علينا بذلك ثم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من قريش وقومه أحق بميراثه وتولي سلطانه وأيم الله لا يراني أنازعهم هذا الامر أبدا فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تخادعوهم

(*) في رواية جذيلها المحكك وعذيقها المرجب اما والله الخ

والجذيل مصغر جذل عود ينصب للجربى لتحتك به وعذيق مصغر عذق قنو النخلة والمرجب المعظم

﴿ بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ﴾

قال ثم ان أبا بكر قام على الانصار فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم دعاهم الى الجماعة ونهاهم عن الفرقة وقال انى ناصح لكم فى أحد هذين الرجلين أبى عبيدة بن الجراح أو عمر فبايعوا من شئتم منهما فقال عمر معاذ الله ان يكون ذلك وأنت بين أظهرنا أنت أحقنا بهذا الامر وأقدمنا صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضل منا فى المال وأنت أفضل المهاجرين وثانى اثنين وخليفته على الصلاة والصلاة أفضل دين الاسلام فمن ذا ينبغى أن يتقدمك و يتولى هذا الامر عليك ابسط يدك أبايعك فلما ذهبا يبايعانه سبقهما اليه قيس الانصارى فبايعه فناداه الحباب بن المنذر يا قيس بن سعد عاقك عاق ما اضطرك الى ما صنعت حسدت ابن عمك على الامارة قال لا والله ولكنى كرهت ان أنازع قوما حقا لهم فلما رأت الاوس ما صنع قيس بن سعد وهو من سادات الخزرج وما دعوا اليه المهاجرين من قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير رضى الله عنه لئن وليتموها سعدا عليكم مرة واحدة لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة ولا جعلوا لكم نصيبا فيها أبدا فقوموا اليه فبايعوه فقام الحباب بن المنذر الى سيفه فأخذه فبادروا اليه فأخذوا سيفه منه فجعل يضرب بثوبه وجوههم حتى فرغوا من البيعة فقال فعلتموها يا معشر الانصار أما والله لكانى بابنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسالونهم باكفهم ولا يسقون الماء قال أبو بكر أمنا تخاف يا حباب قال ليس منك أخاف ولكن ممن يجيء بعدك قال أبو بكر فاذا كان ذلك كذلك فالامر اليك والى أصحابك ليس لنا عليكم طاعة قال الحباب هيهات يا أبا بكر اذا ذهبت أنا وأنت جاء بابعدك من يسومنا الضيم

﴿ تخلف سعد بن عبادة رضى الله عنه عن البيعة ﴾

فقال سعد بن عبادة أما والله لو أن لى ما أقدر به على النهوض لسمعتم منى فى أقطارها زئيرا يخرجك أنت وأصحابك ولا لحقتك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع خاملا غير عزيز فبايعه الناس جميعا حتى كادوا يطأون سعدا فقال سعد قتلتمونى فقيل اقتلوه قتله الله فقال سعد احملونى من هذا المكان فحملوه فادخلوه داره وترك أياما ثم بعث اليه أبو بكر

رضي الله عنه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك أما والله حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي من نبل وأخضب منكم سناني ورمحي وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي وأقاتلكم بمن معي من أهلي وعشيرتي ولا والله لو ان الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم حسابي فلما أتى بذلك أبو بكر من قوله قال عمر لا تدعه حتى يبايعك فقال لهم قيس بن سعد انه قد أبى ولج وليس يبايعك حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وعشيرته ولن تقتلوهم حتى تقتل الخزرج ولن تقتل الخزرج حتى تقتل الاوس فلا تفسدوا على أنفسكم أمرا قد استقام لكم فاتركوه فليس تركه بضاركم وانما هو رجل واحد فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجمع بجمعتهم ولا يفيض بافاضتهم ولو يجد عليهم أعوانا لصال بهم ولو يبايعه أحد على قتالهم لقاتلهم فلم يزل كذلك حتى توفي أبو بكر رحمه الله تعالى وولي عمر ابن الخطاب فخرج الى الشام فمات بها ولم يبايع لاحد رحمه الله وان بني هاشم اجتمعت عند بيعة الانصار الى علي بن أبي طالب ومعهم الزبير بن العوام رضي الله عنه وكانت أمه صفية بنت عبد المطلب وانما كان يعد نفسه من بني هاشم وكان علي كرم الله وجهه يقول مازال الزبير منا حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا واجتمعت بنو أمية الى عثمان واجتمعت بنو زهرة الى سعد وعبد الرحمن بن عوف فكانوا في المسجد الشريف مجتمعين فلما أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة وقد بايع الناس أبا بكر قال لهم عمر مالي أراكم مجتمعين حلقا شتى قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعه الانصار فقام عثمان بن عفان ومن معه من بني أمية فبايعوه وقام سعد وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بني زهرة فبايعوا وأما علي والعباس بن عبد المطلب ومن معهما من بني هاشم فانصرفوا الى رحالهم ومعهم الزبير بن العوام فذهب اليهم عمر في عصابة فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن أشيم فقالوا انطلقوا فبايعوا أبا بكر فأبوا فخرج الزبير بن العوام رضي الله عنه بالسيف فقال عمر رضي الله عنه عليكم بالرجل فخذوه فوثب عليه سلمة بن أشيم فاخذ السيف من يده فضرب به الجدار وانطلقوا به فبايع وذهب بنو هاشم أيضا فبايعوا

﴿ اباية علي كرم الله وجهه بيعة أبي بكر رضي الله عنهما ﴾

ثم ان عليا كرم الله وجهه أتى به الى أبى بكر وهو يقول أنا عبد الله أخو رسول الله فقيل له بايع أبا بكر فقال أنا أحق بهذا الامر منكم لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لى أخذتم هذا الامر من الانصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبى صلى الله عليه وسلم وتأخذونه منا أهل البيت غصبا ألستم زعمتم للانصار أنكم أولى بهذا الامر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة وسلموا اليكم الامارة فاذا احتج عليكم بمثل ما احتججتم على الانصار نحن أولى برسول الله حيا وميتا فانصفونا ان كنتم تؤمنون والا فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون فقال له عمر انك لست متروكا حتى تبايع فقال له على أحلب حلبا لك شطره وشد له اليوم يردده عليك غدا ثم قال والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه فقال له أبو بكر فان لم تبايع فلا أكرهك فقال أبو عبيدة بن الجراح كرم الله وجهه يا ابن عم انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالامور ولا أرى أبا بكر الا اقوى على هذا الامر منك واشد احتمالا واستطلاعا فسلم لابى بكر هذا الامر فانك ان تعش ويطل بك بقاء فانت لهذا الامر خليق وحقيق فى فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك فقال على كرم الله وجهه الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد فى العرب من داره وقعر بيته الى دوركم وقعور بيوتكم وتدفعون أهله عن مقامه فى الناس وحقه فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لانا أهل البيت ونحن أحق بهذا الامر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله الفقيه فى دين الله العالم بسنن رسول الله المتطلع لامر الرعية الدافع عنهم الامور السيئة القاسم بينهم بالسوية والله انه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدا وقال بشير بن سعد الانصارى لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك يا على قبل بيعتها لابى بكر ما اختلفت عليك قال وخرج على كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على دابة ليلا فى مجالس الانصار تسألهم النصرة فكانوا يقولون يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو ان زوجك وابن عمك سبق الينا قبل أبى بكر ما عدلنا به فيقول على كرم الله وجهه أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم أدفنه واخرج أنازع الناس سلطانه فقالت فاطمة ما صنع أبو الحسن الا ما كان ينبغى له ولقد صنعوا ما الله

حسيبهم وطالبهم

كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

قال وان أبا بكر رضي الله عنه تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه فبعث اليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار علي فأبوا ان يخرجوا فدعا بالحطب وقال والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لاحرقنها على من فيها فقيل له يا أبا حفص ان فيها فاطمة فقال وان فخرجوا فبايعوا الا عليا فانه زعم انه قال حلفت ان لا اخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها فقالت لا عهد لي بقوم حضروا أسوء محضر منكم تركتم رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة بين أيدينا وقطعتم امركم بينكم لم تستامرونا ولم تردوا لنا حقا فاتى عمر ابا بكر فقال له الا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له اذهب فادع لي عليا قال فذهب الى علي فقال ما حاجتك فقال يدعوك خليفة رسول الله فقال علي لسريع ما كذبتم على رسول الله فرجع فابلغ الرسالة قال فبكى أبو بكر طويلا فقال عمر الثانية ان لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال أبو بكر رضي الله عنه لقنفذ عد اليه فقل له أمير المؤمنين (*) يدعوك لتبايع فجاءه قنفذ فادى ما أمر به فرفع علي صوته فقال سبحان الله لقد ادعى ما ليس له فرجع قنفذ فابلغ الرسالة فبكى أبو بكر طويلا ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تنصدع وأكبادهم تنفطر وبقي عمر ومعه قوم فاخرجوا عليا فمضوا به الى ابي بكر فقالوا له بايع فقال ان انا لم افعل فمه قالوا اذا والله الذي لا اله الا هو نضرب عنقك قال اذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله قال عمر أما عبد الله فنعم وأما أخو رسوله فلا وأبو بكر ساكت لا يتكلم فقال له عمر الا تأمر فيه بامرك فقال لا أكره على شيء ما كانت

(*) في متن هذه الرواية اضطرابات كثيرة منها هذا فقد ثبت من غير وجه ان أول من لقب بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فاطمة الى جنبه فلحق على بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيح و يبكي و ينادي يابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فقال عمر لابي بكر رضي الله عنهما انطلق بنا الى فاطمة فانا قد أغضبناها فانطلقا جميعا فاستاذنا على فاطمة فلم تاذن لهما فاتيا عليا فكلماه فادخلهما عليها فلما قعدا عندها حولت وجهها الى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام فتكلم أبو بكر فقال يا حبيبة رسول الله والله ان قرابة رسول الله أحب الى من قرابتي وانك لاحب الى من عائشة ابنتي ولوددت يوم مات أبوك اني مت ولا أبقى بعده أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله الا اني سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نورث ما تركنا فهو صدقة فقالت أرأيتكما ان حدثتكما حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرفانه وتفعلان به قالا نعم فقالت نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني قالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاني أشهد الله وملائكته انكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبي لاشكونكما اليه فقال أبو بكر أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق وهي تقول والله لادعون الله عليك في كل صلاة أصليها ثم خرج باكيا فاجتمع اليه الناس فقال لهم يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته مسرورا بأهله وتركتموني وما أنا فيه لا حاجة لي في بيعتكم أقيلوني بيعتي قالوا يا خليفة رسول الله ان هذا الامر لا يستقيم وأنت أعلمنا بذلك انه ان كان هذا لم يقم لله دين فقال والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعد ما سمعت ورأيت من فاطمة قال فلم يبايع على كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها ولم تمكث بعد أبيها الا خمسا وسبعين ليلة قال فلما توفيت أرسل على الى أبي بكر ان أقبل الينا فاقبل أبو بكر حتى دخل على على وعنده بنو هاشم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد يا أبا بكر فانه لم يمنعنا ان نبايعك انكاراً لفضيلتك ولا نفاسة عليك ولكنا كنا نرى ان لنا في هذا الامر حقاً فاستبددت علينا ثم ذكر على قرابته من رسول الله صلى الله علية وسلم فلم يزل يذكر

ذلك حتى بكى أبو بكر فقال أبو بكر رضي الله عنه لقرابة رسول الله أحب الى ان أصل من قرابتي وانى والله لا ادع امراً رأيت رسول الله يصنعه الا صنعته ان شاء الله تعالى فقال على موعدك غدا فى المسجد الجامع للبيعة ان شاء الله ثم خرج فاتى المغيرة بن شعبة فقال أترى يا أبا بكر ان تلقوا العباس فتجعلوا له فى هذا الامر نصيبا يكون له ولعقبه وتكون لكما الحجة على على و بنى هاشم اذا كان العباس معكم قال فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة حتى دخلوا على العباس رضي الله عنه فحمد الله أبو بكر واثنى عليه ثم قال ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً وللمؤمنين ولياً فمن الله تعالى بمقامه بين اظهرنا حتى اختار له الله ماعنده فخلى على الناس أمرهم ليختار والانفسهم فى مصلحتهم متفقين لامختلفين فاختاروني عليهم والياً ولامورهم راعيا وماخاف بحمد الله وهناً ولا حيرة ولا جبناً وما توفيقى الا بالله العلى العظيم عليه توكلت واليه أنيب ومازال يبلغنى عن طاعن يطعن بخلاف مااجتمعت عليه عامة المسلمين و يتخذونكم لجاقا فاحذروا ان تكونوا جهد المنيع فامادخلتم فيما دخل فيه العامة أودفعتموهم عما مالوا اليه وقد جئناك ونحن نريد ان نجعل لك فى هذا الامر نصيبا يكون لك ولعقبك من بعدك اذ كنت عم رسول الله وان كان الناس قد رأوامكانك ومكان أصحابك فعدلوا الامر عنكم على رسلكم بنى عبد المطلب فان رسول الله منا ومنكم ثم قال عمر اى والله واحرى انا لم نأتكم حاجة منا اليكم ولكنا كرهنا ان يكون الطعن منكم فيما اجتمع عليه العامة فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لانفسكم ولعامتكم فتكلم العباس فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله بعث محمدا كما زعمت نبيا وللمؤمنين ولياً فمن الله بمقامه بين اظهرنا حتى اختار له ماعنده فخلى على الناس أمرهم ليختاروا لانفسهم مصيبين للحق لا مائلين عنه بزيغ الهوى فان كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت وان كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم متقدمون فيهم وان كان هذا الامر انما يجب لك بالمؤمنين فما وجب اذ كنا كارهين فاما مابذلت لنا فان يكن حقا لك فلا حاجة لنا فيه وان يكن حقا للمؤمنين فليس لك ان تحكم عليهم وان كان حقنا لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض واما قولك ان رسول الله منا ومنكم فانه قد كان من شجرة نحن اغصانها

وأنتم جيرانها قال ثم خرج أبو بكر الى المسجد الشريف فاقبل على الناس فعذر عليا بمثل ما اعتذر عنده ثم قام علي فعظم حق أبي بكر وذكر فضيلته وسابقته ثم مضى فبايعه فاقبل الناس على علي فقالوا أصبت يا أبا الحسن واحسنت قال فلما تمت البيعة لابي بكر أقام ثلاثة أيام يقبل الناس ويستقبلهم يقول قد أقلتكم في بيعتي هل من كاره هل من مبغض فيقوم علي في أول الناس فيقول والله لا نقيلك ولا نستقيلك أبدا قد قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتوحيد ديننا من ذا الذي يؤخرك لتوجيه دنيانا

﴿ خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ﴾

قال ثم ان أبا بكر قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الله الجليل الكريم الحكيم الرحيم الحليم بعث محمدا بالحق وأنتم معشر العرب كما قد علمتم من الضلالة والفرقة ألف بين قلوبكم ونصركم به وأيدكم ومكن لكم دينكم واورثكم سيرته الراشدة المهدية فعليكم بحسن الهدى ولزوم الطاعة وقد استخلف الله عليكم خليفة ليجمع به ألفتكم ويقيم به كلمتكم فاعينوني على ذلك بخير ولم اكن لابسط يدا ولا لسانا على من لم يستحل ذلك ان شاء الله وأيم الله ماحرصت عليها ليلا ولا نهارا ولا سألتها الله قط في سر ولا علانية ولقد قلدت أمرا عظيما مالي به طاقة ولا يد ولوددت انى وجدت اقوى الناس عليه مكاني فأطيعوني ما اطعت الله فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم ثم بكى وقال اعلموا أيها الناس انى لم أجعل لهذا المكان أن اكون خيركم ولوددت ان بعضكم كفانيه ولئن اخذتموني بما كان الله يقيم به رسوله من الوحي ما كان ذلك عندي وما أنا الا كأحدكم فاذا رأيتموني قد استقمت فاتبعوني وان زغت فقوموني واعلموا ان لى شيطانا يعتريني احيانا فاذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أؤثر باشعاركم وابشاركم ثم نزل ثم دعا عمر والاوجاه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماترون لى من هذا المال فقال عمر انا والله أخبرك مالك منه اما ما كان لك من ولد قد بان عنك وملك أمره فسهمه كرجل من المسلمين وأما ما كان من عيالك وضعفة أهلك فتقوت منه بالمعروف وقوت أهلك فقال يا عمر انى لاخشى ان لا يحل لى ان أطعم عيالى من فيء المسلمين فقال عمر يا خليفة رسول الله انك قد شغلت

بهذا الامر عن ان تكسب لعيالك قال ولما تمت البيعة لابى بكر واستقام له الامر اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب فنصب لهم أبو بكر الحرب وأراد قتالهم فقالوا نصلي ولا نؤدي الزكاة فقال الناس اقبل منهم ياخليفة رسول الله فان العهد حديث والعرب كثير ونحن شرذمة قليلون لا طاقة لنا بالعرب مع انا قد سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فقال أبو بكر هذا من حقها لا بد من القتال فقال الناس لعمر أخل به فكلمه لعله يرجع عن رأيه هذا فيقبل منهم الصلاة و يعفيهم من الزكاة فخلا به عمر نهاره أجمع فقال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم عليه ولو لم أجد أحدا أقاتلهم به لقاتلتهم وحدي حتى يحكم الله بيني و بينهم وهو خير الحاكمين وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أمرت ان أقاتل الناس على ثلاث شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فوالله الذي لا اله الا هو لا يرد ونهن فضرب منهم من أدبر بمن أقبل حتى دخل الناس في الاسلام طوعا وكرهاً وحمدوا رايه وعرفوا فضله قال أبو رجاء العطاردي رأيت الناس مجتمعين وعمر يقبل رأس أبي بكر و يقول انا فداؤك لولا أنت لهلكنا فحمد له رأيه في قتال أهل الردة

﴿ مرض أبي بكر واستخلافه عمر رضي الله عنهما ﴾

قال ثم ان أبا بكر عمل سنتين وشهورا ثم مرض مرضه الذي مات فيه فدخل عليه اناس من أصحاب النبي عليه السلام فيهم عبد الرحمن بن عوف فقال له كيف اصبحت ياخليفة رسول الله فاني أرجو ان تكون بارئاً قال أترى ذلك قال نعم قال أبو بكر والله اني لشديد الوجع ولما ألقى منكم يامعشر المهاجرين أشد على من وجعي اني وليت أمركم ولست خيركم في نفسي فكلكم ورم أنفه (١) ارادة ان يكون هذا الامر له وذلك لما رأيتم الدنيا قد أقبلت أما والله لتتخذن نضائد (٢) الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم

(١) ورم انفه اى امتلأ غضبا قال الشاعر * ولا يهاج اذا ما انفه ورما * اى لا يكلم عند الغضب (٢) نضائد الديباج واحدتها نضيدة وهي الوسادة

على الصوف الاذربى كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان والله لئن يقدم أحدكم فنضرب عنقه فى غير حدث خير له من ان يخوض غمرات الدنيا فقال له عبد الرحمن بن عوف خفض عليك من هذا يرحمك الله فان هذا يهيضك على ما بك وانما الناس رجلان رجل رضى ما صنعت فرأيه كرأيك ورجل كره ماصنعت فأشار عليك برأيه ما رأينا من صاحبك الذى وليت الاخيرا ومازلت صالحاً مصلحاً ولا أراك تا سى على شيء من الدنيا فاتك قال اجل والله ما آسى الاعلى ثلاث فعلتهن ليتنى كنت تركتهن وثلاث تركتهن ليتنى فعلتهن وثلاث ليتنى سألت رسول الله عنهن فاما اللاتى فعلتهن وليتنى لم افعلهن فليتنى تركت بيت على وان كان اعلن على الحرب وليتنى يوم سقيفة بنى ساعدة كنت ضربت على يد أحد الرجلين أبى عبيدة أو عمر فكان هو الامير وانا الوزير وليتنى حين اتيت بالفجاءة السلمى اسيرا انى قتلته ذبيحا أو أطلقته نجيحا ولم أكن احرقته بالنار واما اللاتى تركتهن وليتنى كنت فعلتهن حين اتيت بالاشعث بن قيس اسيرا انى قتلته ولم أستحيه فانى سمعت منه واراه لايرى غياً ولاشرا الااعان عليه وليتنى حين بعثت خالد بن الوليد الى الشام انى كنت بعثت عمر بن الخطاب الى العراق فاكون قد بسطت يدى جميعا فى سبيل الله وأما اللاتى كنت اودانى سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن فليتنى سالته لمن هذا الامر من بعده فلا ينازعه فيه أحد وليتنى كنت سالته هل للانصار فيها من حق وليتنى كنت سالته عن ميراث بنت الاخ والعمة فان فى نفسى من ذالك شيئا ثم دخل عليه اناس من أصحاب رسول الله فقالوا يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيباً ينظر اليك فقال قد نظر الى قالوا فماذا قال قال انى فعال لما اريد ثم قال لهم انظروا ماذا انفقت من بيت المال فنظروا فاذا هو ثمانية آلاف درهم فاوصى اهله ان يؤدوها الى الخليفة بعده ثم دعا عثمان بن عفان فقال اكتب عهدى فكتب عثمان وأملى عليه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد به أبو بكر بن ابى قحافة آخر عهده بالدنيا نازحا عنها وأول عهده بالآخرة داخلا فيها انى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان تروه عدل فيكم فذلك ظنى به ورجائى فيه وان بدل وغير فالخير أردت ولا اعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ثم ختم الكتاب ودفعه ودخل عليه

المهاجرون والانصار حين بلغهم انه استخلف عمر فقالوا نراك استخلفت علينا عمر وقد عرفته وعلمت بوائقه فينا وأنت بين اظهرنا فكيف اذا وليت عنا وأنت لاق الله عز وجل فسائلك فما أنت قائل فقال ابو بكر لئن سالني الله لاقولن استخلفت عليهم خيرهم في نفسي قال ثم امر ان يجتمع له الناس فاجتمعوا فقال ايها الناس قد حضرني من قضاء الله ماترون وانه لابد لكم من رجل يلي امركم ويصلي بكم ويقاتل عدوكم ويقسم فيأكم فان شئتم اجتمعتم فائتمرتم ثم وليتم عليكم من اردتم وان شئتم اجتهدت لكم رايي و والله الذي لا اله الا هو لا آلوكم في نفسي خيرا قال فبكى و بكى الناس وقالوا يا خليفة رسول الله انت خيرنا واعلمنا فاختر لنا قال ساجتهد لكم رايي واختار لكم خيركم ان شاء الله قال فخرجوا من عنده ثم ارسل الى عمر فقال يا عمر احبك محب وابغضك مبغض وقديما يحب الشر و يبغض الخير فقال عمر لا حاجة لي بها فقال أبو بكر لكن بها اليك حاجة والله ماحبوتك بها ولكن حبوتها بك ثم قال خذ هذا الكتاب واخرج به الى الناس وأخبرهم انه عهدي وسلهم عن سمعهم وطاعتهم فخرج عمر بالكتاب وأعلمهم فقالوا سمعاً وطاعة فقال له رجل مافي الكتاب يا ابا حفص قال لا ادري ولكني اول من سمع واطاع قال لكني والله ادري مافيه امرته عام اول وامرك العام

﴿ ولاية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾

قال ولما توفي أبو بكر و ولي عمر قعد في المسجد مقعد الخلافة اتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين ادنو منك فان لي حاجة قال عمر لا قال الرجل اذا اذهب فيغنيني الله عنك فولى ذاهبا فاتبعه عمر ببصره ثم قام فأخذه بثوبه فقال له ماحاجتك فقال الرجل بغضك الناس وكرهك الناس قال عمر ولم ويحك فقال الرجل للسانك وعصاك قال فرفع عمر يديه فقال اللهم حببهم الي وحببني اليهم قال الرجل فما وضع يديه حتى ماعلى الارض احب الي منه وكان اهل الشام قد بلغهم مرض ابي بكر واستبطؤا الخبر فقالوا انا لنخاف ان يكون خليفة رسول الله قد مات و ولي بعده عمر فان كان عمر هو الوالي فليس لنا بصاحب وانا نرى خلعه قال بعضهم فابعثوا رجلا ترضون عقله قال فانتخبوا لذلك رجلا فقدم على عمر وقد كان عمر استبطأ خبر اهل الشام فلما اتاه قال له كيف الناس قال سالمون صالحون وهم

كارهون لولا يتك ومن شرك مشفقون فارسلونى انظر احلوا نت امر قال فرفع عمر يديه الى السماء وقال اللهم حببنى الى الناس وحببهم الى قال فعمل عمر عشر سنين بعد ابى بكر فوالله مافارق الدنيا حتى احب ولايته من كرهها لقد كانت امارته فتحا واسلامه عزا ونصرا اتبع فى عمله سنة صاحبيه وآثارهما كما يتبع الفصيل اثر امه ثم اختار الله له ما عنده

﴿ قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴾

قال عمر و بن ميمون شهدت عمر بن الخطاب يوم طعن فما منعنى ان أكون فى الصف الاول الاهيبته فكنت فى الصف الذى يليه وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المتقدم بوجهه فان رأى رجلا متقدما من الصف أومتأخرا ضربه بالدرة فذلك الذى منعنى من التقدم قال فاقبل لصلاة الصبح وكان يغلس بها فعرض له أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فطعنه ثلاث طعنات فسمعت عمر وهو يقول دونكم الكلب فانه قد قتلنى وماج الناس فخرج ثلاث عشر رجلا وصاح بعضهم ببعض دونكم الكلب فشد عليه رجل من خلفه فاحتضنه وماج الناس فقال قائل الصلاة عباد الله طلعت الشمس فدفعت عبد الرحمن بن عوف فصلى باقصر سورتين فى القرآن واحتمل عمر ومات من الذين جرحوا ستة أوسبعة وجرى الناس الى عمر فقال ياابن عباس أخرج فناد فى الناس أعن ملا و رضا منهم كان هذا فخرج فنادى فقالوا معاذ الله ماعلمنا ولا اطلعنا قال فاتاه الطبيب فقال أى الشراب أحب اليك قال النبيذ فسقوه نبيذ فخرج من بعض طعناته فقال الناس صديد أسقوه لبنا فخرج اللبن فقال الطبيب لاأرى أن تمسى فما كنت فاعلا فافعل فقال لابنه عبد الله ناولنى الكتف فلوأراد الله أن يمضى مافيه أمضاه فمحاها بيده وكان فيها فريضة الجد ثم دخل عليه كعب الاحبار فقال ياأمير المؤمنين الحق من ربك فلاتكونن من الممترين قد كنت أنبأتك انك شهيد قال ومن أين لى بالشهادة وانا بجزيرة العرب ثم جعل الناس يثنون عليه و يذكرون فضله فقال ان من غررتموه لمغرور و رانى والله وددت ان أخرج منها كفافا كما دخلت فيها والله لو كان لى اليوم ماطلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع فقالوا ياأمير المؤمنين لا بأس عليك فقال ان يكن القتل بأسا فقد قتلنى أبو لؤلؤة قالوا فان يكن ذلك فجزاك الله عنا خيرا

فقال لا أراكم تغبطوني بها فوالذي نفس عمر بيده ماأدري على ماأهجم ولوددت أني نجوت منها كفافا لا لي ولا علي فيكون خيرها بشرها ويسلم لي ما كان قبلها من الخير ودخل علي بن أبي طالب فقال يا علي أعن ملأ منكم ورضى كان هذا فقال علي ما كان من ملأ منا ولا رضي ولوددنا ان الله زاد من أعمارنا في عمرك قال وكان رأسه في حجر ابنه عبد الله فقال له ضع خدي بالارض فلم يفعل فلحظه وقال ضع خدي بالارض لا أم لك فوضع خده بالارض فقال الويل لعمر ولام عمر ان لم يغفر الله لعمر ثم دعا عبد الله بن عباس وكان يحبه ويدنيه ويسمع منه فقال له يا ابن عباس اني لا أظن ان لي ذنبا ولكن أحب ان تعلم لي أعن ملأ منهم ورضى كان هذا فخرج ابن عباس فجعل لا يرى ملأ من الناس الا وهم يبكون كأنما فقدوا اليوم أبصارهم فرجع اليه فاخبره بما رأى قال فمن قتلني قال أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة قال عبد الله فرأيت البشر في وجهه فقال الحمد لله الذي لم يقتلني رجل يحاجني بلا اله الا الله يوم القيامة ثم قال يا عبد الله ألا لو أن لي ماطلعت عليه الشمس وماغربت لافتديت به من هول المطلع وماذاك والحمد لله أن أكون رأيت الا خيرا فقال له ابن عباس فان يك ذاك يا امير المؤمنين فجزاك الله عنا خيرا أليس قد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعز الله بك الدين والمسلمون محتسبون بمكة فلما أسلمت كان اسلامك عزا أعز الله به الاسلام وظهر النبي وأصحابه ثم هاجرت الى المدينة فكانت هجرتك فتحا ثم لم تغب عن مشهد شهده رسول الله من قتال المشركين وقال فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ثم قبض رسول الله وهو عنك راض ثم ارتد الناس بعد رسول الله عن الاسلام فوازرت الخليفة على منهاج رسول الله وضربتم من أدبر بمن أقبل حتى دخل الناس في الاسلام طوعا وكرها ثم قبض الخليفة وهو عنك راض ثم وليت بخير ما يلي أحد من الناس مصر الله بك الامصار وجبي بك الاموال ونفى بك العدو وأدخل الله على أهل كل بيت من المسلمين توسعة في دينهم وتوسعة في أرزاقهم ثم ختم الله لك بالشهادة فهنيئا لك فصب الله الثناء عليك صبا فقال أتشهد لي بهذا يا عبد الله عند الله يوم القيامة قال نعم فقال عمر اللهم لك الحمد

﴿ تولية عمر بن الخطاب الستة الشورى وعهده اليهم ﴾

قال ثم ان المهاجرين دخلوا على عمر رضى الله عنه وهو فى البيت من جراحته تلك فقالوا يا امير المؤمنين استخلف علينا قال والله لا أحملكم حيا وميتا ثم قال ان استخلفت فقد استخلف من هو خير مني يعني أبو بكر وان أدع فقد ودع من هو خير مني يعني النبي عليه السلام فقالوا جزاك الله خيرا يا امير المؤمنين فقال ماشاء الله راغبا وددت ان أنجو منها لا لى ولا على فلما أحس بالموت قال لابنه اذهب الى عائشة واقرئها مني السلام واستأذنها ان أقبر في بيتها مع رسول الله ومع أبى بكر فاتاها عبد الله بن عمر فاعلمها فقالت نعم وكرامة ثم قالت يا بنى ابلغ عمر سلامى وقل له لا تدع أمة محمد بلا راع استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا فانى اخشى عليهم الفتنة فاتى عبد الله فاعلمه فقال ومن تأمرني ان استخلف لو ادركت أباعبيدة بن الجراح باقيا استخلفته و وليته فاذا قدمت على ربى فسالني وقال لى من وليت على أمة محمد قلت أى ربى سمعت عبدك ونبيك يقول لكل أمة امين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح ولو ادركت معاذ بن جبل استخلفته فاذا قدمت على ربى فسالنى من وليت على امة محمد قلت اى رب سمعت عبدك ونبيك يقول ان معاذ بن جبل يأتى بين يدى العلماء يوم القيامة ولو ادركت خالد بن الوليد لوليته فاذا قدمت على ربى فسالنى من وليت على امة محمد قلت اى رب سمعت عبدك ونبيك يقول خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله على المشركين ولكني سأستخلف النفر الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض فارسل اليهم فجمعهم وهم على بن ابى طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضوان الله عليهم وكان طلحة غائبا فقال يا معشر المهاجرين الاولين انى نظرت فى امر الناس فلم اجد فيهم شقاقا ولا نفاقا فان يكن بعدى شقاق ونفاق فهو فيكم تشاوروا ثلاثة ايام فان جاءكم طلحة الى ذلك والا فاعزم عليكم بالله ان لا تتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا احدكم فان اشرتم بها الى طلحة فهو لها أهل وليصل بكم صهيب هذه الثلاثة ايام التى تتشاورون فيها فانه رجل من الموالى لا ينازعكم أمركم واحضروا معكم من شيوخ الانصار وليس لهم من أمركم شيء واحضروا معكم الحسن بن على وعبد الله بن عباس فان لهما قرابة وأرجو لكم البركة فى حضورهما وليس لهما من أمركم شيء ويحضر

ابنى عبدالله مستشارا وليس له من الامر شيء قالوا يا أمير المؤمنين ان فيه للخلافة موضعا فاستخلفه فانا راضون به فقال حسب آل الخطاب تحمل رجل منهم الخلافة ليس له من الامر شيء ثم قال يا عبدالله اياك ثم اياك لا تتلبس بها ثم قال ان استقام أمر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه وان استقام أربعة واختلف اثنان فاضربوا أعناقهما وان استقام ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكموا الى ابنى عبدالله فلاى الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم فان أبى الثلاثة الاخر من ذلك فاضربوا اعناقهم فقالوا قل فينا يا أمير المؤمنين مقالة نستدل فيها برايك ونقتدى به فقال والله ما يمنعنى ان استخلفك ياسعد الا شدتك وغلظتك مع انك رجل حرب وما يمنعنى منك يا عبدالرحمن الا انك فرعون هذه الامة وما يمنعنى منك يا زبير الا انك مؤمن الرضا كافر الغضب وما يمنعنى من طلحة الا نخوته وكبره ولو وليها وضع خاتمه فى أصبع امرأته وما يمنعنى منك يا عثمان الا عصبيتك وحبك قومك وما يمنعنى منك يا على الا حرصك عليها وانك احرى القوم ان وليتها ان تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم أوصى الخليفة منكم بتقوى الله العظيم واحذره مثل مضجعى هذا واخوفه يوما تبيض فيه وجوه وتسود وجوه يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية ثم غشى عليه حتى ظنوا انه قد قضى فجعلوا ينادونه ولا يفيق من اغمائه فقال قائل ان كان شيء ينبه فالصلاة فقالوا يا أمير المؤمنين الصلاة ففتح عينيه فقال الصلاة ها انا ذا ولا حظ فى الاسلام لمن ترك الصلاة فصلى وجرحه يثعب دما ثم التفت اليهم وقال تدقومت لكم الطريق فلا تعرجوه ثم التفت الى على بن أبى طالب فقال لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك وقرابتك وشرفك من رسول الله وما آتاك الله من العلم والفقه والدين فيستخلفونك فان وليت هذا الامر فاتق الله يا على فيه ولا تحمل احدا من بنى هاشم على رقاب الناس ثم التفت الى عثمان فقال يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك وشرفك وسابقتك فيستخلفونك ان وليت هذا الامر فلا تحمل احدا من بنى أمية على رقاب الناس ثم دعا صهيبا فقال يا صهيب صل بالناس ثلاثة أيام ويجتمع هؤلاء النفر ويتشاورون بينهم اخرجوا عنى اللهم الفهم وأجمعهم على الحق ولا تردهم على اعقابهم وول أمر أمة

محمد خيرهم فخرجوا من عنده وتوفى رحمه الله تعالى من يومه ذلك ودفن وصلى عليه صهيب

﴿ ذكر الشورى و بيعة عثمان بن عفان رضى الله عنه ﴾

ثم انه بعد موت عمر اجتمع القوم فخلوا فى بيت احدهم واحضروا عبدالله بن عباس والحسن بن على وعبدالله بن عمر فتشاوروا ثلاثة أيام فلم يبرموا فتيلا فلما كان فى اليوم الثالث قال لهم عبدالرحمن بن عوف اتدرون أى يوم هذا هذا يوم عزم عليكم صاحبكم ان لا تتفرقوا فيه حتى تستخلفوا احدكم قالوا أجل قال فانى عارض عليكم امراً قالوا وما تعرض قال ان تولونى امركم واهب لكم نصيبي فيها واختار لكم من أنفسكم قالوا قد اعطيناك الذى سألت فلما سلم القوم قال لهم عبدالرحمن اجعلوا امركم الى ثلاث منكم فجعل الزبير امره الى على وجعل طلحة امره الى عثمان وجعل سعد امره الى عبد الرحمن بن عوف قال المسور بن مخرمة فقال لهم عبدالرحمن كونوا مكانكم حتى آتيكم وخرج يتلقى الناس فى انقاب المدينة متلثما لا يعرفه احد فما ترك احدا من المهاجرين والانصار وغيرهم من ضعفاء الناس ورعاعهم الا سالهم واستشارهم اما أهل الرأى فاتاهم مستشيرا وتلقى غيرهم سائلا يقول من ترى الخليفة بعد عمر فلم يلق احدا يستشيره ولا يساله الا و يقول عثمان فلما رأى اتفاق الناس واجتماعهم على عثمان قال المسور جاءنى رضى الله عنه عشاء فوجدنى نائما فخرجت اليه فقال ألا اراك نائما فوالله ما اكتحلت عينى بنوم منذ هذه الثلاثة ادع لى فلانا وفلانا (نفرا من المهاجرين) فدعوتهم فناجاهم فى المسجد طويلا ثم قاموا من عنده فخرجوا ثم دعا عليا فناجاه طويلا ثم قام من عنده على طمع ثم قال ادع لى عثمان فدعوته فناجاه طويلا حتى فرق بينهما ان آنت صلاة الصبح فلما صلوا جميعهم فاخذ على كل واحد منهم العهد والميثاق لئن بايعتك لتقيمن كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك من قبلك فاعطاه كل واحد منهم العهد والميثاق على ذلك وأيضا لئن بايعت غيرك لترضين ولتسلمن وليكونن سيفك معى على من أبى فاعطوه ذلك من عهودهم ومواثيقهم فلما تم ذلك أخذ بيد عثمان فقال له عليك عهد الله وميثاقه لئن بايعتك لتقيمن لنا كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك

وشرط عمران لاتجعل احدامن بنى أمية على رقاب الناس فقال عثمان نعم ثم أخذ بيد على فقال له ابايعك على شرط عمران لاتحمل احدامن بنى هاشم على رقاب الناس فقال على عند ذلك مالك ولهذا اذا جعلتها فى عنقى فان على الاجتهاد لامة محمد حيث علمت القوة والامانة استعنت بها كان فى بنى هاشم أو غيرهم قال عبد الرحمن لا والله حتى تعطينى هذا الشرط قال على والله لا اعطيكه ابدا فتركه فقاموا من عنده فخرج عبد الرحمن الى المسجد فجمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال انى نظرت فى امر الناس فلم اراهم يعدلون بعثمان فلاتجعل ياعلى سبيلا الى نفسك فانه السيف لاغير ثم أخذ بيد عثمان فبايعه وبايع الناس جميعاً قال فكان عثمان رضى الله عنه ست سنين فى ولايته وهو أحب الى الناس من عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان عمر رجلا شديداً قد ضيق على قريش انفاسها لم ينل احد معه من الدنيا شيئا اعظاماله واجلالا وتاسيا به واقتداء فلما وليهم عثمان ولى رجل لين قال حسن البصرى شهدت عثمان وهو يخطب وانا يومئذ قد راهقت الحلم فمارأيت قط ذكرا ولا انثى أصبح وجها ولا احسن نضرة منه فسمعته يقول أيها الناس اغدوا على اعطياتكم فيأخذونها وافية أيها الناس اغدوا على كسوتكم فيغدون فيجاء بالحلل فتقسم بينهم حتى والله سمعت اذناى يا معشر المسلمين اغدوا على السمن والعسل فيغدون فيقسم بينهم السمن والعسل ثم يقول يا معشر المسلمين اغدوا على الطيب فيغدون فيقسم بينهم الطيب من المسك والعنبر وغيره والعدوان والله منفى والاعطيات دارة والخير كثير وما على الارض مؤمن يخاف مؤمنا من لقى فى أى البلدان فهو أخوه وأليفه وناصره ومؤدبه فلم يزل المال متوفرا حتى لقد بيعت الجارية بوزنها ورقا وبيع الفرس بعشرة آلاف دينار وبيع البعير بألف والنخلة الواحدة بألف ثم انكر الناس على عثمان اشياء اشرا وبطرا قال ابن عمر لقد عيبت عليه اشيا لوفعلها عمر ماعيبت عليه

﴿ ذكر الانكار على عثمان رضى الله عنه ﴾

قال عبد الله بن مسلم حدثنا ابن أبى مريم وابن عفير قالا حدثنا ابن عون قال أخبرنا المخول بن ابراهيم وأبو حمزة الثمالى وبعضهم يزيد على بعض والمعنى واحد فجمعته

والفتنة على قولهم ومعنى ماارادوا عن على بن الحسين قال لما انكر الناس على عثمان بن عفان صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان لكل شيء آفة ولكل نعمة عاهة وان آفة هذا الدين وعاهة هذه الملة قوم عيابون طعانون يرونكم ماتحبون ويسرون ماتكرهون اما والله يامعشر المهاجرون والانصار لقد عبتم على اشياء ونقمتم أمورا قداقررتم لابن الخطاب مثلها ولكنه وقمكم وقمعكم ولم يجترئ احد يملأ بصره منه ولا يشير بطرفه اليه اما والله لانا أكثر من ابن الخطاب عددا واقرب ناصرا واجدر الى ان قال لهم اتفقدون من حقوقكم شيئا فمالى لا أفعل فى الفضل ماار يد فلم كنت اماما اذا اما والله ماعاب على من عاب منكم امرا اجهله ولا أتيت الذى أتيت الا وانا اعرفه قال وقدم معاوية بن أبى سفيان على أثر ذلك من الشام فاتى مجلسا فيه على بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعمار ابن ياسر فقال لهم يامعشر الصحابة أوصيكم بشيخى هذا خيرا فوالله لئن قتل بين اظهركم لاملأنها عليكم خيلا ورجالا ثم أقبل على عمار بن ياسر فقال ياعمار ان بالشام مائة ألف فارس كل يأخذ العطاء مع مثلهم من ابنائهم وعبدانهم لا يعرفون عليا ولا قرابته ولا عمارا ولا سابقته ولا الزبير ولا صحابته ولا طلحة ولا هجرته ولا يهابون ابن عوف ولا ماله ولا يتقون سعدا ولا دعوته فاياك ياعمار ان تقع غدا فى فتنة تنجلى فيقال هذا قاتل عثمان وهذا قاتل على ثم قبل على ابن عباس فقال يابن عباس انا كنا واياكم فى زمان لانرجو فيه ثوابا ولا نخاف عقابا وكنا أكثر منكم فوالله ماظلمناكم ولا قهرناكم ولا أخرناكم عن مقام تقدمناه حتى بعث الله رسوله منكم فسبق اليه صاحبكم فوالله مازال يكره شركنا و يتغافل به عنا حتى ولى الامر علينا وعليكم ثم صار الامر الينا واليكم فاخذ صاحبنا على صاحبكم لسنه ثم غير فنطق ونطق على لسانه فقد أوقدتم نارا لاتطفا بالماء فقال ابن عباس كنا كما ذكرت حتى بعث الله رسوله منا ومنكم ثم ولى الامر علينا وعليكم ثم صار الامر الينا واليكم فاخذ صاحبكم على صاحبنا لسنه ولما هو أفضل من سنه فوالله ماقلنا الا ماقال غيرنا ولا نطقنا الا بما نطق به سوانا فتركتم الناس جانبا وصيرتمونا بين ان أقمنا متهمين أو نزعنا معتبين وصاحبنا من قد علمتم والله لا يهجهج

مهجهج الا ركبه ولا يرد حوضا الا أفرطه وقد أصبحت أحب منك ما أحببت واكره ما كرهت ولعلي لا ألقاك الا في خير

﴿ ذكر القول والمجادلة لعثمان ومعاوية رضي الله عنهما ﴾

قال وذكروا ان ابن عباس قال خرجت الى المسجد فاني لجالس فيه مع علي حين صليت العصر اذ جاء رسول عثمان يدعو عليا فقال علي نعم فلما ان ولى الرسول أقبل علي فقال لم تراه دعاني قلت له دعاك ليكلمك فقال انطلق معي فاقبلت فاذا طلحة والزبير وسعد وأناس من المهاجرين فجلسنا فاذا عثمان عليه ثوبان ابيضان فسكت القوم ونظر بعضهم الى بعض فحمد الله عثمان ثم قال اما بعد فان ابن عمي معاوية هذا قد كان غائبا عنكم وعن ما نلتم مني وما عاتبتكم عليه وعاتبتموني وقد سألني ان يكلمكم وان يكلمه من اراد فقال سعد بن أبي وقاص وماعسى ان يقال لمعاوية أو يقول الا ما قلت وقيل لك فقال علي ذلكم تكلم يا معاوية فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد يامعشر المهاجرين و بقية الشورى فاياكم أعني واياكم اريد فمن أجابني بشيء فمنكم واحد فاني لم ارد غيركم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايع الناس احد المهاجرين التسعة ثم دفنوا نبيهم فأصبحوا اسا لما أمرهم. كأن نبيهم بين اظهرهم فلما ايس الرجل من نفسه بايع رجلا من بعده احد المهاجرين فلما احتضر ذلك الرجل شك في واحد ان يختاره فجعلها في ستة نفر بقية المهاجرين فأخذوا رجلا منهم لا يألون عن الخير فيه فبايعوه وهم ينظرون الى الذي هو كائن من بعده لا يشكون ولا يمترون مهلا مهلا معشر المهاجرين فان وراءكم من ان دفعتموه اليوم اندفع عنكم ومن ان فعلتم الذي أنتم فاعلوه دفعكم بأشد من ركنكم وعدمن جمعكم ثم استن عليكم بسنتكم ورأى ان دم الباقي ليس بممتنع بعد دم الماضي فسددوا وارفقوا الا يغلبكم على امركم من حذرتكم فقال علي بن أبي طالب كانك تريد نفسك يابن اللخناء لست هنالك فقال معاوية مهلا عن بنت عمك فانها ليست بشر نسائك يامعشر المهاجرين وولاة هذا الامر ولاكم الله اياه فانتم أهله وهذان البلدان مكة والمدينة مأوى الحق ومنتهاه وانما ينظر التابعون الى السابقين والبلدان الى البلدين فان استقاموا استقاموا وايم الله الذي لا اله الا هو لئن صفقت احدى اليدين

على الاخرى لا يقوم السابقون للتابعين ولا البلدان للبلدين وليسلبن امركم ولينقلن الملك من بين اظهركم وما أنتم فى الناس الا كالشامة السوداء فى الثور الابيض فانى رأيتكم نشبتم فى الطعن على خليفتكم و بطرتم معيشتكم وسفهتم احلامكم وما كل نصيحة مقبولة والصبر على بعض المكروه خير من تحمله كله قال ثم خرج القوم وأمسك عثمان ابن عباس فقال له عثمان يابن عمى و يابن خالتى فانه لم يبلغنى عنك فى امرى شىء أحبه ولا اكرهه على ولا لى وقد علمت انك رأيت بعض مارأى الناس فمنعك عقلك وحلمك من ان تظهر ماأظهروا وقد أحببت ان تعلمنى رأيك فيما بينى و بينك فاعتذر قال ابن عباس فقلت انك قد ابتليتنى ياامير المؤمنين بعد العافية وأدخلتنى فى الضيق بعد السعة و والله ان رأيى لك أن يجل سنك و يعرف قدرك وسابقتك و والله لوددت انك لم تفعل مافعلت مما ترك الخليفتان قبلك فان كان شيئا تركاه لما رأى انه ليس لهما علمت انه ليس لك كما لم يكن لهما وان كان ذلك لهما فتركاه خيفة ان ينال منهما مثل الذى نيل منك تركته لما تركاه له ولم يكونا أحق باكرام أنفسهما منك باكرام نفسك قال فما منعك أن تشير على بهذا قبل ان أفعل مافعلت قال وما علمى أنك تفعل ذلك قبل ان تفعل قال فهب لى صمتا حتى ترى رأيى قال فخرج ابن عباس فقال عثمان لمعاوية ماترى فان هؤلاء المهاجرين قد استعجلوا القدر ولا بد لهم مما فى أنفسهم فقال معاوية الرأى ان تأذن لى بضرب أعناق هؤلاء القوم قال من قال على وطلحة والزبير قال عثمان سبحان الله أقتل أصحاب رسول الله بلا حدث أحدثوه ولا ذنب ركبوه قال معاوية فان لم تقتلهم فانهم سيقتلوك قال عثمان لا أكون اول من خلف رسول الله فى أمته باهراق الدماء قال معاوية فاخترمنى احدى ثلاث خصال قال عثمان وماهى قال معاوية ارتب لك ههنا اربعة آلاف فارس من خيل اهل الشام يكونون لك رداءو بين يديك يدا قال عثمان ارزقهم من أين قال من بيت المال قال عثمان أرزق أربعة آلاف من الجند من بيت مال المسلمين لحرز دمى لا فعلت هذا قال فثانية قال وماهى قال فرقهم عنك فلا يجتمع منهم اثنان فى مصر واحد واضرب عليهم البعوث والندب حتى يكون دبر بعير احدهم أهم عليه من صلاته قال عثمان سبحان الله شيوخ المهاجرين

وكبار أصحاب رسول الله وبقية الشورى أخرجهم من ديارهم وافرق بينهم وبين اهلهم وابنائهم لا افعل هذا قال معاوية فثالثة قال وماهى قال اجعل لى الطلب بدمك ان قتلت قال عثمان نعم هذه لك ان قتلت فلا يطل دمى قال ثم خرج عثمان فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس ان نصيحتى كذبتنى ونفسى منتنى وقد سمعت رسول الله يقول لا تتمادوا فى الباطل فان الباطل يزداد من الله بعدا من اساء فليتب ومن أخطأ فليتب وأنا اول من اتعظ والله لئن ردنى الحق عبدا لا نتسبن نسب العبيد ولا اكونن كالمرفوق الذى ان ملك صبر وان أعتق شكر ثم نزل فدخل على زوجته نائلة بنت الفرافصة ودخل معه مروان بن الحكم فقال يا أمير المؤمنين أتكلم أو أسكت فقالت له نائلة بل أسكت فوالله لئن تكلمت لتغرنه ولتوبقنه فالتفت اليها عثمان مغضبا فقال أسكتى تكلم يا مروان فقال مروان يا أمير المؤمنين انك والله لو قلت الذى قلت وأنت فى عز ومنعة لتابعتك ولكنك قلت الذى قلت وقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين فانقض التوبة ولا تقر بالخطيئة

﴿ ما أنكر الناس على عثمان رحمه الله ﴾

قال وذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب رسول الله عليه السلام كتبوا كتابا ذكروا فيه ماخالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه وما كان من هبته خمس افريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وما كان من تطاوله فى البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة دارا لنائلة ودارا لعائشة وغيرهما من أهله وبناته وبنيان مروان القصور بذى خشب وعمارة الاموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله وما كان من افشائه العمل والولايات فى أهله وبنى عمه من بنى أمية احداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالامور وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة اذ صلى بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربعة ركعات ثم قال لهم ان شئتم ان أزيدكم ركعة زدتكم وتعطيله اقامة الحد عليه وتأخيره ذلك عنه وتركه المهاجرين والانصار لا يستعملهم على شىء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم وما كان من الحمى الذى حمى حول المدينة وما كان من ادراره القطائع والارزاق

والاعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي عليه السلام ثم لا يغزون ولا يذبون وما كان من مجاوزته الخيزران الى السوط وانه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس وانما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب فى يد عثمان وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الاسود وكانوا عشرة فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه الى عثمان والكتاب فى يد عمار رجعلوا يتسللون عن عمار حتى بقى وحده فمضى حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه فاذن له فى يوم شات فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم واهله من بنى امية فدفع اليه الكتاب فقرأه فقال له أنت كتبت هذا الكتاب قال نعم قال ومن كان معك قال معى نفر تفرقوا فرقاً منك قال ومن هم قال أخبرك بهم قال فلم اجترأت على من بينهم فقال مروان يا أمير المؤمنين ان هذا العبد الاسود (يعنى عمارا) قد جرأ عليك الناس وانك ان قتلته نكلت به من وراءه قال عثمان اضربوه فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشى عليه فجروه حتى طرحوه على باب الدار فامرت به أم سلمة زوج النبي عليه السلام فادخل منزلها وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم فلما خرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال أما والله لئن مات عمار من ضربه هذا لاقتلن به رجلا عظيما من بنى امية فقال عثمان لست هناك قال ثم خرج عثمان الى المسجد فاذا هو بعلى وهو شاك معصوب الرأس فقال عثمان والله يا أبا الحسن ما أدرى اشتهى موتك ام اشتهى حياتك فوالله لئن مت ما احب ان ابقى بعدك لغيرك لانى لا اجد منك خلفا ولئن بقيت لا اعدم طاغيا يتخذك سلما وعضدا ويعدك كهفا وملجأ لا يمنعنى منه الا مكانه منك ومكانك منه فأنا منك كالابن العاق من ابيه ان مات فجعه وان عاش عقه فاما سلم فنسالم واما حرب فنحارب فلا تجعلنى بين السماء والارض فانك والله ان قتلتنى لا تجد منى خلفا ولئن قتلتك لا اجد منك خلفا ولن يلى امر هذه الامة بادئ فتنة فقال على ان فيما تكلمت به لجوابا ولكنى عن جوابك مشغول بوجعى فانا اقول كما قال العبد الصالح فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قال مروان أنا والله اذا لنكسرن رماحنا ولنقطعن سيوفنا ولا يكون فى هذا الامر خير لمن بعدنا فقال له عثمان اسكت ما أنت وهذا فقام اليه رجل من المهاجرين فقال له يا عثمان

أرأيت ما حميت من الحمى آلله أذن لكم ام على الله تفترون فقال عثمان انه قد حمى الحمى قبلى عمر لا بل الصدقة وانما زادت فزدت فقام عمرو بن العاص فقال ياعثمان انك ركبت بالناس نها بير من الامر فتب الى الله يتوبوا فرفع عثمان يديه وقال توبوا الى الله من كل ذنب اللهم انى اول من تاب اليك ثم قام رجل من الانصار فقال ياعثمان ما بال هؤلاء النفر من اهل المدينة يأخذون العطايا ولا يغزون فى سبيل الله وانما هذا المال لمن غزا فيه وقاتل عليه الا من كان من هذه الشيوخ من أصحاب محمد عليه السلام فقال عثمان فاستغفر الله وأتوب اليه ثم قال يا أهل المدينة من كان له منكم ضرع فليلحق بضرعه ومن كان له زرع فليلحق بزرعه فانا والله لا نعطى مال الله الا لمن غزا فى سبيله الا من كان من هذه الشيوخ من الصحابة قال فما بال هذا القاعد الشارب لا تقيم عليه الحد (يعنى الوليد بن عقبة) فقال عثمان لعلى دونك ابن عمك فأقم عليه الحد فقال على للحسن قم فاجلده فقال الحسن ما أنت وذاك هذا لغيرك قال على لا ولكنك عجزت وفشلت يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده فقام فضربه وعلى يعد فلما بلغ اربعين أمسك وقال جلد رسول الله أربعين وأبو بكر أربعين وكملها عمر ثمانين وكل سنة

﴿حصار عثمان رضى الله عنه﴾

قال وذكروا انه لما اشتد الطعن على عثمان استأذنه على فى بعض بواديه ينتحى اليها فأذن له واشتد الطعن على عثمان بعد خروج على ورجا الزبير وطلحة ان يميلا اليهما قلوب الناس ويغلبا عليهم واغتنما غيبة على فكتب عثمان الى على اذا اشتد الطعن عليه أما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين وارتفع أمر الناس فى شأنى فوق قدره وزعموا انهم لا يرضون دون دمى وطمع فى زمن لا يدفع عن نفسه

وانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقد كان يقال أكل السبع خير من افتراس الثعلب فاقبل على أولى

فان كنت مأكولا فكن خير آكل والا فادركنى ولما أمزق

قال حويطب بن عبد العزى ارسل الى عثمان حين اشتد حصاره فقال قد بدا لى ان اتهم نفسى لهؤلاء فات عليا وطلحة والزبير فقل لهم هذا أمركم تولوه واصنعوا فيه ماشئتم

نخرجت حتى جئت عليا فوجدت على بابه مثل الجبال من الناس والباب مغلق لا يدخل
عليه احد ثم انصرفت فاتيت الزبير فوجدته فى منزله ليس ببابه احد فأخبرته بما أرسلنى
به عثمان فقال قد والله قضى ماعليه أمير المؤمنين هل جئت عليا قلت نعم فلم اخص اليه
فقمنا جميعا فأتينا طلحة بن عبيد الله فوجدناه فى داره وعنده ابنه محمد فقصصنا عليه ماقال
عثمان فقال قد والله قضى ماعليه أمير المؤمنين هل جئتم عليا قلنا نعم فلم نخلص اليه فأرسل
طلحة الى الاشتر فأتاه فقال لى اخبره فأخبرته بما قال عثمان فقال طلحة وقد دمعت عيناه
قد والله قضى ماعليه أمير المؤمنين فقام الاشتر فقال تبعثون الينا وجاءنا رسولكم
بكتابكم وها هو ذا فأخرج كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من المهاجرين الاولين
وبقية الشورى الى من بمصر من الصحابة والتابعين أما بعد ان تعالوا الينا وتداركوا
خلافة رسول الله قبل ان يسلبها أهلها فان كتاب الله قد بدلا وسنة رسوله قد غيرت
وأحكام الخليفتين قد بدلت فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله
والتابعين باحسان الا اقبل الينا وأخذ الحق لنا واعطاناه فاقبلوا الينا ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر واقيموا الحق على المنهاج الواضح الذى فارقتم عليه نبيكم وفارقكم عليه
الخلفاء غلبنا على حقنا واستولى على فيئنا وحيل بيننا وبين امرنا وكانت الخلافة بعد
نبينا خلافة نبوة ورحمة وهى اليوم ملكا عضودا من غلب على شىء اكله ألیس هذا
كتابكم الينا فبكى طلحة فقال الاشتر لما حضرنا أقبلتم تعصرون اعينكم والله لا
نفارقه حتى نقتله وانصرف قال ثم كتب عثمان كتابا بعثه مع نافع بن طريف الى أهل مكة
ومن حضر الموسم يستغيثهم فوافى به نافع يوم عرفة بمكة وابن عباس يخطب وهو يومئذ
على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم فقام نافع ففتح الكتاب فقرأه فاذا فيه بسم
الله الرحمن الرحيم من عبد الله عثمان أمير المؤمنين الى من حضر الحج من المسلمين أما بعد
فانى كتبت اليكم كتابى هذا وأنا محصور اشرب من بئر القصر ولا آكل من الطعام ما
يكفينى خيفة ان تنفد ذخيرتى فأموت جوعا أنا ومن معى لا أدعى الى توبة أقبلها ولا تسمع
منى حجة أقولها فانشد الله رجلا من المسلمين بلغه كتابى الا قدم على فأخذ الحق فى ومنعنى
من الظلم والباطل قال ثم قام ابن عباس فأتم خطبته ولم يعرض لشىء من شأنه وكتب

الى أهل الشام عامة والى معاوية وأهل دمشق خاصة أما بعد فانى فى قوم طال فيهم مقامى واستعجلوا القدر فى وقد خيرونى بين ان يحملونى على شارف من الابل الدحيل و بين ان أنزع لهم رداء الله الذى كسانى و بين ان اقيدهم ممن قتلت ومن كان على سلطان يخطئ و يصيب فياغوثاه ياغوثاه ولا أمير عليكم دونى فالعجل العجل يامعاوية وأدرك ثم أدرك وما أدراك تدرك

﴿ تولية محمد بن أبى بكر على مصر ﴾

قال وذكروا ان أهل مصر جاؤا يشكون ابن أبى سرح عاملهم فكتب اليه عثمان كتابا يتهدده فيه فأبى ابن أبى سرح ان يقبل مانهاه عنه عثمان وضرب بعض من أتاه به من قبل عثمان من اهل مصر حتى قتله فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا فى المسجد وشكوا الى أصحاب رسول الله فى مواقيت الصلاة ماصنع بهم ابن أبى سرح فقام طلحة فتكلم بكلام شديد وأرسلت عائشة الى عثمان فقالت له قد تقدم اليك اصحاب رسول الله وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت الا واحدة فهذا قد قتل منهم رجلا فأنصفهم من عاملك ودخل عليه على وكان متكلم القوم فقال له انما يسألونك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم فان وجب لهم عليه حق فانصفهم منه فقال اختار وارجلا أوله عليهم فقالوا استعمل محمد بن أبى بكر فكتب عهده وولاه وخرج معه عدد من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين ابن أبى سرح وأهل مصر فخرج محمد ومن معه حتى اذا كانوا على مسيرة ثلاث ليال من المدينة فاذاهم بغلام اسود على بعير يخبط البعير كانه رجل يطلب أو يطلب فقال له أصحاب محمد ماقصتك وماشأنك كأنك طالب أوهارب فقال أناغلام أمير المؤمنين وجهنى الى عامل مصر فقال له رجل هذا عامل مصر معنا قال ليس هذا أريد فأخبر محمد بأمره فبعث فى طلبه رجلا فجاء به اليه فقال له غلام من أنت فأقبل مرة يقول اناغلام مروان ومرة يقول اناغلام أمير المؤمنين حتى عرفه رجل انه لعثمان فقال له محمد الى من أرسلك قال الى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال أمامعك كتاب قال لا ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا قال وكانت معه اداوة قد

يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا اداوته فاذا فيها كتاب من عثمان الى عبدالله بن أبي سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والانصار ثم فك الكتاب بمحضر منهم فقرأه فاذا فيه اذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاقتلهم وابطل كتابهم واقرعلى عملك حتى يأتيك رأيي فلما رأوا الكتاب فزعوا منه ورجعوا الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتم النفر الذين كانوا معه ودفعه الى رجل منهم ثم قدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً ومن كان من أصحاب رسول الله ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبرهم بقصة الغلام واقرأهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة الاحنق على عثمان وقام اصحاب النبي فلحقوا بمنازلهم وحصر الناس عثمان وأحاطوا به ومنعوه الماء والخروج ومن كان معه وأجاب عليه محمد بن أبي بكر

﴿حصار أهل مصر والكوفة عثمان رحمه الله﴾

قال وذكروا ان أهل مصر أقبلوا الى علي فقالوا ألم تر عدو الله ماذا كتب فينا قم معنا اليه فقد أحل الله دمه فقال علي لا والله لا أقوم معكم قالوا فلم كتبت الينا قال علي لا والله ما كتبت اليكم كتابا قط فنظر بعضهم الى بعض ثم أقبل الاشتر النخعي من الكوفة في ألف رجل واقبل ابن أبي حذيفة من مصر في اربعمائة رجل فأقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلا ونهارا وطلحة يحرض الفريقين جميعا على عثمان ثم ان طلحة قال لهم ان عثمان لا يبالي ماحصرتموه وهو يدخل اليه الطعام والشراب فامنعوه الماء ان يدخل عليه

﴿مخاطبة عثمان من أعلى القصر طلحة وأهل الكوفة وغيرهم﴾

قال وذكروا ان عثمان لما منع الماء صعد على القصر واستوى في اعلاه ثم نادى أين طلحة فأتاه فقال يا طلحة أما تعلم ان بئر رومة كانت لفلان اليهودي لا يسقي أحدا من الناس منها قطرة الابثمن فاشتريتها باربعين الفا فجعلت رشائي فيها كرشاء رجل من المسلمين لم أستأثر عليهم قال نعم قال فهل تعلم ان أحدا يمنع ان يشرب منها اليوم غيري لم ذلك قال لانك بدلت وغيرت قال فهل تعلم ان رسول الله قال من اشترى هذا البيت وزاده في المسجد فله به الجنة فاشتريته بعشرين الفا وأدخلته في المسجد قال طلحة

نعم قال فهل تعلم اليوم أحدا يمنع فيه من الصلاة غيرى قال لا قال لم قال لانك غيرت وبدلت ثم انصرف عثمان وبعث الى على يخبره انه منع من الماء ويستغيث به فبعث اليه على ثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل اليه فقال طلحة ما أنت وهذا وكان بينهما فى ذلك كلام شديد فبينما هم كذلك اذ أتاهم آت فقال لهم ان معاوية قد بعث من الشام يزيد بن اسيد ممدا لعثمان فى أربعة آلاف من خيل الشام فاصنعوا ما أنتم صانعون والا فانصرفوا وكان معهم فى الدار مائة رجل ينصرونه منهم عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم والحسن بن على وعبد الله بن سلام وأبو هريرة فلما سمع القوم اقبال أهل الشام قاموا فألهبوا النار بباب عثمان فلما نظر أهل الدار الى النار نصبوا للقتال وتهيئوا فكره ذلك عثمان قال لا أريد ان تهرق فى محجمة دم وقال لجميع من فى الدار أنتم فى حل من بيعتى لا أحب ان يقتل فى أحد وكان فيهم عبد الله بن عمر فقال يا أمير المؤمنين مع من تأمرنى أكون ان غلب هؤلاء القوم عليك قال عليك بلزوم الجماعة قلت فان كانت الجماعة هى التى تغلب عليك قال عليك بلزوم الجماعة حيث كانت قال ثم دخل عليه الحسن بن على فقال مرنى بما شئت فانى طوع يديك فقال له عثمان ارجع يا ابن أخى اجلس فى بيتك حتى يأتى الله بأمره ثم دخل عليه أبو هريرة متقلدا سيفه فقال طاب الضراب يا أمير المؤمنين قد قتلوا منا رجلا وقد ألهبوا النار فقال عثمان عزمت عليك يا أبا هريرة الا ألقيت سيفك قال أبا هريرة فألقيته فلا أدرى من أخذه قال ودخل المغيرة بن شعبة فقال له يا أمير المؤمنين ان هؤلاء قد اجتمعوا عليك فان أحببت فألحق بمكة وان أحببت أن نخرق لك بابا من الدار فتلحق بالشام ففيها معاوية وأنصارك من أهل الشام وان أبيت فاخرج ونخرج ونحاكم القوم الى الله تعالى فقال عثمان أما ما ذكرت من الخروج الى مكة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد بمكة رجل من قريش عليه نصف عذاب هذه الامة من الانس والجن فلن أكون ذلك الرجل ان شاء الله وأما ما ذكرت من الخروج الى الشام فان المدينة دار هجرتى وجوار قبر النبى عليه السلام فلا حاجة لى فى الخروج من دار هجرتى وأما ما ذكرت من محاكمة هؤلاء القوم الى الله فلن اكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته باهراق الدم ثم قال انى رأيت أبا بكر وعمر

أتيانى الليلة فقالا لى صم فانك مفطر عندنا الليلة وانى أصبحت صائما وانى أعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر الا خرج من الدار سالما فقالوا انا ان خرجنا لم نأمن على أنفسنا منهم فأذن لنا فنكون فى موضع من الدار فلما رأى ذلك على بعث الى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من اصحاب محمد كلهم بدرى ثم دخلوا على عثمان ومعهم الكتاب والغلام والبعير فقال على الغلام غلامك والبعير بعيرك قال نعم قال فانت كتبت هذا الكتاب قال لا وحلف بالله ما كتبت ولا أمرت ولا علمت فقال له فالخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وكتاب عليه خاتمك لا تعلم به فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا وجهت ولا أمرت فشك القوم فى أمر عثمان وعلموا انه لا يحلف بباطل فقال قوم منهم لا يبرأ عثمان عن قلوبنا الا ان يدفع الينا مروان حتى نعرف كيف يأمر بقتل رجال من أصحاب رسول الله وقطع أيديهم بغير حق فان كان عثمان كتبه عزلناه وان كان مروان كتبه نظرنا فى أمره وما يكون فى أمر مروان فانصرف القوم عنه ولزموا بيوتهم وابى عثمان ان يخرج لهم مروان وخشى عليه القتل فبلغ عليا ان عثمان يراد قتله فقال انا أردنا مروان فأما قتل عثمان فلا ثم قال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان ولا تدعا احدا يصل اليه وبعث الزبير ابنه على كره وبعث طلحة ابنه كذلك وبعث عدة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ابناءهم يمنعون الناس ان يدخلوا على عثمان ويسألوه ان يخرج مروان فاشرف عليهم عثمان من اعلى القصر فقال يامعشر المسلمين اذكركم الله ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب دار بنى فلان ليوسع بها للمسلمين فى مسجدهم فاشتريتها من خالص مالى وأنتم اليوم تمنعونى ان أصلى فيه أذكركم الله يامعشر المسلمين ألستم تعلمون ان بئر رومة كانت تباع القربة منها بدرهم فاشتريتها من خالص مالى فجعلت رشائى كرشاء واحد من المسلمين وأنتم تمنعونى ان أشرب من مائها وانا اشتريتها حتى انى ما أفطر الا على ماء البحر ألستم تعلمون انكم نقمتم على أشياء فاستغفرت الله وتبت اليه منها وتزعمون انى غيرت وبدلت فابعثوا على شاهدين مسلمين والا فاحلف بالله الذى لا اله الا هو ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا أطلعت عليه

ياقوم لا يجرمنكم شقاقى ان يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أوقوم هود أوقوم صالح ياقوم لا تقتلونى فانكم ان قتلتمونى كنتم هكذا وشبك بين أصابعه ياقوم ان الله رضى لكم السمع والطاعة وحذركم المعصية والفرقة فاقبلوا نصيحة الله واحذروا عقابه فانكم ان فعلتم الذى أنتم فاعلون لا تقوم الصلاة جميعا ويسلط عليكم عدوكم وانى أخبركم ان قوما أظهروا للناس انهم انما يدعوننى الى كتاب الله تعالى والحق فلما عرض عليهم الحق رغبوا عنه وتركوه وطال عليهم عمرى واستعجلوا القدر بى وقد كانوا كتبوا اليكم انهم قد رضوا بالذى أعطيتهم ولا أعلم أنى تركت من الذى عاهدتهم عليه شيئا وكانوا زعموا انهم يطلبون الحدود وترك المظالم وردها الى أهلها فرضيت بذلك وقالوا يؤمر عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس ومثلهما من ذوى القوة والامانة وكل ذلك فعلت فلم يرضوا وحالوا بينى وبين المسجد فابتزوا ما قدروا عليه بالمدينة وهم يخيرونني بين احدى ثلاث اما أن يقيدونى بكل رجل أصبت خطأ أو عمدا واما ان اعتزل عن الامر فيؤمر واحدا واما ان يرسلوا الى من أطاعهم من الجنود وأهل الامصار فارسلوا اليكم فأبيتم لتبتزونى من الذى جعل الله لى عليكم من السمع والطاعة فسمعتم منهم وأطعتموهم والطاعة لى عليكم دونهم فقلت لهم اما أقادة من نفسى فقد كان قبلى خلفا ومن يتولى السلطان يخطئ ويصيب فلم يستقد من أحد منهم وقد علمت انهم يريدون بذلك نفسى واما ان أتبرأ من الامر فان يصلبونى أحب الى من ان أتبرأ من جنة الله تعالى وخلافته بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لى ياعثمان ان الله تعالى سيقمصك قميصا بعدى فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ولكن أتوها طائعين يبتغون بذلك مرضاة الله وصلاح الامة ومن يكن منهم يبتغى الدنيا فلن ينال منها الا ما كتب له فاتقوا الله فانى لا أرضى لكم ان تنكثوا عهد الله وانى أنشدكم الله والاسلام ان لا تأخذوا الحق ولا تعطوه منى وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى وانى عاقبت أقواما وما أبتغى بذلك الا الخير وانى أتوب الى الله من كل عمل عملته وأستغفره أما والله لقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم الا فى احدى ثلاث

الردة عن الاسلام والزنا بعد الاحصان ولا والله ما كان ذلك منى فى جاهلية ولا اسلام أو رجل قتل رجلا فيقاد به فقال بعضهم انه ليقول مقالا وقال آخر لئن سمعتم منه ليصرفنكم فابوا ورموه بالسهام واستقبلوه بما لا يستقبل مثله ثم أشرف عليهم عبد الله بن سلام وكان من أهل الدار فقال يامعشر من حاصر دار عثمان من المهاجرين والانصار ممن أنعم الله عليهم بالاسلام لا تقتلوا عثمان فوالله ان حقه على كل مؤمن كحق الوالد على ولده و والله ان على حوائط المدينة اثنى عشر الف ملك منذ أمد الله بهم نبيكم صلى الله عليه وسلم و والله لئن قتلتموه ليسخطن عليكم ربكم ولتتفرقن ملائكته عنكم وليقتلن بقتله أقواما هم فى الاصلاب والارحام وما خلقوا وانى لاجده فى التوراة التى أنزل الله على موسى عليه السلام وكتب بيده عز وجل اليكم بالعبرانى وبالعربى خليفتكم المظلوم الشهيد والذى نفسى بيده لئن قتلتموه لا تؤدى بعده طاعة الا عن مخافة ولا توصل رحم عن مكافأة وليقتلن به الرجال ومن فى الاصلاب فقالوا اله أيا يهودى أشبع بطنك وكسى ظهرك والله لا ينتطح فيه شاتان ولا يتناقر فيه ديكان فقال أما الشاتان والديكان فصدقتم ولكن التيسان الاكبران يتناطحان فيه فحصبوه ورموه حتى شجوه فالتفت عثمان فقال له زعموا انك أشبعت بطنى وكسوت ظهرى فاصبر ياامير المؤمنين فوالذى نفسى بيده انى أجدك فى كتاب الله تعالى المنزل الخليفة المظلوم الشهيد فرميت بالسهام من كل جانب وكان الحسن بن على حاضرا فأصابه سهم فخضبه الدم وأصاب مروان سهم وهو فى الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى على فخشى محمد بن أبى بكر ان يغضب بنو هاشم للحسن فيسيرونها فتنة

﴿ قتل عثمان رضى الله عنه وكيف كان ﴾

قال وذكروا ان محمد بن أبى بكر لما خرج الحسن بن على أخذ بيد رجلين فقال لهما ان جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان و يطل ما تريدون ولكن قوموا حتى نتسور عليه فنقتله من غير ان يعلم أحد فتسوروا وصاحباه من دار رجل من الانصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممن كان معه لان كل من معه كان فوق البيت ولم يكن معه الا امرأته فدخل عليه محمد بن أبى بكر

فصرعه وقعد على صدره وأخذ بلحيته وقال يا نعثل ما أغنى عنك معاوية وما أغنى عنك ابن عامر وابن أبى سرح فقال له عثمان لو رآنى أبوك رضى الله عنه لبكانى ولساءه مكانك منى فتراخت يده عنه وقام عنه وخرج فدعا عثمان بوضوء فتوضأ وأخذ مصحفا فوضعه فى حجره ليتحرم به ودخل عليه رجل من أهل الكوفة بمشقص فى يده فوجأ بها منكبه مما يلى الترقوة فادماه ونضح الدم على ذلك المصحف وجاء آخر فضربه برجله وجاء آخر فوجأه بقائم سيفه فغشى عليه ومحمد بن أبى بكر لم يدخل مع هؤلاء فتصايح نساؤه ورش الماء على وجهه فافاق فدخل محمد بن أبى بكر وقد أفاق فقال له أى نعثل غيرت وبدلت وفعلت ثم دخل رجل من أهل مصر فاخذ بلحيته فنتف منها خصلة وسل سيفه وقال افرجوا لى فعلاه بالسيف فتلقاه عثمان بيده فقطعها فقال عثمان أما والله انها أول يد خطت المفصل وكتبت القرآن ثم دخل رجل أزرق قصير مجدر ومعه جزر من حديد فمشى اليه فقال على أى ملة أنت يا نعثل فقال لست بنعثل ولكنى عثمان بن عفان وأنا على ملة ابراهيم حنيفا وما أنا من المشركين قال كذبت وضربه بالجزر على صدغه الايسر فغسله الدم وخر على وجهه وحالت نائلة بنت الفرافصة زوجته بينه وبينه وكانت جسيمة وألقت بنت شيبة نفسها عليه ودخل عليه رجل من أهل مصر ومعه سيف مصلت فقال والله لاقطعن أنفه فعالج امرأته عنه فكشف عنها درعها فلما لم يصل اليه ادخل السيف بين قرطها ومنكبها فضربت على السيف فقطع أناملها فقالت يا رباح غلام لعثمان أسود ومعه سيف أعن عنى هذا فضربه الاسود فقتله ثم دخل آخر معه سيف فقال افرجوا لى فوضع ذباب السيف فى بطن عثمان فامسكت نائلة زوجته السيف فحز أصابعها ومضى السيف فى بطن عثمان فقتله فخرجت امرأته وهى تصيح وخرج القوم هاربين من حيث دخلوا فلم يسمع صوت نائلة لما كان فى الدار من الجلبة فصعدت امرأته الى الناس فقالت ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مقتولا قد مثل به فاكبوا عليه يبكون وخرجوا فدخل الناس فوجدوه مقتولا فبلغ عليا الخبر وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم فدخلوا

عليه واسترجعوا وا كبوا عليه يبكون ويعولون حتى غشي على علي ثم افاق فقال لابنيه كيف قتل امير المؤمنين وانتما على الباب فرفع يده فضرب الحسن والحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبدالله بن الزبير وخرج علي وقد سلب عقله لايدرى مايستقبل من أمره فقال طلحة مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين فقال يا طلحة يقتل أمير المؤمنين ولم تقم عليه بينة ولا حجة فقال طلحة لودفع مروان لم يقتل فقال علي لودفع مروان قتل قبل ان تقوم عليه حكومة فخرج علي فأتى منزله وأغلق الباب وكتبت نائلة بنت الفرافصة الى معاوية تصف دخول القوم على عثمان وأخذه المصحف ليتحرم به وماصنع محمد بن أبي بكر وأرسلت بقميص عثمان مضرجاً بالدم ممزقاً وبالخصلة التي نتفها محمد بن أبي بكر من لحيته فعقدت الشعر في زر القميص ثم دعت النعمان بن بشير الانصاري فبعثته الى معاوية ومضى بالقميص حتى أتى على يزيد بن أسيد ممداً لعثمان بعثه معاوية في أربعة آلاف فاخبرهم بقتل عثمان فانصرفوا الى الشام قال ثم دخل أهل مصر الدار فلما رأوا عثمان مقتولا ندموا واستحيوا وكره أكثرهم ذلك وثار أهل الدار في وجوههم فأخرجوهم منها ثم اقتتلوا عند الباب فضرب مروان بالسيف فصرع

﴿ دفن عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴾

قال وذكروا ان عبدالرحمن بن ازهر قال لم أكن دخلت في شيء من أمر عثمان لاعليه ولا له فاني لجالس بفناء داري ليلا بعدما قتل عثمان بليلة اذ جاءني المنذر بن الزبير فقال ان أخي يدعوك فقمت اليه فقال لي انا اردنا ان ندفن عثمان فهل لك قلت والله مادخلت في شيء من شأنه وماأريد ذلك فانصرفت عنه ثم اتبعته فاذا هو في نفر فيهم جبير بن مطعم وأبو الجهم بن حذيفة والمسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن أبي بكر وعبدالله ابن الزبير فاحتملوه على باب وان رأسه ليقول طق طق فوضعوه في موضع الجنائز فقام اليهم رجال من الانصار فقالوا لهم لا والله لا تصلون عليه فقال أبو الجهم الا تدعون نصلي عليه فقد صلى الله تعالى عليه وملائكته فقال له رجل منهم ان كنت فأدخلك الله مدخله فقال له حشرني الله معه فقال له ان الله حاشرك مع الشياطين والله ان تركنا كم

به لعجزمنا فقال القوم لابى الجهم اسكت عنهم وكف فسكت فاحتملوه ثم انطلقوا
مسرعين كانى أسمع وقع رأسه على اللوح حتى وضعوه فى ادنى البقيع فاتاهم جبلة بن
عمرو الساعدى من الانصار فقال لا والله لاتدفنوه فى بقيع رسول الله ولا نتركم
تصلون عليه فقال أبو الجهم انطلقوا بنا ان لم نصل عليه فقد صلى الله عليه فخرجوا
ومعهم عائشة بنت عثمان معها مصباح فى حق حتى اذا أتوا به جسر كوكب حفر واله
حفرة ثم قاموا يصلون عليه وأمهم جبير بن مطعم ثم دلوه فى حفرته فلما رأته ابنته صاحت
فقال ابن الزبير والله لئن لم تسكتى لاضربن الذى فيه عينيك فدفنوه ولم يلحدوه بلبن
وحثوا عليه التراب حثوا

﴿ بيعة على بن أبى طالب كرم الله وجهه وكيف كانت ﴾

قال وذكروا انه لما كان فى الصباح اجتمع الناس فى المسجد وكثر الندم والتأسف
على عثمان رحمه الله وسقط فى ايديهم وأكثر الناس على طلحة والزبير واتهموهما بقتل
عثمان فقال الناس لهما أيها الرجلان قد وقعتما فى أمر عثمان فخليا عن انفسكما
فقام طلحة فحمد الله واثنى عليه ثم قال أيها الناس انا والله ما نقول اليوم الا ما قلناه أمس
ان عثمان خلط الذنب بالتوبة حتى كرهنا ولايته وكرهنا أن نقتله وسرنا ان نكفاه وقد
كثر فيه اللجاج وأمره الى الله ثم قام الزبير فحمد الله واثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الله قد
رضى لكم الشورى فاذهب بها الهوى وقد تشاورنا فرضينا علياً فبايعوه واما قتل
عثمان فانا نقول فيه ان أمره الى الله وقد احدث احداثا والله وليه فيما كان فقام الناس
فأتوا علياً فى داره فقالوا نبايعك فمد يدك لابد من أمير فأنت أحق بها فقال ليس ذلك
اليكم انما هو لاهل الشورى وأهل بدر فمن رضى به أهل الشورى وأهل بدر فهو
الخليفة فنجتمع وننظر فى هذا الامر فابى ان يبايعهم فانصرفوا عنه وكلم بعضهم بعضا
فقالوا يمضى قتل عثمان فى الافاق والبلاد فيسمعون بقتله ولا يسمعون انه بويع
لاحد بعده فيثور كل رجل منهم فى ناحية فلا نأمن ان يكون فى ذلك الفساد فارجعوا
الى على فلا تتركوه حتى يبايع فيسير مع قتل عثمان بيعة على فيطمئن الناس ويسكنون
فرجعوا الى على وترددوا الى الاشتر النخعى فقال لعلى ابسط يدك نبايعك فقال له مثل

ماقال لهم فقال الاشتر والله لتمدن يدك نبايعك أولتعصرن عينيك عليها ثالثة ولم يزل به يكلمه و يخوفه الفتنة ويذكرمثله انه ليس احد يشبهه فمد يده فبايعه الاشتر ومن معه ثم أتوا طلحة فقالوا له أخرج فبايع قال من قالوا علياً قال تجتمع الشورى وتنظر فقالوا أخرج فبايع فامتنع عليهم فجاؤا به يلببونه فبايعه بلسانه ومنعه يده فقال أبوثور كنت فيمن حاصر عثمان فكنت آخذ سلاحي وأضعه وعلي ينظر الى لا يأمرني ولا ينهاني فلما كانت البيعة له خرجت في أثره والناس حوله يبايعونه فدخل حائطا من حيطان بني مازن فألجؤه الى نخلة وحالوا بيني و بينه فنظرت اليهم وقد أخذت أيدي الناس ذراعه تختلف ايديهم على يده ثم أقبل الى المسجد الشريف وكان أول من صعد المنبر طلحة فبايعه بيده وكانت أصابعه شلا فتطير منها علي فقال ماأخلقها ان تنكث ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جميعاً ثم نزل فدعا الناس وأمر بطلب مروان فهرب منه وطلب نفراً من بني أمية وابن أبي معيط فهربوا وخرجت عائشة باكية تقول قتل عثمان رحمه الله فقال لها عمار بالامس تحرضين عليه الناس واليوم تبكينه ثم جاء علي الى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت لا أدري دخل عليه رجال لا أعرفهم الا أن أرى وجوههم وكان معهم محمد بن أبي بكر فدعا علي محمدا فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد صدقت قد والله دخلت عليه فذكرلي أبي فقمت عنه وأنا تائب الى الله تعالى والله ماقتلته ولا أمسكته فقالت صدق ولكن هو ادخلهم قال ثم خرج طلحة فلقي عائشة فقالت له ماصنع الناس قال قتلوا عثمان قالت ثم ماصنعوا قال بايعوا علياً ثم أتوني فأكرهوني ولببوني حتى بايعت قالت وما لعلي يستولي على رقابنا لا أدخل المدينة ولعلي فيها سلطان فرجعت وكان الزبير خارجا لم يشهد قتل عثمان وكان عمرو بن العاص بفلسطين يوم قتل عثمان فطلع عليه راكب من الحجاز فقال ماوراءك قال تركت عثمان محصورا فقال عمرو قد يضرط العير والمكواة في النار ثم لبث اياما فطلع عليه راكب آخر فقال له عمرو ما الخبر قال قتل عثمان قال فما فعل الناس فقال بايعوا علياً قال فما فعل علي في قتلة عثمان قال دخل عليه الوليد بن عقبة فسأله عن قتله فقال ما أمرت ولا نهيت ولا سرني ولا ساءني قال فما فعل بقتلة عثمان فقال

آوى ولم يرض وقد قال له مروان ان لا تسكن أمرت فقد توليت الإمر وان لا تسكن
قتلت فقد آويت القاتلين فقال عمرو بن العاص خلط والله أبو الحسن قال ثم كتب
عمرو بن العاص الى سعد بن أبي وقاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولى كبره
فكتب اليه سعد انك سألتني من قتل عثمان وانى أخبرك انه قتل بسيف سلته
عائشة وصقله طلحة وسمه ابن أبي طالب وسكت الزبير وأشار بيده وامسكنا نحن
ولو شئنا دفعناه عنه ولكن عثمان غير وتغير واحسن واساء فان كنا أحسنا فقد أحسنا
وان كنا أسأنا فنستغفر الله وأخبرك ان الزبير مغلوب بغلبة أهله وبطلبه بذنبه وطلحة
لو يجدان يشق بطنه من حب الامارة لشقه قال وكان ابن عباس غائبا بمكة المشرفة فاقبل
الى المدينة وقد بايع الناس عليا قال ابن عباس فوجدت عنده المغيرة بن شعبة فجالست حتى
خرج ثم دخلت عليه فسألني وسألته ثم قلت له ماقال لك الخارج من عندك آنفا قال
قال لى قبل هذه الدخلة أرسل الى عبدالله بن عامر بعهده على البصرة والى معاوية بعهده
على الشام فانك تهدى عليك البلاد وتسكن عليك الناس ثم أتانى الآن فقال لى انى
كنت أشرت عليك برأيى لم اتعقبه فلم أرى ذلك رأيا وانى أرى أن تنبذ اليهما العداوة فقد
كفاك الله عثمان وهما أهون موتة منه فقال له ابن عباس أما المرة الاولى فقد نصحك
فيها وأما الثانية فقد غشك فيها قال فانى قد وليتك الشام فسر اليها قال قلت ليس هذا
برأيى أرى معاوية وهو ابن عم عثمان مخليا بينى وبين عمله ولست آمن ان أظفر بى ان
يقتلنى بعثمان وادنى ماهو صانع ان يحبسنى ويحكم على ولكن اكتب الى معاوية
فمنه وعده فان استقام لك الامر فابعثنى قال ثم أرسل بالبيعة الى الافاق والى جميع
الامصار فجاءته البيعة من كل مكان الا الشام فانه لم يأته منها بيعة فارسل الى المغيرة بن
شعبة فقال له سر الى الشام فقد وليتكها قال تبعثنى الى معاوية وقد قتل ابن عمه ثم آتيه
واليا فيظن انى من قتلة ابن عمه ولكن ان شئت ابعث اليه بعهده فانه بالحرى اذا بعثت
له بعهده يسمع ويطيع فكتب على الى معاوية أما بعد فقد وليتك ماقبلك من الامر
والمال فبايع من قبلك ثم أقدم الى فى ألف رجل من أهل الشام فلما أتى معاوية كتاب
على دعا بطومار فكتب فيه من معاوية الى على أما بعد فانه

ليس بيني و بين قيس عتاب　　غير طعن الكلى وضرب الرقاب

فلما أتى عليا الكتاب و رأى ما فيه وما هو مشتمل عليه كره ذلك وقام فاتى منزله فدخل عليه الحسن ابنه فقال له أما والله قد كنت أمرتك فعصيتني فقال له علي وما أمرتني به فعصيتك فيه قال أمرتك ان تركب رواحلك فتلحق بمكة المشرفة فلا تتهم به ولا تحل شيئا من أمره فعصيتني وأمرتك حين دعيت الى البيعة ان لا تبسط يدك الا على بيعة جماعة فعصيتني وأمرتك حين خالف عليك طلحة والزبير ان لا تكرههما على البيعة وتخلي بينهما و بين وجههما وتدع الناس يتشاورون عاما كاملا فوالله لو تشاوروا عاما ما زويت عنك ولا وجدوا منك بدا وأنا آمرك اليوم ان تقيلهما بيعتهما وترد الى الناس أمرهم فان رفضوك رفضتهم وان قبلوك قبلتهم فاني والله قد رأيت الغدر في رؤسهم وفي وجوههم النكث والكراهية فقال له علي أنا اذا مثلك لا والله يا بني ولكن أقاتل بمن أطاعني من عصاني وأيم الله يا بني ما زلت مبغيا على منذ هلك جدك فقال له الحسن وأيم الله يا بني ليظهرن عليك معاوية لانه من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فقال علي يا بني وما علينا من ظلمه والله ما ظلمناه ولا أمرنا ولا نصرنا عليه ولا كتبت فيه الى أحد سوادا في بياض وانك لتعلم أن أباك أبرأ الناس من دمه ومن أمره فقال له الحسن دع عنك هذا والله اني لا أظن بل لا أشك أن ما بالمدينة عاتق ولا عذراء ولا صبي الا وعليه كفل من دمه فقال يا بني أنك لتعلم ان أباك قد رد الناس عنه مرارا أهل الكوفة وغيرهم وقد ارسلتكما جميعا بسيفيكما لتنصرانه وتموتان دونه فنهاكما عن القتال ونهى أهل الدار أجمعين وأيم الله لو أمرني بالقتال لما تلت دونه أو أموت بين يديه قال الحسن دع عنك هذا حتى يحكم الله بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون قال ثم دخل المغيرة بن شعبة فقال له علي هل لك يا مغيرة في الله قال فأين هو يا أمير المؤمنين قال تأخذ سيفك فتدخل معنا في هذا الامر فتدرك من سبقك وتسبق من معك فاني أرى أمورا لا بد للسيوف ان تشحذها وتقطف الرؤس بها فقال المغيرة اني والله يا أمير المؤمنين ما رأيت عثمان مصيبا ولا قتله صوابا وانها لمظلمة تتلوها ظلمات فاريد يا أمير المؤمنين ان أذنت لي ان أضع

سيفي وانا في بيتي حتى تنجلي الظلمة و يطلع قمرها فنسري مبصرين نقفوا آثار المهتدين ونتقي سبيل الجائرين قال علي قد أذنت لك فكن من أمرك على ما بدا لك فقام عمار فقال معاذ الله يا مغيرة تقعد أعمى بعد ان كنت بصيرا يغلبك من غلبته و يسبقك من سبقته أنظر ماترى وماتفعل فاما انا فلا أكون الا في الرعيل الاول فقال له المغيرة يا أبا اليقظان اياك ان تكون كقاطع السلسلة فر من الضحل فوقع في الرمضاء فقال علي لعمار دعه فانه لن يأخذ من الآخرة الا ما خالطته الدنيا اما والله يا مغيرة انها المثوبة المؤيدة تؤدي من قام فيها الى الجنة ولما اختار بعدها فاذا غشيناك فنم في بيتك فقال المغيرة أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم مني ولئن لم أقاتل معك لا أعين عليك فان يكن ما فعلت صوابا فاياه أردت وان خطأ فمنه نجوت ولي ذنوب كثيرة لا أقبل لي بها الا الاستغفار منها

﴿ خطبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ﴾

قال وذكروا ان البيعة لما ‍تمت بالمدينة خرج علي الى المسجد الشريف فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه و وعد الناس من نفسه خيراً وتألفهم جهده ثم قال لا يستغني الرجل وان كان ذا مال و ولد عن عشيرته ودفاعهم عنه بايديهم وألسنتهم هم أعظم الناس حيطة من ورائه واليهم سعيه وأعطفهم عليه ان أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الامور ومن يقبض يده عن عشيرته فانه يقبض عنهم يداً واحدة وتقبض عنه أيد كثيرة ومن بسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى يخلف الله ما أنفق في دنياه و يضاعف له في آخرته واعلموا ان لسان صدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال فلا يزدادن أحدكم كبرياء ولا عظمة في نفسه ولا يغفل أحدكم عن القرابة ان يصلها بالذي لا يزيده ان أمسكه ولا ينقصه ان أهلكه واعلموا ان الدنيا قد أدبرت والآخرة قد أقبلت الا وان المضمار اليوم والسبق غدا الا وان السبقة الجنة والغاية النار الا ان الامل يشهي القلب و يكذب الوعد و يأتي بغفلة و يورث حسرة فهو غرور وصاحبه في عناء فافزعوا الى قوام دينكم واتمام صلاتكم وأداء زكاتكم والنصيحة لامامكم وتعلموا كتاب الله وأصدقوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوفوا بالعهد اذا عاهدتم وأدوا الامانات اذا ائتمنتم وارغبوا ثواب الله

وارهبوا عذابه واعلموا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدم الخير

﴿ اختلاف الزبير وطلحة على علي كرم الله وجهه ﴾

قال وذكروا ان الزبير وطلحة أتيا عليا بعد فراغ البيعة فقالا هل تدرى على ما بايعناك ياأمير المؤمنين قال علي نعم قال السمع والطاعة وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان فقالا لا ولكنا بايعناك على انا شريكاك فى الامر قال علي لا ولكنكما شريكان فى القول والاستقامة والعون على العجز والاولاد قال وكان الزبير لا يشك فى ولاية العراق وطلحة فى اليمن فلما استبان لهما ان عليا غير موليهما شيئا أظهرا الشكاة فتكلم الزبير فى ملأ من قريش فقال هذا جزاؤنا من علي قمنا له فى أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس فى بيته وكفى الامر فلما نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا فقال طلحة ما اللوم الا انا كنا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا وبايعناه وأعطيناه ما فى أيدينا ومنعنا ما فى يده فاصبحنا قد أخطأنا ما رجونا قال فانتهى قولهما الى علي فدعا عبد الله بن عباس وكان استوزره فقال له بلغك قول هذين الرجلين قال نعم بلغني قولهما قال فما ترى قال أرى انهما أحبا الولاية فول البصرة الزبير وول طلحة الكوفة فانهما ليسا بأقرب اليك من الوليد وابن عامر من عثمان فضحك علي ثم قال ويحك ان العراقين بهما الرجال والاموال ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع ويضربا الضعيف بالبلاء ويقويا على القوى بالسلطان ولو كنت مستعملا احدا لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام ولولا ما ظهر لى من حرصهما على الولاية لكان لى فيهما رأى ثم أتى طلحة والزبير الى علي فقالا ياأمير المؤمنين ائذن لنا الى العمرة فان تقم الى انقضائها رجعنا اليك وان تسر نتبعك فنظر اليهما وقال نعم والله ما العمرة تريدان ان تمضيا الى شأنكما فضيا

﴿ خلاف عائشة رضي الله عنها على علي ﴾

قال وذكروا ان عائشة لما أتاها انه بويع لعلي وكانت خارجة عن المدينة فقيل لها قتل عثمان وبايع الناس عليا فقالت ما كنت أبالى ان تقع السماء على الارض قتل والله مظلوما وانا طالبة بدمه فقال لها عبيد أن أول من طعن عليه وأطمع الناس

فيه لانت ولقد قلت اقتلوا نعثلا فقد فجر فقالت عائشة قد والله قلت وقال الناس وآخر قولي خير من أوله فقال عبيد عذر والله ضعيف يا أم المؤمنين ثم قال

منك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الاما م وقلت لنا انه قد فجر
فهبنا أطعناك في قتله وقاتله عندنا من أمر

قال فلما أتى عائشة خبر أهل الشام انهم ردوا بيعة علي وأبوا ان يبايعوه أمرت فعمل لها هودج من حديد وجعل فيه موضع عينيها ثم خرجت ومعها الزبير وطلحة وعبدالله بن الزبير ومحمد بن طلحة

﴿ اعتزال عبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة ﴾
(عن مشاهدة علي وحروبه)

قال وذكروا ان عمار بن ياسر قام الى علي فقال يا أمير المؤمنين ائذن لي آتي عبدالله بن عمر فاكلمه لعله يخف معنا في هذا الامر فقال علي نعم فأتاه فقال له يا أبا عبدالرحمن انه قد بايع عليا المهاجرون والانصار ومن ان فضلناه عليك لم يسخطك وان فضلناك عليه لم يرضك وقد أنكرت السيف في أهل الصلاة وقد علمت أن على القاتل القتل وعلى المحصن الرجم وهذا يقتل بالسيف وهذا يقتل بالحجارة وان عليا لم يقتل أحدا من أهل الصلاة فيلزمه حكم القاتل فقال ابن عمر يا أبا اليقظان ان أبي جمع أهل الشورى الذي قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فكان أحقهم بها علي غير انه جاء أمر فيه السيف ولا أعرفه ولكن والله ما أحب ان لي الدنيا وما عليها واني أظهرت وأضمرت عداوة علي قال فانصرف عنه فاخبر علياً بقوله فقال علي لو أتيت محمد بن مسلمة الانصاري فأتاه عمار فقال له محمد مرحبا بك يا أبا اليقظان على فرقة ما بيني و بينك والله لولا ما في يدي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لبايعت عليا ولو ان الناس كلهم عليه لكنت معه ولكنه يا عمار كان من النبي أمر ذهب في الرأي فقال عمار كيف قال قال رسول الله اذا رأيت المسلمين يقتتلون أو اذا رأيت أهل الصلاة فقال عمار فان كان قال لك اذا رأيت المسلمين فوالله لا ترى مسلمين يقتتلان

بسيفهما أبدا وان كان قال لك أهل الصلاة فمن سمع هذا معك انما أنت أحد الشاهدين فتريد من رسول الله قولا بعد قوله يوم حجة الوداع دماؤكم وأموالكم عليكم حرام الا بحدث فتقول يا محمد لا تقاتل المحدثين قال حسبك يا أبا اليقظان قال ثم أتى سعد بن أبي وقاص فكلمه فأظهر الكلام القبيح فانصرف عمار الى على فقال له على دع هؤلاء الرهط اما ابن عمر فضعيف وأما سعد فحسود وذنبي الى محمد بن مسلمة انى قتلت أخاه يوم خيبر مرحب اليهود.

﴿ هروب مروان بن الحكم من المدينة المنورة ﴾

قال وذكروا ان مروان بن الحكم لما بويع على هرب من المدينة فلحق بعائشة بمكة فقالت له عائشة ما وراءك فقال مروان غلبنا على أنفسنا فقال له رجل من أهل مكة اياك وعليا فقد طلبك ففر من بين يديه فقال مروان لم فوالله ما يجد الى سبيلا أما هو فقد علمت انه لا يأخذنى بظن ولا ينصب على الا اليقين وأيم الله ما أبالى اذا قصر على سيفه ما طال على من لسانه فقال الرجل اذا أطال الله عليك لسانه طال سيفه قال مروان كلا ان اللسان أدب والسيف حكم

﴿ خروج على من المدينة ﴾

قال وذكروا ان عليا تردد بالمدينة أربعة أشهر ينتظر جواب معاوية وقد كان كتب اليه كتابا بعد كتاب يمنيه ويعده أولا ثم كتابا يخوفه ويتوعده فحبس معاوية جواب كتابه ثلاثة أشهر ثم أتاه جوابه على غير ما يحب فلما أتاه ذلك شخص من المدينة فى تسعمائة راكب من وجوه المهاجرين والانصار من أهل السوابق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم بشر كثير من أخلاط الناس واستخلف على المدينة قثم بن عباس وكان له فضل وعقل وأمره ان يشخص اليه من أحب الشخوص ولا يحمل أحدا على ما يكره فخف الناس الى على بعده ومضى معه من ولده الحسن والحسين ومحمد فلما كان فى بعض الطريق أتاه كتاب اخيه عقيل بن ابى طالب فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أخى كلاك الله والله جائرك من كل سوء وعاصمك من كل مكروه وعلى كل حال وانى خرجت معتمرا فلقيت عائشة معها طلحة والزبير

وذو وهاوهم متوجهون الى البصرة قد أظهروا الخلاف ونكثوا البيعة وركبوا عليك قتل عثمان وتبعهم على ذلك كثير من الناس من طغاتهم وأوباشهم ثم مر عبدالله بن أبى سرح فى نحو من أربعين راكبا من أبناء الطلقاء من بنى أمية فقلت لهم وعرفت المنكر فى وجوههم أبمعاوية تلحقون عداوة والله انها منكم ظاهرة غير مستنكرة تريدون بها اطفاء نور الله وتغيير أمر الله فاسمعنى القوم وأسمعتهم ثم قدمت مكة فسمعت أهلها يتحدثون ان الضحاك بن قيس أغار على الحيرة واليمامة فأصاب ماشاء من أموالهما ثم انكفأ راجعاً الى الشام فأف لحياة فى زهو جرأ عليك الضحاك وما الضحاك الا قفع بفرقرة فظننت حين بلغنى ذلك ان أنصارك خذلوك فاكتب الى يا ابن أمى برأيك وامرك فان كنت الموت تريد تحملت اليك ببنى أخيك وولد أبيك فعشنا ماعشت ومتنا معك اذامت فوالله ما أحب ان أبقى بعدك فوالله الاعز الاجل ان عيشاً اعيشه بعدك فى الدنيا لغير هنىء ولا مرىء ولا نجيع والسلام فكتب اليه على كرم الله وجهه أما بعد يا أخى فكلاك الله كلاءته من يخشاه انه حميد مجيد قدم على عبدالرحمن الازدى بكتابك تذكر فيه انك لميت ابن أبى سرح فى أربعين من ابناء الطلقاء من بنى أمية متوجهين الى المغرب وابن أبى سرح يا أخى طال ما كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصد عن كتابه وسنته وبغاها عوجا فدع ابن أبى سرح وقريشا وتركاضهم فى الضلال فان قريشا قد اجتمعت على حرب أخيك اجتماعها على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم وجهلوا حقى وجحدوا فضلى ونصبوا الى الحرب وجدوا فى اطفاء نور الله اللهم فاجز قريشا عنى بفعالها فقد قطعت رحمى وظاهرت على وسلبتنى سلطان ابن عمى وسلمت ذلك لمن ليس فى قرابتى وحقى فى الاسلام وسابقتى التى لا يدعى مثلها مدع الا ان يدعى مالا أعرف ولا أظن الله يعرفه والحمد لله على ذلك كثيرا وأما ما ذكرت من غارة الضحاك على الحيرة واليمامة فهو أذل وألأم من ان يكون مر بها فضلا عن الغارة ولكن جاء فى خيل جريدة فسرحت اليه جندا من المسلمين فلما بلغه ذلك ولى هاربا فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق حين همت الشمس للاياب فاقتتلوا

وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلا ونجا هاربا بعد ان أخذ منه بالمخنق فلولا الليل ما نجا وأما ما سألت ان اكتب اليك منه برأيي فان رأيي جهاد المضلين حتى ألقى الله لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة لاني محق والله مع المحق وما اكره الموت على الحق لان الخير كله بعد الموت لمن عقل ودعا الى الحق وأما ما عرضت به من مسيرك الى بنيك وبني أبيك فلا حاجة لي في ذلك فذرهم راشدا مهديا فوالله ما أحب ان تهلكوا معي ان هلكت وانا كما قال أخو بني سليم

فان تسأليني كيف صبري فانني ... صبور على ريب الزمان صليب

عزيز علي ان أرى بكآبة ... فيشمت واش أو يساء حبيب

﴿ كتاب أم سلمة الى عائشة ﴾

قال وذكروا انه لما تحدث الناس بالمدينة بمسير عائشة مع طلحة والزبير ونصبهم الحرب لعلي وتألفهم الناس كتبت أم سلمة الى عائشة أما بعد فانك سدة بين رسول الله وبين أمته وحجابك مضروب على حرمته قد جمع القرآن الكريم ذيلك فلا تبذليه وسكن عقيرتك فلا تضيعيه الله من وراء هذه الامة قد علم رسول الله مكانك لو اراد أن يعهد اليك وقد علمت ان عمود الدين لا يثبت بالنساء ان مال ولا يرأب بهن ان انصدع خمرات النساء غض الابصار وضم الذيول ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك باطراف الجبال والفلوات على قعود من الابل من منهل الى منهل ان بعين الله مهواك وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين وقد هتكت حجابه الذي ضرب الله عليك عهيداه ولو اتيت الذي تريدين ثم قيل لي ادخلي الجنة لاستحييت ان ألقى الله هاتكة حجابا قد ضربه علي فاجعلي حجابك الذي ضرب عليك حصنك فابغيه منزلا لك حتى تلقيه فان أطوع ما تكونين اذا ما لزمته وأنصح ما تكونين اذا ما قعدت فيه ولو ذكرتك كلاما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنهشتني نهش الحية والسلام فكتبت اليها عائشة ما أقبلني لوعظك واعلمني بنصحك وليس مسيري على ما تظنين ولنعم المطلع مطلع فرقت فيه بين فئتين متناجزتين فان أقدر ففي غير حرج وان أحرج فلا غنى بي عن الازدياد منه والسلام

﴿استنفار عدى بن حاتم قومه لنصرة على رضى الله عنه﴾

قال وذكروا ان ابن حاتم قام الى على فقال يا أمير المؤمنين لو تقدمت الى قومى أخبرهم بمسيرك واستنفرهم فان لك من طىء مثل الذى معك فقال على نعم فافعل فتقدم عدى الى قومه فاجتمعت اليه رؤساء طىء فقال لهم يا معشر طىء انكم أمسكتم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشرك ونصرتم الله ورسوله فى الاسلام على الردة وعلى قادم عليكم وقد ضمنت له مثل عدة من معه منكم فخفوا معه وقد كنتم تقاتلون فى الجاهلية على الدنيا فقاتلوا فى الاسلام على الآخرة فان أردتم الدنيا فعند الله مغانم كثيرة وأنا أدعوكم الى الدنيا والآخرة وقد ضمنت عنكم الوفاء وباهيت بكم الناس فاجيبوا قولى فانكم أعز العرب دارا لكم فضل معاشكم وخيلكم فاجعلوا أفضل المعاش للعيال وفضول الخيل للجهاد وقد أظلكم على والناس معه من المهاجرين والبدريين والانصار فكونوا أكثرهم عددا فان هذا سبيل للحى فيه الغنى والسرور وللقتيل فيه الحياة والرزق فصاحت طىء نعم نعم حتى كادان يصم من صياحهم فلما قدم على طىء أقبل على شيخ من طىء قد هرم من الكبر فرفع له من حاجبيه فنظر الى على فقال له أنت ابن أبى طالب قال نعم قال مرحبا بك وأهلا قد جعلناك بيننا وبين الله وعديا بيننا وبينك ونحن بينه وبين الناس والله لو أتيتنا غير مبايعين لك لنصرناك لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامك الصالحة ولئن كان ما يقال فيك من الخير حقا ان فى أمرك وأمر قريش لعجبا اذا أخروك وقدموا غيرك سر فوالله لا يتخلف عنك من طىء الا عبد اودعى الا باذنك فشخص معه من طىء ثلاثة عشر ألف راكب

﴿استنفار زفر بن زيد قومه لنصرة على﴾

قال وذكروا ان زفر بن زيد بن حذيفة الاسدى وكان من سادة بنى أسد قام الى على فقال يا أمير المؤمنين ان طيأ اخواننا وجيراننا قد أجابوا عديا ولى فى قومى طاعة فاذن لى فآتيهم قال نعم فأتاهم فجمعهم وقال يا بنى اسد ان عدى بن حاتم ضمن لعلى قومه فاجابوه وقضوا عنه ذمامه فلم يعتل الغنى بالغنى ولا الفقير بالفقر وواسى بعضهم بعضا حتى كأنهم المهاجرون فى الهجرة والانصار فى الأثرة وهم جيرانكم فى الديار

وخلطاؤكم فى الاموال فانشدكم الله لا يقول الناس غدا نصرت طىء وخذلت بنو أسد وان الجار يقاس بالجار كالنعل بالنعل فان خفتم فتوسعوا فى بلادهم وانضموا الى جبلهم وهذه دعوة لها ثواب من الله فى الدنيا والآخرة فقام اليه رجل منهم فقال يا زفر انك لست كعدى ولا اسد كطىء ارتدت العرب فثبتت طىء على الاسلام وجاد عدى بالصدقة وقاتل بقومه قومك فوالله لو نفرت طىء باجمعها لمنعت رعاؤها دارها ولوان منعنا اضعافنا لخفنا على دارنا فان كان لا يرضيك منا الا ما ارضى عديا من طىء فليس ذلك عندنا وان كان يرضيك قدر ما يردعنا عذر الخذلان واثم المعصية فلك ذلك منا فسار معه من اسد جماعة ليست كجماعة طىء حتى قدم بها على على

﴿ توجه عائشة وطلحة والزبير الى البصرة ﴾

قال وذكروا انه لما اجتمع طلحة والزبير وذو وهما مع عائشة واجمعوا على المسير من مكة أتاهم عبد الله بن عامر فدعاهم الى النصرة ووعدهم الرجال والاموال فقال سعيد ابن العاص لطلحة والزبير ان عبد الله بن عامر يدعوكما الى النصرة وقد فر من أهلها فرار العبد الآبق وهم فى طاعة عثمان ويريدان يقاتل بهم عليا وهم فى طاعة على وخرج من عندهم اميرا ويعود اليهم طريدا وقد وعدكم الرجال والاموال فاما الاموال فعنده وأما الرجال فلا رجل فقال مروان بن الحكم ايها الشيخان ما يمنعكما ان تدعوا الناس الى بيعة مثل بيعة على فان اجابوكما عارضتماه ببيعة كبيعته وان لم يجيبوكما عرفتما مالكما فى انفس الناس فقال طلحة يمنعنا ان الناس بايعوا عليا بيعة عامة فبم ننقضها وقال الزبير ويمنعنا أيضا من ذلك تثاقلنا عن نصرة عثمان وخفتنا الى بيعة على فقال الوليد بن عقبة ان كنتما اسأتما فقد احسنتما وان كنتما أخطأتما فقد أصبتما وانتما اليوم خير منكما امس فقال مروان أما أنا فهواى الشام وهواكما البصرة وانا معكم وان كانت الهلكة فقال سعيد بن العاصى اما أنا فراجع الى منزلى فلما استقام امرهم واجتمعت كلمتهم على المسير قال طلحة للزبير انه ليس شىء أنفع ولا أبلغ فى استمالة اهواء الناس من ان نشخص لعبد الله بن عمر فاتياه فقولا يا أبا عبد الرحمن ان أمنا عائشة خفت لهذا الامر رجاء الاصلاح بين الناس فاشخص معنا فان لك بها أسوة فان بايعنا الناس فانت أحق بها

فقال ابن عمر أيها الشيخان أتريدان أن تخرجاني من بيتي ثم تلقياني بين مخالب ابن أبي طالب ان الناس انما يخدعون بالدينار والدرهم واني قد تركت هذا الامر عيانا في عافية أنالها فانصرفا عنه وقدم يعلى بن منبه عليهم من اليمن وكان عاملا لعثمان فاخرج اربعمائة بعير ودعا الى الحملان فقال الزبير دعنا من ابلك هذه وأقرضنا من هذا المال فاقرض الزبير ستين الفا وأقرض طلحة أربعين الفا ثم سار القوم فقال الزبير الشام بها الرجال والاموال وعليها معاوية وهو ابن عم الرجل ومتى نجتمع يولنا عليه وقال عبد الله بن عامر البصرة فان غلبتم عليا فلكم الشام وان غلبكم علي كان معاوية لكم جنة وهذه كتب أهل البصرة الي فقال يعلى بن منبه وكان داهيا أيها الشيخان قدرا قبل ان ترحلا ان معاوية قد سبقكم الى الشام وفيها الجماعة وأنتم تقدمون عليه غدا في فرقة وهو ابن عم عثمان دونكم ارأيتم ان دفعكم عن الشام أو قال اجعلها شورى ما أنتم صانعون أتقاتلونه أم تجعلونها شورى فتخرجا منها وأقبح من ذلك ان تأتيا رجلا في يديه أمر قد سبقكما اليه وتريدان ان تخرجاه منه فقال القوم فالى أين قال الى البصرة فقال الزبير لعبد الله بن عامر من رجال البصرة قال ثلاثة كلهم سيد مطاع كعب بن سور في اليمن والمنذر بن ربيعة في ربيعة والاحنف بن قيس في البصرة فكتب طلحة والزبير الى كعب بن سور أما بعد فانك قاضي عمر بن الخطاب وشيخ أهل البصرة وسيد أهل اليمن وقد كنت غضبت لعثمان من الاذى فاغضب له من القتل والسلام وكتبا الى الاحنف بن قيس أما بعد فانك وافد عمر وسيد مضر وحليم أهل العراق وقد بلغك مصاب عثمان ونحن قادمون عليك والعيان أشفى لك من الخبر والسلام وكتبا الى المنذر أما بعد فان أباك كان رئيسا في الجاهلية وسيدا في الاسلام وانك من أبيك بمنزلة المصلي من السابق يقال كاد او لحق وقد قتل عثمان من أنت خير منه وغضب له من هو خير منك والسلام فلما وصلت كتبهما الى القوم قام زياد بن مضر والنعمان بن شوال وعزوان فقالوا ما لنا ولهذا الحي من قريش أيريدون ان يخرجونا من الاسلام بعد ان دخلنا فيه ويدخلونا في الشرك بعد ان خرجنا منه قتلوا عثمان وبايعوا عليا لهم ما لهم وعليهم ما عليهم وكتب كعب بن سور الى طلحة والزبير أما بعد فانا غضبنا لعثمان

من الاذى والغير باللسان فجاء أمر الغير فيه بالسيف فان يك عثمان قتل ظالما فمالكما وله وان كان قتل مظلوما فغيركما أولى به وان كان أمره أشكل على من شهده فهو على من غاب عنه أشكل وكتب الاحنف اليهما أما بعد فانه لم يأتنا من قبلكم أمر لا نشك فيه الا قتل عثمان وأنتم قادمون علينا فان يكن فى العيان فضل نظرنا فيه ونظرتم والا يكن فيه فضل فليس فى أيدينا ولا فى أيديكم ثقة والسلام وكتب المنذر أما بعد فانه لم يلحقنى بأهل الخير الاان أكون خيرا من أهل الشر وانما اوجب حق عثمان اليوم حقه أمس وقد كان بين اظهركم فخذلتموه فمتى استنبطتم هذا العلم وبدا لكم هذا الرأى فلما قرأ كتب القوم ساءهما ذلك وغضبا ثم غدا مروان الى طلحة والزبير فقال لهما عاودا ابن عمر فلعله ينيب فعاوداه فتكلم طلحة فقال يا ابا عبد الرحمن انه والله لرب حق ضيعناه وتركناه فلما حضر العذر قضينا بالحق وأخذنا بالحظ ان عليا يرى انفاذ بيعته وان معاوية لا يرى ان يبايع له وانا نرى ان نردها شورى فان سرت معنا ومع أم المؤمنين صلحت الامور والا فهى الهلكة فقال ابن عمر ان يكن قولكما حقا ففضلا ضيعت وان يكن باطلا فشر منه نجوت واعلما ان بيت عائشة خير لها من هودجها وأنتما المدينة خير لكما من البصرة والذل خير لكما من السيف ولن يقاتل عليا الا من كان خيرا منه وأما الشورى فقد والله كانت فقدم وأخرتما ولن يردها الا أولئك الذين حكموا فيها فاكفيانى انفسكما فانصرفا فقال مروان استعينا عليه بحفصة فأتيا حفصة فقالت لو أطاعنى أطاع عائشة دعاه فاتركاه وتوجها الى البصرة وأتاهما عبد الله ابن خلف فقال لهما انه ليس أحد من أهل الحجاز كان منه فى عثمان شىء الا وقد بلغ أهل العراق وقد كان منكما فى عثمان من التخليب والتأليب مالا يدفعه جحود ولا ينفعكما فيه عذر وأحسن الناس فيكما قولا من ازال عنكما القتل وألزمكما الخذل وقد بايع الناس عليا بيعة عامة والناس لاقوكما غدا فما تقولان فقال طلحة ننكر القتل ونقر بالخذل ولا ينفع الاقرار بالذنب الا مع الندم عليه ولقد ندمنا على ما كان منا وقال الزبير بايعنا عليا والسيف على أعناقنا حيث تواثب الناس بالبيعة اليه دون مشورتنا ولم نصب لعثمان خطأ فتجب علينا الدية ولا عمداً فيجب علينا القصاص

فقال عبدالله بن خلف عذركما أشد من ذنبكما قال فتهيأ القوم للمسير فقال طلحة والزبير اسرعوا السير لعلنا نسبق عليا من خلاف طريقه الى البصرة قال وكتب قثم بن عباس الى على يخبره ان طلحة والزبير وعائشة قد خرجوا من مكة يريدون البصرة وقد استنفروا الناس فلم يخف معهم الا من لا يعتد بمسيره ومن خلفت بعدك فعلى ما تحب فلما قدم على على كتابه غمه ذلك وأعظمه الناس وسقط فى أيديهم فقام قيس بن سعد بن عبادة فقال يا أمير المؤمنين انه والله ما غمنا بهذين الرجلين كغمنا بعائشة لان هذين الرجلين حلال الدم عندنا لبيعتهما ونكثهما ولان عائشة من علمت مقامها فى الاسلام ومكانها من رسول الله مع فضلها ودينها وأمومتها منا ومنك ولكنهما يقدمان البصرة وليس كل أهلها لهما وتقدم الكوفة وكل أهلها لك ونسير بحقك الى باطلهم ولقد كنا نخاف ان يسيرا الى الشام فيقال صاحبا رسول الله وأم المؤمنين فيشتد البلاء وتعظم الفتنة فاما اذا أتيا البصرة وقد سبقت اليه طاعتك وسبقوا الى بيعتك وحكم عليهم عاملك ولا والله ما معهما مثل من معك ولا يقدمان على مثل ما تقدم عليه فسر فان الله معك وتتابعت الانصار فقالوا واحسنوا قال ولما نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس من أرض خيبر اقبل عليهم سعيد بن العاصى على نجيب له فأشرف على الناس ومعه المغيرة بن شعبة فنزل وتوكأ على قوس له سوداء فأتى عائشة فقال لها أين تريدين يا أم المؤمنين قالت أريد البصرة قال وما تصنعين بالبصرة قالت أطلب بدم عثمان قال فهؤلاء قتلة عثمان معك ثم أقبل على مروان فقال له وأين تريد أيضا قال البصرة قال وما تصنع بها قال اطلب قتلة عثمان قال فهؤلاء قتلة عثمان معك ان هذين الرجلين قتلا عثمان « طلحة والزبير » وهما يريدان الامر لانفسهما فاما غلبا عليه قالا نغسل الدم بالدم والحوبة بالتوبة ثم قال المغيرة بن شعبة أيها الناس ان كنتم انما خرجتم مع امكم فارجعوا بها خيرا لكم وان كنتم غضبتم لعثمان فرؤساؤكم قتلوا عثمان وان كنتم نقمتم على على شيئا فبينوا ما نقمتم عليه أنشدكم الله فتنتين فى عام واحد فأبوا الا ان يمضوا بالناس فلحق سعيد بن العاصى باليمن ولحق المغيرة بالطائف فلم يشهدا شيئا من حروب الجمل ولا صفين فلما انتهوا الى ماء الحوأب فى بعض الطريق ومعهم

عائشة نبحها كلاب الحوأب فقالت لمحمد بن طلحة أى ماء هذا قال هذا ماء الحوأب
قالت ما أرانى الا راجعة قال ولم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لنسائه كأنى باحداكن قد نبحها كلاب الحوأب وإياك ان تكونى أنت يا حميراء
فقال لها محمد بن طلحة تقدمى رحمك الله ودعى هذا القول وأتى عبد الله بن الزبير فحلف
لها بالله لقد خلفتيه أول الليل وأتاها ببينة زور من الاعراب فشهدوا بذلك فزعموا انها أول
شهادة زور شهد بها فى الاسلام فلما انتهى اقبالهم على أهل البصرة ودنوا منها قام
عثمان بن حنيف عامل البصرة لعلى بن أبى طالب فقال يا أيها الناس انما بايعتم الله يد الله
فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً
عظيما والله لو علم على ان أحداً احق بهذا الامر منه ماقبله ولو بايع الناس غيره لبايع
من بايعوا وأطاع من ولوا وما به الى أحد من صحابة رسول الله حاجة وما باحد عنه غنى
ولقد شاركهم فى محاسنهم وما شاركوه فى محاسنه ولقد بايعه هذان الرجلان ومايريد الله
فاستعجلا الفطام قبل الرضاع والرضاع قبل الولادة والولادة قبل الحمل وطلبا ثواب الله
من العباد وقد زعما انهما بايعا مستكرهين فان كان استكرها قبل بيعتهما وكانا
رجلين من عرض قريش لهما ان يقولا ولا يأمرا الا وان الهدى ما كانت عليه العامة
والعامة على بيعة على فما ترون أيها الناس فقام حكم بن جبل العبدى فقال نرى ان
دخلا علينا قاتلناهما وان وقفا تلقيناهما والله ما أبالى ان أقاتلهما وحدى وان كنت أحب
الحياة وما أخشى فى طريق الحق وحشة ولا غيرة ولا غشا ولا سوء منقلب الى بعث
وانها الدعوة قتيلها شهيد وحيها فائز والتعجيل الى الله قبل الاجر خير من التأخير فى
الدنيا وهذه ربيعة معك

﴿ نزول طلحة والزبير وعائشة البصرة ﴾

قال وذكروا ان طلحة والزبير نزلا البصرة قال عثمان بن حنيف تعذر اليهما برجلين
فدعا عمران بن الحصين صاحب رسول الله وأبا الاسود الدؤلى فارسلهما الى طلحة والزبير
فذهبا اليهما فناديا يا طلحة فأجابهما فتكلم أبو الاسود الدؤلى فقال يا أبا محمد انكم قتلتم
عثمان غير مؤامرين لنا فى قتله وبايعتم عليا غير مؤامرين لنا فى بيعته فلم نغضب لعثمان

اذقتل ولم نغضب لعلي اذبويع ثم بدالكم فأردتم خلع علي ونحن على الامر الاول فعليكم
المخرج مما دخلتم فيه ثم تكلم عمران فقال ياطلحة انكم قتلتم عثمان ولم نغضب له اذلم
تغضبوا ثم بايعتم علي وبايعنا من بايعتم فان كان قتل عثمان صوابا فسيركم لماذا وان كان
خطأ فحظكم منه الاوفر ونصيبكم منه الاوفى فقال طلحة ياهذان ان صاحبكما لايرى
ان معه في هذا الامر غيره وليس على هذا بايعناه وأيم الله ليسفكن دمه فقال أبو الاسود
ياعمران أما هذا فقد صرح انه انما غضب للملك ثم أتيا الزبير فقالا ياأبا عبدالله انا
أتينا طلحة قال الزبيران طلحة واياى كروح في جسدين وانه والله ياهذان قد كانت
منافي عثمان فلتات احتجنا فيها الى المعاذير ولو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا نصرناه
ثم أتيا فدخلا على عائشة فقالا ياأم المؤمنين ماهذا المسير أمعك من رسول الله به عهد
قالت قتل عثمان مظلوما غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل
فقال أبو الاسود وما أنت من عصانا وسيفنا وسوطنا فقالت ياأبا الاسود بلغني ان عثمان
ابن حنيف يريد قتالي فقال أبو الاسود نعم والله قتالا أهونه تندر منه الرؤس واقبل
غلام من جهينة الى محمد بن طلحة فقال حدثني عن قتلة عثمان قال نعم دم عثمان على
ثلاث أثلاث ثلث على صاحبة الهودج وثلث على صاحب الجمل الاحمر وثلث على
علي بن أبي طالب فضحك الجهيني ولحق بعلي بن أبي طالب و بلغ طلحة قول ابنه محمد
من عباد الناس فقال له يامحمد اتزعم عنا قولك انى قاتل عثمان كذلك تشهد على أبيك كن
كعبدالله بن الزبير فوالله ما أنت بخير منه ولا أبوك بدون أبيه كف عن قولك والا
فارجع فان نصرتك نصرة رجل واحد وفسادك فساد عامة فقال محمد ماقلت الاحقا
ولن اعود

﴿ نزول علي بن أبي طالب الكوفة ﴾

قال وذكروا ان عليا لما نزل قريبا من الكوفة بعث عمار بن ياسر ومحمد بن
أبي بكر الى أبي موسى الاشعرى وكان أبو موسى عاملا لعثمان على الكوفة فبعثهما
علي اليه والى أهل الكوفة يستفزهم فلما قدما عليه قام عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر
فدعوا الناس الى النصرة لعلي فلما أمسوا دخل رجال من أهل الكوفة على أبي موسى
فقالوا ماترى أنخرج مع هذين الرجلين الى صاحبهما أم لا فقال أبو موسى أما سبيل

الآخرة ففي ان تلزموا بيوتكم واما سبيل الدنيا فالخروج مع من أتاكم فأطاعوه فتبطأ الناس على علي و بلغ عماراً أو محمداً ما أشار أبوموسى على أولئك الرهط فأتياه فاغلظا له في القول قال أبوموسى ان بيعة عثمان في عنقي وعنق صاحبكم ولئن أردنا القتال ما لنا الى قتال أحد من سبيل حتى نفرغ من قتلة عثمان ثم خرج أبوموسى فصعد المنبر ثم قال أيها الناس ان أصحاب رسول الله الذين صحبوه في المواطن اعلم بالله و رسوله ممن لم يصحبه وان لكم حقا على أؤديه اليكم ان هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان والقاعد خير من القائم والقائم فيها خير من الساعي والساعي خير من الراكب فاغمدوا سيوفكم حتى تنجلي هذه الفتنة فقام عمار بن ياسر فحمد الله واثنى عليه ثم قال أيها الناس ان أباموسى ينهاكم عن الشخوص الى هاتين الجماعتين ولعمري ما صدق فيما قال وما رضي الله من عباده بما ذكر قال الله عز وجل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا) وقال (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله) فلم يرض من عباده بما ذكر أبوموسى من ان يجلسوا في بيوتهم و يخلوا بين الناس فيسفك بعضهم دماء بعض فسيروا معنا الى هاتين الجماعتين واسمعوا من حججهم وانظروا من أولى بالنصرة فاتبعوه فان أصلح الله أمرهم رجعتم مأجورين وقد قضيتم حق الله وان بغى بعضهم على بعض نظرتم الى الفئة الباغية فقاتلتموها حتى تفيء الى أمر الله كما أمركم الله وافترض عليكم ثم قعد فلما انصرفا الى علي من عند أبي موسى واخبراه بما قال أبوموسى بعث اليه الحسن بن علي وعبدالله بن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن سعد وكتب معهم الى أهل الكوفة أما بعد فاني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سامعه كمن عاينه ان الناس طعنوا على عثمان فكنت رجلا من المهاجرين أقل عيبه وأكثر استعتابه وكان هذان الرجلان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه اللهجة والوجيف وكان من عائشة فيه قول على غضب فانتحى له قوم فقتلوه و بايعني الناس غير مستكرهين وهما أول من بايعني على ما بويع عليه من كان قبلي ثم استأذنا الى العمرة فأذنت لهما فنقضا العهد ونصبا الحرب واخرجا أم المؤمنين

من بيتها ليتخـذها فتنة وقد سارا الى البصرة اختيارا لاهلها ولعـمرى ماإياى تجيبـون ماتجيبـون الاالله وقـد بعثت ابنى الحسـن وابن عمى عبـد الله بن عبـاس وعمـار بن ياسر وقيس بن سعد فـكونوا عنـد ظننا بكم والله المستعان فسار الحسـن ومن معـه حتى قدموا الكوفة على أبى موسى فدعوه الى نصرة على فبايعهم ثم صعد أبوموسى المنـبر وقام الحسـن أسفل منـه فدعاهم الى نصرة على وأخـبرهم بقرابته من رسول الله وسابقته وبيعة طلحة والزبير اياه ونكثهما عهده وأقرأهم كتاب على فقام شريح بن هانئ فقـال لقد أردنا ان نركب الى المدينة حتى نعلم قتل عثمان فقد أتانا الله به فى بيوتنا فلا تخالفوا عن دعوته والله لولم يستنصر بنا لنصرناه سمعا وطاعة ثم قام الحسن بن على فقـال أيهـا الناس انه قد كان من مسير أمير المؤمنين على بن أبى طالب ما قد بلغكم وقد أتيناكم مستنفرين لانكم جبهة الانصار ورؤس العرب وقد كان من نقض طلحة والزبير بعد بيعتهما وخروجهما بعائشة ما بلغكم وتعلمون ان وهن النساء وضعف رأيهن الى التلاشى ومن أجل ذلك جعل الله الرجال قوامين على النساء وأيم الله لولم ينصره منكم أحد لرجوت أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين والانصار كفاية فانصروا الله ينصركم ثم قام عمـار بن ياسر فقال يا أهل الـكوفة ان كان غاب عنكم انباؤنا فقد انتهت اليكم أمورنا ان قتلة عثمان لا يعتذرون من قتله الى الناس ولا ينكرون ذلك وقد جعلوا كتاب الله بينهم و بين محاجبهم فيه أحيا الله من أحيا وأمات من أمات وان طلحة والزبير كانا أول من طعن وآخر من أمر وكانا أول من بايع علياً فلما أخطأهما ما أملاه نكثا بيعتهما من غير حدث وهذا ابن بنت رسول الله الحسن قد عرفتموه وقد جاء يستنفركم وقد أظلكم على فى المهاجرين والبدريين والانصار الذين تبوؤا الدار والايمـان فانصروا الله ينصركم ثم قام قيس بن سعد فقال أيها الناس ان الامر لو استقبل به أهل الشورى كان على أحق بها وكان قتال من أبى ذلك حلالا فـكيف والحجة على طلحة والزبير وقد بايعاه رغبة وخالفاه حسدا وقد جاءكم المهاجرون والانصار

﴿ دخول طلحة والزبير وعائشة البصرة ﴾

قال وذكروا انه لما نزل طلحة والزبير وعائشة البصرة اصطف لها الناس فى الطريق يقولون ياأم المؤمنين ما الذى أخرجك من بيتك فلما أكثروا عليها تكلمت بلسان طلق وكانت من ابلغ الناس فحمدت الله واثنت عليه ثم قالت ايها الناس والله ما بلغ من ذنب عثمان ان يستحل دمه ولقد قتل مظلوما غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل وان من الرأى ان تنظروا الى قتلة عثمان فيقتلوا به ثم يرد هذا الامر شورى على ما جعله عمر بن الخطاب فمن قائل يقول صدقت وآخر يقول كذبت فلم يبرح الناس يقولون ذلك حتى ضرب بعضهم وجوه بعض فبيناهم كذلك أتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة فى التأليب على قتل عثمان فقال لطلحة هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال فما ردك على ما كنت عليه وكنت أمس تكتب الينا تؤلبنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا الى الطلب بدمه وقد زعمتما ان عليا دعا كما الى ان تكون البيعة لكما قبله اذ كنتما أسن منه فأبيتما الا أن تقدماه لقرابته وسابقته فبايعتماه فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذى عرض عليكما قال طلحة دعانا الى البيعة بعد ان اغتصبها وبايعه الناس فعلمنا حين عرض علينا انه غير فاعل ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والانصار وخفنا ان نرد بيعته فنقتل فبايعناه كارهين قال فما بدا لكما فى عثمان قال ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا اياه فلم نجد من ذلك مخرجاً الا الطلب بدمه قال ما تأمرانى به قال بايعنا على قتال على ونقض بيعته قال أرأيتما ان أتانا بعدكما من يدعونا الى ما تدعون اليه ما نصنع قالا لا تبايعه قال ما أنصفتما أتأمرانى ان اقاتل عليا وانقض بيعته وهى فى اعناقكما وتنهيانى عن بيعة من لا بيعة له عليكما اما اننا فقد بايعنا عليا فان شئتما بايعنا كما بيسار أيدينا قال ثم تفرق الناس فصارت فرقة مع عثمان بن حنيف وفرقة مع طلحة والزبير ثم جاء جارية بن قدامة فقال ياأم المؤمنين لقتل عثمان كان أهون علينا من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون انه كانت لك من الله تعالى حرمة وستر فهتكت سترك وأبحت حرمتك انه من رأى قتالك فقد رأى قتلك فان كنت ياأم المؤمنين أتيتينا طائعة فارجعى الى منزلك وان كنت أتيتينا مستكرهة فاستعتبى

﴿ قتل أصحاب عثمان بن حنيف عامل على على البصرة ﴾

قال وذكروا انه لما اختلف القوم اصطلحوا على ان لعثمان بن حنيف دار الامارة ومسجدها و بيت المال وان ينزل أصحابه حيث شاؤا من البصرة وان ينزل طلحة والزبير وأصحابهما حيث شاؤا حتى يقدم على فان اجتمعوا دخلوا فيما دخل فيه الناس وان يتفرقوا يلحق كل قوم باهوائهم عليهم بذلك عهد الله وميثاقه وذمة نبيه وأشهدوا شهودا من الفريقين جميعا فانصرف عثمان فدخل دار الامارة وأمر أصحابه أن يلحقوا بمنازلهم و يضعوا سلاحهم وافترق الناس وكتموا ما فى أنفسهم غير بنى عبد القيس فانهم أظهروا نصرة على وكان حكيم بن جبل رئيسهم فاجتمعوا اليه فقال لهم يا معشر عبد القيس ان عثمان بن حنيف دمه مضمون وامانته مؤداة وأيم الله لو لم يكن على أميرا لمنعناه لمكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف وله الولاية والجوار فاشخصوا بانصاركم وجاهدوا العدو فاما ان تموتوا كراما واما ان تعيشوا أحرارا فمكث عثمان بن حنيف فى الدار اياما ثم ان طلحة والزبير ومروان بن الحكم أتوه نصف الليل فى جماعة معهم فى ليلة مظلمة سوداء مطيرة وعثمان نائم فقتلوا أربعين رجلا من الحرس فخرج عثمان بن حنيف فشد عليه مروان فاسره وقتل أصحابه فأخذه مروان فنتف لحيته و رأسه وحاجبيه فنظر عثمان بن حنيف الى مروان فقال اما انك ان فتنى بها فى الدنيا لم تفتنى بها فى الآخرة

﴿ تعبئة الفئتين للقتال ﴾

وذكروا انه لما تعبأ القوم للقتال فكانت الحرب للزبير وعلى الخيل طلحة وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير وعلى القلب محمد بن طلحة وعلى المقدمة مروان وعلى رجال الميمنة عبد الرحمن بن عبادة وعلى الميسرة هلال بن وكيع فلما فرغ الزبير من التعبئة قال أيها الناس وطنوا أنفسكم على الصبر فانه يلقاكم غدا رجل لا مثل له فى الحرب ولا شبيه ومعه شجعان الناس فلما بلغ عليا تعبئة القوم عبأ الناس للقتال فاستعمل على المقدمة عبد الله بن عباس وعلى الساقة هند المرادى وعلى جميع الخيل عمار بن ياسر وعلى جميع الرجالة محمد بن أبى بكر ثم كتب الى طلحة والزبير اما بعد فقد علمتما انى لم أرد الناس

حتى أرادونى ولم أبايعهم حتى بايعونى وانكما لمن أراد وبايع وان العامة لم تبايعنى لسلطان خاص فان كنتما بايعتمانى كارهين فقد جعلتما الى عليكما السبيل باظهاركما الطاعة واسراركما المعصية وان كنتما بايعتمانى طائعين فارجعا الى الله من قريب أنت يا زبير لفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وانك ياطلحة لشيخ المهاجرين وان دفاعكما هذا الامر قبل ان تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد اقراركما به وقد زعمتما انى قتلت عثمان فبينى و بينكما فيه بعض من تخلف عنى وعنكما من أهل المدينة و زعمتما انى آويت قتلة عثمان فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا فى طاعتى ثم يخاصموا الى قتلة أبيهم وما انتما وعثمان ان كان قتل ظالما أو مظلوما ولقد بايعتمانى وأنتما بين خصلتين قبيحتين نكث بيعتكما واخراجكما أمكما وكتب الى عائشة اما بعد فانك خرجت غاضبة لله ولرسوله تطلبين أمرا كان عنك موضوعا ما بال النساء والحرب والاصلاح بين الناس تطلبين بدم عثمان ولعمرى لمن عرضك للبلاء وحملك على المعصية أعظم اليك ذنبا من قتلة عثمان وماغضبت حتى اغضبت وماهجت حتى هيجت فاتقى الله وارجعى الى بيتك فاجابه طلحة والزبير انك سرت مسيرا له ما بعده ولست راجعا وفى نفسك منه حاجة فامض لامرك اما انت فلست راضيا دون دخولنا فى طاعتك ولسنا بداخلين فيها أبدا فاقض ما انت قاض وكتبت عائشة جل الامر عن العتاب والسلام قال و رجعت رسل على من البصرة فمنهم من أجابه وأتاه ومنهم من لحق بعائشة وطلحة والزبير و بعث الاحنف بن قيس الى على ان شئت أتيتك فى مائتى رجل من أهل بيتى وان شئت كففت عنك أربعة آلاف سيف فأرسل اليه على بل كف عنى أربعة آلاف سيف وكفى بذلك ناصرا فجمع الاحنف بنى تميم فقال يامعشر بنى تميم ان ظهر أهل البصرة فهم اخوانكم وان ظهر على فلم يهيجكم وكنتم قد سلمتم فكف بنو تميم ولم يخرجوا الى احد الفريقين قال ولما كتب على الى طلحة والزبير أتى زمعة بن الاسود الى طلحة والزبير فقال لهما ان عليا قد أكثر اليكما الرسل كانه طمع فيكما وأطمعتماه فى انفسكما فاتقيا الله ان كنتما بايعتماه طائعين واتقيا الله علينا وعلى انفسكما فان اللبن فى الضرع ومتى يحلب لا يرجع وان كنتما بايعتماه

مكرهين فاخرقا هذا الوطب وادفقا هذا اللبن فما أغنانا عن هذه الكتب والرسل
قال فخرج طلحة والزبير وعائشة وهي على جمل عليه هودج قد ضرب عليه صفائح
الحديد فبرزوا حتى خرجوا من الدور ومن أفنية البصرة فلما تواقفوا للقتال أمر على
مناديا ينادي في أصحابه لا يرمين احد سهما ولا حجرا ولا يطعن برمح حتى أعذر الى
القوم فآخذ عليهم الحجة البالغة قال فكلم على طلحة والزبير قبل القتال فقال لهما
استحلفا عائشة بحق الله وبحق رسوله عليها اربع خصال ان تصدق فيها هل تعلم
رجلا من قريش أولى مني بالله و رسوله واسلامي قبل كافة الناس أجمعين وكفايتي
رسول الله كفار العرب بسيفي و رمحي وعلى براءتي من دم عثمان وعلى اني لم استكره
احدا على بيعة وعلى اني لم اكن أحسن قولا في عثمان منكما فأجابه طلحة جوابا غليظا
و رق له الزبير ثم رجع على الى أصحابه فقالوا يا أمير المؤمنين بم كلمت الرجلين فقال على
ان شأنهما لمختلف اما الزبير فقاده اللجاج ولن يقاتلكم واما طلحة فسألته عن الحق
فأجابني بالباطل ولقيته باليقين ولقيني بالشك فوالله ما نفعه حقي ولا ضرني باطله وهو
مقتول غدا في الرعيل الاول قال ثم خرج على على بغلة رسول الله الشهباء بين الصفين
وهو حاسر فقال أين الزبير فخرج اليه حتى اذا كانا بين الصفين اعتنق كل واحد منهما
صاحبه و بكيا ثم قال على يا عبد الله ما جاء بك ههنا قال جئت أطلب دم عثمان قال على
تطلب دم عثمان قتل الله من قتل عثمان أنشدك الله يا زبير هل تعلم انك مررت بي
وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على يدك فسلم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وضحك الي ثم التفت اليك فقال لك يا زبير انك تقاتل عليا وأنت له ظالم قال
اللهم نعم قال على فعلى م تقاتلني قال الزبير نسيتها والله ولو ذكرتها ما خرجت اليك ولا
قاتلتك فانصرف على الى أصحابه فقالوا يا أمير المؤمنين مررت الى رجل في سلاحه
وانت حاسر قال على أتدرون من الرجل قالوا لا قال ذلك الزبير بن صفية عمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد اعطى الله عهدا انه لا يقاتلكم اني ذكرت له حديثا قاله
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو ذكرته ما أتيتك فقالوا الحمد لله يا أمير المؤمنين
ما كنا نخشى في هذا الحرب غيره ولا نتقي سواه انه لفارس رسول الله صلى الله عليه

وسلم وحواريه ومن عرفت شجاعته وباسه ومعرفته بالحرب فاذا قد كفاناه الله فلا نعدمن سواه الاصرعى حول الهودج

﴿ رجوع الزبير عن الحرب ﴾

قال وذكروا ان الزبير دخل على عائشة فقال ياأماه ماشهدت موطنا قط فى الشرك ولا فى الاسلام الاولى فيه رأى وبصيرة غير هذا الموطن فانه لا رأى لى فيه ولا بصيرة وانى لعلى باطل قالت عائشة ياأباعبدالله خفت سيوف بنى عبدالمطلب فقال أما والله ان سيوف بنى عبدالمطلب طوال حداد يحملها فتية انجاد ثم قال لابنه عبدالله عليك بحربك اما انا فراجع الى بيتى فقال له ابنه عبدالله الآن حين التقت حلقتا البطان واجتمعت الفئتان والله لا نغسل رؤسنا منها فقال الزبير لابنه لا تعد هذا منى جبنا فوالله مافارقت احدا فى جاهلية ولا اسلام قال فما يردك قال يردنى ما ان علمته كسرك فقام بأمر الناس عبدالله بن الزبير

﴿ قتل الزبير بن العوام ﴾

قال وذكروا ان الزبير لما انصرف راجعا الى المدينة أتاه ابن جرموز فنزل به فقال ياأباعبدالله أحييت حربا ظالما أو مظلوما ثم تنصرف أتائب أنت أم عاجز فسكت عنه ثم عاوده فقال له ياأباعبدالله حدثنى عن خصال خمس أسألك عنها فقال هات قال خذلك عثمان وبيعتك عليا واخراجك أم المؤمنين وصلاتك خلف ابنك ورجوعك عن الحرب فقال الزبير نعم أخبرك أما خذلى عثمان فأمر قدر الله فيه الخطيئة وأخر التوبة واما بيعتى عليا فوالله ماوجدت من ذلك بدا حيث بايعه المهاجرون والانصار وخشيت القتل واما اخراجنا امنا عائشة فأردنا أمرا وأراد الله غيره واما صلاتى خلف ابنى فانما قدمته عائشة أم المؤمنين ولم يكن لى سوى صاحبى أمر واما رجوعى عن هذا الحرب فظن بى ماشئت غير الجبن فقال ابن جرموز والهفاه على ابن صفية أضرمها نارا ثم أراد ان يلحق بأهله قتلنى الله ان لم أقتله ثم أتاه فقال له ياأبا عبدالله كالمستنصح له ان دون أهلك فيافى فخذ نجيبى هذا وخل فرسك ودرعك فانهما شاهدان عليك بما تكره فقال الزبير انظر فى ذلك ليلتى ثم الح عليه فى فرسه

ودرعه فلم يزل حتى أخذهما منه وانما أراد ابن جرموز ان يلقاه حاسرا لما علم بأسه ثم أتى ابن جرموز الاحنف بن قيس فساره بمكان الزبير عنده وبقوله فقال له الاحنف اقتله قتله الله مخادعا وأتى الزبير رجل من كلب فقال له يا أبا عبدالله أنت لى صهر وابن جرموز لم يعتزل هذا الحرب مخافة الله ولكنه كره ان يخالف الاحنف وقد ندم الاحنف على خذله عليا ولعله ان يتقرب بك اليه وقد أخذ منك درعك وفرسك وهذا تصديق ما قلت لك فبت عندى الليلة ثم أخرج بعد نومه فانك ان فتهم لم يطلبوك فتهاون بقوله ثم بدا له فقال له فما ترى يا أخا كلب قال أرى ان ترجع الى فرسك ودرعك فتأخذهما فان احدا من الناس لا يقدم عليك وأنت فارس أبدا فاصبح الزبير غاديا وسار معه ابن جرموز وقد كفر على الدرع فلما انتهى الى وادى السباع استغفله فطعنه ثم رجع برأسه وسلبه الى قومه فقال له رجل من قومه يا ابن جرموز فضحت والله اليمن بأسرها قتلت الزبير رأس المهاجرين وفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وابن عمته والله لو قتلته فى حرب لعز ذلك علينا ولمسنا عارك فكيف فى جوارك وذمتك والله لا يزيدك على على ان يبشرك بالنار فغضب ابن جرموز وقال والله ما قتلته الا له ووالله ما أخاف فيه قصاصا ولا أرهب فيه قرشياً وان قتله على لهين

﴿ مخاطبة على لطلحة بين الصفين ﴾

قال وذكروا ان علياً نادى طلحة بعد انصراف الزبير فقال له يا أبا محمد ما جاء بك قال اطلب دم عثمان قال على قتل الله من قتله قال طلحة خل بيننا وبين من قتل عثمان أما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما يحل دم المؤمن فى أربع خصال زان فيرجم أو محارب لله أو مرتد عن الاسلام أو مؤمن يقتل مؤمنا عمدا فهل تعلم ان عثمان أتى شيا من ذلك فقال على لا قال طلحة فأنت أمرت بقتله قال على اللهم لا قال طلحة فاعتزل هذا الامر ونجعله شورى بين المسلمين فان رضوا بك دخلت فيما دخل فيه الناس وان رضوا غيرك كنت رجلا من المسلمين قال على أولم تبايعنى يا أبا محمد طائعا غير مكره فما كنت لأترك بيعتى قال طلحة بايعتك والسيف على عنقى قال ألم تعلم انى ما أكرهت

حدا على البيعة ولو كنت مكرها أحدا لا كرهت سعدا وابن عمر ومحمد بن مسلمة أبوا البيعة واعتزلوا فتركتهم قال طلحة كنا فى الشورى ستة فمات اثنان وقد كرهناك ونحن ثلاثة قال على انما كان لكما ان لا ترضيا قبل الرضى وقبل البيعة وأما الآن فليس لكما غير ما رضيتما به الا أن تخرجا مما بويعت عليه بحدث فان كنت أحدثت حدثا فسموه لى وأخرجتم أمكم عائشة وتركتم نساءكم فهذا أعظم الحدث منكم أرضى هذا لرسول الله ان تهتكوا سترا ضرب به عليها وتخرجوها منه فقال طلحة انما جاءت للاصلاح قال على هى لعمر الله الى من يصلح لها أمرها أحوج أيها الشيخ أقبل النصح وارض بالتوبة مع العار قبل ان يكون العار والنار

﴿ التحام الحرب ﴾

قال وذكروا انه بينما كان الناس وقوف اذ رمى رجل من أصحاب على فجىء به الى على فقالوا يا أمير المؤمنين هذا اخونا قد قتل فقال على أعذروا الى القوم فقال عبد الرحمن ابن أبى بكر الى متى قد والله أعذرنا واعذرت ان كنت تريد الاعذار والله لتأذنن لنا فى لقاء القوم أو لننصرفن الى متى نستهدف نحورنا للقتال والسلاح يقتلوننا رجلا رجلا فقال على قد والله ارانا اعذرنا أين محمد ابنى فقال ها أناذا فقال أى بنى خذ الراية فابتدر الحسن والحسين ليأخذاها فأخرها عنها وكان على يؤخرهما شفقة عليهما فأخذ محمد الراية ثم قام على فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبسها ثم قال احزمونى فحزم بعمامة أسفل من سرته ثم خرج وكان عظيم البطن فقال لابنه تقدم وتضعضع الناس حين سمعوا به قد تحرك فبينما هم كذلك اذ سمعوا صوتا فقال على ورفع بصره الى السماء لعن الله قتلة عثمان فى السهل والجبل وقد كان على عبأ الناس اثلاثا فجعل مضر قلب العسكر واليمن ميمنته وربيعة ميسرته وعبأ أهل البصرة مثل ذلك فاقتتل القوم قتالا شديدا فهزمت يمن البصرة يمن على وهزمت ربيعة البصرة ربيعة على قال حية بن جهين نظرت على وهو يخفق نعاسا فقلت له تالله ما رأيت كاليوم قط ان بازائنا لمائة ألف سيف وقد هزمت ميمنتك وميسرتك وأنت تخفق نعاسا فانتبه ورفع يديه وقال اللهم انك تعلم انى ما كتبت فى عثمان سوادا فى بياض وان الزبير وطلحة ألبا

وأجلبا على الناس اللهم أولا نابدم عثمان نخذه اليوم ثم تقدم على فنظر الى أصحابه يهزمون و يقتلون فلما نظر الى ذلك صاح بابنه محمد ومعه الراية ان اقتحم فأبطأ وثبت فأتى على من خلفه فضربه بين كتفيه وأخذ الراية من يده ثم حمل فدخل عسكرهم وان الميمنتين والميسرتين تضربان فى احداهما عمار وفى الاخرى عبدالله بن عباس ومحمد بن أبى بكر قال فشق على فى عسكر القوم يطعن ويقتل ثم خرج وهو يقول الماء الماء فأتاه رجل باداوة فيها عسل فقال له يا أمير المؤمنين اما الماء فانه لا يصلح لك فى هذا المقام ولكن أذوقك هذا العسل فقال هات فحسا منه حسوة ثم قال ان عسلك لطائفى قال الرجل لعجبا منك والله يا أمير المؤمنين لمعرفتك الطائفى من غيره فى هذا اليوم وقد بلغت القلوب الحناجر فقال له على انه والله يا ابن أخى ماملأ صدر عمك شىء قط ولا هابه شىء ثم اعطى الراية لابنه وقال هكذا فاصنع فتقدم محمد بالراية ومعه الانصار حتى انتهى الى الجمل والهودج وهزم ما يليه فاقتتل الناس ذلك اليوم قتالا شديدا حتى كانت الواقعة والضرب على الركب وحمل الاشتر النخعى وهو يريد عائشة فلقيه عبدالله بن الزبير فضربه الاشتر واعتنقه عبدالله فصرعه وقعد على صدره ثم نادى عبدالله اقتلونى ومالكا فلم يدر الناس من مالك فافلت الاشتر منه فلما رأى كعب بن سور الهزيمة أخذ بخطام البعير ونادى أيها الناس الله الله فقاتل وقاتل الناس معه وعطفت الازد على الهودج واقبل على وعمار والاشتر والانصار معهم يريدون الجمل فاقتتل القوم حوله حتى حال بينهم الليل وكانوا كذلك يروحون و يغدون على القتال سبعة أيام وان عليا خرج اليهم بعد سبعة أيام فهزمهم فلما رأى طلحة ذلك رفع يديه الى السماء وقال اللهم ان كنا قد داهنا فى أمر عثمان وظلمناه فخذ له اليوم منا حتى ترضى قال فما مضى كلامه حتى ضربه مروان ضربة أتى منها على نفسه فخر وثبتت عائشة وحماها مروان فى عصابة من قيس ومن كنانة و بنى أسد فأحدق بهم على بن أبى طالب ومال الناس الى على وكلما وثب رجل يريد الجمل ضربه مروان بالسيف وقطع يده حتى قطع نحو عشرين يدا من أهل المدينة والحجاز والكوفة حتى أتى مروان من خلفه فضرب ضربة فوقع وعرقب الجمل الذى عليه عائشة وانهزم الناس وأسرت عائشة وأسر مروان بن الحكم وعمر بن عثمان

وموسى بن طلحة وعمرو بن سعيد بن العاصي فقال عمار لعلي يا أمير المؤمنين اقتل هؤلا الاسرى فقال علي لا أقتل أسير أهل القبلة اذا رجع ونزع فدعا علي بموسى بن طلحة فقال الناس هذا أول قتيل يقتل فلما أتى به علي قال تبايع وتدخل فيما دخل فيه الناس قال نعم فبايع وبايع الجميع وخلى سبيلهم وسأل الناس عليا ما كان عرض عليهم قبل ذلك فاعطاه ثم أمر المنادي فنادى لا يقتلن مدبر ولا يجهز على جريح ولكم ما في عسكرهم وعلى نسائهم العدة وما كان لهم من مال في أهليهم فهو ميراث على فرائض الله فقام رجل فقال يا أمير المؤمنين كيف تحل لنا أموالهم ولا تحل لنا نساؤهم ولا أبناؤهم فقال لا يحل ذلك لكم فلما أكثروا عليه في ذلك قال اقترعوا هاتوا بسهامكم ثم قال أيكم يأخذ أمكم عائشة في سهمه فقالوا نستغفر الله فقال وأنا أستغفر الله قال ثم ان عليا مر بالقتلى فنظر الى محمد بن طلحة وهو صريع في القتلى وكان يسمى السجاد لما بين عينيه من أثر السجود. فقال رحمك الله يا محمد لقد كنت في العبادة مجتهداً آناء الليل قواما وفي الحرور صواما ثم التفت الى من حوله فقال هذا رجل قتله برأبيه فاختلفوا في طلحة وابنه محمد أيهما قتل قبل فشهدت عائشة لمحمد انها رأته بعد قتل أبيه فورثوا ولده في مال طلحة قال وأتى محمد بن أبي بكر فدخل على أخته عائشة رضي الله عنها قال لها اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول علي مع الحق والحق مع علي ثم خرجت تقاتلينه بدم عثمان ثم دخل عليهما علي فسلم وقال يا صاحبة الهودج قد أمرك الله ان تقعدي في بيتك ثم خرجت تقاتلين أترتحلي قال أرتحل فبعث معها علي رضي الله عنه أربعين امرأة وأمرهن ان يلبسن العمائم وتقلدن السيوف وان يكن من الذين يلينها ولا تطلع على انهن نساء فجعلت عائشة تقول في الطريق فعل الله في ابن أبي طالب وفعل بعث معي الرجال فلما قدمن المدينة وضعن العمائم والسيوف ودخلن عليها فقالت جزى الله ابن أبي طالب الجنة قال ودفن طلحة في ساحة البصرة فأتى عائشة في المنام فقال حوليني من مكاني فان البرد قد آذاني فحولته وقال عبدالله بن الزبير أمسيت يوم الجمل وفي بضع وثلاثون بين ضربة وطعنة وما رأيت مثل يوم جرحا الجمل قط ما ينهزم منا أحد ولا يأخذ احد منا بخطام الجمل الا قتل أو قطعت يده حتى ضاع الخطام من يد

بنى ضبة فعقر الجمل قال دخل موسى بن طلحة على على فقال له على انى لارجو ان أكون انا وابوك ممن قال الله فيهم « ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين » وامسى على البصرة ذلك اليوم الذى أتاه فيه موسى بن طلحة فقال ابن الكواء أمسيت بالبصرة يا أمير المؤمنين فقال كان عندى ابن أخى قال ومن هو قال موسى ابن طلحة فقال ابن الكواء لقد شقينا ان كان ابن أخيك فقال على ويحك ان الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ثم قال ابن الكواء يا أمير المؤمنين من اخبرك بمسيرك هذا الذى سرت فيه تضرب الناس بعضهم ببعض وتستولى بالامر عليهم أرأى رأيته حين تفرقت الامة واختلفت الدعوة فرأيت انك أحق بهذا الامر منهم لقرابتك فان كان رأيا رأيته أجبناك فيه وان كان عهداً عهده اليك رسول الله فانت الموثوق به المأمون على رسول الله فيما حدثت عنه فقال على أنا أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه أما ان يكون عندى عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا والله ولكن لما قتل الناس عثمان نظرت فى امرى فاذا الخليفتان اللذان أخذاها من رسول الله قد هلكا ولا عهد لهما واذا الخليفة الذى أخذها بشورة المسلمين قد قتل وخرجت ربقته من عنقى لانه قتل ولا عهد له قال ابن الكواء صدقت وبررت ولكن ما بال طلحة والزبير ولم استحللت قتالهما وقد شاركاك فى الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الشورى مع عمر بن الخطاب قال على بايعانى بالحجاز ثم خالفانى بالعراق فقاتلتهما على خلافهما ولو فعلا ذلك مع أبى بكر وعمر لقاتلاهما

﴿ مبايعة أهل الشام بالخلافة معاوية ﴾

قال وذكروا ان النعمان بن بشير لما قدم على معاوية بكتاب زوجة عثمان تذكر فيه دخول القوم عليه وما صنع محمد بن أبى بكر من نتف لحيته فى كتاب رققت فيه وأبلغت حتى اذا سمعه السامع بكى حتى يتصدع قلبه وبقميص عثمان مخضباً بالدم ممزقاً وعقدت شعر لحيته فى زر القميص قال فصعد المنبر معاوية بالشام وجمع الناس ونشر عليهم القميص وذكر ما صنعوا بعثمان فبكى الناس وشهقوا حتى كادت نفوسهم ان تزهق ثم دعاهم الى الطلب بدمه فقام اليه أهل الشام فقالوا هو ابن عمك وأنت وليه

ونحن الطالبون معك بدمه فبايعوه أميراً عليهم وكتب وبعث الرسل الى كور الشام وكتب الى شرحبيل بن السمط الكندى وهو بحمص يأمره ان يبايع له بحمص كما بايع أهل الشام فلما قرأ شرحبيل كتاب معاوية دعا أناساً من أشراف أهل حمص فقال لهم ليس من قتل عثمان بأعظم جرماً ممن يبايع لمعاوية أميرا وهذه سقطة ولكنا نبايع له بالخلافة ولا نطلب بدم عثمان مع غير خليفة فبايع لمعاوية بالخلافة هو وأهل حمص ثم كتب الى معاوية أما بعد فانك أخطأت خطأ عظيما حين كتبت الى ان أبايع لك بالامرة وانك تريد ان تطلب بدم الخليفة المظلوم وانت غير خليفة وقد بايعت ومن قبلى لك بالخلافة فلما قرأ معاوية كتابه سره ذلك ودعا الناس وصعد المنبر وأخبرهم بما قال شرحبيل ودعاهم الى بيعته بالخلافة فأجابوه ولم يختلف منهم أحد فلما بايع القوم له بالخلافة واستقام له الامر كتب الى على سلام الله على من اتبع الهدى أما بعد فانا كنا نحن واياكم يداً جامعة والفة أليفة حتى طمعت يا ابن أبى طالب فتغيرت وأصبحت تعد نفسك قويا على من عاداك بطغام أهل الحجاز وأوباش أهل العراق وحمقى الفسطاط وغوغاء السواد وايم الله لينجلين عنك حمقاها ولينقشعن عنك غوغاؤها انقشاع السحاب عن السماء قتلت عثمان بن عفان ورقيت سلما أطلعك عليه مطلع سوء عليك لا لك وقتلت الزبير وطلحة وشردت أمك عائشة ونزلت بين المصرين فمنيت وتمنيت وخيل لك ان الدنيا قد سخرت لك بخيلها ورجلها وانما تعرف أمنيتك لو قد زرتك فى المهاجرين من أهل الشام بقية الاسلام فيحيطون بك من ورائك ثم يقضى الله علمه فيك والسلام على أولياء الله فأجابه على أما بعد فقدر الامور تقدير من ينظر لنفسه دون جنده ولا يشتغل بالهزل من قوله فلعمرى لئن كانت قوتى بأهل العراق أوثق عندى من قوتى بالله ومعونتى به ليس عند الله تعالى يقين من كان على هذا فناج نفسك مناجاة من يستغنى بالجد دون الهزل فان فى القول سعة ولن يعذر مثلك فيما طمح اليه الرجال وأما ماذكرت من انا كنا واياكم يداً جامعة فكنا كما ذكرت ففرق بيننا وبينكم ان الله بعث رسوله منا فآمنا به وكفرتم ثم زعمت انى قتلت طلحة والزبير فذلك أمر غبت عنه ولم تحضره ولو حضرته لعلمته فلا عليك ولا العذر فيه اليك

و زعمت انك زائرى فى المهاجرين وقد انقطعت الهجرة حين أسر أبوك فان يك فيك عجل فاستبقه وان أزرك فجدير ان يكون الله بعثنى عليك للنقمة منك والسلام

﴿ قدوم عقيل بن أبى طالب على معاوية ﴾

قال وذكروا ان عقيل بن أبى طالب قدم على أخيه على بالكوفة فقال له على مرحبا بك وأهلا ماأقدمك ياأخى قال تأخر العطاء عنا وغلاء السعر ببلدنا وركبنى دين عظيم فجئت لتصلنى فقال على والله مالى مما ترى شيئا الا عطائى فاذا خرج فهولك فقال عقيل وانما شخوصى من الحجاز اليك من أجل عطائك وما ذا يبلغ منى عطاؤك وما يدفع من حاجتى فقال على هل تعلم لى مالا غيره أم تريد أن يحرقنى الله فى نار جهنم فى صلتك باموال المسلمين فقال عقيل والله لا خرجن الى رجل هو أوصل لى منك « يريد معاوية » فقال له على راشدا مهديا فخرج عقيل حتى أتى معاوية فلما قدم عليه قال له معاوية مرحبا وأهلا بك يا بن أبى طالب ماأقدمك على فقال قدمت عليك لدين عظيم ركبنى فخرجت الى أخى ليصلنى فزعم أنه ليس له مما يلى الا عطاؤه فلم يقع ذلك منى موقعا ولم يسد منى مسدا فاخبرته انى سأخرج الى رجل هو أوصل منه لى فجئتك فازداد معاوية فيه رغبة وقال ياأهل الشام هذا سيد قريش وابن سيدها عرف الذى فيه أخوه من الغواية والضلالة فأناب الى أهل الدعاء الى الحق ولكنى أزعم ان جميع ماتحت يدى لى فما أعطيت فقربة الى الله وماأمسكت فلاجناح على فيه فأغضب كلامه عقيلا لما سمعه ينتقص أخاه فقال صدقت خرجت من عند أخى على هذا القول وقد عرفت من فى عسكره لم أفقد والله رجلا من المهاجرين والانصار ولا والله مارأيت فى عسكر معاوية رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال معاوية عند ذلك ياأهل الشام أعظم الناس من قريش عليكم حقا ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم وسيد قريش وها هو ذا تبرأ الى الله مما عمل به أخوه قال وأمر له معاوية بثلثمائة ألف دينار قال له هذه مائة ألف تقضى بها ديونك ومائة ألف تصل بها رحمك ومائة ألف توسع بها على نفسك

﴿ نعي عثمان بن عفان الى معاوية ﴾

قال عبدالله بن مسلم وذكر ابن عفير عن عون بن عبدالله بن عبدالرحمن الانصارى قال قدم الحجاج بن خزيمة الشام بكتاب معاوية بعد قتل عثمان بايام فقال له أتعرفني قال نعم انت ابن الحجاج خزيمة فما وراءك فقال الحجاج أنا النذير العريان انعى اليك أمير المؤمنين عثمان ثم قال انى كنت ممن خرج معينا لعثمان مع يزيد بن أسد فتقدمت الى الربذة فلقينا بها رجلا حدثنا عن قتل عثمان وزعم انه ممن قتله فقتلناه وانى أخبرك يامعاوية انك تقوى على علي بدون مايقوى به عليك لان من معك لا يقولون اذا قلت ولا يسألون اذا أمرت ولان من مع علي يقولون اذا قال ويسألون اذا أمر فقليل ممن معك خير من كثير ممن معه واعلم ان عليا لا يرضيه الا الرضا وان رضاه يسخطك ولست وعلي بالسواء لا يرضى علي بالعراق دون الشام ورضاؤك بالشام دون العراق قال وذكروا انه لما فرغ من وقعة الجمل بايع له القوم جميعا وبايع له أهل العراق واستقام له الامر بها كتب الى معاوية أما بعد فان القضاء السابق والقدر النافذ ينزل من السماء ويقطر المطر فتمضي احكامه عز وجل وتنفذ مشيئته بغير تحاب المخلوقين الارضا الآدميين وقد بلغك ما كان من قتل عثمان رحمه الله وبيعة الناس عامة اياي ومصارع الناكثين لى فادخل فيما دخل الناس فيه والا فأنا الذي عرفت وحولي من تعلمه والسلام فلما قدم على معاوية كتاب علي مع الحجاج بن عدى الانصارى القاه وهو يخطب الناس بدمشق فلما قرأه اغتم بذلك وأعظمه واسره عن أهل الشام ثم قام الحجاج بن عدى خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ياأهل الشام ان أمر عثمان أشكل على من حضره المخبر عنه كالاعمى والسميع كالاصم عابه قوم فقتلوه وغدره قوم فلم ينصروه فكذبوا الغائب واتهموا الشاهد وقد بايع الناس علياً على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة عامة من رغب عنها رد اليها صاغرا داحرا فانظروا فى ثلاث وثلاث ثم اقضوا على أنفسكم اين الشام من الحجاز واين معاوية من علي واين أنتم من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان قال فغضب معاوية لقوله وقال ياحجاج أنت صاحب زيد بن ثابت يوم الدار قال نعم فان كان بلغك

والا أحدثك قال هات قال أشرف علينا زيد بن ثابت وكان مع عثمان فى الدار وقال يامعشر الانصار انصروا الله مرتين فقلت يازيد انانكره ان نلقى الله فنقول كما قال القوم « ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » فقال معاوية انصرف الى علي واعلمه ان رسولى على أثرك ثم ان معاوية انتخب رجلا من عبس وكان له لسان فكتب معاوية الى على كتابا عنوانه من معاوية الى على وداخله بسم الله الرحمن الرحيم لاغير فلما قدم الرسول دفع الكتاب الى على فعرف على مافيه وان معاوية محارب له وانه لايجيبه الى شيء مما يريد وقام رسول معاوية خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال هل ههنا أحد من أبناء قيس عيلان و بنى عبس ذبيان قالوا نعم هم حولك قال فاسمعوا ماأقول لكم يامعشر قيس انى أحلف بالله لقد خلفت بالشام خمسين ألف شيخ خاضبين لحاهم من دموع أعينهم تحت قميص عثمان رافعيه على الرماح مخضوبا بدمائه قد أعطوا الله عهدا ان لايغمدوا سيوفهم ولا يغضوا جفونهم حتى يقتلوا قتلة عثمان يوصى به الميت الحى و يرثه الحى من الميت حتى والله نشأ عليه الصبي وهاجر عليه الاعرابى وترك القوم تعس الشيطان وقالوا تعسا لقتلة عثمان واحلف بالله ليأتينكم من خضر الخيل اثنا عشر ألفا فانظروا كم الشهب وغيرها فقال له على مايريدون بذلك قال يريدون بذلك والله خبط رقبتك فقال على تربت يداك وكذب فوك أما والله لوان رسولا قتل لقتلتك فقام الصلت بن زفر فقال ليس وافد أهل الشام أنت و رائد أهل العراق ونعم العون لعلى و بئس العون لمعاوية ياأخا عبس أتخوف المهاجرين والانصار بخضر الخيل وغضب الرجال أما والله مانخاف غضب رجالك ولا خضر خيلك فأما بكاء أهل الشام على قميص عثمان فوالله ماهو بقميص يوسف ولا بحزن يعقوب ولئن بكوا عليه بالشام لقد خذلوه بالحجاز وأما قتالهم عليا فان الله يصنع فى ذلك ماأحب قال وان العبسى أقام بالعراق عند على حتى اتهمه معاوية ولقيه المهاجرون والانصار فأشربوه حب على وحدثوه عن فضائله حتى شك فى أمره

﴿ قدوم ابن عم عدى بن حاتم الشام ﴾

قال وذكروا ان عدى بن حاتم قدم الى على بالكوفة قبل ان يسير الى البصرة فقال يا أمير المؤمنين لسنا نخاف أحدا الا معاوية وعندى رجل من قومى يريد أن يزور ابن عم له بالشام يقال له حابس بن سعد فلو أمرناه ان يلقى معاوية لعله ان يكسره ويكسر أهل الشام فقال له على افعل فأغروه بذلك فلما قدم على ابن عمه وكان سيد طىء بالشام سأله فأخبره انه شهد قتل عثمان بالمدينة المنورة وسار مع على الى الكوفة وكان له لسان وهيبة فغدا به حابس الى معاوية فقال هذا ابن عمى قدم من الكوفة وكان مع على وشهد قتل عثمان بالمدينة وهو ثقة فقال معاوية حدثنا عن أمر عثمان قال نعم وليه محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر وتجرد فى أمره ثلاث نفر عدى بن حاتم والاشتر النخعى وعمرو بن الحصين ودب فى أمره رجلان طلحة والزبير وأبرأ الناس منه على بن أبى طالب ثم تهافت الناس على على بالبيعة تهافت الفراش حتى ضلت النعل وسقط الرداء ووطىء الشيخ ولم يذكر عثمان ولم يذكروه ثم تهيأ للمسير نخف معه المهاجرون والانصار وكره القتال معه ثلاث نفر عبد الله بن عمر وسعد بن أبى وقاص ومحمد بن مسلمة فلم يستكره أحدا واستغنى بمن خف عمن ثقل ثم سار حتى انتهى الى جبل طىء فأتاه منهم جماعة عظيمة حتى اذا كان فى بعض الطريق أتاه مسير طلحة والزبير وعائشة الى البصرة فسرح رسله الى الكوفة فأجابوا دعوته ثم قدمها فحملوا اليه الصبى ودبت اليه العجوز وخرجت اليه العروس فرحا به وسرورا وشوقا اليه ثم سار الى البصرة فبرز اليه القوم طلحة والزبير وأصحابهما فلم يلبثوا الا يسيرا حتى صرعهم الله وأبرزهم الى مضاجعهم ثم صارت البصرة ومن حولها فى كفه قال وتركته وليس لهم الا أنت والشام فانكسر معاوية لقوله وقال والله ما أظنه الا عينا لعلى أخرجوه لا يفسد أهل الشام ثم قال معاوية وكيف لا يضيع عثمان ويقتل وقد خذله أهل ثقاته وأجمعوا عليه أما والله لئن بقينا لهم لندرسهم درس الجمال هشيم اليبيس

﴿ استعمال على عبد الله بن عباس على البصرة ﴾

قال وذكروا ان عليا لما سار من البصرة بعد فراغه من أصحاب الجمل استعمل عليها عبد الله بن عباس وقال له أوصيك بتقوى الله عز وجل والعدل على من ولاك

الله امره اتسع للناس بوجهك وعلمك وحكمك واياك والاحن فانها تميت القلب والحق واعلم ان ماقربك من الله بعدك من النار وماقربك من النار بعدك من الله اذكر الله كثيرا ولا تكن من الغافلين فلم يلبث على حين قدم الكوفة وأراد المسير الى الشام ان انضم اليه ابن عباس واستعمل على البصرة زياد بن أبي سفيان

﴿ما أشار به الاحنف بن قيس على علي﴾

قال وذكروا ان الاحنف بن قيس قام الى علي فقال يا أمير المؤمنين انه ان يك بنو سعد لم ينصروك يوم الجمل فلن ينصروا عليك غيرك وقد عجبوا ممن نصرك يومئذ وعجبوا اليوم ممن خذلك لانهم شكوا في طلحة والزبير ولم يشكوا في عمرو ومعاوية وان عشيرتنا بالبصرة فلو بعثنا اليهم فقدموا علينا فقاتلنا بهم العدو وانتصفنا بهم من الناس وادركوا اليوم مافاتهم أمس وهذا جمع قد حشره الله عليك بالتقوى لم تستكره شاخصا ولم تشخص فيه مقيما ومن كان معك نافعك ورب مقيم خير من شاخص وانما نشوب الرجاء بالمخافة والله لوددنا ان أمواتنا رجعوا الينا فاستعنا بهم على عدونا وليس لك الامن كان معك ولنا من قومنا عدد ولا نلقى بهم عدوا أعدى من معاوية ولا نسد بهم ثغرا أشد من الشام

﴿ كتاب الاحنف الى قومه يدعوهم به الى نصرة علي ﴾

قال وذكروا ان عليا قال للاحنف بن قيس اكتب الى قومك قال نعم فكتب الاحنف الى بني سعد أما بعد فانه لم يبق أحد من بني تميم الا وقد شقوا برأي سيدهم غيركم وعصمكم الله برأيي حتى نلتم مارجوتم وأمنتم مما خفتم فاصبحتم منقطعين من أهل البلاء لاحقين باهل العافية واني أخبركم أنا قدمنا على تميم بالكوفة فأخذوا علينا بفضلهم مرتين مسيرهم الينا مع علي وتهيؤهم للمسير الى الشام ثم انحشرنا معهم فصرنا كانا لا نعرف الا بهم فاقبلوا الينا ولا تتكلوا علينا فان لهم اعدادنا من رؤسائهم فلا تبطؤا عنا فان من تأخير العطاء حرمانا ومن تأخير النصر خذلانا فحرمان العطاء القلة وخذلان النصر الابطاء ولا تنقضي الحقوق الا بالرضى وقد يرضى المضطر بدون الامل فلما اتى كتاب الاحنف الى بني سعد ساروا بجماعتهم حتى نزلوا الكوفة

﴿ كتاب أهل العراق الى مصقلة ﴾

قال وذكروا انه قام الى على بعد انصرافه من البصرة الى الكوفة وجوه بكر بن وائل فقالوا يا أمير المؤمنين ان نعيما أخا مصقلة يستحى منك لما صنع مصقلة وقد أتانا اليقين انه لا يمنع مصقلة من الرجوع اليك الا الحياء ولم يبسط منذ فارقنا لسانه ولا يده فلو كتبنا اليه كتابا و بعثنا من قبلنا رسولا فانا نستحى ان يكون فارقنا مثل مصقلة من أهل العراق الى معاوية فقال على اكتبوا فكتبوا أما بعد فقد علمنا انك لم تلحق بمعاوية رضى بدينه ولا رغبة فى دنياه ولم يعطفك عن على طعن فيه ولا رغبة ولكن توسطت أمرا فقويت فيه الظن وأضعفت فيه الرجاء فكان أولاهما عندك أن قلت أفوز بالمال وألحق بمعاوية ولعمرنا مااستبدلت الشام بالعراق ولا السكاسك بربيعة ولا معاوية بعلى ولا أصبت دنياتهنأ بها ولا حظا تحسد عليه وان أقرب ماتكون مع الله أبعد ماتكون مع معاوية فارجع الى مصرك فقد اغتفر أمير المؤمنين الذنب واحتمل الثقل واعلم ان رجعتك اليوم خير منها غدا وكانت أمس خيرا منها اليوم وان كان عليك حياء من أبى الحسن فما أنت فيه أعظم فقبح الله أمرا ليس فيه دنيا ولا آخرة فلما انتهى كتابهم الى مصقلة وكان لرسولهم عقل ولسان فقال الرسول يا مصقلة انظر فيما خرجت منه وفيما صرت اليه وانظر من أخذت ومن تركت وانظر من جاورت ومن زايلت ثم اقض بعقلك دون هواك قال وان مصقلة مضى الى معاوية بالكتاب فأقرأه اياه فقال معاوية يا مصقلة انك عندى غير ظنين فاذا أتاك شىء فاستره عنى فانصرف مصقلة الى منزله فدعا الرسول فقال يا أخا بكر انما هربت بنفسى من على ولا والله مايطول لسانى بغيبته ولا قلت فيه قط حرفا بسوء اذهب بكتابى هذا الى قومى

﴿ جواب مصقلة الى قومه ﴾

قال وذكروا ان مصقلة كتب الى قومه أما بعد فقد جاءنى كتابكم وانى أخبركم انه من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير وقد علمتم الامر الذى قطعنى من على وأضافنى الى معاوية وقد علمت انى لو رجعت الى على واليكم لكان ذنبى مغفورا ولكنى أذنبت الى على وصحبت معاوية فلو رجعت الى على أحدثت عيبا وأحييت عارا

وكنت بين لائمين أولهما خيانة وآخرها غدر ولكني أقيم بالشام فان غلب معاوية فداري العراق وان غلب علي فداري أرض الروم فاما الهوى فاليكم طائر وكانت فرقتي عليا على بعض العذر احب الي من فرقتي معاوية ولا عذر لي ثم قال للرسول يا بن أخي استعرض الناس عن قولي في علي فقال قد سألت فقالوا خيرا قال فاني والله عليه حتى أموت فرجع الرسول بالكتاب فأقرأه عليا فقال كفوا عن صاحبكم فليس براجع حتى يموت فقال حصين أما والله ما به الا الحياء

﴿ لحوق عبد الله بن عامر ﴾

قال وذكروا ان عبد الله بن عامر لحق بالشام ولم يأت معاوية وخاف يوما كيوم الجمل فبعث اليه معاوية ان يأتيه وألح عليه فكتب ابن عامر أما بعد فاني أخبرك اني أقحمت طلحة والزبير الى البصرة وانا أقول اذا رأى الناس أم المؤمنين مالوا اليها وان فر الناس لم يفر الزبير وان غدر الناس لم يغدر مروان فغضبت عائشة ورجع الزبير وقتل مروان طلحة وذهب مالي بما فيه والناس أشباه واليوم كامس فان اتبعتني هواي والا ارتحل عنك والسلام فكتب معاوية اليه أما بعد فانك قايدت أمر دينك قتلة عثمان وانفقت مالك لعبد الله بن الزبير وآثرت العراق على الشام فأخرجك الله من الحرب صفر اليدين ليس لك حظ الحق ولا ثار القتيل فلما انتهى كتابه الى ابن عامر اتاه فغمس يده معه وبايعه فلاطفه معاوية وعرف له قرابته من عثمان

﴿ ما اشار به عمار بن ياسر على علي ﴾

قال وذكروا ان عمار بن ياسر قام الى علي فقال يا أمير المؤمنين انما بايعناك ولا نرى احدا يقاتلك فقاتلك من بايعك واعطاك الله فيهم ماوعد في قوله عز وجل (ومن بغى عليه لينصرنه الله) وقوله (يا أيها الناس انما بغيكم على انفسكم) وقوله (ومن نكث فانما ينكث على نفسه) وقد كانت الكوفة لنا والبصرة علينا فاصبحنا على ماتحب بين ماض مأجور وراجع معذور وان بالشام الداء العضال رجلا لا يسلمها ابدا الا مقتولا أو مغلوبا فعاجله قبل ان يعاجلك وانبذ اليه قبل الحرب

﴿ ماأشار به الاشتر على علي ﴾

قال وذكروا ان الاشتر النخعي قام الى علي فقال يا أمير المؤمنين انما لنا ان تقول قبل أن تقول فاذا عزمت لم نقل فلو سرت بنا الى الشام بهذا الحد والجد لم يلقوك بمثله فان القلوب اليوم سليمة والابصار صحيحة فبادر بالقلوب القسوة و بالابصار العمى

﴿ كتاب علي الى جرير بن عبدالله ﴾

قال وذكروا ان عليا كتب الى جرير بن عبدالله وكان على ثغر همذان كان استعمله عليه عثمان فكتب علي اليه مع زفر بن قيس اما بعد فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ثم انى أخبرك عنا وعمن سرنا اليهم من جمع طلحة والزبير عند نكثهما بيعتهما وما صنعا بعاملي عثمان بن حنيف انى هبطت من المدينة بالمهاجرين والانصار حتى اذا كنت ببعض الطريق بعثت الى الكوفة الحسن ابني وعبدالله بن العباس ابن عمي وعمار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة فاستنفرتهم بحق الله وحق رسوله فأجابوا وسرت بهم حتى نزلت بظهر البصرة فأعذرت في الدعاء وأقلت في العثرة وناشدتهم عقد بيعتهم فابوا الا قتالي فاستعنت الله عليهم فقتل من قتل و ولوا مدبرين الى مصرهم فسألوني ما كنت دعوتهم اليه قبل اللقاء فقبلت العافية و رفعت عنهم السيف واستعملت عليهم عبدالله بن عباس و بعثت اليك زفر بن قيس فاسأله عنا وعنهم

﴿ خطبة زفر بن قيس ﴾

قال وذكروا انه لما قدم زفر على جرير بكتاب علي وقرأه جرير قام زفر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان عليا كتب اليكم بكتاب لا يقول بعده الا رجيعا من القول ان الناس بايعوا عليا بالمدينة غير محاباة ببيعتهم لعلمه بكتاب الله و يرى الحق فيه وان طلحة والزبير نقضا بيعة علي على غير حدث ثم لم يرضيا حتى نصبا له الحرب وألبا عليه الناس وأخرجا أم المؤمنين عائشة من حجاب ضربه الله و رسوله صلى الله عليه وسلم عليها فلقيهما فاعذر في الدعاء وخشي البغي وحمل الناس على ما يعرفون فهذا عيان ما غاب عنكم وان سألتم الزيادة زدناكم

﴿خطبة جرير بن عبدالله البجلي﴾

قال وذكروا ان جرير بن عبدالله قام خطيبا فحمدالله واثنى عليه فقال أيها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو المأمون على الدين والدنيا وكان من أمره وأمر عدوه ماقد سمعتم والحمدلله على اقضيته وقد بايعه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والتابعون باحسان ولو جعل الله هذا الامر شورى بين المسلمين لكان علي أحق بها الاوان البقاء في الجماعة والفناء في الفرقة وعلي حاملكم على الحق مااستقمتم له فان ملتم أقام ميلكم قال الناس سمعا وطاعة ورضا نارضى بعدنا

﴿كتاب علي الى الاشعث بن قيس﴾

قال وذكروا ان عليا كتب الى الاشعث بن قيس مع زياد بن كعب والاشعث يومئذ بأذربيجان عاملا لعثمان كان استعمله عليها أما بعد فلولا هنات كن فيك كنت المقدم في هذا الامر قبل الناس فلعل أمرا يحمل بعضه بعضا ان اتقيت الله وقد كان من بيعة الناس اياي ماقد بلغك وكان طلحة والزبير أول من بايعني ثم نقض بيعتي على غير حدث وأخرجا أم المؤمنين الى البصرة فسرت اليهما في المهاجرين والانصار فالتقينا فدعوتهما الى ان يرجعا الى ماخرجا منه فأبيا فابلغت في الدعاء وأحسنت في البقاء وان عملك ليس لك بطعمة ولكنه أمانة في عنقك والمال مال الله وأنت من خزاني عليه حتى تسلمه الى ان شاء الله وعلي أن لا أكون شر ولاتك

﴿خطبة زياد بن كعب﴾

قال وذكروا ان الاشعث بن قيس لما قرأ كتاب علي قام زياد بن كعب خطيبا فحمدالله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انه من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير وان أمر عثمان لم ينفع فيه العيان ولم يشف منه الخبر غير ان من سمعه ليس كمن عاينه وان المهاجرين والانصار بايعوا عليا راضين به وان طلحة والزبير نقضا بيعة علي على غير حدث وأخرجا أم المؤمنين على غير رضى فسار اليهم ولم ينلهم فتركهم وما في نفسه منهم حاجة فاورثه الله الارض وجعل له عاقبة المتقين

﴿خطبة الاشعث بن قيس﴾

قال فقام الاشعث بن قيس خطيبا فقال أيها الناس ان عثمان رحمه الله ولانى أذر بيجان وهلك وهى فى يدى وقد بايع الناس عليا وطاعتناله لازمة وقد كان من أمره وأمر عدوه ماقد بلغكم وهو المأمون على ماغاب عنا وعنكم من ذلك

﴿ مشورة الاشعث ثقاته فى اللحوق بمعاوية الى الشام ﴾

قال وذكروا أن الاشعث رجع الى منزله فدعا أهل ثقته من أصحابه فقال لهم ان كتاب على جاءنى وقد أوحشنى وهو آخذى بمال اذربيجان وأنا لاحق بمعاوية فقال القوم الموت خير لك من ذلك أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنبا لاهل الشام

﴿ كتاب جرير الى الاشعث ﴾

قال وذكروا ان جريرا كتب الى الاشعث أما بعد فانه أتتنى بيعة على فقبلتها ولم أجد الى دفعها سبيلا وانى نظرت فيما غاب عنى من أمر عثمان فلم أجده يلزمنى وقد شهده المهاجرون والانصار فكان أوثق أمرهم فيه الوقوف فاقبل بيعته فانك لاتلتفت الى خير منه واعلم أن بيعة على خير من مصارع أهل البصرة وقد تحلب الناقة الضجور ويجلس العود على البعير الدبر فانظر لنفسك والسلام

(ارسال على جريرا الى معاوية)

قال وذكروا أن جريرا لما قدم على على قال له ياجرير انطلق الى معاوية بكتابى هذا وكن عندظنى فيك واعلم ياجرير انك ترى من حولى من أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والبدريين والعقبيين وانى اخترتك عليهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خير ذى يمن جرير فاذهب الى معاوية بكتابى هذا ورسالتى فان دخل فيما دخل فيه المسلمون والا فانبذ اليه بالحرب واعلمه انى لاأرضى به أميرا ولا العامة ترضى به وليا فقال جرير انى لاكره ان أمنعك معونتى وماأطمع لك فى معاوية ويصنع الله مايشاء

(كتاب على الى معاوية مرة ثانية)

قال وذكروا ان عليا كتب الى معاوية مع جرير أما بعد فان بيعتى بالمدينة لزمتك وأنت بالشام لانه بايعنى الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان على مابايعوا فلم

يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار فاذا اجتمعوا على رجل فسموه اماما كان ذلك لله رضا فان خرج منهم خارج ردوه الى ماخرج منه فان أبى قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين واولاه الله ماتولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا وان طلحة والزبير بايعانى بالمدينة ثم نقضا بيعتهما فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما بعد ماأعذرت اليهما حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان أحب أمورك الى العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تتعرض للبلاء قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد أكثرت الكلام فى قتلة عثمان فادخل فى الطاعة ثم حاكم القوم الى أحملك واياهم على كتاب الله فأما التى تريدها فهى خدعة الصبى عن اللبن ولعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ الناس من دم عثمان واعلم يامعاوية انك من الطلقاء الذين لاتحل لهم الخلافة ولا تعقد معهم الامامة ولا تعرض فيهم الشورى وقد بعثت اليك والى من قبلك جرير بن عبدالله وهو من أهل الايمان والهجرة السابقة فبايع ولا قوة الا بالله

(قدوم جرير الى معاوية)

قال وذكروا أن جريرا لما قدم على معاوية بكتاب على قام جرير بالشام خطيبا فقال أيها الناس ان أمر عثمان قد أعيا عليا ومن شهده فما ظنكم بمن غاب عنه ان الناس بايعوا عليا وان طلحة والزبير كانا ممن بايع ثم نقضا بيعته ألا وان هذا الدين لايحتمل الغبن ألا وان هذا الدين لايحتمل السيف وقد كانت بالبصرة ملحمة ان يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للناس وقد بايعت العامة عليا ولو ملكنا أمرنا لم نختر لها غيره فمن خالف هذا استعتب فادخل يامعاوية فيما دخل الناس فيه فان قلت ان عثمان ولانى ولم يعزلنى فان هذا لوكان لم يقم لله دين وكان لكل امرىء ماهو فيه

(اشارة الناس على على بالمقام بالكوفة)

قال وذكروا ان عليا استشار الناس فاشاروا عليه بالمقام بالكوفة عامه ذلك غير الاشتر النخعى وعدى بن حاتم وشريح بن هانىء فانهم قاموا الى على فتكلموا

بلسان واحد فقالوا ان الذين أشاروا عليك بالمقام انما خوفوك بحرب الشام وليس فى حربهم شيء أخوف من الموت ونحن نريده فقال لهم ان استعدادى لحرب الشام وجرير صارف لهم عن خير ان أرادوه ولكنى قد وقت له وقتا لا يقيم بعده الا ان يكون مخدوعا أو عاصيا ولا أكره لكم الاعداد وابطأ جرير على على بالشام حتى يئس منه وان جريرا لما ابطأ عليه معاوية برأيه استحثه بالبيعة فقال معاوية لجرير يا جرير ان البيعة ليست بخلسة وانه أمر له ما بعد فأبلعنى ريقى

(مشورة معاوية أهل ثقته)

قال وذكروا أن معاوية دعا أهل ثقته فاستشارهم فقال عتبة بن أبى سفيان استعن على هذا الامر بعمرو بن العاص فانه من قد عرفت وقد اعتزل عثمان فى حياته وهو لامرك أشد اعتزالا الا ان ترضيه

(كتاب معاوية الى عمرو بن العاص)

قال وذكروا أن معاوية كتب الى عمرو بن العاص وهو بفلسطين أما بعد فقد كان من أمر على وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط علينا مروان بن الحكم فى رافضة من أهل البصرة وقدم على جرير بن عبد الله فى بيعة على وقد حبست نفسى عليك فأقدم على بركة الله والسلام

(ماسأل معاوية من على من الاقرار بالشام ومصر)

قال وذكروا ان معاوية قال لجرير انى قد رأيت رأيا قال جرير هات قال اكتب الى على ان يجعل لى الشام ومصر فان حضرته الوفاة لم يجعل لاحد من بعده فى عنقى بيعة واسلم اليه هذا الامر واكتب اليه بالخلافة قال جرير اكتب ماشئت وانما أراد معاوية فى طلبه الشام ومصر ان لا يكون لعلى فى عنقه بيعة وان يخرج نفسه مما دخل فيه الناس فكتب الى على يسأله ذلك فلما أتى عليا كتاب معاوية عرف انها خدعة منه

(كتاب على الى جرير بن عبد الله)

قال وذكروا ان عليا كتب الى جرير أما بعد فان معاوية انما أراد بما طلب ان لا يكون لى فى عنقه بيعة وان يختار من أمره ما أحب وقد كان المغيرة بن شعبة أشار

علي وأنا بالمدينة أن استعمله على الشام فأبيت ذلك عليه ولم يكن الله ليراني أن أتخذ المضلين عضدا فان بايعك الرجل والا فاقبل

(استشارة عمرو بن العاص ابنيه ومواليه)

قال وذكروا انه لما انتهى الى عمرو بن العاص كتاب معاوية وهو بفلسطين استشار ابنيه عبد الله ومحمدا وقال يا بني انه قد كان مني في أمر عثمان فلتات لم أستقبلها بعد وقد كان من هروبي بنفسي حين ظننت انه مقتول ماقد احتمله معاوية عني وقد قدم على معاوية جرير ببيعة علي وقد كتب الى معاوية بالقدوم عليه فما تريان فقال عبد الله وهو الاكبر أرى والله ان نبي الله قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده كذلك وقتل عثمان وأنت غائب عنه فأقم في منزلك فلست مجعولا خليفة ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة وستهلكا فتستويا فيها جميعا وقال محمد أرى انك شيخ قريش وصاحب أمرها فان ينصرم هذا الامر وأنت فيه خامل يصغر أمرك فالحق بجماعة أهل الشام واطلب بدم عثمان فانك به تستميل الى بني أمية فقال عمرو أما أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في ديني وأما أنت يا محمد فقد أمرتني بما هو خير لي في دنياي ثم دعا غلاما له يقال له وردان وكان داهيا فقال له عمرو يا وردان احطط يا وردان ارحل يا وردان احطط يا وردان ارحل فقال وردان أما انك ان شئت نبأتك بما في نفسك فقال عمرو وهات يا وردان فقال اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت مع علي الآخرة بلا دنيا ومع معاوية الدنيا بغير آخرة فأنت واقف بينهما فقال عمرو ما اخطات ما في نفسي فما ترى يا وردان فقال أرى ان تقيم في منزلك فان ظهر أهل الدين عشت في دينهم وان ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك فقال عمرو الآن حين شهرتني العرب بمسيري الى معاوية

﴿ قدوم عمرو الى معاوية ﴾

قال وذكروا ان عمرو بن العاص لما قدم الى معاوية وعرف حاجته اليه باعده وكايد كل واحد منهما صاحبه فقال عمرو لمعاوية اعطني مصر فتلكأ معاوية وقال ألم تعلم ان مصر كالشام قال بلى ولكنها انما تكون لي اذا كانت لك وانما تكون لك اذا غلبت

عليا على العراق وقد بعث أهلها بطاعتهم الى على فدخل عتبة بن أبى سفيان على معاوية فقال أما ترضى ان تشترى عمرا بمصران هى صفت لك ليتك لا تغلب على الشام فلما سمع معاوية قول عتبة بعث الى عمر وفاعطاه مصر ولما كتب معاوية لعمرو بمصر كتب فى أسفل الكتاب ولا ينقض شرط طاعة وكتب عمرو ولا تنقض طاعة شرطا وكايد كل واحد منهما صاحبه وكان مع عمرو بن العاص ابن أخ له جاءه من مصر فلما جاء عمرو بالكتاب مسرورا به عجب ابن أخيه من سروره فقال ياعمرو ألا تخبرنى باى رأى تعيش فى قريش وقد أعطيت دينك غيرك أترى أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها الى معاوية وعلى حى أو تراها ان صارت الى معاوية لا يأخذك بالجدل الذى قدمه فقال عمرو يا ابن أخى انه لا امر الله دون معاوية وعلى يا ابن أخى لو كنت مع على وسعنى بيتى ولكنى مع معاوية فقال الفتى لم انك تردمع معاوية ولكنك تريد دنياه و يريد دينك فبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب فلحق بعلى وحدث عليا بأمر معاوية وعمرو وماقاله فسر على بذلك وقربه

﴿ مشورة معاوية عمرا رضى الله عنهما ﴾

قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو ياأبا عبدالله طرقتنى فى ليلتى هذه ثلاثة أخبار ليس فيها ايراد ولا صدر منها ان ابن أبى حذيفة كسر سجن مصر ومنها ان قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام ومنها ان عليا قد تهيأ للمجىء الينا فما عندك قال عمرو كل هذا عظيم أما ابن أبى حذيفة فخرج فى اشياعه من الناس فان تبعث اليه يقتل وان يقتل فلا يضرك واما قيصر فاهد له من وصائف الروم ومن الذهب والفضة واطلب اليه الموادعة تجده اليها سريعا وأما على فوالله ان له فى الحرب لحظا ماهو لاحد من الناس وانه لصاحب الامر قال معاوية صدقت ولكنى أقاتله على ما بايدينا ونلزمه دم عثمان فقال عمرو واسوأتاه ان أحق الناس ان لا يذكر عثمان لانا وأنت قال معاوية ولم فقال عمرو اما انت فخذلته ومعك أهل الشام واستغاثك فابطأت عليه واما انا فتركته عيانا وهربت الى فلسطين قال معاوية دعنى من هذا هلم فبايعنى فقال عمرو لا والله لا اعطيك من دينى حتى آخذ من دنياك قال معاوية صدقت سل تعط قال عمرو

مصر طعمة فغضب مروان بن الحكم وقال ما بالى لا اشترى فقال معاوية اسكت يا بن العم فانما نشترى لك الرجال فكتب معاوية لعمرو مصر طعمة

﴿ كتاب معاوية الى اهل مكة والمدينة وجوابهما ﴾

قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو انى أريد ان اكتب الى اهل مكة والمدينة كتابا اذكر فيه قتل عثمان فاما ان ندرك حاجتنا او نكفهم عن المسير فقال له عمرو الى من تكتب قال الى ثلاثة نفر رجل لعلى لا يريد غيره ولا يزيده كتابنا فيه الا بصيرة او رجل يهوى عليا فلا نرده عما هو عليه او رجل معتزل لا يريد القتال قال عمرو وعلى ذلك قال نعم قال اكتب فكتب الى اهل مكة والمدينة اما بعد فانه مهما غاب عنا فانه لم يفت علينا ان عليا قتل عثمان والدليل على ذلك ان قتلته عنده وانما نطلب بدمه حتى يدفع الينا قتلته فنقتلهم بكتاب الله تعالى فان دفعهم الينا كففنا عنه وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها عمر بن الخطاب فاما الخلافة فلسنا نطلبها فأعينونا يرحمكم الله وانهضوا من ناحيتكم

﴿ جوابهما ﴾

قال وذكروا انه لما قرئ عليهم كتابه اجتمع رأيهم على ان يسندوا امرهم الى المسور بن مخرمة فجاوب عنهم فكتب اليه اما بعد فانك اخطأت خطأ عظيما واخطأت مواضع النصرة وتناولتها من مكان بعيد وما انت والخلافة يا معاوية وانت طليق وابوك من الاحزاب فكف عنا فليس لك قبلنا ولى ولا نصير

﴿ كتاب معاوية الى ابن عمر ﴾

قال وذكروا ان معاوية كتب الى ابن عمر كتابا خاصا دون كتابه الى أهل المدينة أما بعد فانه لم يكن أحد من قريش أحب الى ان يجتمع الناس عليه منك بعد عثمان فذكرت خذلك اياه وطعنك على أنصاره فتغيرت لك وقد هون ذلك على خلافك عليا وطعنك عليه وردنى اليك بعض ما كان منك فأعنا يرحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم فانى لست أريد الامارة عليك ولكنى أريدها لك فان أبيت كانت شورى بين المسلمين

﴿ جوابه ﴾

فكتب اليه عبد الله بن عمر اما بعد فان الرأى الذى أطمعك فى هذا هو الذى

صيرك الى ماصيرك تركت عليا فى المهاجرين والانصار وتركت طلحة والزبير وعائشة واتبعك من اتبعك وأما قولك انى طعنت على على فلعمرى ما أنا كعلى فى الاسلام والهجرة ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أحدث أمر الم يكن الينا فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ففزعت الى الوقوف وقلت ان كان هذا فضلا تركته وان كان ضلالة فشر منه نجوت فاغن عنى نفسك

﴿ كتاب معاوية الى سعد بن أبى وقاص ﴾

قال وذكروا ان معاوية كتب الى سعد بن أبى وقاص أما بعد فان أحق الناس بنصرة عثمان أهل الشام والذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك فى الامر والشورى ونظيراك فى الاسلام وخفت لذلك أم المؤمنين فلا تكرهن ماركبوا ولا تردن ماقبلوا فانما نريدها شورى بين المسلمين

﴿ جواب سعد ابن أبى وقاص لمعاوية ﴾

قال وذكروا ان سعدا كتب اليه أما بعد فان أهل الشورى ليس منهم أحق بها من صاحبه غيران عليا كان من السابقة ولم يكن فينا مافيه فشاركنا فى محاسننا ولم نشاركه فى محاسنه وكان احقنا كلنا بالخلافة ولكن مقادير الله تعالى التى صرفتها عنه حيث شاء لعلمه وقدره وقد علمنا انه أحق بها منا ولكن لم يكن بد من الكلام فى ذلك والتشاجر فدع ذا وأما أمرك يامعاوية فانه أمر كرهنا أوله وآخره واماطلحة والزبير فلو لزما بيتهما لكان خيرالهما والله تعالى يغفر لعائشة أم المؤمنين

﴿ كتاب معاوية الى محمد بن مسلمة الانصارى ﴾

وكان فارس الانصار رضى الله عنهم وذا النجدة فيهم أما بعد فانى لم اكتب اليك وانا ارجو مبايعتك ولكنى اذكرك النعمة التى خرجت منها انك كنت فارس الانصار وعدة المهاجرين فادعيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا لم تستطع فيه الامضاء فهذا أعنى وعن قتال أهل الصلاة فهلا نهيت أهل الصلاة عن قتل بعضهم بعضا أوترى ان عثمان وأهل الدار ليسوا بمسلمين واما قولك الانصار فقد عصوا الله تعالى وخذلوا عثمان وسائلهم وسائلك الله تعالى عن الذى كان يوم القيامة

﴿ بجوابه ﴾

قال وذكروا ان محمد بن مسلمة كتب اليه أما بعد فقد اعتزل هذا الامر من ليس في يده من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي في يدي وقد أخبرت بالذي هو كائن قبل ان يكون فلما كان كسرت سيفي ولزمت بيتي واتهمت الرأى على الدين اذ لم يصح لى أمر بمعروف آمر به ولا منكر أنهى عنه ولعمرى يامعاوية ماطلبت الا الدنيا ولا اتبعت الا الهوى ولئن كنت نصرت عثمان ميتاً لقد خذلته حيا ونحن ومن قبلنا من المهاجرين والانصار أولى بالصواب قال فلما أجاب القوم معاوية بما أجابوه من الخلاف الى مادعاهم اليه قال له عمرو وكيف رأيت يامعاوية رأيى ورأيك أخبرتك بالامر قبل ان يقع قال معاوية رجوت ماخفت

﴿ كتاب معاوية الى على رضى الله عنه ﴾

قال وذكروا ان معاوية كتب الى على أما بعد فلعمرى لو بايعك القوم الذين بايعوك وانت برىء من دم عثمان كنت كأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الانصار فاطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف وقد أبى أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فاذا دفعتهم كانت شورى بين المسلمين وقد كان أهل الحجاز أعلا الناس وفى أيديهم الحق فلما تركوه صار الحق فى أيدى أهل الشام ولعمرى ماحجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ولا حجتك على كحجتك على طلحة والزبير لان أهل البصرة بايعوك ولم يبايعك احد من أهل الشام وان طلحة والزبير بايعاك ولم أبايعك وأما فضلك فى الاسلام وقرابتك من النبى عليه السلام فلعمرى ماادفعه ولا أنكره

﴿ جواب على الى معاويه ﴾

قالوا فكتب اليه على أما بعد فقد جاءنى منك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابه وقاده فاستقاده زعمت انه انما أفسد عليك بيعتى خطيئتى فى عثمان ولعمرى ما كنت الا رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا واصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى وما أمرت

فيلزمني خطيئة عثمان ولاقتلت فيلزمني قصاص القاتل وأماقولك ان أهل الشام هم الحكام على الناس فهات رجلا من قريش الشام يقول فى الشورى أوتحل له الخلافة فان سميت كذبك المهاجرون والانصار والاأتيتك من قريش الحجاز وأماقولك تدفع اليك قتلة عثمان فما أنت وعثمان انما أنت رجل من بنى أمية و بنو عثمان أولى بعثمان منك فان زعمت انك أقوى على ذلك فادخل فى الطاعة ثم حاكم القوم الى واما تمييزك بين الشام والبصرة وذكرك طلحة والزبير فلعمرى ماالامر الا واحد انها بيعة عامة لا يثنى عنها البصير ولا يستأنف فيها الخيار واماولوعك فى أمر عثمان فوالله ماقلت ذلك عن حق العيان ولاعن تيقن الخبر واما فضلى فى الاسلام وقرابتى من رسول الله عليه السلام وشرفى فى قريش فلعمرى لواستطعت دفعه لدفعته

﴿ قدوم عبيدالله بن عمر على معاوية ﴾

قال وذكروا ان عبيدالله بن عمر قدم على معاوية الشام فسر به سرورا شديدا وسر به أهل الشام وكان أشد قريش سرورا به عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو مامنع عبدالله ان يكون كعبيدالله فضحك عمرو وقال شبهت غيرشبيه انما أتاك عبيدالله مخافة ان يقتله على بقتلة الهرمزان ورأى عبدالله ان لايكون عليك ولالك ولو كان معك لنفعك أوعليك لضرك

﴿ تعبئة معاوية أهل الشام لقتال على ﴾

قال وذكروا ان معاوية بعث الى رؤساء أهل الشام فجمعهم ثم قال أنتم أهل الفضل فليقم كل رجل منكم يتكلم فقام رجل فقال أما والله لوشهدنا أمر عثمان فعرفنا عيانهم قتلته بأما استغنينا عن اخبار الناس ولكن نصدقك على ماغاب عنا وان ابغض الناس الينا من يقاتل على بن أبى طالب لقدمه فى الاسلام وعلمه بالحرب ثم قام حوشب فقال والله ماايالك ننصر ولالك نغضب ولاعنك نحامى ماننصر الا الله ولا نغضب الا للخليفة ولانحامى الاعن الشام فلف الخيل بالخيل والرجال بالرجال وقد دعونا قومنا الى مادعوتنا اليه أمس وأمرناهم بما أمرتنا به فجعلوك بيننا و بين الله ونحن بينك و بينهم فمرنا بما تحب وانهنا عما تكره قال فلما عزم معاوية على المسيرالى صفين عبأ أهل

الشام فجعل على مقدمته أبا الاعور السلمي وعلى ساقته بشير بن أرطاة وعلى الخيل عبيد الله بن عمرو ودفع اللواء الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وعلى الميمنة يزيد العبسي وعلى الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص ثم قال يا أهل الشام انكم قد سرتم لتمنعوا الشام وتأخذوا العراق ولعمري ما للشام رجال العراق وأموالها ولا لأهل العراق بصر أهل الشام ولا بصائرهم مع ان القوم بعدهم غيرهم مثلهم وليس بعدكم غيركم فان غلبتموهم فلم تغلبوا الا من قد أتاكم وان غلبوكم عاقبوا من بعدكم والقوم لاقوكم بيصائر أهل الحجاز ورقة أهل اليمن وقسوة أهل مصر وكيد أهل العراق وانما يصبر غدا من أبصر اليوم فاستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ثم سار معاوية في ثلاثة آلاف وثمانين ألفا حتى نزل بصفين وذلك في نصف محرم وسبق الى سهولة الارض وسعة المناخ وقرب الفرات وكتب الى علي يخبره بمسيره

﴿ تعبئة علي أهل العراق للقتال ﴾

قال وذكروا ان عليا لما بلغه تأهب معاوية قال أيها الناس انما بايع معاوية أهل الشام وليس له غيرهم ولي ولا نصير وانكم أهل الحجاز وأهل العراق وأهل اليمن وأهل مصر وقد جعل القوم معاوية بينهم وبين الله وليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وقد وادع القوم الروم فان غلبتموهم استعانوا بهم ولحقوا بارضهم وان غلبوكم فالغاية الموت والمفر الى الله العزيز الحكيم وقد زعم معاوية ان أهل الشام أهل صبر ونصر ولعمري لانتم أولى بذلك منهم لانكم المهاجرون والانصار والتابعون باحسان وانما الصبر اليوم والنصر غدا قال فجد الناس ونشطوا وتأهبوا فسار علي بالناس من الكوفة في مائة ألف وتسعين ألفا فجعل على المقدمة الاشتر النخعي وعلى ساقته شريح بن هانئ وعلى المهاجرين والانصار محمد بن أبي بكر وعلى أهل البصرة عبد الله بن عباس وعلى الكوفة عبد الله بن جعفر وعلى جماعة الخيل عمار بن ياسر وعلى القلب الحسن بن علي وسار حتى نزل صفين وقد سبقه معاوية الى سهولة الارض وسعة المناخ وقرب الفرات

﴿ منع معاوية الماء من أصحاب علي ﴾

قال وذكروا انه لما نزل معاوية بصفين بعث أباالاعور بمن معه ليحولوا بينهم وبين الفرات وان أهل العراق لما نزلوا بعثوا غلمانهم ليستقوا لهم من الفرات فحالت خيل معاوية بينهم وبين الماء فانصرفوا فساروا الى على فأخبروه فقال على للاشعث اذهب الى معاوية فقل له ان الذى جئنا له غير الماء ولو سبقناك اليه لم نحل بينك وبينه فان شئت خليت عن الماء وان شئت تناجزنا عليه وتركنا ماجئنا له فانطلق الاشعث الى معاوية فقال له انك تمنعنا الماء وايم الله لنشربنه فمرهم يكفوا عنه قبل ان نغلب عليه والله لانموت عطشاً وسيوفنا على رقابنا فقال معاوية لاصحابه ماترون فقال رجل منهم نرى ان نقتلهم عطشا كما قتلوا عثمان ظلما فقال عمرو بن العاص لاتظن يامعاوية ان علياً يظمأ وأعنة الخيل بيده وهو ينظر الى الفرات حتى يشرب أو يموت دونه خل عن القوم يشربوا فقال معاوية هذا والله أول الظفر لاسقانى الله من حوض الرسول ان شربوا منه حتى يغلبونى عليه فقال عمرو وهذا أول الجور أما تعلم ان فيهم العبد والاجير والضعيف ومن لاذنب له لقد شجعت الجبان وحملت من لايريد قتالك على قتالك

﴿ غلبة أصحاب على على الماء ﴾

قال وذكروا ان معاوية لما غلب على الماء اغتم على لما فيه الناس من العطش فخرج ليلا والناس يشكون بعضهم الى بعض مخافة ان يغلب أهل الشام على الماء فقال الاشعث ياأمير المؤمنين أيمنعنا القوم الماء وأنت فينا ومعنا السيوف خل عنا وعن القوم فوالله لاأرجع اليك حتى أرده أو أموت دونه وامر الاشتر أن يعلو الفرات فى الخيل حتى آمره بامرى فقال على ذلك لك فانصرف الاشعث فنادى فى الناس من كان يريد الماء فميعاده الصبح فانى ناهض الى الماء فأجابه بشر كثير فتقدم الاشعث فى الرجالة والاشتر فى الخيل حتى وقفا على الفرات فلم يزل الاشعث فى الرجالة يمضى حتى خالط القوم ثم حسر عن رأسه فنادى انا الاشعث بن قيس خلوا عن الماء فقال أبو الاعور اما والله قبل ان تأخذنا وايا كم السيوف فلا فقال الاشعث أظنها والله قد دنت منا ومنكم قال وبعث الاشعث الى الاشتر ان أقحم الخيل فاقحمها الاشتر حتى وضع سنابكها فى الفرات وحمل الاشتر فى الرجالة فأخذ القوم السيوف

فانكشف أبو الاعور وأصحابه وبعث الاشتر الى علي هلم يا أمير المؤمنين قد غلب الله لك على الماء فلما غلب أهل العراق على الماء شمت عمرو بن العاص بمعاوية وقال يا معاوية ما ظنك ان منعك على الماء كما منعته أمس أتراك ضاربهم كما ضربوك فقال دع ما مضى عنك فان عليا لا يستحل منك ما استحللت منه وان الذي جاءله غير الماء

(دعاء علي معاوية الى البراز)

قال وذكروا ان الناس مكثوا بصفين اربعين ليلة يغدون الى القتال ويروحون فاما القتال الذي كان فيه الفناء فثلاثة أيام فلما رأى علي كثرة القتال والقتل في الناس برز يوما من الايام ومعاوية فوق التل فنادى بأعلا صوته يا معاوية فاجابه فقال ما تشاء يا أبا الحسن قال علي علام يقتتل الناس ويذهبون على ملك ان نلته فقال عمرو انا كان لي دونهم ابرز الى ودع الناس فيكون الامر لمن غلب قال عمرو بن العاص أنصفك الرجل يا معاوية فضحك معاوية وقال طمعت فيها يا عمرو كان لك دونهم وان نلته والله ما أراه يحمل بك الا أن تبارزه فقال معاوية ما أراك الا مازحاً نلقاه بجمعنا

﴿ براز عمرو بن العاص لعلي ﴾

قال وذكروا ان عمراً قال لمعاوية أتجبن عن علي وتتهمني في نصيحتي اليك والله لابارزن عليا ولو مت ألف موتة في أول لقائه فبارزه عمرو فطعنه علي فصرعه فاتقاه بعورته فانصرف عنه علي وولى بوجهه دونه وكان علي رضي الله عنه لم ينظر قط الى عورة أحد حياء وتكرما وتنزها عما لا يحل ولا يجمل بمثله كرم الله وجهه

﴿ قطع الميرة من أهل الشام ﴾

قال وذكروا ان عليا دعا زحر بن قيس فقال له سر في بعض هذه الخيل الى القطقطانة فاقطع الميرة عن معاوية ولا تقتل الا من يحل لك قتله وضع السيف موضعه فبلغ ذلك معاوية فدعا الضحاك بن قيس فامره ان يلقى زحر بن قيس فيقاتله فسار الضحاك فلقيه زحر فهزمه وقتل من اصحابه وقطع الميرة عن أهل الشام ورجع الضحاك الى معاوية منهزما فجمع معاوية الناس فقال أتاني خبر من ناحية من نواحي أمر شديد فقالوا يا أمير المؤمنين لسنا في شيء مما أتاك انما علينا السمع والطاعة وبلغ عليا قول

معاوية وقول أهل الشام فاراد أن يعلم مارأى أهل العراق فجمعهم فقال أيها الناس انه أتاني خبر من ناحية من نواحي فقال ابن الكواء وأصحابه ان لنا في كل أمر رأى فما أتاك فأطلعنا عليه حتى نشير عليك فبكى على ثم قال ظفر والله ابن هند باجتماع أهل الشام له واختلافكم على والله ليغلبن باطله حقكم انما أتاني ان زحر بن قيس ظفر بالضحاك وقطع الميرة وأتى معاوية هزيمة صاحبه فقال يا أهل الشام انه أتاني أمر شديد فقلدوه أمرهم واختلفتم على فقام قيس بن سعد فقال أما والله لنحن كنا أولى بالتسليم من أهل الشام

﴿ قدوم أبي هريرة وأبي الدرداء على معاوية وعلى ﴾

قال وذكروا ان أباهريرة وأباالدرداء قدما على معاوية من حمص وهو بصفين فوعظاه وقال يا معاوية علام تقاتل عليا وهو أحق بهذا الامر منك في الفضل والسابقة لانه رجل من المهاجرين الاولين السابقين باحسان وأنت طليق وابوك من الاحزاب أما والله ما نقول لك ان تكون العراق أحب الينا من الشام ولكن البقاء أحب الينا من الفناء والصلاح احب الينا من الفساد فقال معاوية لست أزعم اني اولى بهذا الامر من على ولكني أقاتله حتى يدفع الى قتلة عثمان فقالا اذا دفعهم اليك ماذا يكون قال اكون رجلا من المسلمين فأتيا عليا فان دفع اليكما قتلة عثمان جعلتها شورى فقدما على عسكر على فأتاهما الاشتر فقال ياهذان انه لم ينزلكما الشام حب معاوية وقد زعمتما انه يطلب قتلة عثمان فعمن اخذتما ذلك فقبلتماه أعمن قتله فصدقتموهم على الذنب كما صدقتموهم على القتل ام عمن نصره فلا شهادة لمن جر الى نفسه ام عمن اعتزل اذ علموا ذنب عثمان وقد علموا ما الحكم في قتله أو عن معاوية وقد زعم ان عليا قتله اتقيا الله فانا شهدنا وغبتما ونحن الحكام على من غاب فانصرفا ذلك اليوم فلما أصبحا أتيا عليا فقالا له ان لك فضلا لا يدفع وقد سرت مسيرفتى الى سفيه من السفهاء ومعاوية يسألك ان تدفع اليه قتلة عثمان فان فعلت ثم قاتلك كنا معك قال على أتعرفانهم قالا نعم قال فخذاهم فأتيا محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والاشتر فقالا أنتم من قتلة عثمان وقد أمرنا باخذكم فخرج اليهما اكثر من عشرة آلاف رجل فقالوا نحن قتلنا عثمان فقالا نرى أمرا شديدا ألبس علينا الرجل وان أباهريرة وأباالدرداء انصرفا الى منزلهما بحمص فلما قدما

حمص لقيهما عبد الرحمن بن عثمان فسألهما عن مسيرهما فقصا عليه القصة فقالا العجب منكما انكما من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله لئن كففتما ايديكما ما كففتما السنتكما اتأتيان عليا وتطلبان اليه قتلة عثمان وقد علمتما أن المهاجرين والانصار لو حرموا دم عثمان نصروه و بايعوا عليا على قتلته فهل فعلوا واعجب من ذلك رغبتكما عما صنعوا وقولكما لعلى اجعلها شورى واخلعها من عنقك وانكما لتعلمان ان من رضى بعلى خير ممن كرهه وان من بايعه خير ممن لم يبايعه ثم صرتما رسولى رجل من الطلقاء لا تحل له الخلافة ففشى قوله وقولهما فهم معاوية بقتله ثم راقب فيه عشيرته

﴿ وقوع عمرو بن العاص فى على ﴾

قال وذكروا ان رجلا من همدان يقال له برد قدم على معاوية فسمع عمرا يقع فى على فقال له يا عمرو ان أشياخنا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كنت مولاه فعلى مولاه فحق ذلك أم باطل فقال عمرو حق وانا ازيدك انه ليس أحد من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب على ففزع الفتى فقال عمرو انه أفسدها بأمره فى عثمان فقال برد هل أمر أو قتل قال لا ولكنه آوى ومنع قال فهل بايعه الناس عليها قال نعم قال فما اخرجك من بيعته قال اتهامى اياه فى عثمان قال له وانت أيضا قد اتهمت قال صدقت فيها خرجت الى فلسطين فرجع الفتى الى قومه فقال انا اتينا قوما اخذنا الحجة عليهم من افواههم على على الحق فاتبعوه

﴿ كتاب معاوية الى أبى أيوب الانصارى ﴾

قال وذكروا ان معاوية كتب الى أبى أيوب الانصارى وكان اشد الانصار على معاوية أما بعد فانى نسيتك مالا تنسى الشيباء فلما قرأ كتابه أتى به عليا فأقرأه اياه فقال على يعنى بالشيباء المرأة الشمطاء لا تنسى ثكل ابنها فأنا لا أنسى قتل عثمان فكتب اليه ابو ايوب انه لا تنسى الشيباء ثكل ولدها وضربتها مثلا لقتل عثمان فما نحن وقتلة عثمان ان الذى تربص بعثمان وثبط اهل الشام عن نصرته لانت وان الذين قتلوه غير الانصار والسلام

﴿ ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد ﴾

قال وذكروا أن النعمان بن بشير الانصارى وقف بين الصفين فقال ياقيس

ابن سعد أما أنصفكم من دعاكم الى مارضى لنفسه انكم يامعشر الانصار أخطا تم فى خذل عثمان يوم الدار وقتلكم أنصاره يوم الجمل واقحامكم على أهل الشام بصفين فلو كنتم اذ خذلتم عثمان خذلتم عليا كان هذا بهذا ولكنكم خذلتم حقا ونصرتم باطلا ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتى اشعلتم الحرب ودعوتم الى البراز فقد والله وجدتم رجال الحرب من أهل الشام سراعا الى برازكم غير انكاث عن حربكم ثم لم ينزل بعلى أمر قط الا هونتم عليه المصيبة و وعدتموه الظفر وقد والله أخلفتموه وهان علينا بأسكم وما كنتم لتخلوا به أنفسكم من شدتكم فى الحرب وقدرتكم على عدوكم وقد أصبحتم أذلاء على أهل الشام لا يرون حربكم شيئاً وأنتم أكثر منهم عدداً ومدداً وقد والله كاثروكم بالقلة فكيف لو كانوا مثلكم فى الكثرة والله لا تزالون أذلاء فى الحرب بعدها أبدا الا أن يكون معكم أهل الشام وقد أخذت الحرب مناومنكم مافد رأيتم ونحن أحسن بقية وأقرب الى الظفر فاتقوا الله فى البقية فضحك قيس وقال والله ما كنت أراك يانعمان تجترىء على هذا المقام أما المنصف المحق فلا ينصح أخاه من غش نفسه وأنت والله الغاش لنفسه المبطل فيما انتصح غيره أماذكرك عثمان فان كان الايجاز يكفيك فخذه قتل عثمان من لست خيراً منه وخذله من هو خير منك وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث وأما معاوية فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الانصار وأما قولك انا لسنا كالناس فنحن فى هذه الحرب كما كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نتقى السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ولكن انظر يانعمان هل ترى مع معاوية الا طليقاً أعرابيا أو يمانيا مستدرجا وانظر أين المهاجرون والانصار والتابعون باحسان الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وغير صويحبك ولستما والله بدريين ولا عقبيين ولا لكما سابقة فى الاسلام ولا آية فى القرآن

﴿كتاب عمرو الى ابن عباس﴾

قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو بن العاص ان راس اهل العراق مع عبدالله بن عباس فلو ألقيت اليه كتابا ترقق فيه فان قال شيأ لم يخرج منه على وقد

اكلتنا هذه الحرب ولا ارانا نطيق العراق الا بهلاك اهل الشام فقال له عمرو ان ابن عباس لا يخدع ولو طمعت فيه طمعت فى على قال معاوية على ذلك فكتب عمرو الى ابن عباس أما بعد فان الذى نحن وانت فيه ليس أول أمر قاده البلاء وساقته العافية وانك رأس هذا الجمع بعد على فانظر فيما بقى بغير مامضى فوالله ما ابقت هذه الحرب لنا ولكم حياة ولا صبرا واعلم ان الشام لا تهلك الا بهلاك العراق وان العراق لا تهلك الا بهلاك الشام فما خيرنا بعد اعدادنا منكم وما خيركم بعد اعدادكم منا ولسنا نقول ليت الحرب عادت ولكنا نقول ليتها لم تكن وان فينا لمن يكره البقاء كما فيكم وانما هى ثلاثة امير مطاع او مأمور مطيع أو مشاور مأمون فاما العاصى السفيه فليس بأهل ان يدعى فى ثقات أهل الشورى ولا خواص أهل النجوى

﴿جواب عبدالله بن عباس الى عمرو بن العاص﴾

قال وذكروا انه لما انتهى كتاب عمرو الى ابن عباس أتى به الى على فأقرأه اياه فقال على قاتل الله ابن العاص اجبه فكتب اليه أما بعد فانى لا اعلم رجلا اقل حياء منك فى العرب انك مال بك الهوى الى معاوية و بعته دينك بالثمن الاوكس ثم خبطت الناس فى عشواء طمعا فى هذا الملك فلما تراءينا اعظمت الحرب والرماء اعظام أهل الدين وأظهرت فيها كراهية أهل الورع لا تريد بذلك الا تمهيد الحرب وكسر أهل الدين فان كنت تريد الله فدع مصر وارجع الى بيتك فان هذه حرب ليس فيها معاوية كعلى بدأها على بالحق وانتهى فيها الى العذر وبدأها معاوية بالبغى وانتهى فيها الى السرف وليس أهل الشام فيها كأهل العراق بايع اهل العراق عليا وهو خير منهم و بايع أهل الشام معاوية وهم خير منه ولست أنا وأنت فيها سواء اردت الله وانت اردت مصر وقد عرفت الشىء الذى باعدك منى ولا أعرف الشىء الذى قربك من معاوية فان ترد شرا لا نفتنا به وان ترد خيرا لا تسبقنا اليه

﴿أمر معاوية مروان بحرب الاشتر﴾

قال وذكروا ان معاوية دعا مروان بن الحكم فقال مروان ان الاشتر قد غمنى فاخرج بهذه الخيل فقاتله بها غدا فقال مروان ادع لها عمرا فانه شعارك دون دثارك

قال معاوية وأنت نفسي دون وزيري قال مروان لو كنت كذلك الحقتني به العطاء والحقته بي الحرمان ولكنك اعطيته ما في يدك ومنيتني ما في يدى غيرك فان غلبت طاب المقام وان غلبت خف عليك المهرب قال معاوية يغني الله عنك قال أما اليوم فلا فدعا معاوية عمرا فأمره بأمره فقال أما والله لئن فعلت لقد قدمتني كافيا وادخلتني ناصحا وقد غمك القوم في مصر فان كان لا يرضيهم الا اخذها فخذها عليها لعنة الله أما والله يا امير المؤمنين ان مروان يباعدك منا ويباعدنا منك ويأبى الله الا ان يقربنا اليك

﴿كتاب معاوية الى ابن عباس﴾

قال وذكروا ان معاوية كتب الى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أما بعد فانكم معشر بني هاشم لستم الى أحد اسرع منكم بالمساءة الى انصار عثمان فان يك ذلك لسلطان بني أمية فقد ورثها عدي وتيم وقد وقع من الامر ما قد ترى وأدالت هذه الحرب بعضنا من بعض حتى استوينا فيها فما أطمعكم فينا أطمعنا فيكم وما أيأسكم منا أيأسنا منكم وقد رجونا غير الذى كان وخشينا دون ما وقع ولستم ملاقينا اليوم باحد من جدكم أمس وقد منعنا بما كان منا الشام وقد منعتم بما كان منكم العراق فاتقوا الله في قريش فما بقي من رجالها الا ستة رجلان بالشام ورجلان بالعراق ورجلان بالحجاز فأما اللذان بالحجاز فسعد وعبدالله بن عمر وأما اللذان بالشام فأنا وعمرو وأما اللذان بالعراق فعلي وأنت ومن الستة رجلان ناصبان لك وآخران واقفان عليك وأنت رأس هذا الجمع اليوم وغدا ولو بايع الناس لك بعد عثمان كنا أسرع اليك منا الى على

﴿جوابه﴾

قال وذكروا انه لما أتى كتاب معاوية الى ابن عباس ضحك ثم قال حتى متى يخطب الى معاوية عقلي وحتى متى أجمجم له عما في نفسي فكتب اليه أما بعد فقد جاءني كتابك فأما ماذكرت من سرعتنا بالمساءة الى أنصار عثمان لسلطان بني أمية فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك لقد استنصرك فلم تنصره حتى صرت الى ماصرت اليه وبيني وبينك في ذلك ابن عمك وأخو عثمان الوليد بن عقبة وأما قولك انه لم يبق من

رجال قريش غير ستة فما أكثر رجالها وأحسن بقيتها وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ولم يخذلنا الا من خذلك وأما اغراؤك ايانا بعدى وتيم فأبو بكر وعمر كانا خيرا منك ومن عثمان كما ان عليا خير منك وأما قولك انا لن نلقاك الا بما لقيناك به فقد بقى لك منا يوم ينسيك ماقبله وتخاف له مابعده وأما قولك انه لو بايعنى الناس استقمت فقد بايعوا عليا وهو خير منى فلم تستقم له وان الخلافة لا تصلح الا لمن كان فى الشورى فما أنت والخلافة وأنت طليق الاسلام وابن رأس الاحزاب وابن آكلة الاكباد من قتلى بدر

﴿ خطبة على كرم الله وجهه ﴾

قال وذكروا ان عليا قام خطيبا فقال أيها الناس ألا ان هذا القدر ينزل من السماء كقطر المطر على كل نفس بما كسبت من زيادة أو نقصان فى أهل أو مال فمن أصابه نقصان فى أهل أو مال فلا يغش نفسه ألا وانما المال حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لاقوام وقد دخل فى هذا العسكر طمع من معاوية فضعوا عنكم هم الدنيا بفراقها وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها فان نازعتكم أنفسكم الى غير ذلك فردوها الى الصبر ووطنوها على العزاء فوالله انى ارجى ما ارجوه الرزق من الله من حيث لا نحتسب وقد فارقكم مصقلة بن هبيرة فآثر الدنيا على الآخرة وفارقكم بشر بن ارطاة فأصبح ثقيل الظهر من الدماء مفتضح البطن من المال وفارقكم زيد بن عدى ابن حاتم فأصبح يسأل الرجعة وايم الله لودت رجال مع معاوية انهم معى فباعوا الدنيا بالآخرة ولودت رجال معى انهم مع معاوية فباعوا الآخرة بالدنيا

﴿ قدوم ابن أبى محجن على معاوية ﴾

قال وذكروا ان عبد الله بن أبى محجن الثقفى قدم على معاوية فقال ياأمير المؤمنين انى أتيتك من عند الغبى الجبان البخيل ابن أبى طالب فقال معاوية لله أنت تدرى ماقلت أما قولك الغبى فوالله لو ان ألسن الناس جمعت فجعلت لسانا واحدا لكفاها لسان على وأما قولك انه جبان فثكلتك أمك هل رأيت أحدا قط بارزه الا قتله وأما قولك انه بخيل فوالله لو كان له بيتان احدهما من تبر والآخر من تبن لانفد تبره قبل تبنه فقال الثقفى فعلى م

تقاتله اذا قال على دم عثمان وعلى هذا الخاتم الذى من جعله فى يده جازت طينته وأطعم عياله وادخر لاهله فضحك الثقفى ثم لحق بعلى فقال يا أمير المؤمنين هب لى يدى بجرمى لا دنيا أصبت ولا آخرة فضحك على ثم قال أنت منها على رأس أمرك وانما يأخذ الله العباد بأحد الامرين

﴿ رفع أهل الشام المصاحف ﴾

قال وذكروا ان أهل العسكرين باتوا بشدة من الالم ونادى على أصحابه فاصبحوا على راياتهم ومصافهم فلما رآهم معاوية وقد برزوا للقتال قال لعمرو بن العاص يا عمرو ألم تزعم انك ما وقعت فى أمر قط الا وخرجت منه قال بلى قال أفلا تخرج مما ترى قال والله لادعونهم ان شئت الى أمر أفرق به جمعهم ويزداد جمعك اليك اجتماعا ان اعطوكه اختلفوا وان منعوكه اختلفوا قال معاوية وماذلك قال عمرو تأمر بالمصاحف فترتفع ثم تدعوهم الى ما فيها فوالله لئن قبله لتفترقن عنه جماعته ولئن رده ليكفرنه أصحابه فدعا معاوية بالمصحف ثم دعا رجلا من أصحابه يقال له ابن هند فنشره بين الصفين ثم نادى الله الله فى دمائنا ودمائكم البقية بيننا وبينكم كتاب الله فلما سمع الناس ذلك ثاروا الى على فقالوا قد اعطاك معاوية الحق ودعاك الى كتاب الله فاقبل منه ورفع صاحب معاوية المصحف وهو يقول بيننا وبينكم هذا المصحف ثم تلى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) ثم نادى من الفارس من الروم فقال الاشعث والله لا نأتى هذه أبدا ونرضى معك أو نقاتل معك وتابعه أشراف أهل اليمن وركنوا الى الصلح وكرهوا القتال

﴿ ماتكلم به عبدالله بن عمرو وأهل العراق ﴾

قال وذكروا ان معاوية دعا عبدالله بن عمرو بن العاص فأمره ان يكلم أهل العراق فأقبل عبدالله بن عمرو حتى اذا كان بين الصفين نادى يا أهل العراق انا عبدالله ابن عمرو بن العاص انه قد كانت بيننا وبينكم أمور للدين والدنيا فان تك للدين فقد والله اسرفنا واسرفتم وان تك للدنيا فقد والله اعذرنا واعذرتم وقد دعونا كم لامر لو دعوتمونا اليه اجبنا كم فان يجمعنا واياكم الرضا فذلك من الله والا فاغتنموا هذه الفرجة

لعل الله ان ينعش بها الحي و ينسي بها القتيل فان بقاء المقلد بعد الهالك قليل فقال علي لسعيد بن قيس اجب الرجل وقد كان عبدالله بن عمرو قاتل يوم صفين بسيفين وكان من حجته أن قال أمرني رسول الله ان أطيع أبي فتقدم سعيد بن قيس حتى اذا كان بين الصفين نادى يا أهل الشام انه كانت بيننا و بينكم أمور حامينا فيها على الدين والدنيا وقد دعوتمونا الى ماقاتلنا كم عليه أمس ولم يكن له ليرجع أهل العراق الى عراقهم ولا أهل الشام الى شامهم بأمر أجمل منه فان يحكم فيه بما انزل الله فالامر في ايدينا والا فنحن نحن وأنتم أنتم وان الناس ثاروا الى علي عند كلام عبدالله بن عمرو فقالوا أجب القوم الى مادعوك اليه فانا دعونا عثمان الى مادعاك القوم اليه فابى فقاتلناه فبعث علي الاشعث الى أهل الرايات يأمرهم ان ينقضوها و يرجعوا الى رحالهم حتى يبرموا رأيهم

﴿ ماخاطب به عتبة بن أبي سفيان الاشعث بن قيس ﴾

قال وذكروا ان معاوية دعا عتبة فقال له آلن الى الاشعث كلاما فانه ان رضي بالصلح رضيت به العامة فخرج عتبة حتى اذا وقف بين الصفين نادى الاشعث فأتاه فقال عتبة أيها الرجل ان معاوية لو كان لاقيا احدا غيرك وغير علي لقيك انك رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن ومن قد سلف اليه من عثمان ماقد سلف من الصهر والعمل ولست كاصحابك اما الاشتر فقتل عثمان واما عدي فحض واما سعيد بن قيس فقلد عليا دينه واما شريح بن هانئ وزحر بن قيس فلا يعرفان غير الهوى وانت فحاميت عن أهل العراق تكرما وحاربت أهل الشام حمية وقد والله بلغنا منك ماأردنا و بلغت منا ماأردت وانا لا ندعوك الى مالا يكون منك من تركك عليا ولا نصرة معاوية ولكنا ندعوك الى البقية التي فيها صلاحك وصلاحنا

﴿ فتكلم الاشعث ﴾

فقال ياعتبة اما قولك ان معاوية لا يلقى الا عليا فلو لقيني مازاد ولا عظم في عيني ولا صغرت عنه وان أحب ان أجمع بينه و بين علي لافعلن وأما قولك اني رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن فالرأس الامير والسيد المطاع وهاتان لعلي وأما

ماسلف الى من عثمان فوالله مازادنى صهره شرفا ولا عمله غنى واما عيبك أصحابى فان هذا الامر لا يقربك منى واما محاماتى عن العراق فمن نزل بيننا حميناه وأما البقية فلسنا بأحوج منها اليكم

﴿كتاب معاوية الى على رضى الله عنهما﴾

قال وذكروا أن عليا اظهر انه مصبح معاوية للقتال فبلغ ذلك معاوية ففزع أهل الشام فانكسروا لذلك فقال معاوية لعمرو انى قد رأيت رأيا ان أعيد الى على كتابا أسأله فيه الشام فضحك عمرو ثم قال أين أنت يامعاوية من جرعة على فقال معاوية ألسنا بنى عبد مناف فقال بلى ولكن لهم النبوة دونكم فان شئت ان تكتب فاكتب فكتب معاوية الى على أما بعد فانى اظنك ان لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وان كنا قد غلبنا على عقولنا فلنا منها ما نذم به ما مضى ونصلح ما بقى وقد كنت سألتك أن لا يلزمنى لك طاعة ولا بيعة فابيت ذلك على فاعطانى الله ما منعت وانى أدعوك الى ما دعوتك اليه أمس فانك لا ترجوا من البقاء الا ما ارجوا ولا تخاف من الفناء الا ما أخاف وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل الا فضل لا يستذل به عزيز ولا يسترق به حر

﴿جوابه﴾

فلما انتهى كتابه الى على دعا كاتبه عبيد الله بن رافع فقال اكتب أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر انك لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا واياك فى غاية لم نبلغها بعد وأما طلبك الى الشام فانى لم أكن اعطيك اليوم ما منعتك أمس وأما استواؤنا فى الخوف والرجاء فانك لست أمضى على الشك منى على اليقين وليس أهل الشام بأحرص من أهل العراق على الآخرة وأما قولك انا بنى عبد مناف فكذلك ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبى طالب ولا المهاجر كالطليق ولا المحق كالمبطل وفى أيدينا فضل النبوة التى قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام فلما أتى معاوية الكتاب أقرأه عمرا فشمت به عمرو ولم يكن أحد أشد تعظيما لعلى من عمرو بن العاص بعد يوم مبارزته فقال معاوية لعمرو قد علمت ان اعظامك لعلى لما فضحك قال عمرو لم يفتضح امرؤ

بارز عليا واعـا افتضح من دعاه الى البراز فلم يجبه

﴿ اختلاف أهل العراق فى الموادعة ﴾

قال وذكروا أنه لما عظم الامر واستمر القتال قال له رأس من أهل العراق ان هذه الحرب قد أكلتنا واذهبت الرجال والرأى الموادعة وقال بعضهم لا بل نقاتلهم اليوم على ماقاتلناهم عليه أمس وكانت الجماعة قد رضيت الموادعة وجنحت الى الصلح والمسالمة فقام على خطيبا فقال أيها الناس انه لم أزل من أمرى على ما أحب حتى قد حتكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وهى لعدوكم أنهك وقد كنت بالامس أميرا فأصبحت اليوم مأمورا وكنت ناهيا فأصبحت اليوم منهيا فليس لى أن أحملكم على ماتكرهون

(مارد كردوس بن هانئ على على)

قال وذكروا أن كردوس بن هانئ قام فقال أيها الناس انه والله ماتولينا معاوية منذ تبرأنا منه ولا تبرأنا من على منذ توليناه وان قتيلنا لشهيد وان حينا لفائز وان عليا على بينة من ربه وما أجاب القوم الا انصافا وكل محق منصف فمن سلم له نجا ومن خالفه هوى

(ماقاله سفيان بن ثور)

قال وذكروا أن سفيان بن ثور قال أيها الناس انا دعونا أهل الشام الى كتاب الله فردوه علينا فقاتلناهم وانهم دعونا الى كتاب الله فان رددناه عليهم حل لهم منا ماحل لنا منهم ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ورسوله وان عليا ليس بالراجع الناكص وهو اليوم على ما كان عليه أمس وقد أكلتنا هذه الحرب ولا نرى البقاء الا فى الموادعة

﴿ ماقال حريث بن جابر ﴾

ثم قام حريث بن جابر فقال أيها الناس ان عليا لو كان خلوا من هذا الامر لكان المرجع اليه فكيف وهو قائده وسابقه وانه والله ماقبل من القوم اليوم الا الامر الذى دعاهم اليه أمس ولو رده عليهم كنتم له أعيب ولا يلحد فى هذا الامر الا راجع على عقبيه او مستدرج مغرور وما بيننا وبين من طعن علينا الا السيف

﴿ ماقال خالد بن معمر ﴾

ثم قام خالد بن معمر فقال يا أمير المؤمنين انا والله ما أخرنا هذا المقام أن يكون أحد أولى به منا ولكن قلنا أحب الامور الينا ما كفينا مؤنته فاما اذا استغنينا فانا لا نرى البقاء الا فيما دعاك القوم اليه اليوم ان رأيت ذلك وان لم تره فرأيك أفضل

﴿ ما قال الحصين بن المنذر ﴾

ثم قام الحصين بن المنذر وكان أحدث القوم سناً فقال أيها الناس انما بنى هذا الدين على التسليم فلا تدفعوه بالقياس ولا تهدموه بالشبهة وانا والله لو انا لا نقبل من الامور الا ما نعرف لاصبح الحق فى الدنيا قليلا ولو تركنا وما نهوى لاصبح الباطل فى ايدينا كثيراً وان لنا راعياً قد حمدنا وِرده وصدره وهو المأمون على ما قال وفعل فان قال لا قلنا لا وان قال نعم قلنا نعم

﴿ ماقال عثمان بن حنيف ﴾

ثم قام عثمان بن حنيف وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عاملا لعلى على البصرة وكان له فضل فقال أيها الناس اتهموا رأيكم فقد والله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية يوم أبى جندل وانا لنريد القتال انكارا للصلح حتى ردنا عنه رسول الله وان أهل الشام دعوا الى كتاب الله اضطراراً فأجبناهم اليه اعذاراً فلسنا والقوم سواء انا والله ما عدلنا الحى بالحى ولا القتيل بالقتيل ولا الشامى بالعراقى ولا معاوية بعلى وانه لأمر منعه غير نافع واعطاؤه غير ضائر وقد كلت البصائر التى كنا نقاتل بها وقد حمل الشك اليقين الذى كنا نؤل اليه وذهب الحياء الذى كنا نمارى به فاستظلوا فى هذا الفيء واسكنوا فى هذه العافية فان قلتم نقاتل على ما كنا نقاتل عليه أمس هيهات هيهات ذهب والله قياس أمس وجاء غد فاعجب علياً قوله وافتخرت به الانصار ولم يقل احد باحسن من مقالته

﴿ ماقال عدى بن حاتم ﴾

ثم قام عدى بن حاتم فقال أيها الناس انه والله لو غير على دعانا الى قتال أهل الصلاة ما اجبناه ولا وقع بأمر قط الا ومعه من الله برهان وفى يديه من الله سبب وانه وقف عن عثمان بشبهة وقاتل أهل الجمل على النكث وأهل الشام على البغى فانظروا

فى أموركم وأمره فان كان له عليكم فضل فليس لكم مثله فسلموا له والا فنازعوا عليه والله لئن كان الى العلم بالكتاب والسنة انه لاعلم الناس بهما ولئن كان الى الاسلام انه لاخو نبي الله والرأس فى الاسلام ولئن كان الى الزهد والعبادة لانه أظهر الناس زهدا وانهكهم عبادة ولئن كان الى العقول والنحائز انه لاشد الناس عقلا واكرمهم نحيزة ولئن كان الى الشرف والنجدة انه لاعظم الناس شرفا ونجدة ولئن كان الى الرضى لقد رضي به المهاجرون والانصار فى شورى عمر رضى الله عنهم و بايعوه بعد عثمان ونصروه على أصحاب الجمل وأهل الشام فما الفضل الذى قربكم الى الهدى وما النقص الذى قربه الى الضلال والله لو اجتمعتم جميعا على أمر واحد لاتاح الله له من يقاتل لامر ماض وكتاب سابق فاعترف أهل صفين لعدى بن حاتم بعد هذا المقام ورجع كل من تشعب على على رضى الله عنه

﴿ ماقال عبد الله بن حجل ﴾

ثم قام عبد الله بن حجل فقال يا أمير المؤمنين انك أمرتنا يوم الجمل بأمور مختلفة كانت عندنا أمرا فقبلناها بالتسليم وهذه مثل تلك الامور ونحن أولئك أصحابك وقد أكثر الناس فى هذه القضية وأيم الله ما المكثر المنكر بأعلم بها من المقل المعترف وقد أخذت الحرب بأنفاسنا فلم يبق الا رجاء ضعيف فان تجب القوم الى ما دعوك اليه فأنت أولنا ايمانا وآخرنا بنبي الله عهدا وهذه سيوفنا على أعناقنا وقلوبنا بين جوانحنا وقد اعطيناك بقيتنا وشرحت بالطاعة صدورنا ونفدت فى جهاد عدوك بصيرتنا فأنت الوالى المطاع ونحن الرعية الاتباع أنت أعلمنا بربنا واقربنا بنبينا وخيرنا فى ديننا وأعظمنا حقا فينا فسدد رأيك نتبعك واستخر الله تعالى فى أمرك واعزم عليه برأيك فانت الوالى المطاع قال فسر على كرم الله وجهه بقوله واثنى خيرا

﴿ ثم قام صعصعة بن صوحان ﴾

فقال يا أمير المؤمنين انا سبقنا الناس اليك يوم قدوم طلحة والزبير عليك فدعانا حكيم الى نصرة عاملك عثمان بن حنيف فأجبناه فقاتل عدوك حتى أصيب فى قوم من بنى عبد قيس عبدوا الله حتى كانت أكفهم مثل أكف الابل وجباههم مثل ركب

المعز فاسر الحى وسلب القتيل فكنا أول قتيل وأسير ثم رأيت بلاءنا بصفين وقد كلت البصائر وذهب الصبر و بقى الحق موفوراوأنت بالغ بهذا حاجتك والامر اليك ماأراك الله فرنابه

﴿ ماقال المنذر بن الجارود ﴾

ثم قام المنذر بن الجارود فقال يا أمير المؤمنين انى أرى أمر الايدين له الشام الا بهلاك العراق ولا يدين له العراق الا بهلاك الشام ولقد كنا نرى أن مازادنا نقصهم ومانقصنا أضرهم فاذا فى ذلك أمران فان رأيت غيرك ففينا والله مايغل به الحد و يرد به الكلب وليس لنا معك ايراد ولا صدر

﴿ ماقال الاحنف بن قيس ﴾

ثم قام الاحنف بن قيس فقال يا أمير المؤمنين ان الناس بين ماض و واقف وقائل وساكت وكل فى موضعه لحسن وانه لو يكل الآخر عن الاول لم يقل شيئا الا ان يقول اليوم ماقد قيل أمس ولكنه حق يقضى ولم نقاتل القوم لنا ولا لك انما قاتلناهم لله فان حال أمر الله دوننا ودونك فاقبله فانك أولى بالحق وأحقنا بالتوفيق ولا أرى الا القتال

(ماقال عمير بن عطارد)

ثم قام عمير بن عطارد فقال يا أمير المؤمنين ان طلحة والزبير وعائشة كانوا أحب الناس الى معاوية وكانت البصرة أقرب الينا من الشام وكان القوم الذين وثبوا عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا من الذين وثبوا عليك من أصحاب معاوية اليوم فوالله مامنعنا ذلك من قتل المحارب وعيب الواقف فقاتل القوم انا معك

﴿ ماقال على رضى الله عنه بعده ﴾

ثم قام على خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انه قد بلغ بكم و بعدوكم ماقد رأيتم ولم يبق منهم الا آخر نفس وان الامور اذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغوا منكم ما بلغوا وانا غاد عليهم بنفسى بالغداة فأحاكمهم بسيفى هذا الى الله

﴿ نداء أهل الشام واستغاثتهم عليا رضى الله عنه ﴾

قال فلما بلغ معاوية قول على دعا عمرو بن العاص فقال له يا عمر و انما هى الليلة

حتى يغدو علينا على بنفسه فسا ترى قال عمرو ان رجالك لا يقومون لرجاله ولا أنت
ولا أنا لا تقوم له انت تقاتله على أمر ويقاتلك على غيره وأنت تريد البقاء وعلى
يريد الفناء وليس يخاف أهل الشام من على ما يخاف منك أهل العراق وان هلكتم
ولكن ادعهم الى كتاب الله فانك تقضي منه حاجتك قبل أن ينشب مخلبه فيك فأمر
معاوية أهل الشام أن ينادوهم فنادوا فى سواد الليل نداء معه صراخ واستغاثة يقولون
يا أبا الحسن من لذرارينا من الروم ان قتلتنا الله الله البقيا كتاب الله بيننا وبينكم
فاصبحوا وقد رفعوا المصاحف على الرماح وقلدوها أعناق الخيل والناس على
راياتهم قد اصبحوا للقتال

﴿ ما أشار به عدى بن حاتم ﴾

فقام عدى بن حاتم فقال يا أمير المؤمنين ان أهل الباطل لا تعوق لأهل الحق
وقد جزع القوم حين تأهبت للقتال بنفسك وليس بعد الجزع الا ما تحب ناجز القوم

﴿ ما قال الاشتر وأشار به ﴾

ثم قال الاشتر فقال يا أمير المؤمنين ما أجبناك لدنيا ان معاوية لا خلف له من رجاله
ولكن بحمد الله الخلف لك ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا نصرتك فاقرع
الحديد بالحديد واستعن بالله

﴿ ماقال عمرو بن الحمق ﴾

ثم قام عمرو بن الحمق فقال يا أمير المؤمنين ما أجبناك لدنيا ولا نصرناك على باطل
ما أجبناك الا الله تعالى ولا نصرناك الا للحق ولو دعانا غيرك الى ما دعوتنا اليه لكثر
فيه اللجاج وطالت له النجوى وقد بلغ الحق مقطعه وليس لنا معك رأى

﴿ ماقال الاشعث بن قيس ﴾

ثم قام الاشعث بن قيس فقال يا أمير المؤمنين انا لك اليوم على ما كنا عليه أمس
ولست أدرى كيف يكون غداً وما القوم الذين كلموك بأحمد لاهل العراق منى ولا باوتر
لاهل الشام منى فأجب القوم الى كتاب الله فانك أحق به منهم وقد أحب الله البقيا

﴿ ماقال عبد الرحمن بن حارث ﴾

ثم قام عبد الرحمن بن حارث فقال يا أمير المؤمنين امض لامر الله ولا يستخفنك
الذين لا يوقنون أحكم بعد حكم وأمر بعد أمر مضت دماؤنا ودماؤهم ومضى حكم الله

علينا وعليهم

﴿ مارآه على كرم الله وجهه ﴾

قال فقال على الى قول الاشعث بن قيس وأهل اليمن فأمر رجلا ينادى انا قد اجبنا معاوية الى مادعانا اليه فأرسل معاوية الى على ان كتاب الله لا ينطق ولكن تبعث رجلا منا ورجلا منكم فيحكمان بما فيه فقال على قد قبلت ذلك

﴿ ما قال عمار بن ياسر ﴾

فلما أظهر على أنه قد قبل ذلك قام عمار بن ياسر فقال يا أمير المؤمنين أما والله لقد أخرجها اليك معاوية بيضاء من أقر بها هلك ومن أنكرها هلك مالك يا أبا الحسن اشككتنا فى ديننا ورددتنا على اعقابنا بعد مائة ألف قتلوا منا ومنهم أفلا كان هذا قبل السيف وقبل طلحة والزبير وعائشة وقد دعوك الى ذلك فابيت وزعمت أنك أولى بالحق وان من خالفنا منهم ضال حلال الدم وقد حكم الله تعالى فى هذا المال ماقد سمعت فان كان القوم كفاراً مشركين فليس لنا ان نرفع السيف عنهم حتى يفيؤا الى أمر الله وان كانوا أهل فتنة فليس لنا ان نرفع السيف عنهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله والله ما أسلموا ولا أدوا الجزية ولا فاؤا الى أمر الله ولا طفئت الفتنة فقال على والله انى لهذا الامر كاره

﴿ قتل عمار بن ياسر ﴾

قال فلما رد على على عمار انه كاره للقضية وانه ليس من رأيه نادى عمار أيها الناس هل من رائح الى الجنة فخرج اليه خمسمائة رجل منهم أبو الهيثم وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فاستسقى عمار الماء فأتاه غلام له بأداوة فيها لبن فلما رآه سر وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « آخر زادك لبن » ثم قال عمار اليوم ألقى الاحبة محمداً وحزبه ثم حمل عمار وأصحابه فالتقى عليه رجلان فقتلاه واقبلا برأسه الى معاوية يتنازعان فيه كل يقول انا قتلته فقال لهما عمرو بن العاص والله ان تتنازعان الا فى النار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية فقال معاوية قبحك الله من شيخ فما تزال تزلق فى قولك أونحن قتلناه انما قتله الذين جاؤا به ثم التفت الى أهل الشام فقال انما نحن الفئة الباغية التى تبغى دم عثمان فلما قتل عمار اختلط الناس حتى ترك أهل الرايات مراكزهم وأقحم أهل الشام وذلك من

آخر النهار وتفرق الناس عن علي فقال عدي بن حاتم والله يا أمير المؤمنين ما ابقت هذه الواقعة لنا ولا لهم عميدا فقاتل حتى يفتح الله تعالى لك فان فينا بقية فقال علي يا عدي قتل عمار بن ياسر قال نعم فبكى علي وقال رحمك الله يا عمار استوجب الحياة والرزق الكريم كم تريدون ان يعيش عمار وقد نيف على التسعين

﴿ هزيمة أهل الشام ﴾

ثم اقبل الاشتر جريحا فقال يا أمير المؤمنين خيل كخيل ورجال كرجال ولنا الفضل الى ساعتنا هذه فعد الى مكانك الذي كنت فيه فان الناس انما يطلبون حيث تركوك وان عليا دعا بفرسه التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا ببغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء ثم تعصب بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء ثم نادى من يبع نفسه اليوم يربح غدا يوم له ما بعده وان عدوكم قد قدح كما قدحتم فانتدب له ما بين عشرة آلاف الى اثني عشر ألفا واضعي سيوفهم على عواتقهم وتقدموا الحمل على والناس حملة واحدة فلم يبق لاهل الشام صف الا أغمد حتى افضى الامر الى معاوية وعلي يضرب بسيفه ولا يستقبل أحد الا ولى عنه فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فلما وضع رجله في الركاب نظر الى عمرو بن العاص فقال له يا بن العاص اليوم صبر وغدا فخر قال صدقت فترك الركوب وصبر وصبر القوم معه الى الليل فبات الناس يتحارسون وكرهوا القتال وهو اليوم الذي فيه البلاء العظيم يوم قتل عمار وكل يظن ان الدائرة عليه وأسرف الفريقان في القتل ولم يكن في الاسلام بلاء ولا قتل أعظم منه في تلك الثلاثة الايام وان علياً نادى بالرحيل في جوف الليل فلما سمع معاوية رضي الله عنه رغاء الابل دعا عمرو بن العاص فقال ماترى ههنا قال عمرو أظن الرجل هاربا فلما أصبحوا اذا علي وأصحابه الى جانبهم قد خالطوهم فقال معاوية كلا زعمت يا عمرو انه هارب فضحك وقال من فعلاته والله فعندها أيقن معاوية بالهلكة ونادى أهل الشام كتاب الله بيننا وبينكم ويومئذ استبان ذل أهل الشام ورفعوا المصاحف ثم ارتحلوا فاعتصموا بجبل منيف وصاحوا الا ترد كتاب الله يا أبا الحسن فانك اولى به منا واحق من أخذ به

﴿ ماقال الاشعث بن قيس ﴾

قال فاقبل الاشعث بن قيس فى اناس كثير من أهل اليمن فقالوا لعلى لا ترد ما دعاك القوم اليه قد انصفك القوم والله لئن لم تقبل هذا منهم لا وفاء معك ولا نرمى معك بسهم ولا حجر ولا نقف معك موقفا

﴿ ما قال القراء ﴾

قال فلما سمع على قول الاشعث و رأى حال الناس قبل القضية واجاب الى الصلح وقام الى على اناس وهم القراء منهم عبدالله بن وهب الراسبى فى اناس كثير قد اخترطوا سيوفهم و وضعوها على عواتقهم فقالوا لعلى اتق الله فانك قد اعطيت العهد واخذته منا لنفنين انفسنا أو لنفنين عدونا أو يفئ الى امر الله وانا نراك قد ركنت الى أمر فيه الفرقة والمعصية لله والذل فى الدنيا فانهض بنا الى عدونا فلنحاكمه الى الله بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا و بينهم وهو خير الحاكمين لا حكومة الناس

﴿ ما قال عثمان بن حنيف ﴾

ثم قام عثمان بن حنيف فقال ايها الناس اتهموا رأيكم فانا والله قد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو رأينا قتالا قاتلنا وذلك فى الصلح الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين أهل مكة فامض على القضية واتهم هذا الصلح

﴿ ما قال الاشتر وقيس بن سعد ﴾

قال فانكرها الاشتر وقيس بن سعد وكانا أشد الناس على على فيها قولا فكان الذين عملوا فى الصلح الاشعث بن قيس وعدى بن حاتم وشريح بن هانئ وعمرو بن الحمق و زحر بن قيس ومن أهل الشام زيد بن أسد ومخارق بن الحارث وحمزة ابن مالك فلما رأى ذلك أبو الاعور قام الى معاوية فقال يا امير المؤمنين ان القوم لم يجيبوا الى ما دعوناهم اليه حتى لم يجدوا من ذلك بدا وانهم ان ينصرفوا العام يعودوا فى قابل فى سنة يبرأ الجريح و ينسى القتيل وقد اخذت الحرب منا ومنهم غير انهم اختلفوا على على ولم يختلف عليك أحد والخلاف أشد من القتل ناجز القوم فقال بشر بن ارطاة والله ان الشام خير من العراق لعلى ومافى يدك لك ومافى يد على لاصحابه دونه فان كنت انما سألت المدة لاعداد العدة وانتظار المدد فنعم وان كنت سألتها بفضا للحرب و بقيا على أهل الشام فلا

﴿ ذكر الاتفاق على الصلح وارسال الحكمين ﴾

قال وذكروا أن معاوية قال لاصحابه حين استقامت المدة ولم يسم الحكمين من ترون عليا يختار فاما نحن فصاحبنا عمرو بن العاص قال عتبة بن أبى سفيان أنت أعلم بعلى منا فقال معاوية ان لعلى خمسة رجال من ثقاته منهم عدى بن حاتم وعبد الله بن عباس وسعد بن قيس وشريح بن هانئ والاحنف بن قيس وأنا أصفهم لك أما عباس فانه لا يقوى وأما عدى بن حاتم فيرد عمرا سائلا ويسأله مجيبا وأما شريح بن هانئ فلا يدع لعمرو حياضا وأما الاحنف بن قيس فبديهته كرويته وأما سعد بن قيس فلو كان من قريش بايعته العرب ومع هذا ان الناس قد ملوا هذه الحرب ولم يرضوا الا رجلا له تقية وكل هؤلاء لا تقية لهم ولكن انظروا أين أنتم من رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تأمنه أهل الشام وترضى به أهل العراق فقال عتبة ذلك أبو موسى الاشعرى

﴿ اختلاف أهل العراق فى الحكمين ﴾

قال وذكروا ان عليا لما استقام رأيه على أن يرسل عبد الله بن عباس مع عمرو ابن العاص قام اليه الاشعث بن قيس وشريح بن هانئ وعدى بن حاتم وسعد ابن قيس ومعهم أبو موسى الاشعرى فقالوا يا أمير المؤمنين هذا أبو موسى الاشعرى وافد أهل اليمن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب مغانم أبى بكر وعامل عمر بن الخطاب وقد عرضنا على القوم بن عباس فزعموا أنه قريب القرابة منك ضنين فى أمرك وايم الله لو لقيت به عمرا لاخذ بصره وغم صدره ولكن الناس قد رضوا برجل يثق أهل العراق وأهل الشام بتقيته فتكلم شبيب بن ربعى فقال انا والله ان خفنا على أبى موسى من عمرو مالا يخافه اهل الشام على عمرو من أبى موسى فلعل ما خفناه لا يضرنا ولعل مارجوا لا ينفعهم فان قلت فى أبى موسى ضعف فضعفه وتقاه خير من قوة عمرو وفجوره فاغلق به البلاء وافتح به العافية ثم تكلم ابن الكواء فقال يا أمير المؤمنين انك أجبت الله فأجبناك ولكنا نقول الله بيننا وبينك ان كنت تخشى من أبى موسى عجزا فشر من أرسلت الخائن العاجز ولست تحتاج من عقله الا الى حرف واحد ان لا يجعل حقك لغيرك فيدرك حاجته منك

واعلم أن معاوية طليق الاسلام وان أباه رأس الاحزاب وانه ادعى الخلافة من غير مشورة فان صدقك فقد حل خلعه وان كذبك فقد حرم عليك كلامه وان ادعى ان عمر وعثمان استعملاه فقد صدق استعمله عمر وهو الوالى بمنزلة الطبيب من المريض يحميه مايشتهى ويوجره مايكره ثم استعمله عثمان وما كان من استعماله ثم لم يدع الخلافة ومهما نسيته فلا تنس ان عليا بايعه الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان وانها بيعة هدى ولم يقاتل الا عاصيا أو ناكثا فقال أبوموسى رحمك الله أما والله انى لواقف عند ماأرى ولرضاء الله تعالى أحب الى من رضاء الناس وما أنا وأنت الا بالله تعالى

﴿ ماقال أهل الشام لاهل العراق ﴾

قال وذكروا ان أهل الشام قالوا لاهل العراق اعطونا رجالا نسميهم لكم يكونون شهودا على مايقوله صاحبنا وصاحبكم بيننا وبينكم صحيفة فقال على سموا من أحببتم فسموا ابن عباس والاشعث بن قيس وزياد بن كعب وشريح بن هانئ وعدى بن حاتم وحجر بن عدى وعبدالله بن الطفيل وسفيان بن ثور وعروة بن عامر وعبدالله بن حجر وخالد بن معمر وطلب أهل العراق من اهل الشام عتبة بن أبى سفيان وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد ويزيد بن أسيد وابا الاعور والحصين ابن نمير وحمزة بن مالك وبسر بن أرطاة والنعمان بن بشير ومخارق بن الحارث فلما سمى اهل العراق رجال اهل الشام وسمى أهل الشام رجال اهل العراق قال معاوية أين يكون هذين الرجلين فرضى الناس أن يكونا بدومة الجندل

﴿ ماقال الاحنف بن قيس لعلى ﴾

قال فلما لم يبق الا الكتاب قال الاحنف بن قيس لعلى يا أمير المؤمنين ان أباموسى رجل يمانى وقومه مع معاوية فابعثنى معه فوالله لايحل لك عقدة الا عقدت لك أشد منها فان قلت انى لست من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابعث ابن عباس وابعثنى معه

﴿ ماقال على كرم الله وجهه ﴾

فقال على ان الانصار والقراء أتونى بأبى موسى فقالوا ابعث هذا فقد رضيناه ولا نريد سواه والله بالغ أمره

﴿ الاختلاف فى كتاب صحيفة الصلح ﴾

قال فوضع النـاس السلاح والتقوا بين العسكرين فلما جئ بالكتاب قال علي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هـذا ماتقاضى عليه على بن أبى طالب أمير المؤمنين ومعـاوية بن أبى سفيان فقـال معاوية على م قاتلناك اذ كنت امير المؤمنين اكتب على بن أبى طالب فقـال الاشعث اطرح هذا الاسم فانه لا يضرك فضحك على ثم قال دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين صده المشركون عن مكة فقـال يا على اكتب هذا ماتقاضى عليه محمد رسول الله ومشركو قريش فقـال سهيل بن عمرو لقد ظلمناك اذا يا محمد ان قاتلناك وأنت رسول الله ولـكن اكتب اسمك واسم ابيك فقـال صلى الله عليه وسلم اكتب محمد بن عبد الله وانى رسول الله وكنت اذا أمرنى بشىء رسول الله صلى الله علية وسلم أسرعت واذا قال مشركو قريش أبطأت به واذا كتبت شيئا قال نبي الله امحها فتعاظمنى ذلك فدعا بمقراض فقرضته وكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماتقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان فقـال أبو الاعور أو معـاوية وعلى فقال الاشعث لا لعمر الله ولكن نبدأ باولهما ايمـانا وهجرة وادناهما من القلبة فقـال معاوية قدموا أو أخروا واتفاضوا على ان عليا ومن معه من شيعته من أهل العراق ومعـاوية ومن معه من أهل الشام انا نتزل عند حكم الله وكتابه من فاتحته الى خاتمته مااحيا القرآن أحييناه وما أمات القرآن امتناه فلما لم يجد عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص فى القرآن حكما بمـا يجدان فى السنة العادلة غير المفرقة وعلى على ومعـاوية وتبيعتهما وضع السلاح الى انقضاء هذه المدة وهى من رمضان الى رمضان وعلى ان عبد الله بن قيس وعمرا آمنان على دمائهما وأموالهما وحريمهما والامة على ذلك أنصار وعليهما مثل الذى أخذا ان يقضيا بمـا فى كتاب الله تعالى ومالم يجدا فى كتاب الله قضيا بمـا يجدان فى السنة وعليهما ان لا يؤخرا أمرهما عن هذه المدة فان أحبا ان لا يقولا قبل انقضائها فلهما أن يقولا عن تراض منهما على أن يرجع اهل العراق الى العراق واهل الشام الى الشام فيكون الاجتماع الى دومة الجندل فان رضيا ان يجتمعا بغيرها

فلهما ذلك ولهما ان لايحضرها الا من أحبا ولا يشهدا الا من أرادا وهؤلاء النفر من أهل العراق واهل الشام ضامنون بالوفاء الى هذه المدة فكتب أهل العراق بهذا كتابا لاهل الشام وكتب أهل الشام كتابا بهذا لاهل العراق بخط عمرو بن عبادة كاتب معاوية وشهد شهود أهل الشام على أهل العراق وشهد شهود أهل العراق على اهل الشام فلما كتب الكتابان أقبل رجل من بنى يشكر على فرس له أبلق حتى وقف بين الصفين على على فقال ياعلى أكفر بعد اسلام ونقض بعد توكيد وردة بعد معرفة أنا من صحيفتكما برىء وممن أقر بها برىء ثم حمل على اصحاب معاوية فطعن فيهم حتى اذا عطش أتى عسكر على فاستسقى فسقى ثم حمل على عسكر على فطعن فيهم حتى اذا عطش أتى عسكر معاوية فاستسقى فسقى

﴿ ماوصى به شريح بن هانىء أباموسى ﴾

قال وذكروا أن شريح بن هانىء اخذ بيد أبى موسى فقال ياابا موسى انك نصبت لامر لايجبر صدعه ولا تستقال فلتته ومهما تقل من شىء لك أو عليك يثبت حقه ويزيل باطله انه لا بقاء لاهل العراق ان ملكها معاوية ولا بأس لاهل الشام ان ملكها على فانظر فى ذلك نظر من يعرف هذا الامر حقا

﴿ ماوصى به الاحنف بن قيس أباموسى ﴾

قال ثم جاء الاحنف بن قيس فأخذ بيده ثم قال ياابا موسى اعرف خطب هذا المسير واعلم ان لك ما بعده وانك ان ضيعت العراق فلاعراق لك فاتق الله فانك تجمع بذلك دنيا واخرى اذا لقيت عمرا غدا فلا تبادره بالسلام فليس من اهله ولا تعطيه يدك فانها امانة واياك ان تقعد على صدر الفراش فانها خدعة ولا تلقه وحدك واياك ان يكلمك فى بيت فيه مخدع يخبأ لك فيه رجالا وان لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلى فخيره ان يختار أهل العراق رجلا من قريش أهل الشام من شاؤا فانهم ان يولوا الخيار يختاروا من يريدون فان أبى فلتختار أهل الشام من قريش أهل العراق من شاؤا فان فعلوا كان الامر بيننا

﴿ ماقال معاوية لعمرو ﴾

قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو ان اهل العراق اكرهوا عليا على أبى موسى وانا وأهل الشام راضون بك وارجو فى دفع هذه الحرب قوة لاهل الشام وفرقة لاهل العراق وامدادا لاهل اليمن وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأى وله على ذلك دين وفضل فدعه يقول فاذا هو قال فاصمت واعلم ان حسن الرأى زيادة فى العقل ان خوفك العراق نخوفه بالشام وان خوفك مصر نخوفه باليمن وان خوفك علياً نخوفه بمعاوية وان أتاك بالجميل فاته بالجميل قال عمرو يا أمير المؤمنين أقلل الاهتمام بما قبلى وارج الله تعالى فيما وجهتنى له انك من أمرك على مثل حد السيف لم تنل فى حربك ما رجوت ولم تأمن ما خفت ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيرا وقد ذكرت لابى موسى ديناً وان الدين منصور أرأيت ان ذكر عليا وجاءنا بالاسلام والهجرة واجتماع الناس عليه ما أقول فقال معاوية قل ما تريد وترى قال فانصرف عمرو الى منزله فقال لاصحابه هل ترون ما أراد معاوية من تصغير أبى موسى قالوا لا قال عرف انه خادعه غدا

﴿ ماقال شرحبيل لعمرو ﴾

قال وأتى شرحبيل بن السمط الى عمرو فقال يا عمرو انك رجل قريش وان معاوية لم يبعثك الا لثقته بك واعلم انك لم تؤت من عجز وقد علمت ان وطأة هذا الامر لصاحبك ولك فكن عند ظننا بك

﴿ اجتماع أبى موسى وعمرو ﴾

قال وذكروا ان أباموسى وعمرا لما اجتمعا بدومة الجندل وحضرهما من يليهما من العرب ليستمعوا قول الرجلين فلما التقيا استقبل عمرو أباموسى فاعطاه يده وضم عمرو أباموسى الى صدره فقال يا أخى قبح الله أمرا فرق بيننا ثم أقعد أباموسى على صدر الفراش وأقبل عليه بوجهه والناس مجتمعون فلم يزالا حتى تفرقا ومكثا أياما يلتقيان فى أمرهما سرا وجهرا وأقبل الاشعث بن قيس وكان من أحرص الناس على اتمام الصلح والراحة من الحرب فقال يا هذان انا قد كرهنا هذه الحرب فلا ترداها الينا فانها مرة الرضاع والفطام فكفاها بما شئتما

﴿ ماقال سعيد بن قيس للحكمين ﴾

قال فاقبل سعيد بن قيس وكان من النصحاء لعلى كرم الله وجهه فقال أيها الرجلان انى أراكما قد أبطأتما بهذا الامر حتى أيس القوم منكما فان كنتما اجتمعتما على خير فاظهراه نسمعه ونشهد عليه وان كنتما لم تجتمعا رجعنا الى الحرب

﴿ ماقال عدى بن حاتم لعمرو ﴾

قال وذكروا ان عديا قال لعمرو أما والله ياعمرو انك لغير مأمون الغناء وانك ياأبا موسى لغير مأمون الضعف وما ننتظر بالقول منكما الا أن تقولا والله مالكما مع كتاب الله ايراد ولا اصدار فقال أبو موسى كفوا عنا فانا انما نقول فيما بقى ولسنا نقول فيما مضى

﴿ ماقال عمرو لابى موسى ﴾

قال وذكروا ان عمرا غدا على أبى موسى فقال ياأباموسى قد عرفت حال معاوية فى قريش وشرفه فى بنى عبد مناف وانه ابن هند وابن أبى سفيان فما ترى فقال أبو موسى أما معاوية فليس باشرف فى قريش من على ولو كان هذا الامر على شرف الجاهلية كان أخوال ذى أصبح ولكننى أرى وترى وباعده أبو موسى ثم غدا عليه عمرو فقال ياأبا موسى ان قال قائل ان معاوية من الطلقاء وأبوه رأس الاحزاب لم يبايعه المهاجرون والانصار فقد صدق واذا قال أن عليا آوى قتلة عثمان وقتل أنصاره يوم الجمل وبرز على أهل الشام بصفين فقد صدق وفينا وفيكم بقية وان عادت الحرب ذهب مابقى فهل لك ان تخلعهما جميعا وتجعل الامر لعبد الله بن عمر فقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبسط فى هذه الحرب يدا ولا لسانا وقد علمت من هو مع فضله وزهده وورعه وعلمه فقال أبو موسى جزاك الله بنصيحتك خيرا وكان أبو موسى لا يعدل بعبد الله بن عمر احدا لمكانه من رسول الله صلى الله علية وسلم ومكانه من أبيه لفضل عبد الله فى نفسه وافترقا على هذا الامر واجتمع رأيهما على ذلك ثم ان عمرا غدا على أبى موسى بالغدو جماعة الشهود فقال ياأباموسى ناشدتك الله تعالى من أحق بهذا الامر من أوفى أو من غدر قال أبو موسى من أوفى قال عمرو ياأباموسى نشدتك الله تعالى ماتقول فى عثمان قال أبو موسى قتل مظلوما قال عمرو فما الحكم فيمن قتل قال أبو موسى يقتل

بكتاب الله تعالى قال فمن يقتله قال أولياء عثمان قال فان الله يقول فى كتابه العزيز (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) قال فهل تعلم ان معاوية من أولياء عثمان قال نعم قال عمرو للقوم اشهدوا قال أبو موسى للقوم اشهدوا على ما يقول عمرو ثم قال أبو موسى لعمرو قم يا عمرو فقل وصرح بما اجتمع عليه رأيى ورأيك وما اتفقنا عليه فقال عمرو سبحان الله أقوم قبلك وقد قدمك الله قبلى فى الايمان والهجرة وانت وافد أهل اليمن الى رسول الله ووافد رسول الله اليهم وبك هداهم الله وعرفهم شرائع دينه وسنة نبيه وصاحب مغانم أبى بكر وعمر ولكن قم انت فقل ثم أقوم فاقول فقام أبو موسى فحمد الله واثنى عليه ثم قال أيها الناس ان خير الناس للناس خيرهم لنفسه وانى لا أهلك دينى بصلاح غيرى ان هذه الفتنة قد أكلت العرب وانى رأيت وعمرا ان نخلع عليا ومعاوية ونجعلها لعبد الله بن عمر فانه لم يبسط فى هذه الحرب يدا ولا لسانا ثم قام عمرو فقال أيها الناس هذا أبو موسى شيخ المسلمين وحكم أهل العراق ومن لا يبيع الدين بالدنيا قد خلع عليا وأثبت معاوية فقال أبو موسى مالك عليك لعنة الله ما أنت الا كمثل الكلب تلهث فقال عمرو لكنك مثل الحمار يحمل اسفارا واختلط الناس فقالوا والله لو اجتمعنا على هذا ما حولتما نا عما نحن عليه وما صلحكما بلازمنا وانا اليوم على ما كنا عليه أمس ولقد كنا ننظر الى هذا قبل ان يقع وما أمات قولكما حقا ولا أحيا باطلا ثم تشاتم أبو موسى وعمرو ثم انصرف عمرو الى معاوية ولحق أبو موسى بمكة وانصرف القوم الى على فقال عدى أما والله يا أمير المؤمنين لقد قدمت القرآن وأخرت الرجال وجعلت الحكم لله فقال على أما انى قد أخبرتكم ان هذا يكون بالامس وجهدت أن تبعثوا غير أبى موسى فابيتم على ولا سبيل لحرب القوم حتى تنقضى المدة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قم يا حسن فتكلم فى أمر هذين الرجلين أبى موسى وعمرو فقام الحسن فتكلم فقال أيها الناس قد أكثرتم فى أمر أبى موسى وعمرو وانما بعثا ليحكما بالقرآن دون الهوى فحكما بالهوى دون القرآن فمن كان هكذا لم يكن حكما ولكنه محكوم عليه وقد كان من خطأ أبى موسى أن جعلها لعبد الله بن عمر فاخطأ فى ثلاث خصال خالف يعنى أبا موسى أباه عمر اذ لم يرضه لها ولم يره أهلا لها وكان أبوه

أعلم به من غيره ولا ادخله فى الشورى الا على انه لاشىء له فيها شرطا مشروطا من عمر على أهل الشورى فهذه واحدة وثانية لم تجمع عليه المهاجرون والانصار الذين يعقدون الامامة ويحكمون على الناس وثالثة لم يستأمر الرجل فى نفسه ولا علم ماعنده من رد أو قبول ثم جلس ثم قال على لعبد الله بن عباس قم فتكلم فقام عبد الله بن عباس وقال أيها الناس ان للحق اناسا اصابوه بالتوفيق والرضا والناس بين راض به وراغب عنه وانما سار أبوموسى بهدى الى ضلال وسار عمرو بضلال الى هدى فلما التقيا رجع أبوموسى عن هداه ومضى عمرو على ضلاله فوالله لو كانا حكما عليه بالقرآن لقد حكما عليه ولئن كانا حكما بهواهما على القرآن ولئن مسكا بما سارا به لقد سار أبوموسى وعلى امامه وسار عمرو ومعاوية امامه ثم جلس فقال على لعبد الله بن جعفر قم فتكلم فقام وقال أيها الناس هذا أمر كان النظر فيه لعلى والرضا فيه الى غيره جئتم بأبى موسى فقلتم قد رضينا هذا فارض به وايم الله ما أصلحا بما فعلا الشام ولا أفسدا العراق ولا اماتا حق على ولا أحييا باطل معاوية ولا يذهب الحق قلة رأى ولا نفخة شيطان وانا لعلى اليوم كما كنا أمس عليه ثم جلس

﴿ كتاب ابن عمر الى أبى موسى ﴾

قال وذكروا ان عبد الله بن عمر لما بلغه ما كان من رأى أبى موسى كتب اليه اما بعد يا أبا موسى فانك تقربت الى بامر لم تعلم هواى فيه اكنت تظن انى ابسط يدا الى أمر نهانى عنه عمر أوكنت ترانى اتقدم على على وهو خير منى لقد خبت اذا وخسرت وما أنا من المهتدين فأغضبت بقولك وفعلك على عليا ومعاوية ثم أعظم من ذلك خديعة عمرو اياك وأنت حامل القرآن ووافد أهل اليمن الى نبى الله وصاحب مقاسم أبى بكر وعمر فقدمك عمرو للقول مخادعا حتى خلعت عليا قبل ان تخلع معاوية ولعمرى مايجوز لك على على ماجاز لعمرو على معاوية ولا ماجاز لنا عليه ولا كرهنا مارضيت واردت ان الحاكم بما حكم الله بين الناس ولم تبلغ من خطيئتك عنده ماغير أمرك فى خلاف هواه فلما أتى أباموسى كتاب ابن عمر كتب اليه أما بعد فانى والله ما أردت بتوليتى اياك و يبعى لك القربة اليك ما أردت بذلك الا الله عز وجل وأما تقلدى أمر هذه الامة غير

مستكره فانهم كانوا على مثل حد السيف فقلت الى سنة محيا وممات ان يصطلحوا فهو الذى اردت والالم يرجعوا الى أعظم مما كانوا عليه واما اغضابى عليك عليا ومعاوية فقد غضبا عليك قبل ذلك وأما خديعة عمرو اياى فوالله ماضر بخديعته عليا ولا نفع معاوية وقد كان الشرط ما اجتمعنا عليه لا مااختلفنا فيه وأما نهيي اليك فوالله لوتم الامر لا كرهت عليه

﴿كتاب معاوية الى أبى موسى﴾

قال وذكروا ان معاوية كتب الى ابى موسى بعد الحكومة وهو بمكة أما بعد فاكره من أهل العراق ما كرهوا منك واقبل الى الشام فانى خير لك من على والسلام

﴿جوابه﴾

فكتب اليه أبوموسى أما بعد فانه لم يكن منى فى على الا ما كان من عمرو فيك غير أنى أردت بما صنعت وجه الله وأراد عمرو بما صنع ما عندك وقد كان بينى وبينه شروط عن تراض فلما رجع عمرو رجعت وأما قولك ان الحكمين اذا حكما على امر فليس للمحكوم عليه ان يكون بالخيار انما ذاك فى الشاة والبعير وأما فى أمر هذه الامة فليست تساق الى ماتكره ولن تذهب بين عجز عاجز ولا كيد كائد ولا خديعة فاجر وأما دعاؤك اياى الى الشام فليس لى بدل ولا ايثار عن قبر ابن ابراهيم ابى الانبياء

﴿كتاب على الى أبى موسى﴾

قال وذكروا انه لما بلغ عليا كتاب ابى موسى رق له واحب ان يضمه اليه أما بعد فانك امرؤ ضللك الهوى واستدرجك الغرور فاستقل الله يقلك عثرتك فانه من استقال الله أقاله ان الله يغفر ولا يغير وأحب عباده اليه المتقون والسلام فلما انتهى كتاب على الى أبى موسى هم ان يرجع ثم قال لاصحابه انى امرؤ غلب على الحياء ولا يستطيع هذا الامر رجل فيه حياء

(جوابه)

فكتب أبو موسى الى على أما بعد فلولا انى خشيت ان يؤل منع الجواب الى اعظم مما فى نفسك لم أجبك لانه ليس عذر ينفعنى ولا عذر يمنعنى منك واما التزامى مكة فانى استنسرت الى أهل الشام وانقطعت من أهل العراق وأصبت اقواماً صغروا

من ذنبي ماأعظمتم وعظموا من حتى ماصغرتم فأقمت بين أظهرهم اذلم يكن لى منكم ولى ولا نصير

﴿ ذكر قيام الخوارج على على بن أبى طالب كرم الله وجهه ﴾

قال وذكروا انه لما كان من الحكمين ما كان لميت الخوارج بعضها بعضا فاجتمعوا فى منزل عبدالله بن وهب الراسبي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ماينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن و ينسبون الى حكم القرآن ان تكون هذه الدنيا آثر عندهم من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق وان ضر ومر فانه ان يضر و يمر فى هذه الدنيا فان ثوابه يوم القيامة رضوان الله وخلود الجنة فاخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها الى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدعة المضلة والاحكام الجائرة فقال حرقوص بن زهير ان المتاع بهذه الدنيا قليل وان الفراق لها وشيك فلا تدعوكم زينتها و بهجتها الى المقام بها ولا تلو ينكم عن طلب الحق وانكار الظلم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون يافوم ان الرأى ماقد رأيتم والحق ماقد ذكرتم فكلوا أمركم رجلا منكم فانه لابد لكم من عماد وسند ومن راية تحفون حولها وترجعون اليها ثم اجتمعوا فى منزل زفر بن حصين الطائى فقالوا ان الله أخذ عهودنا ومواثيقنا على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق والجهاد فى تقويم السبيل وقد قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام « ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد » وقال « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » فاشهدوا على أهل دعوتنا أن قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم القرآن وجاروا فى الحكم والعمل وان جهادهم على المؤمنين فرض واقسم بالذى تعنوله الوجوه وتخشع دونه الابصار لولم يكن أحد على تغيير المنكر وقتال القاسطين مساعدا لقاتلتهم وحدى فرداً حتى ألقى الله ربى فيرى انى قد غيرت ارادة رضوانه بلسانى ياإخواننا اضربوا جباههم ووجوههم بالسيف حتى يطاع الرحمن عز وجل فان يطع الله كما أردتم أثابكم ثواب المطيعين له الآمرين بأمره وان قتلتم فأى شىء أعظم من المسير الى رضوان الله وجنته واعلموا أن هؤلاء القوم خرجوا

لاقضاء حكم الضلالة فاخرجوا بنا الى بلد نتعد فيه الاجتماع من مكاننا هذا فانكم قد أصبحتم بنعمة ربكم وأنتم أهل الحق بين الخلق اذ قلتم بالحق وصمدتم لقول الصدق فاخرجوا بنا الى المدائن نسكنها فنأخذ بأبوابها ونخرج منها سكانها ونبعث الى اخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا فقال زيد بن حصين الطائي ان المدائن بها قوم يمنعونكم منها ويمنعونها منكم ولكن اكتبوا الى اخوانكم من أهل البصرة فاعلموهم بخروجكم وسيروا أنتم على المدائن فتنزلوا بجسر النهروان قالوا هذا هو الرأى فاجتمعوا على ذلك وكتبوا الى اخوانهم من أهل البصرة أما بعد فان أهل دعوتنا حكموا الرجال فى أمر الله ورضوا بحكم القاسطين على عباده فخالفناهم ونابذناهم نريد بذلك الوسيلة الى الله وقد قعدنا بجسر النهروان وأحببنا اعلامكم لتأخذوا بنصيبكم من الاجر والسلام

﴿ الجواب ﴾

فكتبوا اليهم أما بعد فقد بلغنا كتابكم وفهمنا ماذكرتم وقد وهبنا لكم الرأى الذى جمعكم الله عليه من الطاعة واخلاص الحكم لله واعمالكم أنفسكم فيما يجمع الله به كلمتكم وقد أجمعنا على المسير اليكم عاجلاً وكان بدء خروجهم انهم اجتمعوا فى منزل حرقوص بن زهير ليلة الخميس فقالوا متى أنتم خارجون قالوا الليلة القابلة من يوم الجمعة فقال لهم حرقوص بل أقيموا ليلة الجمعة تتعبدوا لربكم وأوصوا فيها بوصايا كم ثم أخرجوا ليلة السبت مثنى ووحدانا لا يشعر بكم

﴿ خطبة على كرم الله وجهه ﴾

قالوا فلما خرج جميع الخوارج وتوافوا الى النهروان قام على بالكوفة على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان معصية العالم الناصح تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم فى هذين الرجلين وفى هذه الحكومة بأمرى فأبيتم الا ماأردتم فأحييا ماأمات القرآن وأماتا ماأحيى القرآن واتبع كل واحد منهما هواه يحكم بغير حجة ولا سنة ظاهرة واختلفا فى أمرهما وحكمهما فكلاهما لم يرشد الله فبرئ الله منهما ورسوله وصالحوا المؤمنين فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير ثم أصبحوا فى معسكركم يوم الاثنين بالنخيلة وانما حكمنا من حكمنا ليحكما بالكتاب فقد علمتم انهما حكما بغير الكتاب

و بغير السنة و والله لا غزونهم ولو لم يبق أحد غيرى لجاهدتهم وأعطى الناس العطاء وهم بالجهاد

﴿ كتاب على كرم الله وجهه للخوارج ﴾

قالوا فاجمع رأى على والناس على المسير الى معاوية بصفين فتجهز معاوية وخرج حتى نزل بصفين وأصبح على قد تجهز وعسكر فقيل له يا أمير المؤمنين انه قد افترقت منا فرقة فذهبت قال فكتب اليهم على أما بعد فان هذين الرجلين الخاطئين الحاكمين اللذين ارتضيتم حكمين قد خالفا كتاب الله واتبع هواهما بغير هدى من الله فلم يعملا بالسنة ولم ينفذا للقرآن حكما فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين اذ بلغكم كتابنا هذا فاقبلوا الينا فانا سائرون الى عدونا وعدوكم ونحن على الامر الذى كنا عليه والسلام قال فكتبوا اليه أما بعد فانك لم تغضب لله انما غضبت لنفسك والله لا يهدى كيد الخائنين قال فلما رأى على كتابهم أيس منهم ورأى ان يدعهم ويمضى بالناس الى معاوية وأهل الشام فيناجزهم فقام على خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان من ترك الجهاد وداهن فى أمر الله كان على شفا هلكة الا ان يتداركه الله برحمته فاتقوا الله عباد الله قاتلوا من حاد الله وحاول ان يطفىء نور الله قاتلوا الخاطئين القاتلين لاولياء الله المحرفين لدين الله الذين ليسوا بقراء للكتاب ولا فقهاء فى الدين ولا علماء بالتأويل ولا لهذا الامر بأهل فى دين ولا سابقة فى الاسلام و والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بعمل كسرى وقيصر فسيروا وتأهبوا للقتال وقد بعثت لاخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم فاذا قدموا واجتمعتم شخصنا ان شاء الله

﴿ كتاب على الى ابن عباس ﴾

قالوا وكان على قد كتب الى ابن عباس والى أهل البصرة أما بعد فانا أجمعنا على المسير الى عدونا من أهل الشام فأشخص الى من قبلك من الناس وأقم حتى آتيك والسلام

﴿ ماقال ابن عباس الى أهل البصرة ﴾

فلما قدم كتاب على على ابن عباس قرأه على الناس ثم أمرهم بالشخوص مع الاحنف بن قيس فشخص معه منهم ألف وخمسمائة رجل فاستقبلهم ابن عباس فقام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا أهل البصرة قد جاءنى كتاب أمير المؤمنين يأمرنى

باشخاصكم فامرتكم بالمسير اليه مع الاحنف بن قيس فلم يشخص اليه منكم الا ألف وخمسمائة وأنتم فى الديوان ستون ألفا سوى أبنائكم وعبدانكم ومواليكم ألا فانفروا ولا يجعل امرؤ على نفسه سبيلا فانى موقع بكل من وجدته تخلف عن دعوته عاصيا لامامه حزناً يعقب ندما وقد أمرت أبا الاسود بحشدكم فلا يلم امرؤ جعل السبيل على نفسه الا نفسه

﴿ ماقال على كرم الله وجهه لاهل الكوفة ﴾

قال فحشد أبو الاسود الناس بالبصرة فاجتمع اليه ألف وسبعمائة فاقبل هو والاحنف بن قيس حتى وافيا عليا بالنخيلة فلما رأى على انه انما قدم عليه من أهل البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل جمع اليه رؤساء الناس وامراء الاجناد ووجوه القبائل فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة أنتم اخوانى وانصارى واعوانى على الحق ومجيبى الى جهاد المحلين بكم اضرب المدبر وارجو اتمام طاعة المقبل وقد بعثت الى أهل البصرة فاستنفرتهم فلم يأتنى منهم غير ثلاثة آلاف ومائتين فاعينونى بمناصحة سمحة خلية من الغش وانى آمركم ان يكتب الى رئيس كل قوم منكم مافى عشيرته من المقاتلة وابنائهم الذين ادركوا القتال والعبدان والموالى وارفعوا ذلك الى ننظر فيه ان شاء الله فقام سعد بن قيس الهمدانى فقال يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة وودا ونصيحة انا أول الناس وأول من اجابك بما سألت وطلبت ثم قام عدى بن حاتم وحجر بن عدى وأشراف القبائل فقالوا نحن كذلك ثم كتبوا ورفعوا الى على فكان جميع مارفعوا اليه أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفا من الابناء وثمانية آلاف من عبيدهم ومواليهم وكانت العرب يومئذ سبعة وخمسين ألفا من أهل الكوفة ومن مماليكهم ومواليهم ثمانية آلاف ومن أهل البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل فقام على فيهم خطيبا فقال أما بعد فقد بلغنى قولكم لو ان أمير المؤمنين سار بنا الى هذه الخارجة التى خرجت علينا فبدأنا بهم الا ان غير هذه الخارجة أهم على أمير المؤمنين سيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا فى الارض جبارين ملوكا ويتخذهم المؤمنون أربابا ويتخذون عباد الله خولا ودعوا ذكر الخوارج قال فنادى الناس من كل

جانب سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت فنحن حزبك وانصارك نعادى من عاداك ونشايع من أناب اليك والى طاعتك فسر بنا الى عدوك كائنا من كان فانك لن تؤتى من قلة ولا ضعف فان قلوب شيعتك كقلب رجل واحد فى الاجماع على نصرتك والجد فى جهاد عدوك فابشر يا أمير المؤمنين بالنصر واشخص الى أى الفريقين أحببت فانا شيعتك التى ترجو فى طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب من الله وتخاف من الله فى خذلانك والمختاف عنك شديد الوبال

﴿ ماقال على رضى الله عنه فى الخثعمى ﴾

فبايعوه على التسليم والرضاء وشرط عليهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل من خثعم فقال له على بايع على كتاب الله وسنة نبيه قال لا ولكن أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وسنة أبى بكر وعمر فقال على ومايدخل سنة أبى بكر وعمر مع كتاب الله وسنة نبيه انما كانا عاملين بالحق حيث عملا فأبى الخثعمى الا سنة أبى بكر وعمر وأبى على ان يبايعه الا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال له حيث ألح عليه تبايع قال لا الا على ماذكرت لك فقال له على أما والله لكانى بك قد نفرت فى هذه الفتنة وكانى بحوافر خيلى قد شدخت وجهك فلحق بالخوارج فقتل يوم النهروان قال قبيصة فرأيته يوم النهروان قتيلا قد وطأت الخيل وجهه وشدخت رأسه ومثلت به فذكرت قول على وقلت لله در أبى الحسن ماحرك شفتيه قط بشىء الا كان كذلك

﴿ اجماع على للذهاب الى صفين ﴾

فاجمع على والناس على المسير الى صفين وتجهز معاوية حتى نزل صفين فلما خرج على بالناس عبر الجسر ثم مضى حتى نزل دير أبى موسى على شاطىء الفرات ثم أخذ على الانبار وان الخارجة التى خرجت على على بينماهم يسيرون فاذاهم برجل يسوق امرأته على حمار له فعبروا اليه الفرات فقالوا له من أنت قال انا رجل مؤمن قالوا فما تقول فى على ابن أبى طالب قال أقول انه أمير المؤمنين وأول المسلمين ايمانا بالله ورسوله قالوا فما اسمك قال أنا عبد الله بن خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له افزعناك قال نعم قالوا لا روع عليك حدثنا عن أبيك بحديث سمعه من رسول الله لعل

الله أن ينفعنا به قال نعم حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ستكون فتنة بعدي يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسي مؤمنا ويصبح كافرا فقالوا لهذا الحديث سألناك والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحدا فأخذوه وكتفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل فسقطت رطبة منها فأخذها بعضهم فقذفها في فيه فقال له أحدهم بغير حل أو بغير ثمن أكلتها فالقاها من فيه ثم اخترط بعضهم سيفه فضرب به خنزيرا لاهل الذمة فقتله قال له بعض أصحابه ان هذا من الفساد في الارض فلقي الرجل صاحب الخنزير فارضاه من خنزيره فلما رأى منهم عبد الله بن خباب ذلك قال لئن كنتم صادقين فيما أرى ما على منكم بأس والله ما أحدثت حدثا في الاسلام واني لمؤمن وقد أمنتموني وقلتم لا روع عليك فجاؤا به وبامرأته فاضجعوه على شفير النهر على ذلك الخنزير فذبحوه فسال دمه في الماء ثم أقبلوا الى امرأته فقالت انما انا امرأة أما تتقون الله قال فبقروا بطنها وقتلوا ثلاثة نسوة فيهم أم سنان قد صحبت النبي عليه السلام فبلغ عليا خبرهم فبعث اليهم الحارث بن مرة لينظر فيما بلغه من قتل عبد الله بن خباب والنسوة ويكتب اليه بالامر فلما انتهى اليهم ليسائلهم خرجوا اليه فقتلوه فقال الناس يا أمير المؤمنين تدع هؤلاء القوم وراءنا يخلفونا في عيالنا وأموالنا سر بنا اليهم فاذا فرغنا منهم نهضنا الى عدونا من أهل الشام

﴿ مسير علي الى الخوارج وما قال لهم ﴾

قال فسار علي ومن معه حتى نزلوا المدائن ثم خرج حتى أتى النهروان فبعث اليهم ان ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم ثم أنا فارقكم وأكف عنكم حتى ألقى اهل الشام فبعثوا اليه انا كلنا قتلناهم وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم ثم أتاهم علي فوقف عليهم فقال أيتها العصابة اني نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم الامة غدا وأنتم صرعى بازاء هذا النهر بغير برهان ولا سنة ألم تعلموا اني نهيتكم عن الحكومة وأخبرتكم ان طلب القوم لها مكيدة وأنبأتكم ان القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن واني اعرف بهم منكم قد عرفتهم أطفالا وعرفتهم رجالا فهم شر رجال وشر اطفال وهم أهل المكر والغدر وانكم ان فارقتموني ورأيي جانبتم الخير والحزم فعصيتموني واكرهتموني حتى حكمت

فلما ان فعلت شرطت واستوثقت وأخذت على الحكمين ان يحييا ما أحيي القرآن وان يميتا ما امات القرآن فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة وعملا بالهوى فنبذنا امرهم ونحن على أمرنا الاول فانبأكم ومن أين اتيتم قالوا له انا حيث حكمنا الرجلين اخطأنا بذلك وكنا كافرين وقد تبنا من ذلك فان شهدت على نفسك بالكفر وتبت كما تبنا واشهدنا فنحن معك ومنك والا فاعتزلنا وان ابيت فنحن منابذوك على سواه فقال على ابعد ايمانى بالله وهجرتى وجهادى مع رسول الله ابوء واشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين ويحكم بم استحللتم قتالنا والخروج من جماعتنا ان اختار الناس رجلين فقالوا لهما انظرا بالحق فيما يصلح العامة ليعزل رجل ويوضع آخر مكان آخر احل لكم ان تضعوا سيوفكم على عواتقكم تضربون بها هامات الناس وتسفكون دماءهم ان هذا هو الخسران المبين قال فتنادوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيأوا للقاء الحرب الرواح الرواح الى الجنة

﴿ قتل الخوارج ﴾

قال فرجع على فعبأ اصحابه فجعل على الميمنة حجر بن عدى وعلى الميسرة شبث بن ربعى وعلى الخيل أبا أيوب الانصارى وعلى الرجالة أبا قتادة وعلى أهل المدينة وهم ثمانمائة رجل من الصحابة قيس بن سعد بن عبادة ووقف على فى القلب فى مضر قال ثم رفع لهم راية امان مع ابى أيوب الانصارى فناداهم ابو أيوب من جاء منكم الى هذه الراية فهو آمن ومن دخل المصر فهو آمن ومن انصرف الى العراق ومن خرج من هذه الجماعة فهو آمن فانه لا حاجة لنا فى سفك دمائكم قال وقدم الخيل دون الرجالة وصف الناس صفين وراء الخيل وصف الرماة صفا امام صف وقال لاصحابه كفوا عنهم حتى يبدؤكم قال واقبلت الخوارج حتى اذا دنوا من الناس نادوا الاحكم الا الله ثم نادوا الرواح الرواح الى الجنة قال وشدوا على أصحاب على شدة رجل واحد والخيل امام الرجال فاستقبلت الرماة وجوههم بالنبل فخمدوا قال الثعلبي لقد رأيت الخوارج حين استقبلتهم الرماح والنبل كأنهم معز اتقت المطر بقرونها ثم عطفت الخيل عليهم من الميمنة والميسرة ونهض على فى القلب بالسيوف والرماح فلا والله ما لبثوا فواقا حتى صرعهم

الله كأنما قيل لهم موتوا فماتوا قال وأخذ على ما كان فى عسكرهم من كل شىء فأما السلاح والدواب فقسمه على بيننا وأما المتاع والعبيد والاماء فانه حين قدم الكوفة رده على أهله قال ولما أراد على الانصراف من النهروان قام خطيباً فحمد الله ثم قال اما بعد فان الله قد احسن بلاءكم واعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى معاوية واشياعه القاسطين الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون فقالوا يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت اذرعنا وتقطعت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا فارجع بنا بأحسن عدتنا ولعل امير المؤمنين يزيد فى عدتنا عدة فان ذلك أقوى لنا على عدونا فأقبل على بالناس حتى نزل بالنخيلة فعسكر بها وامر الناس ان يلزموا معه عسكرهم ويوطنوا انفسهم على الجهاد وان يقلوا من زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسيروا الى عدوهم من أهل الشام فأقاموا معه اياما ثم رجعوا يتسللون ويدخلون الكوفة ويتلذذون بنسائهم وابنائهم ولذاتهم حتى تركوا عليا وما معه الا نفر من وجوه الناس يسير وترك العسكر خاليا

﴿ خطبة على كرم الله وجهه ﴾

قال فقام على على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس استعدوا للمسير الى عدو فى جهاده القربة الى الله ودرك الوسيلة عنده فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى به وكيلا ثم تركهم اياما ودعا رؤساءهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذى ثبطهم فمنهم المعتل ومنهم المتكره واقلهم من نشط فقال لهم على عباد الله مالكم اذا أمرتكم ان تنفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا ورضيتم بالذل والهوان من العز خلفا كلما ناديتكم الى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت فى سكرة وكانت قلوبكم قاسية فأنتم لا تعقلون وكأن ابصاركم كمه فأنتم لا تبصرون لله أنتم ما انتم الا اسود رواعة وثعالب رواغة عند الناس تكادون ولا تكيدون وتنتقص أطرافكم فلا تحاشون وأنتم فى غفلة ساهون ان أخا الحرب اليقظان أما بعد فان لى عليكم حقا ولكم على حقا أما حقكم على فالنصيحة فى ذات الله وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا وأما

حقى عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لى فى الاجابة حين ادعوكم والطاعة حين آمركم فان يرد الله بكم خيراً تنزعوا عما أكره وترجعوا الى ما أحب تنالوا بذلك ما تحبون وتدركوا ما تأملون أيها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة اهواؤهم ماعزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم كلامكم يوهى الصم وفعلكم يطمع فيكم عدوكم اذا أمرتكم بالمسير قلتم كيت وكيت اعاليل بأضاليل هيهات لا يدرك الحق الا بالجد والصبر أى دار بعد داركم تمنعون ومع أى امام بعدى تقاتلون المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب اصبحت لا أطمع فى نصرتكم ولا اصدق قولكم فرق الله بينى و بينكم واعقبنى بكم من هو خير لى وأعقبكم بعدى من هو شر لكم منى أما انكم ستلقون بعدى ذلا شاملا وسيفا قاتلا وأثرة يتخذها الظالمون بعدى عليكم سنة تفرق جماعتكم وتبكى عيونكم وتدخل الفقر بيوتكم تمنون والله عندها ان لو رأيتمونى ونصرتمونى وستعرفون ما أقول لكم عما قليل استنفرتكم فلم تنفروا ونصحت لكم فلم تقبلوا وأسمعتكم فلم تعوا فأنتم شهود كأغياب وصم ذوو أسماع اتلو عليكم الحكمة وأعظكم بالموعظة النافعة وأحثكم على جهاد المحلين الظلمة الباغين فما آتى على آخر قولى حتى أراكم متفرقين اذا تركتكم عدتم الى مجالسكم حلقا عزين تضربون الامثال وتناشدون الاشعار تربت أيديكم وقد نسيتم الحرب واستعدادها وأصبحت قلوبكم فارغة عن ذكرها وشغلتموها بالاباطيل والاضاليل ويحكم اغزوا عدوكم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزى قوم قط فى عقر دارهم الا ذلوا وأيم الله ما أظنكم تفعلون حتى يفعل بكم والله لوددت انى قد رأيتهم فلقيت الله على نيتى و بصيرتى فاسترحت من مقاساتكم ومداراتكم ويحكم ما انتم الا كابل جامحة ضل عنها رعاؤها فكلما ضمت من جانب انتشرت من جانب والله لكأنى انظر اليكم وقد حمى الوطيس لقد انفرجتم على انفراج الرأس وانفراج المرأة عن قبلها فقام اليه الاشعث بن قيس الكندى فقال يا أمير المؤمنين افهلا فعلت كما فعل عثمان فقال له على و يلك وكما فعل عثمان رأيتنى فعلت عائذا بالله من شر ما تقول والله ان الذى فعل عثمان لمخزاة على من لا دين له ولا حجة معه فكيف وانا على بينة من ربى والحق معى والله ان امرأ

امكن عدوه من نفسه فنهش عظمه وسفك دمه لعظيم عجزه وضعيف قلبه انت يابن قيس فكن ذلك فأما انا فوالله دون اعطي ذلك ضربا بالمشرفي يطير له فراش الرأس وتطيح منه الاكف والمعاصم وتجد به الغلاصم ويفعل الله بعد ذلك مايشاء والله يا أهل العراق ماأظن هؤلاء القوم من اهل الشام الاظاهرين عليكم فقالوا أبعلم تقول ذلك ياامير المؤمنين فقال نعم والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انى ارى أمورهم قدعلت وارى اموركم قد خبت واراهم جادين في باطلهم واراكم وانين في حقكم وأراهم مجتمعين واراكم متفرقين واراهم لصاحبهم معاوية مطيعين واراكم لى عاصين أما والله لئن ظهروا عليكم بعدى لتجدنهم ارباب سوء كأنهم والله عن قريب قد شاركوكم في بلادكم وحملوا الى بلادهم منكم وكأنى انظر اليكم تكشون كشيش الضباب لاتأخذون لله حقا ولا تمنعون له حرمة وكانى انظر اليهم يقتلون صلحاءكم ويخيفون علماءكم وكأنى انظر اليكم يحرمونكم ويحجبونكم ويدنون الناس دونكم فلوقد رأيتم الحرمان ولقيتم الذل والهوان ووقع السيف ونزل الخوف لندمتم وتحسرتم على تفريطكم في جهاد عدوكم وتذكرتم ماانتم فيه من الخفض والعافية حين لاينفعكم التذكار فقال الناس قدعلمنا ياأمير المؤمنين ان قولك كله وجميع لفظك يكون حقا أترى معاوية يكون علينا أميراً فقال لاتكرهون امرة معاوية فان امرته سلم وعافية فلو مات رأيتم الرؤس تندرعن كهولها كأنها الحنظل وعداً كان مفعولا فاماامرة معاوية فلست أخاف عليكم شرها مابعدها أدهى وامر ثم قام ابو أيوب الانصارى فقال ان أمير المؤمنين اكرمه الله قدأسمع من كانت له اذن واعية وقلب حفيظ ان الله قدأكرمكم به كرامة ماقبلتموها حق قبولها حيث نزل بين أظهركم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير المسلمين وافضلهم وسيدهم بعده يفقهكم في الدين ويدعوكم الى جهاد المحلين فوالله لكانكم صم لاتسمعون وقلوبكم غلف مطبوع عليها فلا تستجيبون عباد الله أليس انما عهدكم بالجور والعدوان أمس وقدشمل العباد وشاع في الاسلام فذوحق محروم ومشتوم عرضه ومضروب ظهره وملطوم وجهه وموطوء بطنه وملقى بالعراء فلما جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحق ونشر العدل وعمل بالكتاب فاشكروا

نعمة الله عليكم ولا تتولوا مجرمين ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اشحذوا السيوف وجددوا آلة الحرب واستعدوا للجهاد فاذا دعيتم فأجيبوا واذا أمرتم فأطيعوا تكونوا بذلك من الصادقين قال ثم قام رجال من أصحاب على فقالوا يا أمير المؤمنين أعط هؤلاء هذه الاموال وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالى ممن تخوف خلافه على الناس وفراقه وانما قالوا له هذا الذى كان معاوية يصنعه بمن أتاه وانما عامة الناس همهم الدنيا ولها يسعون وفيها يكدحون فاعط هؤلاء الاشراف فاذا استقام لك ما تريد عدت الى أحسن ما كنت عليه من القسم فقال على أتأمرونى أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من الاسلام فوالله لا أفعل ذلك مالاح فى السماء نجم والله لو كان لهم مال لسويت بينهم فكيف وانما هى اموالهم فقال رجل يا أمير المؤمنين ان الموت نازل لابد منه فان حل فمن صاحبنا فقال على أحدثك عن خاصة نفسى أما الحسن فصاحب خوان وفتى من الفتيان ولو قد التفت حلقتا البطان لم يغن عنكم فى الحرب حثالة عصفور وأما ابن أخى عبد الله بن جعفر فصاحب لهو وأما الحسين ومحمد ابناى فانا منهم وهما منى والله لقد أحببت ان يدال هؤلاء القوم عليكم باصلاحهم فى ارضهم وفسادكم فى ارضكم وادائهم الامانة لمعاوية وخيانتكم وبطاعتهم له ومعصيتكم لى واجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وايم الله لا يدعو بعدى محرما الا استحلوه ولا يبقى بيت وبر ولا مدر الا أدخلوه ظلمهم حتى يقوم الباكيان منكم باك لدينه وباك لدنياه وحتى تكون نصرة أحدكم كنصرة العبد لسيده اذا شهد أطاعه واذا غاب سبه فقال رجل يا أمير المؤمنين أتظن ذلك كائنا قال ما هو بالظن ولكنه باليقين

﴿ ما كتب على لاهل العراق ﴾

قال فقام حجر بن عدى وعمرو بن الحمق وعبد الله بن وهب الراسبى فدخلوا على على فسألوه عن أبى بكر وعمر ما تقول فيهما وقالوا بين لنا قولك فيهما وفى عثمان قال على كرم الله وجهه أوقد تفرغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتى فيها قد قتلت انى مخرج اليكم كتابا انبئكم فيه ما سألتمونى عنه فاقرأوه على شيعتى فأخرج اليهم كتابا فيه أما

بعد فان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم نذيرا للعالمين وأميناً على التنزيل وشهيدا على هذه الامة وأنتم يامعشر العرب على غير دين وفى شر دار تسفكون دماؤكم وتقتلون أولادكم وتقطعون أرحامكم وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل فمن الله عليكم فبعث محمداً اليكم بلسانكم فكنتم أنتم المؤمنون وكان الرسول فيكم ومنكم تعرفون وجهه ونسبه فعلمكم الكتاب والحكمة والسنة والفرائض وأمركم بصلة الرحم وحقن الدماء واصلاح ذات بينكم وان تؤدوا الامانات الى أهلها وان توفوا بالعهد وان تعاطفوا وتبادروا وتراحموا ونهاكم عن التظالم والتحاسد والتقاذف والتباغى وعن شرب الحرام وعن بخس المكيال والميزان وتقدم اليكم فيما أنزل عليكم ان لا تزنوا ولا تأكلوا أموال اليتامى ظلماً فكل خير يبعدكم عن النار قد حضكم عليه وكل شر يبعدكم عن الجنة قد نهاكم عنه فلما استكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدته من الدنيا توفاه الله وهو مشكور سعيه مرضى عمله مغفور له ذنبه شريف عند الله نزله فيا لموته مصيبة خصت الاقربين وعمت المؤمنين فلما مضى تنازع المسلمون الامر بعده فوالله ما كان يلقى فى روعى ولا يخطر على بالى ان العرب تعدل هذا الامر عنى فما راعنى الا اقبال الناس على أبى بكر واجفالهم عليه فأمسكت يدى ورأيت أنى أحق بمقام محمد فى الناس ممن تولى الامور على فلبثت بذلك ماشاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام يدعون الى محو دين محمد وملة ابراهيم عليهما السلام فخشيت ان لم انصر الاسلام وأهله ان أرى فى الاسلام ثلماً وهدما تكون المصيبة به على أعظم من قوة ولاية أمركم التى انما هى متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب فمشيت عند ذلك الى أبى بكر فبايعته ونهضت معه فى تلك الاحداث حتى زهق الباطل وكانت كلمة الله هى العليا وان رغم الكافرون فتولى أبو بكر رضى الله عنه تلك الامور فيسر وسدد وقارب واقتصد فصحبته مناصحا وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً فلما احتضر بعث الى عمر فولاه فسمعنا وأطعنا وبايعنا وناصحنا فتولى تلك الامور فكان مرضى السيرة ميمون النقيبة أيام حياته فلما احتضر قلت فى نفسى ليس يصرف هذا الامر عنى فجعلها عمر شورى وجعلنى سادس ستة فما كانوا الولاية

أحدمنهم باكره منهم لولايتى لانهم كانوا يسمعوننى وأنا أحاجج أبا بكر فاقول يامعشر قريش أنا أحق بهذا الامر منكم ما كان منا من يقرأ القرآن و يعرف السنة تخشوا ان وليت عليهم ان لا يكون لهم فى هذا الامر نصيب فبايعوا اجماع رجل واحد حتى صرفوا الامر عنى لعثمان فاخرجونى منها رجاء ان يتداولوها حين يئسوا أن ينالوها ثم قالوا الى هلم فبايع عثمان والا جاهدناك فبايعت مستكرها وصبرت محتسبا وقال قائلهم انك يابن أبى طالب على الامر لحريص قلت لهم أنتم أحرص أما أنا اذا طلبت ميراث ابن أبى وحقه وأنتم دخلتم بينى و بينه وتصرفون وجهى دونه اللهم انى أستعين بك على قريش فانهم قطعوا رحمى وصغر واعظيم منزلتى وفضلى واجتمعوا على منازعتى حقاً كنت أولى به منهم ثم قالوا اصبر كمداً وعش متأسفاً فنظرت فاذا ليس معى رفاقة ولا مساعد الا أهل بيتى فضننت بهم عن الهلاك فأغضيت عينى عن القذى وتجرعت ريقى على الشجا وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم طعماً وآلم للقلب من حر الحديد حتى اذا نقمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه ثم جئتمونى تبايعونى فأبيت عليكم وأبيتم على فنازعتمونى ونافستمونى ولم أمد يدى تمنعاً عنكم ثم ازدحمتم على حتى ظننت ان بعضكم قاتل بعض أوانكم قاتلى وقلتم لا نجد غيرك ولا نرضى الا بك فبايعنا لا نفترق ولا نختلف فبايعتكم ودعوتم الناس الى بيعتى فمن بايع طائعا قبلت منه ومن أبى تركته فاول من بايعنى طلحة والزبير ولو أبيا ماأكرهتهما كما لم اكره غيرهما فما لبثا الا يسيراً حتى قيل لى قد خرجا متوجهين الى البصرة فى جيش مامنهم رجل الا وقد أعطانى الطاعة وسمح لى بالبيعة فقاموا على عمالى بالبصرة وخزائن بيوت أموالى وعلى أهل مصر وكلهم فى طاعتى وعلى شيعتى فشتتوا كلمتهم وأفسدوا على جماعتهم ثم وثبوا على شيعتى فقتلوا طائفة منهم غدراً وطائفة صبرا وطائفة عصراً باسيافهم فضاربوهم حتى لقوا الله صابرين محتسبين فوالله لو لم يصيبوا منهم الا رجلا واحدا متعمدين لقتله لحل لى بذلك قتل الجيش كله مع انهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة التى دخلوا عليهم بها فقد ادال الله منهم فبعدا للقوم الظالمين ثم نظرت بعد ذلك فى أهل الشام فاذاهم اعراب وأحزاب وأهل طمع جفاة طغام تجمعوا من كل أوب ممن ينبغى ان يؤدب و يولى عليه و يؤخذ على يديه ليسوا

من المهاجرين والانصار ولا من التابعين باحسان فسرت اليهم ودعوتهم الى الجماعة والطاعة فابوا الاشقاقا ونفاقا ونهضوا فى وجوه المهاجرين والانصار والتابعين باحسان ينضحونهم بالنبل ويشجونهم بالرماح فهنالك نهضت اليهم فقاتلهم فلما عضهم السلاح ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف يدعونكم الى مافيها فنبأتكم انهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وانما رفعوها اليكم خديعة ومكيدة فامضوا على قتالهم فاتهمتمونى وقلتم اقبل منهم فانهم ان أجابوا الى ما فى الكتاب جامعونا على ما نحن عليه من الحق وان أبوا كان أعظم لحجتنا عليهم فقبلت منهم وخففت عنهم وكان صلحى بينهم على رجلين حكمين يحييا ن ما أحيا القرآن ويميتا ن ما أمات القرآن فاختلف رأيهما وتفرق حكمهما ونبذا حكم القرآن وخالفا ما فى الكتاب واتبعا هواهما بغير هدى من الله فجنبهما الله السداد وأهوى بهما فى غمرة الضلال وكانا أهل ذلك فانخذلت عنا فرقة منهم فتركناهم ما تركونا حتى اذا عاثوا فى الارض مفسدين وقتلوا المؤمنين أتيناهم فقلنا لهم ادفعوا الينا قتلة اخواننا فقالوا كلنا قتلهم وكلنا استحللنا دماؤهم ودماءكم وشدت علينا خيلهم ورجالهم فصرعهم الله مصارع القوم الظالمين ثم أمرتكم ان تمضوا من فوركم الى عدوكم فانه أفزع لقلوبهم وانهك لمكرهم وأهتك لكيدهم فقلتم كلت أذرعنا وسيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا فاذن لنا فلنرجع حتى نستعد بأحسن عدتنا واذا رجعت زدت فى مقاتلتنا عدة من هلك منا ومن قد فارقنا فان ذلك قوة منا على عدونا فاقبلتم حتى اذا أطللتم على الكوفة امرتكم ان تلزموا معسكركم وتضموا قواصيكم وتتوطنوا على الجهاد ولا تكثروا زيارة أولادكم ونسائكم فان ذلك يرق قلوبكم ويلويكم وان أصحاب الحرب لا يتوجدون ولا يتوجعون ولا يسأمون من سهر ليلهم ولا من ظمأ نهارهم ولا من خمص بطونهم حتى يدركوا بثارهم وينالوا بغيتهم ومطلبهم فنزلت طائفة منكم معذرة ودخلت طائفة منكم المصر عاصية فلا من نزل معى صبر فثبت ولا من دخل المصر عاد الى ولقد نظرت الى عسكرى وما فيه معى منكم الا خمسون رجلا فلما رأيت ما أتيتم دخلت اليكم فما قدرتم ان تخرجوا معى الى يومكم هذا لله أبائكم فما تنتظرون أما ترون الى أطرافكم قد انتقصت والى مصركم قد افتتحها بالكم تؤفكون الا ان القوم قد اجتمعوا وجدوا وتناصحوا وانكم

تفرقتم واختلفتم وتغاششتم فأنتم ان اجتمعتم تسعدون فايقظوا رحمكم الله نائمكم وتحرز والحرب عدوكم انما تقاتلون الطلقاء وابناء الطلقاء من أسلم كرها وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حربا أعداء السنة والقرآن وأهل الاحزاب والبدع والاحداث ومن كانت بوائقه تتقى وكان عن الدين منحرفا وأكلة الرشا وعبيد الدنيا لقد نمى الى ان ابن الباغية لم يبايع معاوية حتى شرط عليه ان يؤتيه أتاوة هي أعظم مما في يديه من سلطانه فصفرت يد هذا البائع دينه بالدنيا وتربت يد هذا المشترى نصرة غادر فاسق بأموال الناس وان منهم لمن شرب فيكم الخمر وجلد حدا في الاسلام فهؤلاء قادة القوم ومن تركت ذكر مساويه منهم شر واضر وهؤلاء الذين لو ولوا عليكم لاظهروا فيكم الغضب والفخر والتسلط بالجبروت والتطاول بالغضب والفساد في الارض ولاتبعوا الهوى وما حكموا بالرشاد وأنتم على ما فيكم من تخاذل وتواكل خير منهم واهدى سبيلا فيكم الحكماء والعلماء والفقهاء وحملة القرآن والمتهجدون بالاسحار والعباد والزهاد في الدنيا وعمار المساجد وأهل تلاوة القرآن أفلا تسخطون وتنقمون ان ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم والاراذل والاشرار منكم اسمعوا قولي اذا قلت وأطيعوا أمري اذا أمرت واعرفوا نصيحتي اذا نصحت واعتقدوا حزمي اذا حزمت والتزموا عزمي اذا عزمت وانهضوا النهوض وقارعوا من قارعت ولئن عصيتموني لا ترشدوا ولا تجتمعوا خذوا للحرب أهبتها واعدوا لها التهيأ فانها قد وقدت نارها وعلا سناها وتجرد لكم الظالمون كيما يطفئوا نور الله ويقهر وكم عباد الله الا أنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والجفاء بأولى في الجد في غيهم وضلالهم وباطلهم من أهل النزاهة والحق والاخبات بالجد في حقهم وطاعة ربهم ومناصحة امامهم اني والله لو لقيتهم وحيدا منفردا وهم في أهل الارض ان باليت بهم أو استوحشت منهم اني في ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة ويقين وبينة من ربي واني للقاء ربي لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر راج ولكن أسفا يعتريني وجزعا يريبني من ان يلي هذه الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذون مال الله دولا وعباد الله خولا والصالحين حربا والقاسطين حزبا وأيم الله لولا ذلك ما أكثرت تأليبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم فوالله اني لعلى الحق واني للشهادة لمحب أنا نافر بكم

ان شاء الله فانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ان الله مع الصابرين

﴿ مقتل على عليه السلام ﴾

قال المدائنى حج ناس من الخوارج سنة تسع وثلاثين وقد اختلف عامل على وعامل معاوية فاصطلح الناس على شيبب بن عثمان فلما انقضى الموسم أقام النفر من الخوارج مجاورين بمكة فقالوا كان هذا البيت معظما فى الجاهلية جليل الشأن فى الاسلام وقد أنهك هؤلاء حرمته فاوان قوماشروا أنفسهم فقتلوا هذين الرجلين اللذين قد أفسد فى الارض واستحلا حرمة هذا البيت استراحت الامة واختار الناس لهم اماما فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنه الله أنا أكفيكم أمر على وقال الحجاج بن عبد الله الصريمى وهو البرك أنا اقتل معاوية فقال زاذويه مولى بنى العنبر واسمه عمر بن بكر والله ماعمرو بن العاص بدونهما فانا به فتعاقدوا على ذلك ثم اعتمروا عمرة رجب واتفقوا على يوم واحد يكون فيه وقوع القتل منهم فى على ومعاوية وعمرو ثم سار كل منهم فى طريقه فقدم ابن ملجم الكوفة وكتم أمره وتزوج امرأة يقال لها قطام بنت علقمة وكانت خارجية وكان على قد قتل أخاها فى حرب الخوارج وتزوجها على أن يقتل عليا فاقام عندها مدة فقالت له فى بعض الايام وهو مختف لطالما أحببت المكث عند أهلك وأضربت عن الامر الذى جئت بسببه فقال ان لى وقتا واعدت فيه أصحابى ولن اجاوزه فلما كان اليوم الذى تواعدوا فيه خرج عدو الله فقعد لعلى حين خرج لصلاة الصبح صبيحة نهار الجمعة ليلة عشر بقيت من رمضان سنة أربعين فلما خرج على للصلاة وثب عليه وقال الحكم لله لا لك ياعلى وضربه على قرنه بالسيف فقال على فزت ورب الكعبة ثم قال لا يفوتكم الرجل فشد الناس عليه فاخذوه وكان على رضى الله عنه شديد الادمة ثقيل العينين ضخم البطن أصلع ذا عضلات فى أذنيه شعر يخرج منها وكان الى القصر أقرب وكان ابن ملجم يعرض سيفه فاذا أخبر ان فيه عيبا أصلحه فلما قتل عليا قال لقد أحددت سيفى بكذا وكذا وسممته بكذا وضربت به عليا ضربة لوكانت باهل المصر لاتت عليهم وروى عن الحسن أنه قال أتيت أبى فقال لى أرقت الليلة ثم ملكتنى عينى فسنح لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يارسول الله ماذا لقيت من

أمتك من الاود واللدد فقال ادع عليهم فقلت اللهم أبدلنى بهم خيرالى منهم وابدلهم بى شراً لهم منى وخرج الى الصلاة فاعترضه ابن ملجم وأدخل ابن ملجم على على بعد ضربه اياه فقال أطيبوا طعامه وألينوا فراشه فان اعش فأنا ولى دمى اما عفوت واما اقتصصت وان أمت فالحقوه بى ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين قالوا وبكت أم كلثوم وقالت لابن ملجم يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين قال ماقتلت أمير المؤمنين ولكنى قتلت أباك قالت والله انى لارجو أن لا يكون عليه بأس قال ولم تبكين اذا والله لقد أرهفت السيف ونفيت الخوف وجبت الاجل وقطعت الامل وضربت ضربة لو كانت باهل الشرق لاتت عليهم ومكث على يوم الجمعة ويوم السبت وتوفى ليلة الاحد وغسله الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر وكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وصلى عليه الحسن ابنه ودفن فى قصر الامارة بالكوفة وعمى قبره مخافة أن تنبشه الخوارج وقيل انه نقل بعد صلح معاوية والحسن الى المدينة وأخذ ابن ملجم فقطعت يديه ورجليه وأذنيه وانفه وأتوا يقطعون لسانه فصرخ فقيل له قد قطعت منك أعضاء ولم تنطق فلما أتوا يقطعون لسانك صرخت قال انى أذكر الله به فلم يسهل على قطعه ثم قتلوه بعد هذه المثلة وكانت خلافة على أربع سنين وتسعة أشهر وكان عمره ثلاثا وستين سنة وأما البرك فانه انطلق ليلة ميعادهم فقعد لمعاوية فلما خرج لصلاة الصبح شد عليه بسيفه فأدبر معاوية فضرب رانفة اليته ففلقها ووقع السيف فى لحم كثير وأخذ فقال لمعاوية ان لك عندى لخبرا سارا قد قتل الليلة على وحدثه الحديث وعولج معاوية فبرىء وأمر بقتل البرك وقيل ضرب البرك معاوية وهو ساجد فمن ذلك جعل الحرس على رؤس الخلفاء واتخذ معاوية المقصورة وأما الثالث فقصد عمرو بن العاص ليلة الميعاد فلم يخرج تلك الليلة لعلة وجدها فى بطنه وصلى بالناس خارجة بن حزافة العدوى فشد عليه الخارجى وهو يظن انه ابن العاص فقتله وأخذ فأتى به عمرو بن العاص فلما رآه قال ومن المقتول قالوا خارجة فقال أردت عمرا وأراد الله خارجة ثم قال لعمرو بن العاص الحديث وما كان من اتفاقه مع صاحبيه فأمر بقتله فلما قتل على تداعى أهل الشام الى بيعة معاوية وقال له عبد الرحمن بن خالد بن الوليد نحن المؤمنون وأنت أميرنا فبايعوه وهو

بايليا لخمس ليال خلون من شوال سنة أربعين

﴿فصل﴾ روى عن النبي عليه السلام أنه قال ياعلى أندرى من أشقى الاولين والآخرين قال الله ورسوله أعلم قال أشقى الاولين عاقر الناقة وأشقى الآخرين الذى يطعنك ياعلى وأشار الى حيث طعن قال وخرج على فى ليلة قتل وهو يقول

أشد حيازيمك للموت فان الموت لاقيكا
ولاتجزع من الموت اذا حل بواديكا

وقال الشاعر فى قتل ابن ملجم عليا

تضمن للآثام لادر دره ولاقى عقابا غير ماتصرم
فلامهر أغلامن على وان غلا ولافتك الادون فتك ابن ملجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب على بالحسام المصمم

قال هبيرة بن شريم سمعت الحسن رضى الله عنه يخطب فذكر أباه وفضله وسابقته ثم قال والله ماترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشترى بها خادما وجاء رجل من مراد الى على فقال له ياامير المؤمنين احترس فان هنا قوما يريدون قتلك فقال ان لكل انسان ملكين يحفظانه فاذا جاء القدر خلياه قيل ولما ضرب على دعى أولاده وقال لهم عليكم بتقوى الله وطاعته وألا تأسوا على ماصرف عنكم منها وانهضوا الى عبادة ربكم وشمروا عن ساق الجد ولاتثاقلوا الى الارض وتقروا بالخسف وتبوؤا بالذل اللهم اجمعنا واياهم على الهدى وزهدنا واياهم فى الدنيا واجعل الآخرة خيرا لنا ولهم من الاولى والسلام

﴿بيعة الحسن بن على رضى الله عنه لمعاوية﴾

قال وذكروا أنه لما قتل على بن أبى طالب ثار الناس الى الحسن بن على بالبيعة فلما بايعوه قال لهم تبايعون لى على السمع والطاعة وتحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت فلما سمعوا ذلك ارتابوا وامسكوا أيديهم وقبض هو يده فاتوا الحسين فقالوا له ابسط يدك نبايعك على مابايعنا عليه أباك وعلى حرب المحلين الضالين أهل الشام فقال الحسين معاذ الله أن أبايعكم ما كان الحسن حيا قال فانصرفوا الى الحسن فلم يجدو ابدا من

بيعته على ماشرط عليهم فلما تمت البيعة له وأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك كاتب معاوية فاتاه فخلا به فاصطلح معه على ان لمعاوية الامامة ما كان حياً فاذامات فالامر للحسن فلما تم صلحهما صعد الحسن الى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الله هدى أولكم باولنا وحقن دمائكم بآخرنا وكانت لى فى رقابكم بيعة تحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت وقد سالمت معاوية و بايعته فبايعوه وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين وأشار الى معاوية

﴿ انكار سليمان بن صرد ﴾

قال وذكروا أنه لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق وانصرف راجعا الى الشام أتاه سليمان بن صرد وكان غائبا عن الكوفة وكان سيد أهل العراق ورأسهم فدخل على الحسن فقال السلام عليك يامذل المؤمنين فقال الحسن وعليك السلام اجلس لله أبوك قال فجلس سليمان فقال أما بعد فان تعجبنا لا ينقضى من بيعتك معاوية ومعك مائة ألف مقاتل من أهل العراق وكلهم يأخذ العطاء مع مثله من أبنائهم ومواليهم سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز ثم تأخذ لنفسك بقية فى العهد ولا حظا من القضية فلو كنت اذ فعلت ما فعلت وأعطاك ماأعطاك بينك وبينه من العهد والميثاق كنت كتبت عليك بذلك كتابا واشهدت عليه شهودا من أهل المشرق والمغرب ان هذا الامر لك من بعده كان الامر علينا أيسر ولكنه أعطاك هذا فرضيت به من قوله ثم قال وزعم على رؤس الناس ماقد سمعت انى كنت شرطت لقوم شروطا و وعدتهم عدات ومنيتهم أمانى ارادة اطفاء نار الحرب ومداراة لهذه الفتنة اذا جمع الله لنا كلمتنا والفتنا فان كل ماهنالك تحت قدمى هاتين و والله ماأعنى بذلك الا نقض ما بينك و بينه فاعد للحرب خدعة وأذن لى أشخص الى الكوفة فأخرج عامله منها وأظهر فيها خلعه وأنبذ اليه على سواء ان الله لا يهدى كيد الخائنين ثم سكت فتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته وكلهم يقول أبعث سليمان بن صرد وابعثنا معه ثم الحقنا اذا علمت انا قد أشخصنا عامله وأظهرنا خلعه فتكلم الحسن فحمد الله ثم قال أما بعد فانكم شيعتنا وأهل مودتنا ومن نعرفه بالنصيحة والصحبة والاستقامة لنا وقد فهمت ماذكرتم ولو كنت بالحزم فى أمر الدنيا وللدنيا أعمل وانصب ما كان معاوية بأبأس منى بأسا وأشد شكيمة ولكان رأيى

غيرما رأيتم ولكني أشهد الله واياكم انى لم أدر بما رأيتم الاحقن دمائكم واصلاح ذات بينكم فاتقوا الله وارضوا بقضاء الله وسلموا الامر لله والزموا بيوتكم وكفوا أيديكم حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر مع ان ابى كان يحدثنى ان معاوية سيلى الامر فوالله لو سرنا اليه بالجبال والشجر ماشككت انه سيظهر ان الله لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه وأما قولك يامذل المؤمنين فوالله لئن تذلوا وتعافوا أحب الى من ان تعزوا وتقتلوا فان رد الله علينا حقنا فى عافية قبلنا وسألنا الله العون على أمره وان صرفه عنا رضينا وسألنا الله ان يبارك فى صرفه عنا فليكن كل رجل منكم حلسا من أحلاس بيته مادام معاوية حيا فان يهلك ونحن وأنتم أحياء سألنا الله العزيمة على رشدنا والمعونة على أمرنا وأن لا يكلنا الى أنفسنا فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

﴿كراهية الحسين رضى الله عنه للبيعة﴾

قال ثم خرج سليمان بن صرد من عنده فدخل الحسين فعرض عليه ماعرض على الحسن وأخبره بما رد عليه الحسن فقال الحسين ليكن كل رجل منكم حلسا من أحلاس بيته مادام معاوية حياً فانها بيعة كنت والله لها كارها فان هلك معاوية نظرنا ونظرتم ورأينا ورأيتم

﴿ماأشار به المغيرة بن شعبة على معاوية من البيعة ليزيد﴾

قال وذكروا انه لما استقامت الامور لمعاوية استعمل على الكوفة المغيرة بن شعبة ثم هم أن يعزله ويولى سعيد بن العاص فلما بلغ ذلك المغيرة قدم الشام على معاوية فقال ياأمير المؤمنين قد علمت مالقيت هذه الامة من الفتنة والاختلاف وفى عنقك الموت وأنا أخاف ان حدث بك حدث أن يقع الناس فى مثل ماوقعوا فيه بعد قتل عثمان فاجعل للناس بعدك علما يفزعون اليه واجعل ذلك يزيد ابنك فدخل معاوية على امرأته فاختة بنت قرظة بن حبيب بن عبد شمس وكان ابنها منه عبد الله بن معاوية وقد كان بلغها ماقال المغيرة وماأشار به عليه من البيعة ليزيد وكان يزيد بن الكلبية مسرورة ابنة عبد الرحمن بن بحدل الكلبي فقالت فاختة وكانت معادية للكلبية ماأشار به عليك المغيرة أراد أن يجعل لك عدوا من نفسك يتمنى هلاكك كل يوم فشق ذلك على معاوية ثم بدا له أن يأخذ بما أشار عليه المغيرة

﴿ ماحاول معاوية فى بيعة يزيد ﴾

قال فلما اجتمعت عند معاوية وفود الامصار بدمشق وفيهم الاحنف بن قيس دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهرى فقال له اذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتي وكلامى فاستأذنى للقيام فاذا أذنت لك فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل فيه الذى يحق له عليك من حسن الثناء عليه ثم ادعنى الى توليته من بعدى فانى قد رأيت واجمعت على توليته فاسأل الله فى ذلك وفى غيره الخيرة وحسن القضاء ثم دعا عبد الرحمن ابن عثمان السقفى وعبد الله بن مسعدة الفزارى وثور بن معن السلمى وعبد الله بن عصام الاشعرى فأمرهم أن يقوموا اذا فرغ الضحاك وان يصدقوا قوله ويدعوه الى يزيد

﴿ ماتكلم به الضحاك بن قيس ﴾

قال فلما جلس معاوية على المنبر وفرغ من بعض موعظته وهؤلاء النفر فى المجلس قد قعدوا للكلام قام الضحاك بن قيس فاستأذن فى الكلام فاذن له فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به انا قد بلونا الجماعة والالفة والاختلاف والفرقة فوجدناها ألم لشعثنا وآمنة لسبلنا وحاقنة لدمائنا وعائدة علينا فى عاجل ما نرجو به الجماعة من الالفة ولا خير لنا ان نترك سدى والايام عوج رواجع والله يقول كل يوم هو فى شان ولسنا ندرى ما يختلف به العصران وأنت يا أمير المؤمنين ميت كما مات من كان قبلك من أنبياء الله وخلفائه نسأل الله تعالى بك المتاع وقد رأينا من دعة يزيد ابن أمير المؤمنين وحسن مذهبه وقصد سيرته ويمن نقيبته مع ما قسم الله له من المحبة فى المسلمين والشبه بأمير المؤمنين فى عقله وسياسته وشيمته المرضية ما دعانا الى الرضا به فى أمورنا والقنوع به فى الولاية علينا فليوله أمير المؤمنين أكرمه الله عهده وليجعله لنا ملجأ ومفزعا بعده نأوى اليه ان كان كون فانه ليس أحد أحق بها منه فاعزم على ذلك عزم الله لك فى رشدك ووفقك فى أمورنا ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أصلح الله أمير المؤمنين انا قد أصبحنا فى زمان مختلفة أهواؤه قد احدودبت علينا سيساؤه واقطوطبت علينا ادواؤه واناخت علينا أنباؤه ونحن نشير عليك بالرشاد وندعوك الى السداد وانت يا أمير المؤمنين أحسننا نظرا واثبتنا بصرا ويزيد ابن أمير

المؤمنين قد عرفنا سيرته و بلونا علانيته و رضينا ولايته و زادنا بذلك انبساطا و به اغتباطا مع ما منحه الله بالشبه بأمير المؤمنين والمحبة فى المسلمين فاعزم على ذلك ولا تضق به ذرعا فالله تعالى يقيم به الأود و يردع به الألد وتأمن به السبل و يجمع به الشمل و يعظم به الاجر و يحسن به الذخر ثم جلس فقام ثور بن معن السلمى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أصلح الله أمير المؤمنين انا قد اصبحنا فى زمان صاحبه مشاغب وظله ذاهب مكتوب علينا فيه الشقاء والسعادة وانت يا امير المؤمنين ميت نسأل الله بك المتاع و يزيد ابن أمير المؤمنين أقدمنا شرفا وابذلنا عرفا وقد دعانا الى الرضا به والقنوع بولايته والحرص عليه والاختيار له ماقد عرفنا من صدق لسانه و وفائه وحسن بلائه فاجعله لنا بعدك خلفا فانه أوسعنا كنفا وأقدمنا سلفاً وهو رتق لما فتق و زمام لما شعث و نكال لمن فارق ونافق وسلم لمن واظب وحافظ للحق أسأل الله لامير المؤمنين أفضل البقاء والسعادة والخيرة فيما أراد والتوطن فى البلاد واصلاح أمر جميع العباد ثم جلس فقام عبد الله بن عصام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أصلح الله أمير المؤمنين وامتع به انا قد أصبحنا فى دنيا منقضية واهواء منجذمة نخاف حدها وننتظر جدها شديد منحدرها كثير وعرها شامخة مراقيها ثابتة مراتبها صعبة مراكبها فالموت يا أمير المؤمنين وراءك و وراء العباد لا يخلد فى الدنيا أحد ولا تبقى لنا أمدا وأنت يا أمير المؤمنين مسؤل عن رعيتك ومأخوذ بولايتك وأنت انظر للجماعة وأعلاعينا بحسن الرأى لاهل الطاعة وقد هديت ليزيد فى أكمل الامور وأفضلها رأيا وأجمعها رضا فاقطع بيزيد قالة الكلام ونخوة المبطل وشعث المنافق وأكبت به الباذخ المعادى فان ذلك ألم للشعث وأسهل للوعث فاعزم على ذلك ولا تترامى بك الظنون ثم قام عبد الله بن مسعدة الفزارى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به ان الله قد آثرك بخلافته واختصك بكرامته وجعلك عصمة لاوليائه وذا نكاية لاعدائه فأصبحت بأنعمه جذلا ولما حملك محتملا يكشف الله تعالى بك العمى و يهدى بك العدى و يزيد ابن أمير المؤمنين أحسن الناس برعيتك رأفة وأحقهم بالخلافة بعدك قد ساس الامور وأحكمته الدهور ليس بالصغير الفهيه ولا بالكبير السفيه قد احتجن المكارم وارتجى لحمل العظائم وأشد

الناس فى العدو نكاية واحسنهم صنعا فى الولاية وأنت أغنى بأمرك واحفظ لوصيتك واحرز لنفسك اسأل الله لامير المؤمنين العافية فى غير جهد والنعمة فى غير تغيير قال فقال معاوية أوكلكم قد أجمع على هذا رأيه فقالوا كلنا قد أجمع رأيه على ماذكرنا قال فأين الاحنف فأجابه قال ألا تتكلم فقال الاحنف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اصلح الله أمير المؤمنين ان الناس قد أمسوا فى منكر زمان قد سلف ومعروف زمان مؤتنف ويزيد ابن أمير المؤمنين نعم الخلف وقد حلبت الدهر أشطره ياأمير المؤمنين فاعرف من تسند اليه الامر من بعدك ثم اعص أمر من يأمرك لا يغررك من يشير عليك ولا ينظر لك وأنت انظر للجماعة وأعلم باستقامة الطاعة مع ان أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حيا

﴿ مارد الضحاك بن قيس عليه ﴾

قال فغضب الضحاك بن قيس فقام الثانية فحمد الله واثنى عليه ثم قال اصلح الله أمير المؤمنين ان أهل النفاق من أهل العراق مروءتهم فى أنفسهم الشقاق والفتهم فى دينهم الفراق يرون الحق على أهوائهم كانما ينظرون باقفائهم اختالوا جهلا وبطرا لا يرقبون من الله راقبة ولا يخافون وبال عاقبة اتخذوا ابليس لهم ربا واتخذهم ابليس حزبا فمن يقاربوه لا يسروه ومن يفارقوه لا يضروه فادفع رأيهم ياأمير المؤمنين فى نحورهم وكلامهم فى صدورهم ما للحسن وذوى الحسن فى سلطان الله الذى استخلف به معاوية فى ارضه هيهات لا تورث الخلافة عن كلالة ولا يحجب غير الذكر العصبة فوطنوا أنفسكم ياأهل العراق على المناصحة لامامكم وكاتب نبيكم وصهره يسلم لكم العاجل وتربحوا من الآجل ثم قام الاحنف بن قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ياأمير المؤمنين انا قد فررنا عنك قريشاً فوجدناك أكرمها زندا واشدها عقدا وأوفاها عهدا وقد علمت انك لم تفتح العراق عنوة ولم تظهر عليها قعصاً ولكنك أعطيت الحسن بن على من عهود الله ما قد علمت ليكون له الامر من بعدك فان تف فأنت أهل الوفاء وان تغدر تعلم والله ان وراء الحسن خيولا جيادا وأذرعا شدادا وسيوفا حدادا ان تدن له شبرا من غدر تجد وراءه باعا من نصر وانك تعلم ان أهل العراق وما احبوك منذ أبغضوك ولا ابغضوا عليا وحبنا منذ أحسوها وما نزل

عليهم فى ذلك غير من السماء وان السيوف التى شهر وها عليك مع على يوم صفين لعلى عواتقهم والقلوب التى أبغضوك بها لبين جوانحهم وأيم الله ان الحسن لاحب الى أهل العراق من على ثم قام عبدالله بن عثمان الثقفى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أصلح الله أمير المؤمنين ان رأى الناس مختلف وكثير منهم منحرف لا يدعون احدا الى رشاد ولا يجيبون داعيا الى سداد مجانبون لرأى الخلفاء مخالفون لهم فى السنة والقضاء وقد وقفت ليزيد فى احسن القضية وأرضاها لحمل الرعية فاذا خار الله لك فاعزم ثم اقطع قالة الكلام فان يزيد اعظمنا حلما وعلما وأوسعنا كنفا وخيرنا سلفا قد أحكمته التجارب وقصدت به سبل المذاهب فلا يصرفنك عن بيعته صارف ولا يقفن بك دونها واقف ممن هو شاسع عاص ينوص للفتنة كل مناص لسانه ملتو وفى صدره داء دوى ان قال فشر قائل وان سكت فداء غائل قد عرفت من هم أولئك وما هم عليه لك من المجانبة للتوفيق والكلف للتفريق فاجل ببيعته عنا الغمة واجمع به شمل الامة فلا تحد عنه اذا هديت له ولا تنبش عنه اذا وقفت له فان ذلك الرأى لنا ولك والحق علينا وعليك أسأل الله العون وحسن العاقبة لنا ولك بمنه فقام معاوية فقال أيها الناس ان لابليس من الناس اخوانا وخلانا بهم يستعد واياهم يستعين وعلى ألسنتهم ينطق ان رجوا طمعا أوجفوا وان استغنى عنهم ارجفوا ثم يلحيون الفتن بالفجور ويشققون لها حطب النفاق عيابون مرتابون ان لو واعروة امر حنقوا وان دعوا الى غى اسرفوا وليسوا أولئك بمنتهين ولا بمقلعين ولا متعظين حتى يصيبهم صواعق خزى وبيل وتحل بهم قوارع أمر جليل تجتث أصولهم كاجتثاث اصول الفقع فأولى لاولئك ثم أولى فانا قد قدمنا وأندرنا ان أغنى التقدم شيئا أو نفع النذر فدعا معاوية الضحاك فولاه الكوفة ودعا عبد الرحمن فولاه الجزيرة ثم قام أبو حنيف فقال يا أمير المؤمنين انا لا نطيق ألسنة مضر وخطبها أنت أمير المؤمنين فان هلكت فيزيد بعدك فمن أبى فهذا وسل سيفه فقال معاوية أنت أخطب القوم وأكرمهم ثم قام الاحنف بن قيس فقال يا أمير المؤمنين أنت أعلمنا بليله ونهاره وبسره وعلانيته فان كنت تعلم انه خير لك فوله واستخلفه وان كنت تعلم انه شر لك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر الى الآخرة فانه ليس لك من الآخرة الا ماطاب واعلم انه لا حجة لك عند الله ان

قدمت يزيد على الحسن والحسين وأنت تعلم من هما والى ماهما وانما علينا ان نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير

﴿ قدوم معاوية المدينة وما فاوض فيه العبادلة ﴾

قالوا فاستخار الله معاوية وأعرض عن ذكر البيعة حتى قدم المدينة سنة خمسين فتلقاه الناس فلما استقر فى منزله ارسل الى عبدالله بن عباس وعبدالله بن جعفر بن أبى طالب والى عبدالله بن عمر والى عبدالله بن الزبير وأمر حاجبه ان لا يأذن لاحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر فلما جلسوا تكلم معاوية فقال الحمد لله الذى أمرنا بحمده ووعدنا عليه ثوابه نحمده كثيرا كما أنعم علينا كثيرا وأشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله أما بعد فانى قد كبرسنى ووهن عظمى وقرب أجلى واوشكت ان ادعى فاجيب وقد رأيت ان استخلف عليكم بعدى يزيد ورأيته لكم رضا وأنتم عبادلة قريش وخيارها وابناء خيارها ولم يمنعنى ان أحضر حسنا وحسينا الا انهما أولاد أبيهما على حسن رأيى فيهما وشديد محبتى لهما فردوا على أمير المؤمنين خيرا يرحمكم الله فتكلم عبدالله بن عباس فقال الحمد لله الذى ألهمنا ان نحمده واستوجب علينا الشكر على آلائه وحسن بلائه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله وصلى الله على محمد وآل محمد أما بعد فانك قد تكلمت فانصتنا وقلت فسمعنا وان الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه اختار محمدا صلى الله عليه وسلم لرسالته واختاره لوحيه وشرفه على خلقه فأشرف الناس من تشرف به وأولاهم بالامر أخصهم به وانما على الامة التسليم لنبيها اذا اختاره الله لها فانه انما اختار محمدا بعلمه وهو العليم الخبير وأستغفر الله لى ولكم فقام عبدالله بن جعفر فقال الحمد لله أهل الحمد ومنتهاه نحمده على الهامنا حمده ونرغب اليه فى تأدية حقه وأشهد ان لا اله الا الله واحدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أما بعد فان هذه الخلافة أن أخذ فيها بالقرآن فأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وان أخذ فيها بسنة رسول الله فاولو رسول الله وان أخذ فيها بسنة الشيخين أبى بكر وعمر فأى الناس أفضل وأكمل وأحق بهذا الامر من آل الرسول وأيم الله لو ولوه

بعد نبيهم لو ضعوا الامر موضعه لحقه وصدقه ولا طيع وعصى الشيطان وما اختلف في الامة سيفان فاتق الله يامعاوية فانك قد صرت رعيا ونحن رعية فانظر لرعيتك فانك مسؤل عنها غدا وأماماذ كرت من ابنى عمى وتركك ان تحضرهما فوالله ما أصبت الحق ولا يجوز لك ذلك الا بهما وانك لتعلم انهما معدن العلم والكرم فقل أودع وأستغفر الله لى ولكم فتكلم عبدالله بن الزبير فقال الحمدلله الذى عرفنا دينه وأكرمنا برسوله أحمده على ما أبلى وأولى وأشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله أما بعد فان هذه الخلافة لقريش خاصة تتناولها بمآثرها السنية وافعالها المرضية مع شرف الآباء وكرم الابناء فاتق الله يامعاوية وانصف من نفسك فان هذا عبدالله بن عباس بن عم رسول الله وهذا عبدالله ابن جعفر ذو الجناحين ابن عم رسول الله وأنا عبدالله بن الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى خلف حسنا وحسينا وانت تعلم من هما وماهما فاتق الله يامعاوية وانت الحاكم بيننا وبين نفسك فتكلم عبدالله بن عمر فقال الحمدلله الذى أكرمنا بدينه وشرفنا بنبيه صلى الله عليه وسلم أما بعد فان هذه الخلافة ليست بهرقلية ولا قيصرية ولا كسروية يتوارثها الابناء على الآباء ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد أبى فوالله ما ادخلنى مع الستة من أصحاب الشورى الا على ان الخلافة ليست شرطا مشروطا وانما هى فى قريش خاصة لمن كان لها أهلا ممن ارتضاه المسلمون لانفسهم من كان اتقى وارضى فان كنت تريد الفتيان من قريش فلعمرى ان يزيد من فتيانها واعلم انه لا يغنى عنك من الله شيئا فتكلم معاوية فقال قد قلت وقلتم وانه قد ذهبت الآباء وبقيت الابناء فابنى أحب الى من أبنائهم مع انابنى قاولتموه وجد مقالا وانما كان هذا الامر لبنى عبد مناف لانهم أهل رسول الله فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى الناس أبا بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة غير انهما سارا بسيرة جميلة ثم رجع الملك الى بنى عبد مناف فلا يزال فيهم الى يوم القيامة وقد أخرجك الله يا ابن الزبير وانت يا ابن عمر منها فأما ابنا عمى هذان فليس بخارجين من الرأى ان شاء الله ثم أمر بالرحلة واعرض عن ذكر البيعة ليزيد ولم يقطع عنهم شيئا من صلاتهم واعطياتهم ثم انصرف راجعا الى الشام وسكت عن هذه البيعة فلم يعرض الى سنة احدى وخمسين

﴿ موت الحسن بن على رضى الله عنهما ﴾

قال فلما كانت سنة احدى وخمسين مرض الحسن بن على مرضه الذى مات فيه فكتب عامل المدينة الى معاوية يخبره بشكاية الحسن فكتب اليه معاوية ان استطعت أن لا يمضى يوم بى يمر الا يأتينى فيه خبره فافعل فلم يزل يكتب اليه بحاله حتى توفى فكتب اليه بذلك فلما اتاه الخبر أظهر فرحا وسرورا حتى سجد وسجد من كان معه فبلغ ذلك عبد الله بن عباس وكان بالشام يومئذ فدخل على معاوية فلما جلس قال معاوية يا ابن عباس هلك الحسن بن على فقال ابن عباس نعم هلك انا لله وانا اليه راجعون ترجيعا مكررا وقد بلغنى الذى أظهرت من الفرح والسرور لوفاته أما والله ماسد جسده حفرتك ولا زاد نقصان أجله فى عمرك ولقد مات وهو خير منك ولئن أصبنا به لقد أصبنا بمن كان خيرا منه جده رسول الله صلى الله عليه وسلم فجبر الله مصيبته وخلف علينا من بعده احسن الخلافة ثم شهق ابن عباس و بكى و بكى من حضر فى المجلس و بكى معاوية فما رأيت يوما أكثر باكيا من ذلك اليوم فقال معاوية بلغنى انه ترك بنين صغارا فقال ابن عباس كلنا كان صغيرا فكبر قال معاوية كم اتى له من العمر فقال ابن عباس أمر الحسن أعظم من ان يجهل أحد مولده قال فسكت معاوية يسيرا ثم قال يا ابن العباس أصبحت سيد قومك من بعده فقال ابن عباس اما ما ابقى الله أبا عبد الله الحسين فلا قال معاوية لله أبوك يا ابن عباس ما استنبأتك الا وجدتك معدا

﴿ بيعة معاوية ليزيد بالشام وأخذه أهل المدينة ﴾

قالوا ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن رحمه الله الا يسيرا حتى بايع ليزيد بالشام وكتب بيعته الى الآفاق وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم فكتب اليه يذكر الذى قضى الله به على لسانه من بيعة يزيد و يأمره بجمع من قبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة ثم يبايعوا ليزيد

﴿ عزل مروان عن المدينة ﴾

قال فلما قرأ مروان كتاب معاوية أبى من ذلك وأبته قريش فكتب لمعاوية ان قومك قد أبوا اجابتك الى بيعتك ابنك فارنى رأيك فلما بلغ معاوية كتاب مروان عرف ذلك من قبله فكتب اليه يأمره ان يعتزل عمله و يخبره انه قد ولى المدينة سعيد بن

العاص فلما بلغ مروان كتاب معاوية أقبل مغاضبا فى اهل بيته وناس كثير من قومه حتى نزل باخواله بنى كنانة فشكا اليهم واخبرهم بالذى كان من رأيه فى امر معاوية وفى عزله واستخلافه يزيدا بنه عن غير مشورة ومبادرة له فقالوا نحن نبالك فى يدك وسيفك فى قرابك فمن رميته بنا أصبناه ومن ضربته قطعناه الرأى رأيك ونحن طوع يمينك ثم أقبل مروان فى وفد منهم كثير ممن كان معه من قومه واهل بيته حتى نزل دمشق فخرج حتى اتى سدة معاوية وقد أذن للناس فلما نظر الحاجب الى كثرة من معه من قومه واهل بيته منعه من الدخول فوثبوا اليه فضربوا وجهه حتى خلى عن الباب ثم دخل مروان ودخلوا معه حتى اذا كان من معاوية بحيث تناله يده قال بعد التسليم عليه بالخلافة ان الله عظيم خطره لا يقدر قادر قدره خلق من خلقه عبادا جعلهم لدعائم دينه اوتادا هم رقباؤه على البلاد وخلفاؤه على العباد اسفر بهم الظلم والف بهم الدين وشدد بهم اليقين ومنح بهم الظفر و وضع بهم من استكبر فكان من قبلك من خلفائنا يعرفون ذلك فى سالف زماننا وكنا نكون لهم على الطاعة اخوانا وعلى من خالف عنها اعوانا يشد بنا العضد ويقام منا الاود ونستشار فى القضية ونستأمر فى امر الرعية وقد اصبحنا اليوم فى امور مستخيرة ذات وجوه مستديرة تفتح بازمة الضلال وتجلس بأسوأ الرجال يؤكل جزورها وتمق احلابها فمالنا لا نستأمر فى رضاعها ونحن فطامها واولاد فطامها وايم الله لولا عهود مؤكدة ومواثيق معقدة لاقمت أود وليها فأقم الامر يا بن ابى سفيان واهدأ من تأميرك الصبيان واعلم أن لك فى قومك نظرا وان لهم على مناوأتك وزرا فغضب معاوية من كلامه غضبا شديدا ثم كظم غيظه بحلمه وأخذ بيد مروان ثم قال ان الله قد جعل لكل شىء أصلا وجعل لكل خير اهلا ثم جعلك فى الكرم منى محتدا والعزيز منى والدا اخترت من قروم قادة ثم استللت سيد سادة فأنت ابن ينابيع الكرم فمرحبا بك واهلا من ابن عم ذكرت خلفاء مفقودين شهداء صديقين كانوا كما نعت وكنت لهم كما ذكرت وقد أصبحنا فى امور مستخيرة ذات وجوه مستديرة و بك والله يا بن العم نرجو استقامة أودها وذلولة صعوبتها وسفور ظلمتها حتى يتطأطأ جسيمها و يركب بك

عظيمها فانت نظير أمير المؤمنين بعده وفى كل شدة عضده واليك بعد عهده فقد وليتك
قومك واعظمنا فى الخراج سهمك وانا مجيز وفدك ومحسن رفدك وعلى امير المؤمنين
غناك والنزول عند رضاك فكان اول ما رزق الف دينار فى كل هلال وفرض له
فى اهل بيته مائة مائة

﴿كراهية أهل المدينة البيعة وردهم لها﴾

قال وذكروا ان معاوية كتب الى سعيد بن العاص وهو على المدينة يأمره ان يدعو
اهل المدينة الى البيعة ويكتب اليه بمن سارع ممن لم يسارع فلما آتى سعيد بن
العاص الكتاب دعا الناس الى البيعة ليزيد واظهر الغلظة واخذهم بالعزم والشدة
وسطا بكل من ابطأ عن ذلك فأبطأ الناس عنها الا اليسير لاسيما بنى هاشم فانه لم يجبه
منهم أحد وكان ابن الزبير من أشد الناس انكارا لذلك ورداله فكتب سعيد بن
العاص الى معاوية اما بعد فانك أمرتنى ان ادعو الناس لبيعة يزيد ابن أمير المؤمنين
وان اكتب اليك بمن سارع ممن أبطأ وانى أخبرك ان الناس عن ذلك بطاء لاسيما أهل
البيت من بنى هاشم فانه لم يجبنى منهم أحد وبلغنى عنهم ما اكره واما الذى جاهر
بعداوته واباته لهذا الامر فعبد الله بن الزبير ولست أقوى عليهم الا بالخيل والرجال أو
تقدم بنفسك فترى رأيك فى ذلك والسلام فكتب معاوية الى عبد الله بن عباس والى
عبد الله بن الزبير والى عبد الله بن جعفر والى الحسين بن على رضى الله عنهم كتبا وأمر
سعيد بن العاص أن يوصلها اليهم ويبعث بجواباتها وكتب الى سعيد بن العاص أما
بعد فقد أتانى كتابك وفهمت ماذكرت فيه من ابطاء الناس عن البيعة ولاسيما بنى هاشم
وماذكر ابن الزبير وقد كتبت الى رؤسائهم كتبا فسلمها اليهم وتنجز جواباتها وابعث
بها الى حتى أرى فى ذلك رأيى ولتشد عزيمتك ولتصلب شكيمتك وتحسن نيتك وعليك
بالرفق واياك والخرق فان الرفق رشد والخرق نكد وانظر حسينا خاصة فلا ينالهُ منك
مكروه فان له قرابة وحقا عظيما لا ينكره مسلم ولا مسلمة وهو ليث عرين ولست آمنك
ان شاورته ان لا تقوى عليه فاما من يرد مع السباع اذا وردت ويكنس اذا كنست
فذلك عبد الله بن الزبير فاحذره أشد الحذر ولا قوة الا بالله وأنا قادم عليك ان شاء الله
والسلام وكتب الى ابن عباس أما بعد فقد بلغنى ابطاؤك عن البيعة ليزيد ابن أمير

المؤمنين وانى لوقتلتك بعثمان لكان ذلك الى لانك ممن ألب عليه واجلب ومامعك من أمان فتطمئن به ولا عهد فتسكن اليه فاذا أتاك كتابى هذا فاخرج الى المسجد والعن قتلة عثمان و بايع عاملى فقد أعذر من أنذرت وأنت بنفسك ابصر والسلام وكتب الى عبدالله بن جعفر أما بعد فقد عرفت أثرتى اياك على من سواك وحسن رأيى فيك وفى أهل بيتك وقد أتانى عنك ما أكره فان بايعت تشكر وان تأب تجبر والسلام وكتب الى الحسين أما بعد فقد انتهت الى منك أمور لم أكن أظنك بها رغبة عنها وان أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعته من كان مثلك فى خطرك وشرفك ومنزلتك التى أنزلك الله بها فلا تنازع الى قطيعتك واتق الله ولا تردن هذه الامة فى فتنة وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد ولا يستخفنك الذين لا يوقنون وكتب الى عبد الله بن الزبير

رأيت كرام الناس ان كف عنهم　　بحلم رأوا فضلا لمن قد تحلما
ولا سيما ان كان عفوا بقدرة　　فذلك احرى ان يجل و يعظما
ولست بذى لؤم فتعذر بالذى　　أتيته من أخلاق من كان ألوما
ولكن غشا لست تعرف غيره　　وقد غش قبل اليوم ابليس آدما
فما غش الا نفسه فى فعاله　　فأصبح ملعونا وقد كان مكرما
وانى لاخشى ان أنالك بالذى　　أردت فيجرى الله من كان اظلما

﴿ ماأجابه القوم رضى الله عنهم ﴾

فكان اول من أجابه عبدالله بن عباس فكتب اليه أما بعد فقد جاءنى كتابك وفهمت ماذكرت وان ليس معى منك أمان وانه والله مامنك يطلب الامان يامعاوية وانما يطلب الامان من الله رب العالمين وأما قولك فى قتلى فوالله لوفعلت للقيت الله ومحمد صلى الله عليه وسلم خصمك فما اخاله افلح ولا أنجح من كان رسول الله خصمه وأما ماذكرت من أنى ممن ألب فى عثمان واجلب فذلك امر غبت عنه ولو حضرته ما نسبت الى شيئا من التأليب عليه وايم الله ماأرى أحدا غضب لعثمان غضبى ولا أعظم أحدا قتله اعظامى ولو شهدته لنصرته أو اموت دونه ولقد قلت وتمنيت يوم قتل عثمان ليت الذى قتل عثمان لقينى فقتلنى معه ولا ابقى بعده واما قولك لى العن قتلة عثمان فلعثمان

ولدوخاصة وقرابة هم أحق بلعنهم منى فان شاؤا ان يلعنوا فليلعنوا وان شاؤا أن يمسكوا فليمسكوا والسلام وكتب اليه عبد الله بن جعفر أما بعد فقد جاءنى كتابك وفهمت ماذكرت فيه من أثرتك اياى على من سواى فان تفعل فبحظك أصبت وان تأب فبنفسك قصرت واما ماذكرت من جبرك اياى على البيعة ليزيد فلعمرى لئن أجبرتنى عليها لقد اجبرناك واباك على الاسلام حتى أدخلنا كما كارهين غير طائعين والسلام وكتب اليه عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما

ألا سمع الله الذى أنا عبده	فاخزى اله الناس من كان أظلما
واجرى على الله العظيم بحلمه	وأسرعهم فى الموبقات تقحما
أغرك ان قالوا حليم بعزة	وليس بذى حلم ولكن تحلما
ولورمت ماان قدعزمت وجدتنى	هزبر عرين يترك القرآن أكما
واقسم لولا بيعة لك لم أكن	لانقضها لم تنج منى مسلما

وكتب اليه الحسين رضى الله عنه أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه انه انتهت اليك عنى أمور لم تكن تظننى بها رغبة بى عنها وان الحسنات لا يهدى لها ولا يسدد اليها الا الله تعالى وأما ماذكرت انه رقى اليك عنى فانما رقاه الملاقون المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الجمع وكذب الغاوون المارقون ما أردت حربا ولا خلافا وانى لاخشى الله فى ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحلين حزب الظالم واعوان الشيطان الرجيم ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما اعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة جراءة على الله واستخفافا بعهده أولست بقاتل عمرو بن الحمق الذى أخلقت وأبلت وجهه العبادة فقتلته من بعد ما اعطيته من العهود مالو فهمته العصم نزلت من سقف الجبال أولست المدعى زيادا فى الاسلام فزعمت انه ابن أبى سفيان وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الولد للفراش وللعاهر الحجر ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم ويقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبهم على جذوع النخل سبحان الله يامعاوية لكانك لست من هذه الامة وليسوا منك أولست قاتل الحضرمى الذى كتب

اليك فيه زيادا نه على دين على كرم الله وجهه ودين على هو دين ابن عمه صلى الله عليه وسلم
الذي أجلسك مجلسك الذى أنت فيه ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم
الرحلتين رحلة الشتاء والصيف فوضعها الله عنكم بنا منة عليكم وقلت فيما قلت لا تردهذه
الامة فى فتنة وانى لا أعلم لهـا فتنة أعظم من امارتك عليها وقلت فيما قلت انظر لنفسك
ولدينك ولامة محمد وانى والله ما أعرف أفضل من جهادك فان أفعل فانه قربة الى ربى
وان لم أفعله فأستغفر الله لدينى وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى وقلت فيما قلت متى تكدنى
أكدك فكدنى يامعاوية فيما بدالك فلعمرى لقديما يكاد الصالحون وانى لأرجوان لا
تضر الا نفسك ولا تمحق الا عمالك فكدنى ما بدالك واتق الله يامعاوية واعلم ان لله كتابا
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها واعلم ان الله ليس بناس لك قتلك بالظنة وأخذك
بالتهمة وامارتك صبيا يشرب الشراب ويلعب بالكلاب ماأراك الا ردد
أوبقت نفسك وأهلكت دينك وأضعت الرعية والسلام

﴿ قدوم معاوية المدينة على هؤلاء القوم وما كان بينهم من المنازعة ﴾

قال وذكروا انه لما جاوب القوم معاوية بما جاوبوه من الخلاف لامره والكراهية
لبيعته ليزيد كتب الى سعيد بن العاص يأمره ان يأخذ أهل المدينة بالبيعة ليزيد اخذا بغلظة
وشدة ولا يدع احدا من المهاجرين والانصار وابنائهم حتى يبايعوا وامره ان لا يحرك
هؤلاء النفر ولا يهيجهم فلما قدم عليه كتاب معاوية اخذهم بالبيعة أعنف ما يكون من
الاخذ وأغلظه فلم يبايعه أحد منهم فكتب الى معاوية انه لم يبايعنى أحد وانما الناس
تبع لهؤلاء النفر فلو بايعوك بايعك الناس جميعا ولم يتخلف عنك أحد فكتب اليه معاوية
يأمره ان لا يحركهم الى ان يقدم فقدم معاوية المدينة حاجا فلما أن دنى من المدينة خرج اليه
الناس يتلقونه ما بين راكب وماش وخرج النساء والصبيان فلقيه الناس على حال طاقتهم
وما تسارعوا به فى الفوت والقرب فلان لمن كالحه وفاوض العامة بمحادثته وتألفهم جهده
مقاربة ومصانعة ليستميلهم الى مادخل فيه الناس حتى قال فى بعض ما يجتلبهم به اهل
المدينة مازلت أطوى الحزن من وعثاء السفر بالحب لمطالعتكم حتى انطوى البعيد ولان
الخشن وحق لجار رسول الله ان يتاق اليه فرد عليه القوم بنفسك ودارك ومهاجرك اما

ان لك منهم كاشفاق الحميم البر والحفى قال حتى اذا كان بالجرف لقيه الحسين بن على وعبدالله بن عباس فقال معاوية مرحبا يا بن بنت رسول الله وابن صنو أبيه ثم انحرف الى الناس فقال هذان شيخا بنى عبدمناف وأقبل عليهما بوجهه وحديثه فرحب وقرب وجعل يواجه هذا مرة ويضاحك هذا أخرى حتى ورد المدينة فلما خالطها لقيته المشاة والنساء والصبيان يسلمون عليه ويسايرونه الى أن نزل فانصرفا عنه فمال الحسين الى منزله ومضى عبدالله بن عباس الى المسجد فدخله وأقبل معاوية ومعه خلق كثير من أهل الشام حتى أتى عائشة أم المؤمنين فاستأذن عليها فأذنت له وحده لم يدخل عليها معه أحد وعندها مولاها ذكوان فقالت عائشة يامعاوية أكنت تأمن ان اقعد لك رجلا فأقتلك كما قتلت أخى محمد بن أبى بكر فقال معاوية ما كنت لتفعلين ذلك قالت لم قال لانى فى بيت آمن بيت رسول الله ثم ان عائشة حمدت الله وأثنت وعليه ذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت أبابكر وعمر وحضته على الاقتداء بهما والاتباع لاثرهما ثم صمتت قال فلم يخطب معاوية وخاف ان لا يبلغ ما بلغت فارتجل الحديث ارتجالا ثم قال أنت والله ياأم المؤمنين العالمة بالله وبرسوله دللتنا على الحق وحضضتنا على حظ أنفسنا وأنت أهل لان يطاع أمرك ويسمع قولك وان أمر يزيد قضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة من أمرهم وقد أكد الناس بيعتهم فى أعناقهم واعطوا عهودهم على ذلك ومواثيقهم افترى ان ينقضوا عهودهم ومواثيقهم فلما سمعت ذلك عائشة علمت انه سيمضى على أمره فقالت أما ماذكرت من عهود ومواثيق فاتق الله فى هؤلاء الرهط ولا تعجل فيهم فلعلهم لا يصنعون الا ما احببت ثم قام معاوية فلما قام قالت عائشة يامعاوية قتلت حجرا وأصحابه العابدين المجتهدين فقال معاوية دعى هذا كيف انا فى الذى بينى وبينك وفى حوائجك قالت صالح قال فدعينا واياهم حتى نلقى ربنا ثم خرج ومعه ذكوان فاتكأ على يد ذكوان وهو يمشى ويقول تالله ان رأيت كاليوم قط خطيبا ابلغ من عائشة بعد رسول الله ثم مضى حتى أتى منزله فأرسل الى الحسين بن على فخلا به فقال له يا بن أخى قد استوثق الناس لهذا الامر غير خمسة نفر من قريش انت تقودهم يا بن أخى فما أربك الى الخلاف قال الحسين ارسل اليهم فان بايعوك كنت رجلا منهم والا تكن عجلت على بأمر قال نعم قال فأخذ عليه ان لا

يخبر بحديثهما احدا فخرج وقد أقعد له ابن الزبير رجلا بالطريق فقال يقول لك أخوك ابن الزبير ما كان فلم يزل به حتى استخرج منه شيئا قال ثم أرسل معاوية بعده الى ابن الزبير فخلا به فقال له قد استوثق الناس لهذا الامر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم يا ابن أخى فما أربك الى الخلاف قال فارسل اليهم فان بايعوك كنت رجلا منهم والا تكن عجلت على بامر قال وتفعل قال نعم فأخذ عليه ان لا يخبر بحديثهما أحدا قال فارسل بعده الى ابن عمر فاتاه وخلا به فكلمه بكلام هو ألين من صاحبيه وقال انى كرهت ان أدع أمة محمد بعدى كالضأن لا راعى لها وقد استوثق الناس لهذا الامر غير خمسة نفر أنت تقودهم فما أربك الى الخلاف قال ابن عمر هل لك فى أمر تحقن به الدماء وتدرك به حاجتك فقال معاوية وددت ذلك فقال ابن عمر تبرز سريرك ثم اجىء فابايعك على أنى أدخل فيما اجتمعت عليه الامة فوالله لو ان الامة اجتمعت على عبد حبشى لدخلت فيما تدخل فيه الامة قال وتفعل قال نعم ثم خرج وأرسل الى عبد الرحمن ابن أبى بكر فخلا به فقال باى يد أو رجل تقدم على معصيتى فقال عبد الرحمن ارجو ان يكون ذلك خيرا لى فقال معاوية والله لقد هممت ان اقتلك فقال لو فعلت لاتبعك الله فى الدنيا ولادخلك فى الآخرة النار قال ثم خرج عبد الرحمن بن أبى بكر وبقى معاوية يومه ذلك يعطى الخواص ويدنى بذمة الناس فلما كان صبيحة اليوم الثانى أمر بفراش فوضع له وسويت مقاعد الخاصة حوله وتلقاءه من أهله ثم خرج وعليه حلة يمانية وعمامة دكناء وقد أسبل طرفها بين كتفيه وقد تغلف وتعطر فقعد على سريره واجلس كتابه منه بحيث يسمعون ما يأمر به وأمر حاجبه ان لا يأذن لاحد من الناس وان قرب ثم ارسل الى الحسين بن على وعبد الله بن عباس فسبق ابن عباس فلما دخل وسلم عليه اقعده فى الفراش على يساره فحادثه مليا ثم قال يا ابن عباس لقد وفر الله حظكم من مجاورة هذا القبر الشريف ودار الرسول عليه السلام فقال ابن عباس نعم اصلح الله امير المؤمنين وحظنا من القناعة بالبعض والتجافى عن الكل اوفر فجعل معاوية يحدثه ويحيد به عن طريق المجاوبة ويعدل الى ذكر الاعمار على اختلاف الغرائز والطبائع حتى اقبل الحسين بن على فلما رآه معاوية جمع له وسادة كانت على يمينه فدخل الحسين وسلم فاشار اليه فاجلسه عن يمينه مكان الوسادة

فسأله معاوية عن حال بنى اخيه الحسن واسنانهم فاخبره ثم سكت قال ثم ابتدأ معاوية
فقال أما بعد فالحمد لله ولى النعم ومنزل النقم وأشهد أن لا اله الا الله المتعالى عما يقول
الملحدون علوا كبيرا وان محمدا عبده المختص المبعوث الى الجن والانس كافة لينذرهم
بقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فادى عن الله وصدع
بامره وصبر عن الاذى فى جنبه حتى أوضح دين الله وأعز اولياءه وقمع المشركين وظهر امر
الله وهم كارهون فمضى صلوات الله عليه وقد ترك من الدنيا مابذل له واختار منها الترك
لما سخر له زهادة واختيارا لله وانفة واقتدارا على الصبر بغيا لما يدوم ويبقى فهذه صفة
الرسول صلى الله عليه وسلم ثم خلفه رجلان محفوظان وثالث مشكوك وبين ذلك
خوض طال ماعالجناه مشاهدة ومكافحة ومعاينة وسماعا وما أعلم منه فوق ماتعلمان وقد
كان من أمر يزيد ماسبقتم اليه والى تجويزه وقد علم الله ما أحاول به من أمر الرعية من سد
الخلل ولم الصدع بولاية يزيد بما أيقظ العين واحمد الفعل هذا معناى فى يزيد وفيكما
فضل القرابة وحظوة العلم وكمال المروءة وقد أصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة
والمقابلة ما اعيانى مثله عندكما وعند غيركما مع علمه بالسنة وقراءة القرآن والحلم الذى
يرجح بالصم الصلاب وقد علمتما ان الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة قدم على الصديق
والفاروق ودونهما من أكابر الصحابة وأوائل المهاجرين يوم غزوة السلاسل من لم
يقارب القوم ولم يعاندهم برتبة فى قرابة موصولة ولا سنة مذكورة فقادهم الرجل بامره
وجمع بهم صلاتهم وحفظ عليهم فيئهم وقال ولم يقل معه وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسوة حسنة فمهلا بنى عبد المطلب فانا وأنتم شعبا نفع وجد ومازلت ارجو الانصاف فى
اجتماعكما فما يقول القائل الا بفضل قولكما فردا على ذى رحم مستعتب مايحمد به
البصيرة فى عتابكما واستغفر الله لى ولكما قال فتيسر ابن عباس للكلام ونصب يده
للمخاطبة فاشار اليه الحسين وقال على رسلك فانا المراد ونصيبى فى التهمة أوفر فامسك
ابن عباس فقام الحسين فحمد الله وصلى على الرسول ثم قال أما بعد يامعاوية فلن يؤدى
القائل وان أطنب فى صفة الرسول صلى الله عليه وسلم من جميع جزءا وقد فهمت مالبست
به الخلف بعد رسول الله من ايجاز الصفة والتنكب عن استبلاغ البيعة وهيهات هيهات

يامعاوية فضح الصبح فحمة الدجى وبهرت الشمس أنوار السرج ولقد فضلت حتى أفرطت واستأثرت حتى أجحفت ومنعت حتى بخلت وجرت حتى جاوزت مابذلت لذي حق من أتم حقه بنصيب حتى أخذ الشيطان حظه الاوفر ونصيبه الاكمل وفهمت ماذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لامة محمد تريد ان توهم الناس فى يزيد كأنك تصف محجوبا أو تنعت غائبا او تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش والحمام السبق لاترابهن والقينات ذوات المعارف وضروب الملاهى تجده ناصرا ودع عنك ماتحاول فما أغناك ان تلقى الله بوزر هذا الخلق باكثر مما أنت لاقيه فوالله مابرحت تقدح باطلا فى جور وحنقا فى ظلم حتى ملأت الاسقية وما بينك وبين الموت الا غمضة فتقدم على عمل محفوظ فى يوم مشهود ولات حين مناص ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الامر ومنعتنا عن آبائنا تراثا ولقد لعمر الله أورثنا الرسول عليه السلام ولادة وجئت لنا بها ما حججتم به القائم عند موت الرسول فاذعن للحجة بذلك ورده الايمان الى النصف فركبتم الاعاليل وفعلتم الافاعيل وقلتم كان ويكون حتى أتاك الامر يامعاوية من طريق كان قصدها لغيرك فهناك فاعتبروا ياأولى الابصار وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأميره له وقد كان ذلك ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول وبيعته له وماصار لعمرو يومئذ حتى انف القوم امرته وكرهوا تقديمه وعدوا عليه أفعاله فقال صلى الله عليه وسلم لاجرم معشر المهاجرين لايعمل عليكم بعد اليوم غيرى فكيف يحتج بالمنسوخ من فعل الرسول فى اوكد الاحوال واولاها بالمجتمع عليه من الصواب أم كيف صاحبت بصاحب تابع وحولك من لا يؤمن فى صحبته ولا يعتمد فى دينه وقرابته وتخطاهم الى مسرف مفتون تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقى فى دنياه وتشقى بها فى آخرتك ان هذا لهو الخسران المبين واستغفر الله لى ولكم قال فنظر معاوية الى ابن عباس فقال ماهذا يابن عباس ولما عندك ادهى وامر فقال ابن عباس لعمر الله انها لذرية الرسول واحد اصحاب الكساء ومن البيت المطهر فاله عما تريد فان لك فى الناس مقنعا حتى يحكم الله بامره وهو خير

الحاكمين فقال معاوية أعود الحلم التحلم وخيره التحلم عن الاهل انصرفا فى حفظ الله
ثم أرسل معاوية الى عبد الرحمن ابن أبى بكر والى عبد الله بن عمر والى عبد الله بن الزبير
فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه معاوية ثم قال ياعبد الله بن عمر قد كنت تحدثنا انك لاتحب
ان تبيت ليلة وليس فى عنقك بيعة جماعة وان لك الدنيا وما فيها وانى أحذرك ان تشق
عصا المسلمين وتسعى فى تفريق ملائهم وان تسفك دماءهم وان أمر يزيد قد كان قضاء
من القضاء وليس للعباد خيرة من أمرهم وقد وكد الناس بيعتهم فى اعناقهم واعطوا على
ذلك عهودهم ومواثيقهم ثم سكت فتكلم عبد الله بن عمر فحمد الله واثنى عليه ثم قال أما
بعد يامعاوية لقد كانت قبلك خلفاء وكان لهم بنون ليس ابنك بخير من أبنائهم فلم يروا
فى ابنائهم ما رأيت فى ابنك فلم يحابوا فى هذا الامر أحدا ولكن اختار والهذه الامة حيث
علموهم وان تحذرنى ان أشق عصا المسلمين وافرق ملائهم واسفك دماءهم ولم أكن
لافعل ذلك ان شاء الله ولكن ان استقام الناس فسأدخل فى صالح ماتدخل فيه امة محمد
فقال معاوية يرحمك الله ليس عندك خلاف ثم قال معاوية لعبد الرحمن بن أبى بكر نحو
ماقاله لعبد الله بن عمر فقال له عبد الرحمن انك والله لوددنا ان نكلك الى الله فيما جسرت
عليه من امر يزيد والذى نفسى بيده لتجعلنها شورى اولاعيدها جذعة ثم قام
ليخرج فتعلق معاوية بطرف ردائه ثم قال على رسلك اللهم اكفنيه بما شئت لاتظهرن
لاهل الشام فانى أخشى عليك منهم ثم قال لابن الزبير نحوما قاله لابن عمر ثم قال له انت
ثعلب روّاغ كلما خرجت من جحر انجحرت فى آخر انت ألبت هذين الرجلين
واخرجتهما الى ماخرجا اليه فقال ابن الزبير اتريد أن تبايع ليزيد أرأيت ان بايعناه ايكما
نطيع انطيعك أم نطيعه ان كنت مللت الخلافة فاخرج منها وبايع ليزيد فنحن نبايعه
فكثر كلامه وكلام ابن الزبير حتى قال له معاوية فى بعض كلامه والله ما أراك الا قاتلا
نفسك ولكأنى بك قد تخبطت فى الحبالة ثم أمرهم بالانصراف واحتجب عن الناس
ثلاثة أيام لايخرج ثم خرج فامر المنادى ان ينادى فى الناس ان يجتمعوا لامر جامع
فاجتمع الناس فى المسجد وقعد هؤلاء حول المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر يزيد
وفضله وقراءته القرآن ثم قال ياأهل المدينة لقد هممت ببيعة يزيد وماتركت قرية ولا

مدرة الا بعثت اليها ببيعته فبايع الناس جميعا وسلموا وأخرت المدينة بيعته وقلت بيضته وأصله ومن لا أخافهم عليه وكان الذين ابو البيعة منهم من كان أجدر أن يصله و والله لو علمت مكان احد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له فقام الحسين فقال والله لقد تركت من هو خير منه أبا وأما ونفسا فقال معاوية كانك تريد نفسك فقال الحسين نعم أصلحك الله فقال معاوية اذا أخبرك اما قولك خير منه أما فلعمري أمك خير من أمه ولو لم يكن الا أنها امرأة من قريش لكان لنساء قريش أفضلهن فكيف وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فاطمة في دينها وسابقتها فأمك لعمر الله خير من أمه وأما أبوك فقد حاكم أباه الى الله فقضى لابيه على أبيك فقال الحسين حسبك جهلك آثرت العاجل على الآجل فقال معاوية وأما ماذكرت من أنك خير من يزيد نفسا فيزيد والله خير لامة محمد منك فقال الحسين هذا هو الافك والزور يزيد شارب الخمر ومشترى اللهو يزيد خير مني فقال معاوية مهلا عن شتم ابن عمك فانك لوذكرت عنده بسوء لم يشتمك ثم التفت معاوية الى الناس وقال أيها الناس قد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يستخلف احدا فرأى المسلمون ان يستخلفوا ابا بكر وكانت بيعته بيعة هدى فعمل بكتاب الله وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأى أن يستخلف عمر فعمل عمر بكتاب الله وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين فصنع أبو بكر مالم يصنعه رسول الله وصنع عمر مالم يصنعه أبو بكر كل ذلك يصنعونه نظرا للمسلمين فلذلك رأيت ان أبايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف ونظرا لهم بعين الانصاف

﴿ ماقال عبدالله بن الزبير لمعاوية ﴾

قال وذكروا أن عبدالله بن الزبير قام الى معاوية فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض فترك الناس الى كتاب الله فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر ثم رأى أن يستخلف عمر وهو أقصى قريش منه نسبا ورأى عمر أن يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين وفي المسلمين ابنه عبدالله وهو خير من ابنك فان شئت أن ندع الناس على ماتركهم رسول الله فيختارون لانفسهم وان شئت أن تستخلف من قريش كما استخلف أبو بكر خير من يعلم وان شئت أن تصنع مثل ماصنع عمر تختار رهطا من

المسلمين وتزويها عن ابنك فافعل فنزل معاوية عن المنبر وانصرف ذاهبا الى منزله وامر من حرسه وشرطته قوما أن يحضروا هؤلاء النفر الذين أبوا البيعة وهم الحسين بن علي وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر وأوصاهم معاوية قال انى خارج العشية الى أهل الشام فاخبرهم أن هؤلاء النفر قد بايعوا وسلموا فان تكلم أحد منهم بكلام يصدقني أو يكذبني فيه فلا ينقضي كلامه حتى يطير رأسه فحذر القوم ذلك فلما كان العشي خرج معاوية وخرج معه هؤلاء النفر وهو يضاحكهم ويحدثهم وقد ألبسهم الحلل فألبس ابن عمر حلة حمراء وألبس الحسين حلة صفراء وألبس عبدالله بن عباس حلة خضراء والبس ابن الزبير حلة يمانية ثم خرج بينهم وأظهر لاهل الشام الرضا عنهم أى القوم وانهم بايعوا فقال يااهل الشام ان هؤلاء النفر دعاهم أمير المؤمنين فوجدهم واصلين مطيعين وقد بايعوا وسلموا قال ذلك والقوم سكوت لم يتكلموا شيئا حذر القتل فوثب أناس من اهل الشام فقالوا ياامير المؤمنين ان كان رأيك منهم ريب فخل بيننا وبينهم حتى نضرب أعناقهم فقال معاوية سبحان الله ما أحل دماء قريش عندكم ياأهل الشام لا اسمع لهم ذكرا بسوء فانهم قد بايعوا وسلموا وارتضوني فرضيت عنهم رضي الله عنهم ثم ارتحل معاوية راجعا الى مكة وقد أعطى الناس أعطياتهم وأجزل العطاء وأخرج الى كل قبيلة جوائزها واعطياتها ولم يخرج لبني هاشم جائزة ولا عطاء فخرج عبدالله بن عباس فى أثره حتى لحقه بالروحاء فجلس ببابه فجعل معاوية يقول من بالباب فيقال عبد الله بن عباس فلم يأذن لاحد فلما استيقظ قال من بالباب فقيل عبدالله بن عباس فدعا بدابته فادخلت اليه ثم خرج راكبا فوثب اليه عبدالله بن عباس فأخذ بلجام البغلة ثم قال اين تذهب قال الى مكة قال فاين جوائزنا كما أجزت غيرنا فأومأ اليه معاوية فقال والله مالكم عندي جائزة ولا عطاء حتى يبايع صاحبكم قال ابن عباس فقد أبى ابن الزبير فاخرجت جائزة بني أسد وأبى عبد الله بن عمر فاخرجت جائزة بني عدي فمالنا ان أبى صاحبنا وقد أبى صاحب غيرنا فقال معاوية لستم كغيركم لا والله لا اعطيكم درهما حتى يبايع صاحبكم فقال ابن عباس أما والله لئن لم تفعل لالحقن بساحل من سواحل الشام ثم لاقولن ما تعلم والله

لا تركنهم عليك خوارج فقال معاوية لا بل اعطيكم جوائزكم فبعث بها من الروحاء ومضى راجعا الى الشام فلم يلبث الا قليلا حتى توفى عبد الرحمن بن أبي بكر فى نومة نامها رحمه الله

﴿ ماقال سعيد بن عثمان بن عفان لمعاوية ﴾

فلما قدم معاوية الشام أتاه سعيد بن عثمان بن عفان وكان شيطان قريش ولسانها قال ياامير المؤمنين على م تبايع ليزيد وتتركنى فوالله لتعلم ان أبى خير من أبيه وامى خير من أمه وأنا خير منه وانك انما نلت ما أنت فيه بابى فضحك معاوية وقال يابن أخى أما قولك ان اباك خير من أبيه فيوم من عثمان خير من معاوية واما قولك ان أمك خير من أمه ففضل قرشية على كلبية فضل بين وأما ان اكون نلت ما انا فيه بابيك فانما هو الملك يؤتيه الله من يشاء قتل أبوك رحمه الله فتواكلته بنو العاصي وقامت فيه بنو حرب فنحن أعظم بذلك منة عليك واما أن تكون خيرا من يزيد فوالله ما احب ان دارى مملوءة رجالا مثلك بيزيد ولكن دعنى من هذا القول وسلنى اعطك فقال سعيد بن عثمان بن عفان ياأمير المؤمنين لا يعدم يزيد مزكيا مادمت له وما كنت لارضى ببعض حقى دون بعض فاذا أبيت فاعطنى مما اعطاك الله فقال معاوية لك خراسان قال سعيد وما خراسان قال انها لك طعمة وصلة رحم فخرج راضيا وهو يقول

ذكرت أمير المؤمنين وفضله	فقلت جزاه الله خيرا بما وصل
وقد سبقت منى اليه بوادر	من القول فيه آفة العقل والزلل
فعاد امير المؤمنين بفضله	وقد كان فيه قبل عودته ميل
وقال خراسان لك اليوم طعمة	فجوزى أمير المؤمنين بما فعل
فلو كان عثمان الغداة مكانه	لما نالنى من ملكه فوق مابذل

فلما انتهى قوله الى معاوية امر يزيد أن يزوده وامر اليه بخلعة وشيعه فرسخا

﴿ قدوم أبى الطفيل على معاوية ﴾

قال وذكروا أنه لم يكن احد أحب الى معاوية ان يلقاه من ابى الطفيل الكنانى وهو عامر ابن واثلة وكان فارس اهل صفين وشاعرهم وكان من اخص الناس بعلى كرم الله وجهه فقدم ابو الطفيل الشام يزور ابن اخ له من رجال معاوية فاخبر معاوية بقدومه فأرسل اليه

فأتاه وهو شيخ كبير فلما دخل عليه قال له معاوية انت ابو الطفيل عامر بن واثلة قال نعم قال معاوية اكنت ممن قتل عثمان امير المؤمنين قال لا ولكن ممن شهده فلم ينصره قال ولم قال لم ينصره المهاجرون والانصار فقال معاوية اما والله ان نصرته كانت عليهم وعليك حقا واجبا وفرضا لازما فاذ ضيعتموه فقد فعل الله بكم ما انتم اهله واصاركم الى ما رأيتم فقال ابو الطفيل فما منعك يا امير المؤمنين اذ تربصت به ريب المنون ان لا تنصره ومعك اهل الشام قال معاوية اوترى طلبي لدمه فضحك ابو الطفيل وقال بلى ولكنى واياك كما قال عبيد بن الابرص

لا اعرفنك بعد الموت تندبنى وفى حياتى ما زودتنى زادى

فدخل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحكم فلما جلسوا نظر اليهم معاوية ثم قال أتعرفون هذا الشيخ قالوا لا فقال معاوية هذا خليل على بن ابى طالب وفارس صفين وشاعر اهل العراق هذا أبو الطفيل قال سعيد بن العاص قد عرفناه يا امير المؤمنين فما يمنعك منه وشتمه القوم فزجرهم معاوية قال مهلا فرب يوم ارتفع عن الاسباب قد ضقتم به ذرعا ثم قال أتعرف هؤلاء يا ابا الطفيل قال ما انكرهم من سوء ولا اعرفهم بخير وانشد شعرا

فان تكن العداوة قد اكنت فشر عداوة المرء السباب

فقال معاوية يا ابا الطفيل ما أبقى لك الدهر من حب على قال حب أم موسى واشكو الى الله التقصير فضحك معاوية قال ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سئلوا عنى ما قالوا هذا فقال مروان أجل والله لا نقول الباطل قال ثم جهزه معاوية وألحقه بالكوفة

﴿ ماحاول معاوية من تزويج يزيد ﴾

قال وذكروا ان يزيد بن معاوية سهر ليلة من الليالى وعنده وصيف لمعاوية يقال له رقيق فقال يزيد يستديم الله بقاء أمير المؤمنين وعافيته اياه وارغب اليه فى تولية أمره فقد كنت اعرف من جميل رأى أمير المؤمنين فى حسن نظره فى جميع الاشياء ما الثقة فى ذلك والتوكل عليه منعنى من البوح بما جمجمت فى صدرى له وتطلابه اليه فاضاع وترك من النظر فى شأنى وقد كان فى حلمه وعلمه ورضائه ومعرفته بما يحق

لمثله النظر فيه غير غافل عنه ولا تارك له مع ما يعلم من هيبتي له وخشيتي منه فالله يجزيه عني
باحسانه ويغفر له ما اجترح من عهده ونسيانه فقال الوصيف وماذلك جعلت فداك لا تلم
على تضييعه اياك فانك تعرف تفضيله لك وحرصه عليك وما يخامره من حبك وان ليس
شيء أحب اليه ولا آثر عنده منك لديه فاذكر بلاءه واشكر حياءه فانك لا تبلغ من شكره
لا بعون من الله قال فاطرق يزيد اطراقا عرف الوصيف منه ندامته على ما بدا منه وباح
به فلما آب من عنده توجه نحو سدة معاوية ليلا وكان غير محجوب عنه ولا محبوس
دونه فعلم معاوية انه ما جاءبه ليلا الا خبر اراد اعلامه به فقال له معاوية ماوراءك وما
جاء بك فقال أصلح الله أمير المؤمنين كنت عند يزيد ابنك فقال فيما استجر من الكلام
كذا وكذا فوثب معاوية وقال ويحك ما اضعنا منه رحمة له وكراهية لما اشجاه وخالف
هواه وكان معاوية لا يعدل بما يرضيه شيئا فقال علي به وكان معاوية اذا أتته الامور
المشكلة المعضلة بعث الى يزيد يستعين به على استيضاح شبهاتها واستسهال معضلاتها
فلما جاءه الرسول قال أجب أمير المؤمنين فحسب يزيد انه انما دعاه الى تلك الامور التي
يفزع اليه منها ويستعين برأيه عليها فاقبل حتى دخل عليه ثم جلس فقال معاوية يا يزيد
ما الذي أضعنا من أمرك وتركنا من الحيطة عليك وحسن النظر لك حيث قلت ما قلت
وقد تعرف رحمتي بك ونظري في الاشياء التي تصلحك قبل ان تخطر على وهمك فكنت
اظنك على تلك النعماء شاكراً فاصبحت بها كافراً اذ فرط من قولك ما الزمتني فيه
اضاعتي اياك وأوجبت علي منه التقصير لم يزجرك عن ذلك تخوف سخطي ولم يحجزك
دون ذكره سالف نعمتي ولم يردعك عنه حق ابوتي فاي ولد أعق منك أو أكيد وقد
علمت اني تخطأت الناس كلهم في تقديمك ونزلتهم لتوليتي اياك ونصبتك اماما على
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم من عرفت وحاولت منهم ما علمت قال فتكلم
يزيد وقد خنقه من شدة الحياء الشرق وأخضله من أليم الوجد العرق قال لا تلزمني
كفر نعمتك ولا تنزل بي عقابك وقد عرفت نعمة مواصلتك ببرك وحظوتي الى كل
ما يسرك في سري وجهري فليسكن سخطك فان الذي أرثي له من أعباء حمله وثقله أكثر
مما أرثي لنفسي من أليم ما بها وشدته وسوف أنبئك واعلمك أمري كنت قد عرفت من

أمير المؤمنين استكمل الله بقائه نظراً فى خيار الامور لى وحرصا على سياقها الى وأفضل ماعسيت استعده بعد اسلامى المرأة الصالحة وقدكان ماتحدث به من فضل جمال أرينب بنت اسحاق وكمال أدبها ماقدسطع وشاع فى الناس فوقع منى بموقع الهوى فيها والرغبة فى نكاحها فرجوت ألاتدع حسن النظر لى فى أمرها فتركت ذلك حتى استنكحها بعلها فلم يزل ماوقع فى خلدى ينمو و يعظم فى صدرى حتى عيل صبرى فبحت بسرى فكان مما ذكرت تقصيرك فى أمرى فالله يجزيك أفضل من سؤالى وذكرى فقال له معاوية مهلا يا يزيد فقال على م تأمرنى بالمهل وقد انقطع منها الامل فقال له معاوية فاين حجاك ومروءتك وتقاك فقال يزيد قد يغلب الهوى على الصبر والحجا ولوكان احد ينتفع فيما يبتلى من الهوى بتقاه أو يدفع ماقصده بحجاه لكان أولى الناس بالصبر داود عليه السلام وقد خبرك القرآن بأمره فقال معاوية فما منعك قبل الفوت من ذكره قال ما كنت اعرفه واثق به من جميل نظرك قال صدقت ولكن اكتم يا بنى أمرك بحلمك واستعن بالله على غلبة هواك بصبرك فان البوح به غير نافعك والله بالغ أمره ولابد مما هو كائن وكانت أرينب بنت اسحاق مثلا من أهل زمانها فى جمالها وتمام كمالها وشرفها وكثرة مالها فتزوجها رجل من بنى عمها يقال له عبدالله بن سلام من قريش وكان من معاوية بالمنزلة الرفيعة فى الفضل ووقع أمر يزيد بن معاوية موقعا ملأه هما وأوسعه غماً فأخذ فى الحيلة والنظر أن يصل اليها وكيف يجمع بينه و بينها حتى يبلغ رضا يزيد فيها فكتب معاوية الى عبدالله بن سلام وكان قد استعمله على العراق أن أقبل حين تنظر فى كتابى هذا الامر حظك فيه كامل ولا تتأخر عنه فأغذ المسير والاقبال وكان عند معاوية بالشام أبوهريرة وأبوالدرداء صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عبدالله بن سلام الشام أمر معاوية ان ينزل منزلا قد هيئ له واعد له فيه نزله ثم قال لابى هريرة وصاحبه ان الله قسم بين عباده قسما و وهبهم نعما أوجب عليهم شكرها وحتم عليهم حفظها وأمره برعاية حقها وسلطان طريقها بجميل النظر وحسن التفقد لمن طوقهم الله أمره كما فوضه اليهم حتى يؤدوا الى الله الحق فيهم كما أوجبه عليهم فحبانى منها عز وجل بأعز الشرف وسمو السلف وافضل الذكر وأغدق اليسر وأوسع على ف

رزقه وجعلني راعي خلقه وأمينه في بلاده والحاكم في أمر عباده ليبلوني أشكر آلاءه أم أكفرها فاياه أسأله اداء شكره وبلوغ ما ارجو بلوغه من عظيم أجره وأول ما ينبغي للمرء ان يتفقده وينظر فيه فيمن استرعاه الله امره من أهله ومن لا غنى به عنه وقد بلغت لي ابنة أردت انكاحها والنظر في تبعل من يريد ان يباعلها لعل من يكون بعدي يهتدي منه بهدي ويتبع فيه أثري فاني قد تخوفت ان يدعو من يلي هذا الامر من بعدي زهوة السلطان وسرفه الى عضل نسائهم والا يرون لهن فيمن ملكهن أمره كفؤا ولا نظيرا وقد رضيت لها عبد الله بن سلام لدينه وفضله ومروءته وأدبه فقال أبو هريرة وأبو الدرداء ان أولى الناس برعاية أنعم الله وشكرها وطلب مرضاته فيما فيما خصه به منها أنت صاحب رسول الله وكاتبه فقال معاوية اذكرا له ذلك عني وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى غير اني أرجو انها لا تخرج من رأيي ان شاء الله فلما خرجا من عنده متوجهين الى منزل عبد الله بن سلام بالذي قال لهما قال ودخل معاوية الى ابنته فقال لها اذا دخل عليك أبو هريرة وأبو الدرداء فعرضا عليك أمر عبد الله بن سلام وانكاحي اياك منه ودعواك الى مباعلته وحضاك على ملائمة رأيي والمسارعة الى هواي فقولي لهما عبد الله ابن سلام كفؤ كريم وقريب حميم غير انه تحته ارينب بنت اسحاق وانا خائفة ان يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء فاتولى منه ما اسخط الله فيه فيعذبني عليه فافارق الرجاء واستشعر الاذى ولست بفاعلة حتى يفارقها فذكر ذلك أبو هريرة وأبو الدرداء لعبد الله بن سلام واعلماه بالذي أمرهما معاوية فلما أخبراه سربه وفرح وحمد الله عليه ثم قال نستمتع الله بأمير المؤمنين لقد والى علي من نعمه وأسدى الي من منته فأطول ما اقول فيه قصير واعظم الوصف لها يسير ثم أراد اخلاطي بنفسه والحاقي باهله اتماما لنعمته واكمالا لاحسانه فالله استعين على شكره وبه أعوذ من كيده ومكره ثم بعثهما اليه خاطبين عليه فلما قدما قال لهما معاوية قد تعلمان رضائي به وتخلي اياه وحرصي عليه وقد كنت أعلمتكما بالذي جعلت لها في نفسها من الشورى فادخلا اليها واعرضا عليها الذي رأيت لها فدخلا عليها واعلماها بالذي ارتضاها لها أبوها لما رجا من ثواب الله عليه

فقالت لهما كالذي قال لها أبوها فاعلماه بذلك فلما ظن أنه لا يمنعها منه الا أمرها فارق زوجته وأشهدهما على طلاقها وبعثهما خاطبين اليه أيضا فخطبا واعلما معاوية بالذي كان من فراق عبدالله بن سلام امرأته طلاقا لما يرضيها وخروجا عما يشجيها فاظهر معاوية كراهة لفعله وقال ما أستحسن له طلاق امرأته ولا أحببته ولو صبر ولم يعجل لكان أمره الى مصيره فان كون ما هو كائن لا بد منه ولا محيص عنه ولا خيرة فيه للعباد والاقدار غالبة وما سبق فى علم الله لا بد جار فيه فانصرفا فى عافية ثم تعودان الينا فيه وتاخذان ان شاء الله رضانا ثم كتب الى يزيد ابنه يعلمه عما كان من طلاق أرينب بنت اسحاق عبد الله بن سلام فلما عاد أبوهريرة وأبو الدرداء الى معاوية أمرهما بالدخول عليها وسألاها عن رضاها تبريا من الامر ونصرا فى القول والعذر فيه ولم يكن لى أن ا برمها وقد جعلت لها الشورى فى نفسها فدخلا عليها وأعلماها بالذى رضيه ان رضيت هى وبطلاق عبدالله بن سلام امرأته أرينب طلاقا بالمسرتها وذكرا من فضله وكمال مروءته وكريم محتدهما لقول يقصر عن ذكره فقالت لهما جف القلم بما هو كائن وانه فى قريش لرفيع غير ان الله عز وجل يتولى تدبير الامور فى خلقه وتقسيمها بين عباده حتى ينزلها منازلها فيهم ويضعها على ماسبق فى اقدارها وليست تجرى لاحد على مايهوى ولو كان لبلغ منها غاية ماشاء وقد تعرفان ان التزويج هزله جد وجد ندم النادم عليه يدوم والعثور فيه لا يكاد يقوم والاناة فى الامور أوفق لما يخاف فيها من المعذور فان الامور اذا جاءت خلاف الهوى بعد التأنى فيها كان المرء بحسن العزاء خليقا وبالصبر عليها حقيقا وعلمت ان الله ولى التدبير فلم تلم النفس على التقصير وانى بالله أستعين سائلة عنه حتى أعرف دخيلة خبره ويصح لى الذى أريد علمه من أمره ومستخيرة وان كنت اعلم أنه لا خيرة لاحد فيما هو كائن ومعلمتكما بالذى يرينيه الله فى أمره ولا قوة الا بالله فقالا وفقك الله وخار لك ثم انصرفا عنها فلما أعلماه بقولها تمثل وقال فان يك صدر هذا اليوم ولى فان غداً لناظره قريب

وتحدث الناس بالذى كان من طلاق عبد الله امرأته قبل أن يفرغ من طلبته وقبل أن يوجد له الذى كان من بغيته ولم يشكوا فى غدر معاوية اياه فاستحث عبدالله

ابن سلام أبا هريرة وأبا الدرداء وسألهما الفراغ من أمره فأتياها فقالا لها قد أتيناك لما أنت صانعة فى أمرك وأن تستخير الله يخر لك فيما تختارين فانه يهدى من استهداه و يعطى من اجتداه وهو أقدر القادرين قالت الحمد لله أرجو أن يكون الله قد خار لى فانه لا يكل الى غيره من توكل عليه وقد استبرأت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسى مع اختلاف من استشرته فيه فمنهم الناهى عنه ومنهم الآمر به واختلافهم أول ما كرهت من الله فعلم عبد الله انه خدع فهلع ساعة واشتد عليه الهم ثم انتبه فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال متعز بالرس لامر الله رادولا لما لا بد أن يكون منه صاد أمور فى علم الله سبقت فجرت بها أسبابها حتى امتلأت منها اقرابها وان امرؤا نال له حلمه واجتمع له عقله واستد له رأيه ليس بدافع عن نفسه قدرا ولا كيد ولا انحرافا عنه ولا حيدا ولا آل ماسر وابه واستجذلوا له لا يدوم لهم سرور ه ولا يصرف عنهم محذوره قال وذاع أمره فى الناس وشاع وتقلوه الى الامصار وتحدثوا به فى الاسمار وفى الليل والنهار وشاع فى ذلك قولهم وعظم لمعاوية عليه لومهم وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته وانما أرادها لابنه فبئس من استرعاه الله أمر عباده ومكنه فى بلاده وأشركه فى سلطانه يطلب أمر الخدعة من جعل الله اليه أمره ويجيره و يصرعه جرأة على الله فلما بلغ معاوية ذلك من قول الناس قال لعمرى ماخدعته قال فلما انقضت أقراؤها وجه معاوية أبا الدرداء الى العراق خاطبا لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن على وهو سيد أهل العراق فقها وحالا وجودا وبذلا فقال أبو الدرداء اذ قدم العراق ماينبغى لذوى الحجا والمعرفة والتقى أن يبدأ به ويؤثره على مهم أمره مما يلزمه حقه ويجب عليه حفظه وهذا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة فلست بناظر فى شىء قبل الالمام به والدخول عليه والنظر الى وجهه الكريم واداء حقه والتسليم عليه ثم أستقبل بعد ان شاء الله ماجئت له و بعثت اليه فقصد حتى أتى الحسين فلما رآه الحسين قام اليه فصافحه اجلالا له ومعرفة لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعه من الاسلام ثم قال الحسين مرحبا بصاحب رسول الله وجليسه يا أبا الدرداء حدثت لى رؤيتك شوقا الى رسول الله صلى

الله عليه وسلم وأوقدت مطلقات أحزانى عليه فانى لم أر منذ فارقته أحدا كان له جليسا واليه حبيبا الا هملت عيناى وأحرقت كبدى أسى عليه وصبابة اليه ففاضت عينا أبى الدرداء لذكر رسول الله وقال جزى الله لبانة أقدمتنا عليك وجمعتنا بك خيرا فقال الحسين والله انى لذو حرص عليك ولقد كنت بالاشتياق اليك فقال أبو الدرداء وجهنى معاوية خاطبا على ابنه يزيد أرينب بنت اسحاق فرأيت أن لا أبدأ بشىء قبل احداث العهد بك والتسليم عليك فشكر له الحسين ذلك وأثنى عليه وقال لقد كنت ذكرت نكاحها وأردت الارسال اليها بعد انقضاء اقرائها فلم يمنعنى من ذلك الا تخيير مثلك فقد أتى الله بك فاخطب رحمك الله على وعليه فلتختر من اختاره الله لها وانها أمانة فى عنقك حتى تؤديها اليها واعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال أبو الدرداء أفعل ان شاء الله فلما دخل عليها قال لها أيتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته فجعل لكل أمر قدرا ولكل قدر سببا فليس لاحد عن قدر الله مستحاص ولا عن الخروج عن علمه مستناص فكان مما سبق لك وقدر عليك الذى كان من فراق عبد الله بن سلام اياك ولعل ذلك لا يضرك وان يجعل الله لك فيه خيرا كثيرا وقد خطبك أمير هذه الامة وابن الملك وولى عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أول من آمن به من أمته وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة وقد بلغك سناهما وفضلهما وجئتك خاطبا عليهما فاختارى أيهما شئت فسكتت طويلا ثم قالت يا أبا الدرداء لو أن هذا الامر جاءنى وأنت غائب عنى لاشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رأيك ولم اقطعه دونك على بعد مكانك ونأى دارك فاما اذا كنت المرسل فيه فقد فوضت أمرى بعد الله اليك وبرئت منه اليك وجعلته فى يديك فاختر لى ارضاهما لديك والله شهيد عليك واقض فيه قضاء ذى التحرى المتقى ولا يصدنك عن ذلك اتباع هوى فليس أمرهما عليك خفياً وما أنت عما طوقتك عمياً فقال أبو الدرداء أيتها المرأة انما على اعلامك وعليك الاختيار لنفسك قالت عفا الله عنك انما أنا بنت أخيك ومن لا غنا بها عنك فلا يمنعك رهبة أحد من قول الحق فيما طوقتك فقد وجب عليك اداء الامانة فيما حملتك والله خير من روعى وخيف

انه بنا خبير لطيف فلما لم يجد بداً من القول والاشارة عليها قال أى بنيه ابن بنت رسول الله أحب الىّ وأرضاهما عندى والله اعلم بخيرهما لك وقد كنت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعاً شفتيه على شفتى الحسين فضعى شفتك حيث وضعها رسول الله قالت قد اخترته ورضيته فاستنكحها الحسين بن على وساق اليها مهرا عظيما وقال الناس وبلغ معاوية الذى كان من فعل ابى الدرداء فى ذكره حاجة أحد مع حاجته وما بعثه هو له ونكاح الحسين اياها فتعاظمه ذلك جدا ولامه لوما شديدا وقال من يرسل ذا بلاهة وعماً يركب فى أمر مخلاف مايهوى ورأيى كان من رأيه أسوأ ولقد كنا بالملامة منه أولى حين بعثناه ولحاجتنا انتحلناه وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه اياها بدرات مملوءة درا كان ذلك الدر أعظم ماله واحبه اليه وكان معاوية قد أطرحه وقطع جميع روافده عنه لسوء قوله فيه وتهمته اياه على الخديعة فلم يزل يجفوه ويغضبه ويكدى به عنه ما كان يجديه حتى عيل صبره وطال أمره وقل ما فى يديه ولام نفسه على المقام لديه فخرج من عنده راجعا الى العراق وهو يذكر ماله الذى كان استودعها ولا يدرى كيف يصنع فيه وأنى يصل اليه ويتوقع جحودها عليه لسوء فعله بها وطلاقه اياها على غير شىء انكره منها ولا نقمة عليها فلما قدم العراق لقى الحسين فسلم عليه ثم قال قد علمت جعلت فداك الذى كان من قضاء الله فى طلاق أرينب بنت اسحاق وكنت قبل فراقى اياها قد استودعتها مالا عظيما درا وكان الذى كان ولم أقبضه والله ما انكرت منها فى طول ما صحبتها فتيلا ولا أظن بها الا جميلا فذاكرها أمرى واحضضها على الرد على فان الله يحسن عليك ذكرك ويجزل به أجرك فسكت عنه فلما انصرف الحسين الى أهله قال لها قدم عبد الله بن سلام وهو يحسن الثناء عليك ويحمل النشر عنك فى حسن صحبتك وما آنسه قديما من امانتك فسرنى ذلك واعجبنى وذكر انه كان استودعك مالا قبل فراقه اياك فأدى اليه أمانته ورد عليه ماله فانه لم يقل الا صدقا ولم يطلب الا حقا قالت صدق قد والله استودعنى مالا لا أدرى ما هو وانه لمطبوع عليه بطابعه ما أخذت منه شيئا الى يومه هذا فاثنى عليها الحسين خيرا وقال بل أدخله عليك حتى تبرئى اليه منه كما دفعه اليك ثم لقى عبد الله بن سلام فقال له ما أنكرت مالك وزعمت انه لكما دفعته اليها

بطا بعك فادخل ياهذا عليهما وتوف مالك منها فقال عبدالله بن سلام أو تأمر بدفعه الىّ جعلت فداك قال لا حتى تقبضه منها كما دفعته اليها وتبرئها منه اذا أدته فلما دخلا عليها قال لها الحسين هذا عبدالله بن سلام قدجاء يطلب وديعته فاديها اليه كما قبضتيها منه فخرجت البدرات فوضعتها بين يديه وقالت له هذا مالك فشكر لها وأثنى عليها وخرج الحسين ففض عبدالله خاتم بدرة فحثا لها من ذلك الدرحثوات وقال خذى فهذا قليل منى لك واستعبرا جميعا حتى تعالت اصواتهما بالبكاء أسفا على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رقّ لهما للذى سمع منهما فقال اشهد الله أنها طالق ثلاثا اللهم انك تعلم انى لم استنكحها رغبة فى مالها ولا جمالها ولكنى أردت احلالها لبعلها وثوابها على ما عالجته فى أمرهما فأوجب لى بذلك الاجر واجزل لى عليه الذخر انك على كل شىء قدير ولم يأخذ مما ساق اليها فى مهرها قليلا ولا كثيرا وقدكان عبدالله بن سلام سأل ذلك أو ينب أى التعويض على الحسين فأجابته الىّ ردماله عليه شكرا لما صنعه بهما فلم يقبله وقال الذى أرجو عليه من الثواب خير لى منه فتزوجها عبدالله بن سلام وعاشا متحابين متصافيين حتى قبضهما الله وحرمها الله على يزيد والحمد لله رب العالمين

﴿ وفاة معاوية رحمه الله ﴾

قال وذكروا ان عتبة بن مسعود قال مر بنا نعى معاوية بن أبى سفيان ونحن بالمسجد الحرام قال فقمنا فاتينا ابن عباس فوجدناه جالسا قد وضع له الخوان وعنده نفر فقلنا أما علمت بهذا الخبر يا ابن عباس قال وما هو قلنا هلك معاوية فقال ارفع الخوان يا غلام وسكت ساعة ثم قال جبل تزعزع ثم مال بكلكله أما والله ما كان كمن كان قبله ولما يكن بعده مثله اللهم أنت أوسع لمعاوية فينا وفى بنى عمنا هؤلاء الذى لب معتبر اشتجر بيننا فقتل صاحبهم غيرنا وقتل صاحبنا غيرهم وما اغراهم بنا الا انهم لا يجدون مثلنا وما أغرانا بهم الا أنا لا نجد مثلهم كما قال القائل مالك تظلمنى قال لا أجد من أظلم غيرك و والله ان ابنه لخير أهله أعد طعامك يا غلام قال فما رفع الخوان حتى جاء رسول خالد بن الحكم الى ابن عباس أن انطلق فبايع فقال للرسول اقرئ الامير السلام وقل والله ما بقى فى ما تخافون فاقض من أمرك ما أنت قاض فاذا سهل الممشى وذهبت

حطمة الناس جئتك ففعلت ما أحببت قال ثم أقبل علينا فقال مهلا معشر قريش ان تقولوا عند موت معاوية ذهب جد بنى معاوية وانقطع ملكهم ذهب لعمر الله جدهم وبقى ملكهم وشرها باقية هى أطول مما مضى الزموا مجالسكم وأعطوا بيعتكم قال فما برحنا حتى جاء رسول خالد فقال يقول لك الامير لا بد لك ان تأتينا قال فان كان لا بد فلا بد مما لا بد منه يانوار هلمى ثيابى ثم قال وما ينفعكم اتيان رجل ان جلس لم يضركم قال فقلت له أتبايع ليزيد وهو يشرب الخمر ويلهو بالقيان ويستهتر بالفواحش قال مه فاين ما قلت لكم وكم بعده من آت ممن يشرب الخمر أو هو شر من شاربها أنتم الى بيعته سراع أما والله انى لأنهاكم وأنا أعلم أنكم فاعلون ما أنتم فاعلون حتى يصلب مصلوب قريش بمكة يعنى عبد الله بن الزبير

﴿ كتاب يزيد بالبيعة الى أهل المدينة ﴾

قال وذكروا ان نافع بن جبير قال انى بالشام يوم موت معاوية وكان يزيد غائبا واستخلف معاوية الضحاك بن قيس بعده حتى يقدم يزيد فلما مات معاوية خرج الضحاك على الناس فقال لا يحملن اليوم نعش أمير المؤمنين الا قرشى قال فحملته قريش ساعة ثم قال أهل الشام أصلح الله الامير اجعل لنا من أمير المؤمنين نصيبا فى موته كما كان لنا فى حياته قال فاحملوه فحملوه وازدحموا عليه حتى شقوا البرد الذى كان عليه صدعين قال فلما قدم يزيد دمشق بعد موت أبيه الى عشرة أيام كتب الى خالد بن الحكم وهو عامل المدينة أما بعد فان معاوية بن أبى سفيان كان عبدا استخلفه الله على العباد ومكن له فى البلاد وكان من حادث قضاء جل ثناؤه وتقدست اسماؤه فيه ماسبق فى الاولين والآخرين لم يدفع عنه ملك مقرب ولا نبى مرسل فعاش حميدا ومات سعيدا وقد قلدنا الله عز وجل ما كان اليه فيالها مصيبة ما أجلها ونعمة أعظمها نقل الخلافة وفقد الخليفة فنستوزعه الشكر ونستلهمه الحمد ونسأله الخيرة فى الدارين معا ومحمود العقبى فى الآخرة والاولى انه ولى ذلك وكل شىء بيده لاشريك له وان أهل المدينة قومنا ورجالنا ومن لم نزل على حسن الرأى فيهم والاستعداد بهم واتباع أثر الخليفة فيهم والاحتذاء على مثاله لديهم من الإقبال عليهم والتقبل من

محسنهم والتجاوز عن مسيئهم فبايع لنا قومنا ومن قبلك من رجالنا بيعة منشرحة بها صدوركم طيبة عليها أنفسكم وليكن أول من يبايعك من قومنا وأهلنا الحسين وعبدالله ابن عمر وعبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن جعفر ويحلفون على ذلك بجميع الايمان اللازمة ويحلفون بصدقة أموالهم غير عشرها وجزية رقيقهم وطلاق نسائهم بالثبات على الوفاء بما يعطون من بيعتهم ولا قوة الا بالله والسلام

﴿ اباية القوم المتمنعين عن البيعة ﴾

قال وذكروا ان خالد بن الحكم لما أتاه الكتاب من يزيد قطع به فدعا مروان بن الحكم وكان على المدينة قبله فلما دخل عليه مروان وذلك فى أول الليل قال له خالد احتسب صاحبك يا مروان فقال له مروان اكتم ما بلغك انا لله وانا اليه راجعون ثم اقرأه الكتاب وقال له ما الرأى فقال ارسل الساعة الى هؤلاء النفر تخذ بيعتهم فانهم ان بايعوا لم يختلف على يزيد أحد من أهل الاسلام فعجل عليهم قبل ان يفشى الخبر فيمتنعوا فارسل الى الحسين بن على وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر فلما أتاهم الرسول قال عبدالله بن الزبير للحسين ظن يا أبا عبدالله فيما أرسل الينا فقال الحسين لم يرسل الينا الا للبيعة فما ترى قال آتيه فان أراد تلك امتنعت عليه فدعا الحسين مواليه وأهل بيته وأقعدهم على الباب وقال لهم ان ارتفع صوتى فاقتحموا الدار على والا فكانكم حتى أخرج اليكم ثم دخل على خالد فاقرأه الكتاب فقال الحسين رحم الله معاوية فقال لا لمبايع فقال الحسين لا خير فى بيعة سر والظاهرة خير فاذا حضر الناس كان امرأ واحداً ثم وثب الى أهله فقال مروان لخالد أشدد يدك بالرجل فلا يخرج حتى يبايعك فان أبى فاضرب عنقه فقال له ابن الزبير قد علمت انا كنا أبينا البيعة اذ دعانا اليها معاوية وفى نفسه علينا من ذلك ما لا نجهله ومتى ما نبايعك ليلا على هذه الحال ترى انك أغضبتنا على أنفسنا دعنا حتى نصبح وندعو الناس الى البيعة فنأتيك فنبايعك بيعة سليمة صحيحة فلم يزل الا به حتى خلا عنهما وخرجا فقال مروان لخالد تركتهما والله لا تظفر بمثلها منهما أبدا فقال ويحك أتشير على ان أقتل الحسين فوالله ما يسرنى ان لى الدنيا وما فيها وما أحسب ان قاتله يلقى الله بدمه الا خفيف الميزان يوم القيامة فقال له مروان

مستهزأ ان كنت أعانوكت ذلك لذلك فقد أصبت

﴿ خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية ﴾

قال وذكروا ان يزيد بن معاوية عزل خالد بن الحكم عن المدينة وولاها عثمان بن محمد بن أبى سفيان الثقفى وخرج الحسين بن على وعبدالله بن الزبير الى مكة وأقبل عثمان ابن محمد من الشام واليا على المدينة ومكة وعلى الموسم فى رمضان فلما استوى على المنبر بمكة رعف فقال رجل مستقبله جئت والله بالدم فتلقاه رجل آخر بعمامته فقال مه والله عم الناس ثم قام يخطب فتناول عصا لها شعبتان فقال مه شعب والله أمر الناس ثم نزل فقال الناس للحسين يا أباعبدالله لو تقدمت فصليت بالناس فانه ليهم بذلك اذ جاء المؤذن فأقام الصلاة فتقدم عثمان فكبر فقيل للحسين يا أباعبدالله اذا أبيت ان تتقدم فاخرج فقال الصلاة فى الجماعة أفضل قال فصلى ثم خرج فلما انصرف عثمان بن محمد من الصلاة بلغه ان الحسين خرج قال اركبوا كل بعير بين السماء والارض فاطلبوه فطلب فلم يدرك قال ثم قدم المدينة فاقبل ابن ميناء بسراح له من الحرة يريد الاموال التى كانت لمعاوية فمنع منها وازاحه أهل المدينة عنها وكانت أموالا اكتسبها معاوية ونخيلا يجد منها مائة ألف وسق وستين ألفا ودخل نفر من قريش والانصار على عثمان فكلموه فيها فقالوا قد علمت ان هذه الاموال كلها لنا وان معاوية آثر علينا فى عطائنا ولم يعطنا قط درهما فما فوقه حتى مضنا الزمان ونالتنا المجاعة فاشتراها منا بجزء من مائة من ثمنها فاغلظ لهم عثمان فى القول واغلظوا له فقال لهم لاكتبن الى أمير المؤمنين بسوء رأيكم وما أنتم عليه من كمون الاضغان القديمة والاحقاد التى لم تزل فى صدوركم فافترقوا على موجدة ثم اجتمع رأيهم على منع ابن ميناء القيم عليها فكف عثمان بن محمد عنهم وكتب بأمرهم الى يزيد بن معاوية قال عبدالله بن جعفر جاء كتاب عثمان بن محمد بعد هدأة من الليل وقد كنت انصرفت من عند يزيد فلم ألبث ان جاءنى رسوله فدخلت عليه والشمعة بين يديه وهو مغضب قد حسر عن ذراعيه والكتاب بين يديه فقال دونك يا أباجعفر هذا الكتاب فاقرأه فرأيت كتابا قبيحا فيه تعريض لاهل المدينة وتحريش ثم قال والله لاطأنهم وطأة آتى منها على أنفسهم قال ابن جعفر فقلت له ان الله لم يزل يعرف

أباك في الرفق خيرا فان رأيت ان ترفق بهم وتجاوز عنهم فعلت فانما هم أهلك وعشيرتك وانما تقتل بهم نفسك اذا قتلتهم قال اقتل واشفي نفسي فلم أزل أُلح عليه فيهم وارققه عليهم وكان لي سامعا ومطيعا فقال لي ان ابن الزبير حيث علمت من مكة وهو زعم انه قد نصب الحرب فانا أبعث اليه الجيوش وآمر صاحب أول جيش أبعثه ان يتخذ المدينة طريقا وان لا يقاتل فان أقروا بالطاعة ونزعوا من غيهم وضلالهم فلهم علي عهد الله وميثاقه ان لهم عطاءين في كل عام مالا افعله باحد من الناس طول حياتي عطاء في الشتاء وعطاء في الصيف ولهم علي عهد ان اجعل الحنطة عندهم كسعر الحنطة عندنا والحنطة عندهم سبع آصع بدرهم والعطاء الذي يذكرون انه احتبس عنهم في زمان معاوية فهو علي ان أخرجه لهم وافرا كاملا فان أبوا وقبلوا ذلك جاوزوا الى ابن الزبير وان أبوا قاتلهم ثم ان ظفر بها انهبها ثلاثا هذا عهدي الى صاحب جيشي لمكانك ولطلبتك فيهم ولما زعمت انهم قومي وعشيرتي قال عبدالله بن جعفر فرأيت هذا لهم فرجاً فرجعت الى منزلي فكتبت اليهم من ليلتي كتاباً الى أهل المدينة اعلمهم فيه قول يزيد واحضهم على الطاعة والتسليم والرضا والقبول لما بذل لهم وأنهاهم ان يتعرضوا لجيوشه وقلت لرسولي أجهد السير فدخلها في عشر فوالله ما أرادوا ذلك ولا قبلوه وقالوا والله لا يدخلها عنوة أبدا

﴿ كتاب يزيد الى أهل المدينة ﴾

قال وكتب يزيد الى أهل المدينة كتابا وأمر عثمان بن محمد يقرأه عليهم فقدم بالكتاب المدينة وعثمان خائف فقرأه عليهم فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاني قد نفستكم حتى اخلقتكم ورفعتكم حتى أخرقتكم ورفعتكم على رأسي ثم وضعتكم وايم الله لئن أشرت ان أضعكم تحت قدمي لاطأنكم وطأة أقل منها عددكم وأتركهم أحاديث تتناسخ كاحاديث عاد وثمود وأيم الله ليأتينكم مني أولى من عقوبتي فلا أفلح من ندم

﴿ ما أجمع عليه أهل المدينة ورأوه من اخراج بني أمية ﴾

قال وذكروا انه لما قرئ الكتاب تكلم عبدالله بن مطيع ورجال معه كلاما قبيحا فلما استبان لهم ان يزيد باعث الجيوش اليهم أجمعوا على خلافهم واختلفوا في الرئاسة أيهم يقوم بهذا الامر فقال قائل ابن مطيع وقال قائل ابراهيم بن نعيم ثم اجتمع رأيهم ان

يقوم بأمرهم ابن حنظلة وهرب عثمان بن محمد منهم ليلا فلحق بالشام ثم أخذ مروان بن الحكم وكبراء بني أمية فاخرجوهم عن المدينة فقالوا الشقة بعيدة ولا بد لنا مما يصلحنا ولنا عيال وصبية ونحن نريد الشام قال فاستنظروا عشرة أيام فانظروا ثم اجتمع رأى أهل المدينة ان يحلفوا كبراء بني أمية عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لقوا جيش يزيد ليردونهم عنهم ان استطاعوا فان لم يستطيعوا مضوا الى الشام ولم يرجعوا معهم فحلفوا لهم على ذلك وشرطوا عليهم ان يقيموا بذى خشب عشرة أيام فخرجوا من المدينة وتبعهم الصبيان وسفهاء الناس يرمونهم بالحجارة حتى انتهوا الى ذى خشب ولم يحرك أحد من آل عثمان بن محمد ولم يخرج من المدينة فلما رأت بنو أمية ما صنع بهم أهل المدينة من اخراجهم منها اجتمعوا الى مروان فقالوا يا أبا عبد الملك ما الرأى قال من قدر منكم ان يغيب حريمه فليفعل فانى الخوف على الحرمة فغيبوا حرمهم فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن بلغنى انك تريد الخروج الى مكة وتغيب عن هذا الامر فاحب ان أوجه عيالى معك فقال ابن عمر انى لا أقدر على مصاحبة النساء قال فتجعلهم فى منزلك مع حرمك قال لا آمن ان يدخل على حريمى من أجل مكانكم فكلم مروان على بن الحسين فقال نعم فضمهم على اليه وبعث بهم مع عياله قال ثم ارتحل القوم من ذى خشب على اقبح اخراج يكون واجتثاث منهم خوفا ان يبدو للقوم فى حبسهم وجعل مروان يقول لابنه عبد الملك يا بنى ان هؤلاء القوم لم يدروا ولم يستشيروا فقال ابنه وكيف ذلك قال اذ لم يقتلونا أو يحبسونا فان بعث اليهم بعثا كنا فى ايديهم وما أخوفنى ان يفطنوا لهذا الامر فيبعثوا فى طلبنا فالوحا الوحا والنجا النجا

﴿ ارسال يزيد الجيوش اليهم ﴾

قال فلما أجمع رأى يزيد على ارسال الجيوش صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا أهل الشام فان أهل المدينة اخرجوا قومنا منها والله لئن تقع الخضراء على الغبراء أحب الى من ذلك وكان معاوية قد أوصى يزيد فقال له ان رابك منهم ريب أو انتقض عليك منهم أحد فعليك باعور بنى مرة مسلم بن عقبة فدعا به فقال سر الى هذه المدينة بهذه الجيوش وان شئت اعفيتك فانى أراك مدنفا فقال نشدتك الله ان لا تحرمنى أجرا ساقه

الله الى وتبعث غيرى فانى رأيت فى النوم شجرة غرقد تصيح أغصانها ياثارات عثمان فاقبلت اليها وجعلت الشجرة تقول لى يامسلم بن عقبة فاتيت فاخذتها فعبرت ذلك ان أكون أنا القائم بأمر عثمان و والله ماصنعوا الذى صنعوا الا أن الله أراد بهم الهلاك فقال يزيد فسر على بركة الله فانت صاحبهم فخرج مسلم فعسكر وعرض الاجناد فلم يخرج معه أصغر من ابن عشرين ولا أكبر من ابن خمسين على خيل عراب وسلاح شاك واداة كاملة و وجه معه عشرة آلاف بعير يحمل الزاد حتى خرج فخرج معه يزيد فودعه وقال له ان حدث بك حدث فامر الجيوش الى حصين بن نمير فانهض باسم الله الى ابن الزبير واتخذ المدينة طريقا اليه فان صدوك أو قاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم وانهبها ثلاثا فقال مسلم بن عقبة أصلح الله الامير لست بآخذ من كل ماعهدت به الا بحرفين قال يزيد وماهما ويحك قال اقبل من المقبل الطائع واقتل المدبر العاصى فقال يزيد حسبك ولكن البيان لا يضرك التأكيد ينفعك فاذا قدمت المدينة فمن عاقك عن دخولها أو نصب لك الحرب فالسيف السيف اجهز على جريحهم واقبل على مدبرهم واياك ان تبقى عليهم وان لم يتعرضوا لك فامض الى ابن الزبير فمضت الجيوش فلما نزلوا بوادى القرى لقيتهم بنو أمية خارجين من المدينة فرجعوا معهم واستخبرهم مسلمة بن عقبة عما خلفهم وعما لقوا وعن عددهم فقال مروان ان عددهم كثير أكثر مما جئت به من الجيوش ولكن عامتهم ليس لهم نيات ولا بصائر وفيهم قوم قليل لهم نية و بصيرة ولكن لا بقاء لهم مع السيف وليس لهم كراع ولا سلاح وقد خندقوا عليهم وحصنوا قال مسلم هذه اشدها علينا ولكنا نقطع عنهم مشربهم ونردم عليهم خندقهم فقال مروان عليه رجال لا يسلمونه ولكن عندى فيه وجه سأخبرك به قال هاته فقال اطوه ودعه حتى يحضر ذلك قال فدعه اذاً ثم قال لهم مسلم تريدون أن تسيروا الى أميرأو تقيموا موضعكم هذا أو تسيروا معنا فقال مروان أما أنا فراجع فقال بعضهم لبعض قد حلفنا لهم عند المنبر لئن استطعنا ان نرد الجيش عنهم نردهم فكيف بالرجوع اليهم فقال مروان أما انا فراجع اليهم فقال لهم قوم ما نرى ان تفعل فانما تقتلون بهؤلاء انفسكم والله لا اكثرنا عليهم لمسلم جمعا ابداً فقال مروان انا والله ماض مع مسلم الى المدينة فمدرك ثارى من عدوى

ومن اخرجني من بيتي وفرق بيني و بين أهلي وان قتلت بهم نفسي فلم يرجع مع مسلم من بني أمية غير مروان وابنه عبد الملك وكان مجدورا فجعله بذي خشب فلما أيقن أهل المدينة بقدوم الجيوش اليهم تشاوروا في الخندق وقالوا قد خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم فخندقوا المدينة من كل نواحيها ثم جمع عبد الله بن حنظلة أهل المدينة عند المنبر فقال تبايعوني على الموت والا فلا حاجة في بيعتكم فبايعوه على الموت ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انما خرجتم غضبا لدينكم فابلوا الى الله بلاء حسنا ليوجب لكم به الجنة ومغفرته ويحل بكم رضوانه واستعدوا باحسن عدتكم وتاهبوا باكمل أهبتكم فقد اخبرت بان القوم نزلوا بذي خشب ومعهم مروان بن الحكم والله ان شاء مهلكه بنقضه العهد والميثاق عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصايح الناس وجعلوا ينالون منه و يسبونه فقال لهم ان الشتم ليس بشيء ولكن نصدقهم اللقاء والله ما صدق قوم قط الا نصروا ثم رفع يديه الى السماء وقال انا بك واثقون وعليك متوكلون واليك الجأنا ظهورنا ثم نزل وكان عبد الله بن حنظلة لا يبيت الا في المسجد الشريف وكان لا يزيد على شربة من سويق يفطر عليها الى مثلها من الغد

﴿ قدوم الجيوش الى المدينة ﴾

قال وذكروا ان أهل الشام لما انتهوا الى المدينة عسكروا بالجرف ومشوا رجالا من رجالهم فأحدقوا بالمدينة من كل ناحية لا يجدون مدخلا لانهم قد خندقوها عليهم والناس متلبسون السلاح قد قاموا على أفواه الخنادق وقد حرسوا أن لا يتكلم منهم متكلم وجعل أهل الشام يطوفون بها والناس يرمونهم بالحجارة والنبل من فوق الآكام والبيوت حتى خرجوا فيهم وفي خيامهم فقال مسلم لمروان أين ما قلت لي بوادي القرى فخرج مروان حتى جاء بني حارثة فكلم رجلا منهم ورغبه في الصنيعة وقال افتح لنا طريقا فانا أكتب بذلك الى أمير المؤمنين ومتضمن لك عنه شطر ما كان بذل لاهل المدينة من العطاء وتضعيفه ففتح له طريقا ورغب فيما بذل له وتقبل ما تضمن له عن يزيد فاقتحمت الخيل فجاء الخبر الى عبد الله بن حنظلة فاقبل وكان من ناحية الطورين واقبل عبد الله بن مقطع وكان من ناحية ذناب وأقبل ابن أبي ربيعة فاجتمعوا جميعا بمن معهم

بحيث اقتحم عليهم أهل الشام فاقتتلوا حتى عاينوا الموت ثم تفرقوا

﴿ غلبة أهل الشام على أهل المدينة ﴾

قال وذكروا ان عبد الله بن أبي سفيان قال وقعت مع قوم عند مسجد بني عبد الاشهل منهم عبدالله بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتل مسيلمة الكذاب ومعه عبدالله بن حنظلة ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وابراهيم بن فارط وابراهيم بن نعيم بن النجار فهم يقاتلون ويقولون للناس أين الفرار والله لان يقتل الرجل مقبلا خيرله من أن يقتل مدبرا قال فاقتتلوا ساعة والنساء والصبيان يصيحون على قتلاهم حتى جاءهم مالا طاقة لهم به وجعل مسلم يقول من جاء برأس رجل فله كذا وكذا وجعل يغرى قوما لا دين لهم فقتلوا وظهروا على أكثر المدينة قال وكان على بشر بن حنظلة يومئذ درعان فلما هزم القوم طرحهما ثم جعل يقاتلهم وهو حاسر حتى قتلوه ضربه رجل من أهل الشام ضربة بالسيف قطع منكبه فوقع ميتا فلما مات ابن حنظلة صار أهل المدينة كالنعم بلا راع شرود يقتلونهم أهل الشام من كل وجه فاقبل محمد بن عمرو بن حزم الانصاري وان جراحه لتنفث دما وهو يقاتل ويحمل على الكردوس منهم فيفض جماعتهم وكان فارسا فحمل عليه أهل الشام حملة واحدة حتى نظموه بالرماح فمال ميتا فلما قتل انهزم من بقي من الناس في كل وجه ودخل القوم المدينة فجالت خيولهم فيها يقتلون وينهبون قال وخرج يومئذ عبدالله بن زيد بن عاصم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخيل تسرع في كل وجه قتلا ونهبا فقيل له لو علم القوم باسمك وصحبتك لم يهيجوك فلو أعلمتهم مكانك فقال والله لا أقبل لهم أمانا ولا أبرح حتى أقتل لا افلح من ندم وكان رجلا أبيض طويلا أصلع فاقبل عليه رجل من أهل الشام وهو يقول والله لا أبرح حتى أضرب صلعتك وهو حاسر فقال عبدالله شر لك خير لي فضربه بفاس في يده فرأيت نورا ساطعا في السماء فسقط ميتا وكان يومه ذلك صائما رحمه الله قال فجعل مسلم يطوف على فرس له ومعه مروان بن الحكم على القتلى فمر على عبد الله بن حنظلة وهو ماد أصبعه السبابة فقال مروان أما والله ائن نصبتها ميتا فطالما نصبتها حيا داعيا الى الله ومر على ابراهيم بن نعيم ويده على فرجه فقال أما والله لئن حفظته في الممات لقد

حفظته فى الحياة ومر على محمد بن عمرو بن حزم وهو على وجهه واضعا جبهته بالارض
فقال أما والله لئن كنت على وجهك فى الممات لطال ما افترشته حيا ساجدا لله فقال مسلم
والله ما أرى هؤلاء الا من أهل الجنة ومر على عبد الله بن زيد و بين عينيه أثر السجود فلما
نظر اليه مروان عرفه وكره أن يعرفه لمسلم فيحز رأسه فقال له مسلم من هذا فقال بعض
هذه الموالى وجاوزه فقال له مسلم كلا و بيت الله لقد نكبت عنه لشىء فقال له مروان
هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن زيد فقال ذاك أخزى نا كث
بيعته حز وا رأسه وكان قصر بنى حارثة أمانا لمن اراد أهل الشام ان يؤمنوه وكان بنو
حارثة آمنين ما قتل منهم أحد وكان كل من نادى باسم الامان الى أحد من قبيلة أمنوه.
رجلا كان أو امرأة ثم ذبوا عنه حتى يبلغوه قصر بنى حارثة فاجير يومئذ رجال
كثيرة ونساء كثيرة فلم يزالوا فى قصر بنى حارثة حتى انقضت الثلاث قال
وأول دور انتهبت والحرب قائمة دور بنى عبد الاشهل فما تركوا فى المنازل من أثاث
ولا حلى ولا فراش الا نقض صوفه حتى الحمام والدجاج كانوا يذبحونها فدخلوا دار محمد
ابن مسلمة فصاح النساء فاقبل زيد بن محمد بن مسلمة الى الصوت فوجد عشرة ينهبون
فقاتلهم ومعه رجلان من أهله حتى قتل الشاميون جميعا وخلصوا ما اخذ منهم فالقوا
متاعهم فى بئر لا ماء فيها وألقى عليها التراب ثم أقبل نفر من أهل الشام فقاتلوهم أيضا حتى
قتل زيد بن محمد أربعة عشر رجلا فضربه بالسيف منهم أربعة فى وجهه ولزم أبو سعيد
الخدرى فى بيته فدخل عليه نفر من أهل الشام فقالوا أيها الشيخ من أنت فقال أنا أبو
سعيد الخدرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا مازلنا نسمع عنك فبحظك
أخذت فى تركك قتالنا وكفك عنا ولزوم بيتك ولكن اخرج الينا ما عندك قال والله
ما عندى مال فنتفوا لحيته وضربوه ضربات ثم أخذوا كلما وجدوه فى بيته حتى الصوم
وحتى زوج حمام كان له وكان جابر بن عبد الله يومئذ قد ذهب بصره فجعل
يمشى فى بعض ازقة المدينة وهو يقول تعس من اخاف الله و رسوله فقال له رجل
ومن أخاف الله ورسوله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخاف
المدينة فقد أخاف ما بين جنبى فحمل عليه رجل بالسيف ليقتله فترامى عليه مروان

فاجاره وامران يدخله منزله و يغلق عليه بابه وكان سعيد بن المسيب رحمه الله لم يبرح من المسجد ولم يكن يخرج الا من الليل الى الليل وكان يسمع اذا جاء وقت الاذان اذانا يخرج من قبل القبر الشريف حتى أمن الناس فكان سعيد يقول مارأيت خيرا من الجماعة ثم أمر مسلم بالاسارى فغلوا بالحديد ثم دعا الى بيعة يزيد فكان أول من بايع مروان بن الحكم ثم أكابر بنى أمية حتى أتى على آخرهم ثم دعا بنى أسد وكان عليهم حنقا فقال أتبايعون لعبد الله يزيد بن أمير المؤمنين ولمن استخلف عليكم بعده على ان أموالكم ودماءكم وأنفسكم خول له يقضى فيها ماشاء فقال يزيد بن عبد الله بن زمعة انما نحن نفر من المسلمين لنا مالهم وعلينا ما عليهم فقال مسلم والله لا أقيلك ولا تشرب البارد بعدها ابدا فامر به فضربت عنقه ثم أتى بمعقل بن سنان وكان معقل حاملا لواء قومه يوم الفتح مع رسول الله فلما دخل عليه قال له أعطشت يا معقل قال نعم أصلح الله الامير قال حوصوا له شربة من سويق اللوز الذى زودنا به أمير المؤمنين فلما شربها قال له رويت قال نعم فقال مسلم أما والله لا تبولها من مثانتك أبدا فقدم فضربت عنقه ثم قال ما كنت لادعك بعد كلام سمعته منك تطعن به على امامك وكان معقل قد طعن بعض الطعن على يزيد قبل ذلك فيما بينه و بين مسلم على الاستراحة بذلك ثم أمر بمحمد ابن أبى الجهم وجماعة من وجوه قريش والانصار وخيار الناس والصحابة والتابعين ثم اتى بعبيد الله بن الحارث مغلولا فقال مسلم أنت القائل أقتلوا سبعة عشر رجلا من بنى أمية لا تروا شرا ابدا قال قد قلتها ولكن لا يسمع من أسير أمر ارسل يدى وقد برئت منى الذمة انما نزلت بعهد الله وميثاقه وأيم الله لو أطاعونى ما أشرت به عليهم ما تحكمت فيهم أنت ابدا فقال مسلم والله لاقدمنك الى نار تلظى ثم أمر به فضربت عنقه فقال مروان قد والله سقيتنى من دماء هؤلاء القوم الا ما كان من قريش فانك أثخنتها وافنيتها فقال مسلم والله لا أعلم عند أحد غشا لامير المؤمنين الا سألت الله ان يسقينى دمه فقال ان عند أمير المؤمنين عفوا لهم وحلما عنهم ليس عندك وجعل مروان يعتذر الى قريش و يقول والله لقد ساءنى قتل من قتل منكم فقالت له قريش أنت والله الذى قتلتنا ما عذرك الله ولا الناس لقد خرجت من عندنا وحلفت انا عند منبر رسول الله

صلى الله عليه وسلم لتردنهم عنا فان لم تستطع لتمضين ولا ترجع معهم فرجعت ودالت على العورة وأعنت على الهلكة فالله لك بالجزاء قال فبلغ عدة قتلى الحرة يومئذ من قريش والانصار والمهاجرين ووجوه الناس ألف وسبعمائة وسائرهم من الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان قال أبو معشر دخل رجل من أهل الشام على امرأة نفساء من نساء الانصار ومعها صبي لها فقال لها هل من مال قالت لا والله ما تركوا لى شيئا أولا قتلنك وصبيك هذا فقالت له ويحك انه ولد ابن أبي كبشة الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم معه يوم بيعة الشجرة على ان لا ازنى ولا أسرق ولا أقتل ولدى ولا آتى ببهتان أفتريه فما أتيت شيئا فاتق الله ثم قالت لا بنها يا بنى والله لو كان عندى شيء لافتديتك به قال فاخذ برجل الصبي والثدى فى فمه فجذبه من حجرها فضرب به الحائط فانتثر دماغه فى الارض قال فلم يخرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وصار مثلا قال أبو معشر قال لى رجل بينا انا فى بعض أسواق الشام فاذا برجل ضخم فقال لى ممن أنت قلت رجل من أهل المدينة قال من أهل الخبيثة قال فقلت له سبحان الله رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها طيبة وسميتها خبيثة قال فبكى فقلت له ما يبكيك قال العجب والله كنت أغزو الصائفة كل عام زمن معاوية فأتيت فى المنام فقيل لى انك تغزو المدينة وتقتل فيها رجلا يقال له محمد بن عمرو بن حزم وتكون بقتله من أهل النار قال فقلت ما هذا من شأن المدينة ولا يقع فى نفس مدينة الرسول قال فقلت لعلها بعض مدائن الروم فكنت أغزو ولا أسل فيها سيفا حتى مات معاوية وولى يزيد فضرب بعث المدينة فاصابتنى القرعة قال فقلت هى هذه والله فاردت ان يأخذوا منى بديلا فابوا فقلت فى نفسى أما اذا أبوا فانى لا أسل فيها سيفا قال فحضرت الحرة فخرج أصحابى يقاتلون وجلست فى فسطاطى فلما فرغوا من القتال جاء نا أصحابنا فقالوا دخلنا وفرغنا من الناس فقال بعض أصحابى لبعض تعالوا حتى ننظر الى القتلى فتقلدت سيفى وخرجت فجعلنا ننظر الى القتلى ونقول هذا فلان وهذا فلان فاذا رجل فى بعض تلك الدارات فى يده سيف

وقد أزبدشدقاه وحوله صرعى من أهل الشام فلما ابصرنى قال يا كلب أحقن عنى دمك قال فنسيت والله كل شيء فحملت عليه فقاتلته فقتلته فسطع نور بين عينيه وسقط فى يدى قلت من هذا فقيل لى هذا محمد بن عمرو بن حزم فجعلت أدور مع أصحابى فيقولون هذا فلان وهذا فلان فمر انسان لا يعرف فقال من قتل هذا ويحكم يريد محمد بن عمرو ابن حزم قتله الله والله لا يرى الجنة بعينه ابدا

﴿ عدة من قتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم ﴾

قال وذكروا انه قتل يوم الحرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلا ولم يبق بدرى بعد ذلك ومن قريش والانصار سبعمائة ومن سائر الناس من الموالى والعرب والتابعين عشرة آلاف وكانت الوقعة فى ذى الحجة لثلاث بقين منها سنة ثلاث وستين قالوا وكان الناس يعجبون من ذلك ان ابن الزبير لم يصلوا اليه الا بعد ستة أشهر ولم يكن مع ابن الزبير الا نفر قليل وكان بالمدينة أكثر من عشرة آلاف رجل والله ما استطاعوا ان يناهضوهم يوما الى الليل

﴿ كتاب مسلم بن عقبة الى يزيد ﴾

قال وذكروا ان مسلما لما فرغ من قتال أهل المدينة ونهبها كتب الى يزيد بن معاوية بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين من مسلم بن عقبة سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله فانى أحمد الله اليك الذى لا اله الا هو أما بعد تولى الله حفظ أمير المؤمنين والكفاية له فانى أخبر أمير المؤمنين أبقاه الله انى خرجت من دمشق ونحن على التعبئة التى رأى أمير المؤمنين يوم فراقنا بوادى القرى فرجع معنا مروان بن الحكم وكان لنا عونا على عدونا وانا انتهينا الى المدينة فاذا أهلها قد خندقوا عليها الخنادق وأقاموا على انقابها الرجال بالسلاح وأدخلوا ماشيتهم وما يحتاجون لحصارهم سنة فيما يقولون وانا اعذرنا اليهم وأخبرناهم بعهد أمير المؤمنين وما بذل لهم فأبوا ففرقت أصحابى على أفواه الخنادق فوليت الحصين بن نمير ناحية ذناب وما والاها عليها الموالى ووجهت حبيش بن دلجة الى ناحية بنى سلمة ووجهت عبد الله بن مسعدة الى ناحية بقيع الغرقد وكنت ومن معى من قواد أمير المؤمنين ورجاله فى وجوه بنى حارثة

فادخلنا الخيل عليهم حين ارتفع النهار من ناحية عبد الاشهل بطريق فتحه لنا رجل منهم عادناه اليه مروان بن الحكم الى صنيع أمير المؤمنين وقد تضمن له عنه من قرب المكان وجزيل العطاء وايجاب الحق وقضاء الذمام وقد بعثت به الى أمير المؤمنين وأرجو من الله عز وجل أن يلهم خليفته وعبده عرفان ماولى من الصنع وأسدى من الفضل وكان أكرم الله أمير المؤمنين من محمود مقام مروان بن الحكم وجميل مشهده وشديد باسه وعظيم نكايته لعدو أمير المؤمنين مالا اخال ذلك ضائعا عند امام المسلمين وخليفة رب العالمين ان شاء الله وسلم الله رجال امير المؤمنين فلم يصب أحد منهم بمكروه ولم يقم لهم عدوهم ساعة من ساعات نهارهم فما صليت الظهر أصلح الله أمير المؤمنين الا فى مسجدهم بعد القتل الذريع والانتهاب العظيم واوقعنا بهم السيوف وقتلنا من أشرف لنا منهم واتبعنا مدبرهم واجهزنا على جريحهم وانتهبناها ثلاثا كما قال امير المؤمنين أعز الله نصره وجعلت دور بنى الشهيد المظلوم عثمان بن عفان فى حرز وامان فالحمد لله الذى شفا صدرى من قتل أهل الخلاف القديم والنفاق العظيم فطالما عتوا وقديما ماطغوا وكتب الى أمير المؤمنين وانا فى منزل سعيد بن العاص مدنفا مريضا ماارانى الالمابى فما كنت ابالى متى مت بعد يومى هذا وكتب لهلال المحرم سنة ثلاث وستين فلما جاءه الكتاب أرسل الى عبد الله بن جعفر والى ابنه معاوية بن يزيد فاقرأهما الكتاب فاسترجع عبد الله بن جعفر واكثر وبكى معاوية بن يزيد حتى كادت نفسه أن تخرج وطال بكاؤه فقال يزيد لعبد الله بن جعفر ألم أجبك الى ماطلبت واسعفتك فيما سألت فبذلت لهم العطاء واجزلت لهم الاحسان واعطيت العهود والمواثيق على ذلك فقال عبد الله بن جعفر فمن هنالك استرجعت وتأسفت عليهم اذ اختاروا البلاء على العافية والفاقة على النعمة ورضوا بالحرمان دون العطاء ثم قال يزيد لابنه معاوية فما بكاؤك أنت يابنى قال أبكى على قتل من قتل بهم واعماقتلنا بهم أنفسنا فقال يزيد هو ذاك قتلت بهم نفسى وشفيتها قال وسأل مسلم بن عقبة قبل أن يرتحل عن المدينة عن على بن الحسين أحاضر هو فقيل له نعم فأتاه على بن الحسين ومعه ابناه فرحب بهما وسهل وقرب وقال ان أمير المؤمنين أوصانى بك فقال على بن الحسين وصل الله امير المؤمنين واحسن جزاءه

ثم انصرف عنه ولم يكن أحد نصب للحرب من بنى هاشم ولزموا بيوتهم فسلموا الا ثلاثة منهم تعرضوا للقتال فاصيبوا

﴿موت مسلم بن عقبة ونبشه﴾

قال وذكروا أن مسلم بن عقبة ارتحل عن المدينة وهو يجود بنفسه يريد ابن الزبير بمكة فنزل فى بعض الطريق فدعا الحصين بن نمير فقال له يا برذعة الحمار انه كان من عهد امير المؤمنين ان حدث بى حدث الموت ان أعهد اليك فاسمع فانى بك عالم لا تمكن قريشا من أذنك اذا قدمت مكة فانما هو الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف ثم مات فدفن فى ثنية المشلل فلما تفرق القوم عنه أتته أم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة وكانت من وراء العسكر تترقب موته فنبشت عنه فلما انتهت الى لحده وجدت اسود من الاساود منطويا فى رقبته فاتحا فاه فتهيبته ثم لم تزل به حتى تنحى لها عنه فصلبته على المشلل قال الضحاك فحدثنى من رآه يرمى كما يرمى قبر أبى رغال

﴿فضائل قتلى أهل الحرة رحمهم الله تعالى﴾

قال وذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى سفر من اسفاره فلما مر بحرة بنى زهرة وقف فاسترجع فقالوا ما هو يا رسول الله قال يقتل فى هذه الحرة خيار أمتى بعد أصحابى قال وذكروا ان عبد الله بن سلام وقف بالحرة زمان معاوية بن أبى سفيان فقال أجد فى كتاب يهود الذى لم يبدل ولا يغير انه يكون ههنا مقتلة قوم يحشرون يوم القيامه واضعى سيوفهم على رقابهم حتى يأتوا الرحمن تبارك وتعالى فيقفون بين يديه فيقولون قتلنا فيك قال وذكروا عن داود بن الحصين قال عند ما قبور قوم من قتلى الحرة فقل ما حركت الا فاح منها ريح المسك وقال بعضهم عن عبد الله بن أبى سفيان عن أبيه قال رأيت عبد الله بن حنظلة فى منامى باحسن صورة معه لواؤه فقلت يا ابا عبد الرحمن اقتلت قال بلى فلقيت ربى فادخلنى الجنة فانا أسرح فى ثمارها حيث شئت فقلت فاصحابك فما صنع بهم قال هم معى وحول لوائى هذا الذى ترى لم يحل عقده بعد وقال الاعرج كان الناس لا يلبسون المصبوغ من الثياب قبل الحرة فلما قتل الناس بالحرة استحبوا ان يلبسوه وقد مكث النوح فى الدور على أهل الحرة سنة لا يهدؤن وقال عبد

الله بن أبي بكر كان أهل المدينة اعز الناس وأهيبهم حتى كانت الحرة فاجترأ الناس عليهم فهانوا قال الزهري بلغ القتلى يوم الحرة من قريش والانصار ومهاجرة العرب و وجوه الناس سبعمائة وسائر الناس عشرة آلاف من اخلاط الناس والموالي والعبيد واصيب نساء وصبيان وكان قدوم اهل الشام المدينة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين فانتهبوها ثلاثا حتى رأوا هلال المحرم ثم امسكوا بعدان لم يبقوا احدا به رمق وقتل بها من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلا ولم يبق بعد ذلك بدري وقالوا قال عيسى بن طلحة قلت لعبد الله بن مطيع كيف نجوت يوم الحرة قال رأيت ما رأيت من غلبة أهل الشام وصنع بني حارثة الذي صنعوا من ادخالهم علينا اهل الشام فذكرت قول الحارث بن هشام يوم بدر وعلمت أني لا يضر عدوي مشهدي ولا ينفع وليي فتواريت ثم لحقت بابن الزبير وكنت اعجب كل العجب ان ابن الزبير لم يصلوا اليه ستة أشهر ولم يكن معه الا نفر يسير قوم من قريش من الخوارج وكان معنا يوم الحرة ألفا رجل كلهم ذو وحفاظ فما استطعنا ان نحبسهم يوما الى آخر الليل

(تم الجزء الاول من كتاب الامامة والسياسة ويليه الجزء الثاني)





(الجزء الثانى)

تأليف

(الامام الفقيه أبى محمد عبدالله بن مسلم)
(ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هـ رحمه الله)

{ طبع على ذمة ملتزمه }
(محمد مصطفى فهمى واخوته)

(طبع بمطبعة الفتوح الادبية)
التى مركزها بجوار سيدى عبدالله الجوينى بشارع النبوية بمصر



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً

﴿ ذكر اختلاف الرواة في وقعة الحرة وخبر يزيد ﴾

قال وذكروا انه لما بويع يزيد بن معاوية خرج الحسين حتى قدم المدينة فأقام هو وابن الزبير قال وقدم عمرو بن سعيد بن العاص في رمضان أميراً على المدينة وعلى الموسم وعزل الوليد بن عقبة فلما استوى على المنبر رعف فقال اعرابي مستقبله مه جاءنا والله بالدم فتلقاه بعمامته فقال مه عم والله الناس ثم قام يخطب فناوله عصا لها شعبتان فقال مه شعب والله الناس ثم خرج الى مكة فقدمها يوم التروية فصلى الحسين ثم خرج فلما انصرف عمرو بلغه ان الحسين خرج فقال اركبوا كل بعير بين السماء والارض فاطلبوه قال فكان الناس يعجبون من قوله هذا قال فطلبوه فلم يدركوه فارسل عبد الله بن جعفر ابنيه عونا ومحمدا ليردا الحسين فابى ان يرجع وخرج الحسين بابني عبد الله بن جعفر معه ورجع عمرو بن سعيد بن العاص الى المدينة فارسل الى ابن الزبير فابى ان يأتيه وامتنع برجال معه من قريش وغيرهم قال فبعث عمرو بن سعيد جيشاً من المدينة يقاتلون ابن الزبير قال فضرب على أهل الديوان البعث الى مكة وهم كارهون للخروج فقال لهم اما ان تأتوا ببدل واما ان تخرجوا قال فجاء الحارث بن مالك بن البرصاء برجل استأجره بخمسمائة درهم الى عمرو بن سعيد فقال قد جئت برجل بدلي فقال الحارث للرجل الذي استأجره هل لك ان ازيدك خمسمائة أخرى وتنكح أمك فقال له أما تستحي فقال انما حرمت عليك أمك في مكان واحد وحرمت عليك الكعبة في كذا وكذا مكان من القرآن قال فجاء به الى عمرو بن سعيد فقال قد جئتك برجل لو أمرته ان ينكح أمه لنكحها فقال له عمرو لعنك الله من شيخ

قال فبعثهم الى مكة يقاتلون ابن الزبير فهزم عمرو بن الزبير و بعث يزيد بن معاوية عبدالله بن مسعدة الفزارى يخطب الناس بالمدينة فقال فى خطبته أهل الشام جندالله الاعظم وأهل الشام خير الخلق فقال الحارث بن مالك ائذن لى اتكلم قال اجلس لاأجلسك الله قال فتشهد الحارث وقال لعمرالله لنحن خير من أهل الشام ما نقمت من أهل المدينة الا لأنهم قتلوا أباك وهو يسرق لقاح النبى صلى الله عليه وسلم أنسيت طعنة أبى قيادة أست أبيك بالرمح فخرج منه جعموص مثل هذا وأشار الى ساعده ثم جلس

﴿ ولاية الوليد المدينة وخروج الحسين بن على ﴾

قال وذكروا ان يزيد بن معاوية عزل عمرو بن سعيد وأمر الوليد بن عقبة وخرج الحسين بن على الى مكة فمال الناس اليه وكثروا عنده واختلفوا اليه وكان عبدالله بن الزبير فيمن يأتيه قال فأتاه كتاب أهل الكوفة فيه بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن على من سليمان بن صرد والمسيب ورفاعة بن شداد وشيعته من المؤمنين المسلمين من أهل الكوفة أما بعد فالحمد لله الذى قصم عدوك الجبار العنيد الذى اعتدى على هذه الامة فانتزعها حقوقها واغتصبها أمورها وغلبها على فيئها وتأمر عليها على غير رضى منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها فبعدا له كما بعدت ثمود انه ليس علينا امام فاقدم علينا لعل الله ان يجمعنا بك على الهدى فان النعمان بن بشير فى قصر الامارة ولسنا نجتمع معه فى جمعة ولانخرج معه الى عيد ولوقد بلغنا مخرجك أخرجناه من الكوفة وألحقناه بالشام قال فبعث الحسين بن على مسلم بن عقيل الى الكوفة يبايعهم له وكان على الكوفة النعمان بن بشير فقال لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من ابن بحدل قال فبلغ ذلك يزيد فاراد ان يعزله فقال لاهل الشام اشيروا على من استعمل على الكوفة فقالوا أترضى برأى معاوية قال نعم قالوا فان الصك بامرة عبيدالله بن زياد على العراقين قدكتبه فى الديوان قال فاستعمله على الكوفة فقدم الكوفة قبل ان يقدم الحسين وبايع له مسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين ألفا من أهل الكوفة فنهضوا معه يريدون عبدالله

ابن زياد فجعلوا كلما أشرفوا على زقاق انسل منهم ناس حتى بقي مسلم في شرذمة قليلة قال فجعل أناس يرمونه بالآجر من فوق البيوت فلما رأى ذلك دخل دار هانئ بن عروة المرادي وكان له فيهم رأى فقال له هانئ بن عروة ان لي من ابن زياد مكانا وسوف أتمارض له فاذا جاء يعودني فاضرب عنقه فقيل لابن زياد ان هانئ شاك يقيء الدم قال وشرب المغرة فجعل يقيؤها قال فجاء ابن زياد يعوده وقال هانئ اذا قلت اسقوني فاخرج اليه فاضرب عنقه فابطؤا عليه فقال ويحكم اسقوني ولو كان فيه ذهاب نفسي قال فخرج عبيد الله ابن زياد ولم يصنع الآخر شيئا وكان من أشجع الناس ولكنه أخذته كبوة فقيل لابن زياد والله ان في البيت رجلا متسلحا قال فارسل ابن زياد الى هانئ فقال انى شاك لا أستطيع النهوض فقال ائتوني به وان كان شاكيا قال فأخرج له دابة فركب ومعه عصا وكان أعرج فجعل يسير قليلا و يقف و يقول مالي اذهب الى ابن زياد فما زال كذلك حتى دخل عليه فقال له عبيد الله بن زياد يا هانئ أما كانت يد زياد عندك بيضاء قال بلى قال و يدي قال بلى فقال يا هانئ قد كانت لكم عندي يد بيضاء وقد أمنتك على نفسك ومالك فتناول العصا التي كانت بيد هانئ فضرب بها وجهه حتى كسرها ثم قدمه فضرب عنقه قال وأرسل جماعة الى مسلم بن عقيل فخرج عليهم بسيفه فما زال يقاتلهم حتى أخرج وأسر فلما أسر بعث الرجال فقال اسقوني ماء قال ومعه رجل من بني معيط و رجل من بني سليم يقال له شهر بن حوشب فقال له شهر بن حوشب لا اسقيك الا من البئر فقال المعيطي والله لا نسقيه الا من الفرات قال فامر غلاما له فأتاه بابريق من ماء وقدح قوارير ومنديل قال فسقاه فتمضمض فخرج الدم فما زال يمسح الدم ولا يسيغ شيئا حتى قال اخرجوه عني قال فلما أصبح دعا به عبيد الله بن زياد وهو قصير فقدمه لتضرب عنقه فقال دعني حتى أوصي فنظر في وجوه الناس فقال لعمرو بن سعيد ما أرى ههنا من قريش غيرك فادن مني حتى أكلمك فدنا منه فقال له هل لك ان تكون سيد قريش ما كانت قريش ان الحسين ومن معه وهم يسعون بين رجل وامرأة في الطريق فارددهم واكتب اليهم بما أصابني قال فضرب عنقه والقاه فقال عمرو هو أعظم من ذلك فاي شيء هو قال اخبرني ان الحسين ومن معه قد أقبل وهم تسعون انسانا بين رجل وامرأة فقالوا أما والله اذا دللت عليه

لا يقاتلهم أحد غيرك

﴿ قتال عمرو بن سعيد الحسين وقتله ﴾

قال وذكروا ان عبيدالله بن زياد بعث جيشا عليهم عمرو بن سعيد وقد جاء الحسين الخبر فهم ان يرجع ومعه خمسة من بني عقيل فقالوا له أترجع وقد قتل أخونا وقد جاءك من الكتب ما نثق به فقال لبعض أصحابه والله مالي عن هؤلاء من صبر قال فلقيه الحسين على خيولهم بوادي السباع فلقوهم وليس معهم ماء فقالوا يا ابن بنت رسول الله اسقنا فاخرج لكل فارس صحفة من ماء فسقاهم بقدر ما يمسك برمقهم قالوا يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زالوا يرجونه وأخذوا به على الجرف حتى نزلوا بكربلاء فقال الحسين أي أرض هذه قالوا كربلاء قال هذا كرب وبلاء قال فنزلوا وبينهم وبين الماء ربوة فاراد الحسين وأصحابه الماء فحالوا بينهم وبينه فقال له شهر بن حوشب لا تشربوا منه حتى تشربوا من الحميم فقال عباس بن علي يا أباعبدالله نحن على الحق فنقاتل قال نعم فركب فرسه وحمل بعض أصحابه على الخيول ثم حمل عليهم فكشفهم عن الماء حتى شربوا واسقوا ثم بعث عبيدالله بن زياد عمرو بن سعيد يقاتلهم قال الحسين يا عمرو اختر مني ثلاث خصال اما ان تتركني ارجع كما جئت فان أبيت هذه فاخرى سيرني الى الترك أقاتلهم حتى أموت أو تسيرني الى يزيد فأضع يدي في يده فيحكم في بما يريد فارسل الى ابن زياد بذلك فهم ان يسيره الى يزيد فقال له شهر بن حوشب قد أمكنك الله من عدوك وتسيره الى يزيد والله لئن سار الى يزيد لا رأى مكروها وليكونن من يزيد بالمكان الذي لا تناله أنت منه ولا غيرك من أهل الارض لا تسيره ولا تبلعه ريقه حتى ينزل على حكمك فارسل اليه لا الا ان تنزل على حكمي فقال الحسين انزل على حكم من رأيته لا والله لا أفعل الموت دون ذلك وأحلى قال وأبطأ عمرو بن سعيد عن قتاله فارسل عبيدالله بن زياد الى شهر بن حوشب ان تقدم عمرو يقاتل والا فاقتله وكن أنت مكانه قال وكان مع عمرو بن سعيد من قريش ثلاثون رجلا من أهل الكوفة فقالوا يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال لا تقبلون واحدة منها فتحولوا مع الحسين فقاتلوا قال فرأى رجل من أهل الكوفة عبدالله بن الحسين بن علي على فرس وكان من أجمل الناس قال لاقتلن هذا الفتى فقيل له ويحك ما تصنع بقتله دعه قال فحمل عليه فضربه فقطع يده ثم ضربه

ضربة أخرى فقتله ثم اقتلوا جميعا فقتل يومئذ الحسين بن علي وعباس بن علي وعثمان بن علي وأبو بكر بن علي وجعفر بن علي وأمهم أم البنين بنت حرام الكلابية وابراهيم بن علي وأمه أم ولد وعبد الله بن علي وخمسة من بني عقيل وابنان لعبد الله بن جعفر عون ومحمد وثلاثة من بني هاشم ونساء من نسائهم وفيهم فاطمة بنت الحسين بن علي وفيهم محمد بن علي وابنا جعفر ومحمد بن الحسين بن علي

﴿ قدوم من أسر من آل علي على يزيد ﴾

قال وذكروا ان ابا معشر قال حدثني محمد بن الحسين بن علي قال دخلنا على يزيد ونحن اثنا عشر غلاما مغللين في الحديد وعلينا قميص فقال يزيد أخلصتم أنفسكم بعبيد أهل العراق وما علمت بخروج أبي عبد الله حين خرج ولا بقتله حين قتل قال فقال علي ابن الحسين ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور قال فغضب يزيد وجعل يعبث بلحيته وقال وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير يا أهل الشام ما ترون في هؤلاء فقال رجل من أهل الشام لا تتخذن من كلب سوء جروا فقال النعمان بن بشير يا امير المؤمنين اصنع بهم ما كان يصنع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآهم بهذه الحال فقالت فاطمة بنت الحسين يا يزيد بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى يزيد حتى كادت نفسه تفيض وبكى أهل الشام حتى علت أصواتهم ثم قال حلوا عنهم واذهبوا بهم الى الحمام واغسلوهم واضربوا عليهم القباب ففعلوا وأمال عليهم المطبخ وكساهم وأخرج لهم الجوائز الكثيرة من الاموال والكسوة ثم قال لو كان بينهم وبين عاض بطن أمه نسب ما قتلهم ارجعوا الى المدينة قال فبعث بهم

﴿ اخراج بني أمية عن المدينة وذكر قتال أهل الحرة ﴾

قال وذكروا في قصة اخراج بني أمية عن المدينة قال بعث عثمان بن محمد أمير المدينة الى يزيد بقميصه مشقوقا وكتب اليه واغوثاه ان أهل المدينة أخرجوا قومنا من المدينة قال أبو معشر فخرج يزيد بعد العتمة ومعه شمعتان شمعة عن يمينه وشمعة عن يساره وعليه ممصفرتان وقد نقش جبهته كأنما تدهن فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال

أما بعد ياأهل الشام فانه كتب الى عثمان بن محمد ان أهل المدينة أخرجوا قومنا من المدينة
و والله لأن تقع الخضراء على الغبراء أحب الى من هذا الخبر قال وكان معاوية أوصى
يزيد فقال له ان رابك من قومك ريب أو تنقص عليك منهم أحد فعليك باعور بنى مرة
فاستشره يعنى مسلم بن عقبة فلما كانت تلك الليلة قال يزيد أين مسلم بن عقبة فقام فقال
ها أناذا قال عبىء ثلاثين الفا من الخيل قال وكان معقل بن سنان الاشجعى نازلا على مسلم
ابن عقبة فقال له مسلم بن عقبة ان امير المؤمنين امرنى ان أتوجه الى المدينة فى ثلاثين الفا
فقال له استعفه قال لا قال فاركب فيلا أوفيلة وتكون أبا يكسوم فرض مسلم قبل
خروجه من الشام فادنف فدخل عليه يزيد بن معاوية يعوده قال له قد كنت وجهتك
لهذا البعث وكان امير المؤمنين معاوية قد أوصانى بك واراك مدنفا ليس فيك سفر
فقال ياامير المؤمنين انشدك الله أن لاتحرمنى أجرا ساقه الله الى انما انا امرؤ وليس بى
بأس قال فلم يطق من الوجع أن يركب بعيرا ولا دابة فوضع على سرير وحمله الرجال على
أعناقهم حتى جاؤا مكانا يقال له البتراء فارادوا النزول به فقال لهم مااسم هذا المكان فقيل
له البتراء فقال لاتنزلوا به ثم سار حتى حاجزة فنزل به فارسل الى أهل المدينة ان امير المؤمنين
يقرأ عليكم السلام و يقول لكم أنتم الاصل والعشيرة والاهل فاتقوا الله واسمعوا واطيعوا
فان لكم عندى فى عهد الله وميثاقه عطاءين فى كل سنة عطاء فى الصيف وعطاء فى
الشتاء ولكم عندى عهد الله وميثاقه أن أجعل سعر الحنطة عندكم كسعر الحنطة عندنا
والحنطة يومئذ سبع اصع بدرهم واما العطاء الذى ذهب به عنكم عمرو بن سعيد فعلى
أن اخرجه لكم وكان عمرو بن سعيد قد أخذ أعطياتهم فاشترى بها عبيدا لنفسه فقالوا
لمسلم نخلعه كما نخلع عمامتنا يعنون يزيد وكما نخلع نعالنا قال فقاتلوهم فهزم الناس اهل
المدينة قال أبو معشر حدثنا محمد بن عمرو بن حزم قال قتل بضعة وسبعون رجلا من
قريش و بضعة وسبعون رجلا من الانصار وقتل من الناس نحوا من أربعة آلاف
وقتل ابنان لعبد الله بن جعفر وقتل أربعة أوخمسة من ولد زيد بن ثابت لصلبه فقال
مسلم بن عقبة لاهل الشام كفوا أيديكم فخرج محمد بن سعد بن أبى وقاص يريد القتال
فقاتلهم فقال مسلم بن عقبة انهبها ثلاثا قال فقتل الناس وفضحت النساء ونهبت الاموال

فلما فرغ مسلم بن عقبة من القتال انتقل من منزله ذلك الى قصر بني عامر بدومة فدعا أهل المدينة من بقي منهم للبيعة قال فجاء عمرو بن عثمان بن عفان بيزيد بن عبد الله بن زمعة وجدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمرو قال لام سلمة أرسلي معي ابن بنتك فجاء به الى مسلم فلما تقدم يزيد قال له تبايع لعبد الله يزيد أمير المؤمنين على انكم خول له مما أفاء الله عليه باسياف المسلمين ان شاء وهب وان شاء أعتق وان شاء استرق قال يزيد لا انا أقرب الى أمير المؤمنين منك قال والله لا تستقبلها أبدا فقال عمرو بن عثمان أنشدك الله فاني أخذته من أم سلمة بعهده وميثاقه ان أرده اليها قال فركضه برجله فرماه من فوق السرير فقتل يزيد بن عبد الله ثم أتى محمد بن أبي جهم مغلولا فقال له مسلم أنت القائل اقتلوا سبعة عشر رجلا من بني أمية لا تر واشرا أبدا قال قد قلتها ولكن لا يسمع لتصيير أمر فارسل يدي وقد برئت مني الذمة انما نزلت بعهد الله وميثاقه قال لا والله حتى أقدمك الى النار قال فضرب عنقه وجاء معقل بن سنان الاشجعي وكان جالسا في بيته فأتاه مائة رجل من قومه فقالوا له اذهب بنا الى الامير حتى نبايعه فقال لهم اني قد قلت له قولا وانا أتخوف فقالوا الا والله لا يصل اليك أبدا فلما بلغوا الباب ادخلوا معقل وحبسوا الآخرين وأغلقوا الباب فلما نظر اليه مسلم بن عقبة قال اني أرى شيخا قد تعب وعطش اسقوه من البلح الذي زودني به أمير المؤمنين قال فخاضوا له بلحا بعسل فشربه قال له اشربت قال نعم قال والله لا تبولها من مثانتك أبدا انت القائل اركب فيلا أو فيلة وتكون أبا يكسوم فقال معقل أما والله لقد تخوفت ذلك منك وانما غلبتني عشيرتي قال فجعل يفري جبة كانت عليه وقال أكره أن يلبسوها فضرب عنقه ثم سار الى مكة حتى اذا بلغ قفا المشلل أدنف فدعا الحصين بن نمير فقال له يا ابن بردعة الحمار والله ما خلق الله حدا أبغض الي منك ولولا أن امير المؤمنين أمرني ان أستخلفك ما استخلفتك أتسمع قال نعم قال لا تكونن الا على الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف ولا تمكن قريشا من أذنك ثم مات مسلم بن عقبة فدفن بقفا المشلل وكانت أم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة على أثره فخرجت اليه فنبشته من قبره ثم أحرقت عليه النار وأخذت أكفانه وشقتها وعلقتها بالشجرة فكل من مر عليه يرميه بالحجارة وسار الحصين حتى جاء مكة فدعاهم الى الطاعة

وعبدالله بن الزبير يومئذ بمكة فلم يجيه قتاله فقتل يومئذ المنذر بن الزبير ورجلامن اخوته ومصعب بن عبد الرحمن والمسور بن مخرمة

﴿ حرب ابن الزبير رضي الله عنهما ﴾

قال وذكروا أن مسلم بن عقبة لما فرغ من قتال أهل المدينة يوم الحرة مضى الى مكة المشرفة يريد ابن الزبير حتى اذا كان بقديد حضرته الوفاة فدعا الحصين بن نمير فقال له أمير المؤمنين عصاني فيك فأبى الا استخلافك بعدى فلا ترسلن بينك و بين قريش رسولا تمكنه من أذنيك انما هو الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف وهلك مسلم بن عقبة فدفن بالثنية قال وسمع بهم عبدالله بن الزبير فأحكم مراصد مكة فجعل عليها المقاتلة وجاءه جند أهل المدينة واقبل ابن نمير حتى نزل على مكة وارسل خيلا فأخذت أسفلها ونصب عليها العرادات والمجانيق وفرض على أصحابه عشرة آلاف صخرة فى كل يوم يرمونها بها فقال الناس انظروه لئلا يصيبه ما أصاب أصحاب الفيل قال عبدالله بن عمرو بن العاص وكان بمكة معتمرا اقدم من الطائف لا تظن ذلك لو كان كافرا بها لعوقب دونها فاما اذا كان مؤمنا بها فسيبتلى فيها فكان كما قال وحاصروهم لعشر ليال بقين من المحرم سنة أربع وستين فحاصروهم بقية المحرم وصفر وشهرى ربيع يغدون على القتال و يروحون حتى جاءهم موت يزيد بن معاوية فارسل الحصين بن نمير الى ابن الزبير ان ائذن لنا نطوف بالبيت وننصرف عنكم فقد مات صاحبنا فقال ابن الزبير وهل تركتم من البيت الا مدرة وكانت المجانيق قد أصابت ناحيت البيت فهدمته مع الحريق الذى أصابه فمنعهم أن يطوفوا بالبيت فارتحل الحصين حتى اذا كان بعسفان تفرقوا وتبعهم الناس يأخذونهم حتى ان كانت الراعية فى غنمها لتأتى بالرجل منهم مربوطا فيبعث بهم الى المدينة وأصاب منهم أهل المدينة حين مروا بهم ناسا كثيرا فحبسوا بالمدينة حتى قدم مصعب بن الزبير عليهم من عند عبدالله بن الزبير فاخرجهم الى الحرة فضرب اعناقهم وكانوا أربع مائة وأكثر وانصرف ذلك الجيش الى الشام مفلولا و بايع أهل المدينة لابن الزبير بالخلافة وكان ابن عباس بمكة يومئذ فخرج الى الطائف فهلك بها سنة سبعين وهو يومئذ ابن أربع وسبعين سنة رضي الله عنه

﴿ خلافة معاوية بن يزيد ﴾

قال فلما مات يزيد بن معاوية استخلف ابنه معاوية بن يزيد وهو يومئذ ابن ثماني عشرة سنة فلبث واليا شهرين وليالي محجوبا لا يرى ثم خرج بعد ذلك فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس اني نظرت فيما صار الي من أمركم وقلدته من ولايتكم فوجدت ذلك لا يسعني فيما بيني وبين ربي ان اتقدم على قوم وفيهم من هو خير مني وأحقهم بذلك وأقوى على ماقلدته فاختار وامني احدى خصلتين اما أن أخرج منها واستخلف عليكم من أراه لكم رضى ومقنعا ولكم الله علي لا آلوكم نصحا في الدين والدنيا واما أن تختار والا نفسكم وتخرجوني منها قال فانف الناس لذلك من قوله وأبو من ذلك وخافت بنو أمية ان تزول الخلافة منهم فقالوا ننظر في ذلك يا أمير المؤمنين ونستخير الله فامهلنا قال لكم ذلك وعجلوا علي قال فلم يلبثوا بعدها الا اياما حتى طعن فدخلوا عليه فقالوا له استخلف على الناس من تراه لهم رضى فقال لهم عند الموت تريدون ذلك لا والله لا اتزودها ماسعدت بحلاوتها فكيف اشقى بمرارتها ثم هلك رحمه الله ولم يستخلف أحدا فقالوا لعثمان بن عنبسة تقدم فصل بالناس فابي وقال لا أما أنا فلاحق بخالي عبد الله بن الزبير فقال له بن زيادان هذا ليس بزمان خالك ولا عمك فلما دفن معاوية بن يزيد وسوى عليه وبنو أمية حول قبره قال مروان أما والله يابني أمية انها لابو ليلى ثم قال

* الملك بعد أبي ليلى لمن غلبا * وماج أمر بني أمية واختلفوا

﴿ غلبة ابن الزبير رضي الله عنهما وظهوره ﴾

قال وذكروا ان ابا معشر قال حدثنا بعض المشيخة الذين حضروا قتال ابن الزبير قال لما نزل الحصين بمكة وغلب عليها كلها الا المسجد الحرام قال فانه لجالس مع ابن الزبير ومعه من القرشيين عبد الله بن مطيع والمختار بن أبي عبيد والمسور بن مخرمة والمنذر بن الزبير ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف في نفر من قريش قال فقال المختار بن عبيد وهبت روحة والله اني لاجد النصر في هذه الروحة فاحملوا عليهم قال فحملوا عليهم حتى اخرجوهم من مكة وقتل المختار رجلا وقتل ابن مطيع رجلا قال فبعد رجل من أهل الشام في طرف سنان رمحه نارا قال وكان بين موت يزيد بن معاوية وبين حرق الكعبة احدى عشرة ليلة

ثم التحمت الحرب عند باب بني شيبة فقتل يومئذ المنذر بن الزبير ورجلان من إخوته ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف والمسور بن مخرمة وكان الحصين قد نصب المجانيق على جبل أبي قبيس وعلى قيقعان فلم يقدر أحد أن يطوف بالبيت وأسند ابن الزبير ألواحا من الساج الى البيت وألقى عليها القطائف والفرش فكان اذا وقع عليها الحجر نبا عن البيت فكانوا يطوفون تحت تلك الالواح فاذا سمعوا صوت الحجر حين يقع على الفرش والقطائف كبروا وكان طول الكعبة في السماء ثمانية عشر ذراعا وكان ابن الزبير قد ضرب فسطاطا في ناحية من المسجد فكلما جرح أحد من الصحابة ادخله ذلك الفسطاط

﴿ حريق الكعبة ﴾

قال فجاء رجل في طرف سنان رمحه نار فاستعملها في السفطاط فوقعت النار على الكعبة فاحترق الخشب وانصدع الركن واحترقت الاستار وتساقطت الى الارض قال ثم قاتل أهل الشام اياما بعد حريق الكعبة واحترقت في ربيع الاول سنة أربع وستين قال فلما احترقت جلس أهل مكة في ناحية الحجر ومعهم ابن الزبير وأهل الشام يرمونهم بالنبل قال فوقعت بين يديه نبلة قال في هذه خبر فأخذوها فوجدوا بها مكتوبا مات يزيد بن معاوية يوم الخميس رابع عشر ليلة خلت من ربيع فلما قرأ ذلك ابن الزبير قال يا أهل الشام يا محرقي بيت الله يا مستحلي حرم الله على م تقاتلون وقد مات طاغيتكم يزيد بن معاوية فاتاه الحصين بن نمير فقال له موعدك بالبطحاء الليلة يا أبا بكر فلما كان الليل خرج ابن الزبير باصحابه وخرج الحصين باصحابه الى البطحاء فتنحى كل واحد منهما عن أصحابه وانفردا فقال الحصين يا أبا بكر قد علمت اني سيد أهل الشام لا أدفع عن ذلك وان أعنة خيلهم بيدي فاذا أهل الحجاز قد رضوا بك فابايعك الساعة على ان تهدر كل شيء أصبناه يوم الحرة وتخرج معي الى الشام فاني لا أحب ان يكون الملك في الحجاز قال لا والله لا أفعل لا أومن من أخاف الناس وأحرق بيته وانتهك حرمة الله فقال الحصين بلى فافعل فعلى لا يختلف عليك اثنان فأبى ابن الزبير فقال له الحصين لعنك الله ولعن من زعم انك سيدي والله لا تفلح ابدا اركبوا يا أهل الشام فركبوا وانصرفوا قال فحدثني من شهد

انصرافهم قال والله لقد كانت الوليدة لتخرج فتأخذ الفارس ما يمتنع قال أبو معشر وذلك ان المنهزم لا فؤاد له قال فبايع أهل الشام كلهم ابن الزبير الا أهل الاردن وبايع أهل مصر ابن الزبير وغلب على اهل العراق والحجاز واليمن وغلظ أمره وعظم شأنه واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس على أهل الشام

﴿ اختلاف أهل الشام على ابن الزبير ﴾

قال وذكروا ان ابن الزبير لما استخلف الضحاك على أهل الشام قام اناس من أهل الشام من رؤس قريش بنى أمية واشرافهم وفيهم روح ابن زنباع الجذامى فقال بعضهم ان الملك كان فينا أهل الشام أفينتقل ذلك الى أهل الحجاز لا نرضى بذلك هل لكم ان تأخذوا رجلا منا فينظر فى هذا الامر قالوا نعم فجاؤا الى خالد بن يزيد بن معاوية وهو غلام حدث السن فقيل له ارفع رأسك لهذا الامر فقال استخير الله وانظر فرأى القوم انه ذو ورع عن القيام فى ذلك فخرجوا فأتوا عمرو بن سعيد فقالوا له يا أبا أمية ارفع رأسك لهذا الامر فجعل يسب ويقول والله لا فعلن لا فعلن فلما خرجوا من عنده قالوا هذا احديد علق فأتوا مروان ابن الحكم فاذا عنده مصباح واذاهم يسمعون صوته بالقرآن فاستأذنوا ودخلوا عليه فقالوا له يا أبا عبد الملك ارفع رأسك لهذا الامر فقال استخير الله واسأله أن يختار لامة محمد خيرها وأعدلها ماشاء الله

﴿ بيعة أهل الشام مروان بن الحكم ﴾

قال وذكروا ان روح بن زنباع قال لمروان بن الحكم ان معى أربعمائة رجل من جذام وسآمرهم ان يبتدروا فى المسجد غدا فمر ابنك عبد العزيز ان يخطب ويدعوهم اليك وأنا آمرهم ان يقولوا صدقت فيظن الناس ان أمرهم واحد قال فلما أصبح عبد العزيز خرج على الناس وهم مجتمعون فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما أحد أولى بهذا الامر من مروان بن الحكم انه لكبير قريش وشيخها وأفرطها عقلا وكمالا ودينا وفضلا والذى نفسى بيده لقد شاب شعر ذراعيه من الكبر فقال الجذاميون صدقت فقال خالد بن يزيد أمر قضى بليل فبايعوا مروان بن الحكم فقال عمرو بن سعيد للضحاك بن قيس أرضيت ان تكون بريدا لابن الزبير وأنت أكبر قريش وسيدها تعال نبايعك فخرج به الى مرج راهط فلما دعاه الى البيعة اقتتلوا فقتل الضحاك بن قيس

فقال عمرو بن سعيد لاهل الشام ما صارت أيديكم الا مناديل من جاءكم مسح يده بها ان مروان سيد قريش وأكبرهم سناً فبايعوا مروان بن الحكم وقتل الضحاك بن قيس وهزم أصحابه وكانت قيس مع الضحاك وكان اليمن مع عمرو بن سعيد فمكث مروان ماشاء الله ان يمكث ثم قال له أصحابه والله ما تخوف الا خالد بن يزيد بن معاوية وانك ان تزوجت أمه كسرته وأمه ابنة بني هاشم بن عقبة بن ربيعة فخطبها مروان بن الحكم فتزوجها وأقام بالشام ثم أراد ان يخرج الى مصر قال لخالد أعرني سلاحا ان كان عندك قال فاعاره سلاحا وخرج الى مصر فقاتل أهل مصر وسبا ناساً كثيراً فافتدوا منه ثم قدم الشام

﴿ موت مروان بن الحكم ﴾

قال وذكروا ان مروان بن الحكم لما قدم الشام من مصر قال له خالد بن يزيد بن معاوية اردد الى سلاحي فأبى عليه مروان فألح عليه وكان مروان فاحشاً سباباً وقال له يا ابن الربوخ يا أهل الشام أن امه هذا ربوخ يا ابن الرطبة قال فجاء ابنها اليها قال هذا ما صنعت بي سبني مروان على رؤس أهل الشام وقال هذا ابن الربوخ قال وكان مروان استخلف حين خرج الى مصر ابنه عبد الملك وعبد العزيز انهما يكونا بعده وبايع لهما أهل الشام فلبث مروان بعد ذلك ليالي بعد ما قال لخالد بن يزيد ما قال ثم جاء الى أم خالد فرقد عندها فأمرت جواريها فطوين عليه الشواذك ثم غطته حتى قتلته ثم خرجن يصحن ويشققن جيوبهن يا أمير المؤمنين قال فقام عبد الملك فبايع لنفسه ووعد عمرو بن سعيد ان يستخلفه فبايعه وأقاموا بالشام

﴿ بيعة عبد الملك بن مروان وولايته ﴾

قال وذكروا ان عبد الملك بن مروان بايع لنفسه بالشام ووعد الناس خيراً ودعاهم الى احياء الكتاب والسنة واقامة العدل والحق وكان معروفا بالصدق مشهوراً بالفضل والعلم لايختلف في دينه ولا ينازع في ورعه فقبلوا ذلك منه ولم يختلف عليه من قريش أحد ولا من أهل الشام فلما تمت بيعته خالفه عمرو بن سعيد الاشدق ووعده عبد الملك ان يستخلفه بعده فبايعه على ذلك وشرط عليه ان لايقطع شيئاً دونه ولا ينفذ أمراً الا بمحضره فاعطاه ذلك ثم ان عبد الملك بعث حبيش بن دجلة الى

المدينة فى سبعة آلاف رجل فدخل المدينة وجلس على المنبر الشريف فدعى بخبز ولحم فأكل على المنبر ثم أوتى بماء فتوضأ على المنبر قال أبو معشر فحدثنى رجل من أهل المدينة يقال له أبو سلمة قال شهدت حبيش بن دجلة يومئذ وقد ارسل الى جابر بن عبد الله الانصارى فدعاه فقال تبايع لعبد الملك أمير المؤمنين بالخلافة عليك بذلك عهد الله وميثاقه واعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء فان خالفت فاهرق الله دمك على الضلالة فقال له جابر بن عبد الله انك أطوق على ذلك منى ولكنى أبايعك على ما بايعت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية على السمع والطاعة قال ثم ارسل الى عبد الله بن عمر فقال له تبايع لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على السمع والطاعة فقال ابن عمر اذا اجتمع الناس عليه بايعت له ان شاء الله ثم خرج ابن دجلة من يومه ذلك نحو الربذة وقام فى أثره رجلان أحدهما على أثر الآخر مع كل واحد منهما جيش وكل واحد منهما يصعد المنبر ويخطب ثم خرجوا جميعا الى الربذة وذلك فى رمضان سنة خمس وستين فاجتمعوا بها وأميرهم ابن دجلة وكتب ابن الزبير الى عباس ابن سهل الساعدى بالمدينة ان سر الى حبيش بن دجلة وأصحابه فى ناس فصار حتى لقيهم بالربذة فى شهر رمضان وبعث الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة من البصرة معدا الى ابن الزبير حنيف بن السجف فى تسعمائة رجل فساروا حتى انتهوا الى الربذة فبات أهل البصرة يقرؤن القرآن ويصلون ليلهم حتى أصبحوا وبات الآخرون فى المعازف والخمور فلما أصبحوا قال لهم حبيش بن دجلة أهريقوا ماءكم حتى تشربوا من سويقكم المعتد فاهرقوا الماء وغدوا الى القتال فقتل حبيش ومن معه من أهل الشام وتحصن من أهل الشام خمسمائة رجل على عمود الربذة وهو الجبل الذى بها قال وكان يوسف أبو الحجاج مع ابن دجلة قال واحاط بهم عباس بن سهل فقال انزلوا على حكمى فنزلوا على حكمه فضرب اعناقهم

﴿ غلبة ابن الزبير على العراقين وبيعتهم ﴾

قال وذكروا ان عباس بن سهل لما فرغ من قتال أهل الشام رجع المدينة فجدد البيعة لابن الزبير فسارعوا اليها ولم يتثبطوا وقدم أهل البصرة على ابن الزبير بمكة فكانوا

معه وكان عبدالله بن الزبير استعمل الحارث بن عبدالله أبى ربيعة على البصرة فلما قدمها قيل له ان الناس يقطعون الدراهم حتى يجعلونها كأنها أصفار فقال لهم دلم بسبعة ثقالا فأتوه بسبعة ثقال فقال هذه بعشرة فزنوا كيف شئتم قال واتوا بالمكيال الذى يكيلون به فقال هذا قريب صالح ثم قيل له ان أهل البصرة لا يصلحهم الا القتل فقال لان تفسد البصرة أحب الى من أن يفسد الحرث والنسل قال فبعث ابن الزبير حمزة بن عبدالله بن الزبير الى البصرة عاملا فاستحقره أهل البصرة فبعث مصعب ابن الزبير فقدم عليهم فقال اهل البصرة لا يقدم عليكم أحد الا لقبتموه وأنا ألقب لكم نفسى انا القصاب ثم صار الى المختار فقتله

﴿ بيعة أهل الكوفة لابن الزبير وخروج ابن زياد عنها ﴾

قال وذكروا عن بعض المشيخة من أهل العلم بذلك قالوا كان ابن زياد أول من ضم اليه الكوفة والبصرة وكان أبوه زياد كذلك قبله فلم يزل عبيدالله يتبع الخوارج ويقتلهم ويأخذ على ذلك الناس بالظن ويقتلهم بالشبهة واستعمد الى عامتهم وكان بعضهم له على ما يجب قال فلما اختلف أمر الناس ومات يزيد واستمد سلطان ابن الزبير وغلظ شأنه وعظم أمره وخلع أهل البصرة طاعة بنى أمية وبايعوا ابن الزبير خرج عبيدالله بن زياد الى المسجد فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس ان الذى كنا نقاتل على طاعته قدمات واختلف أمر الناس وتشتت كلمتهم وانشقت عصاهم فان أمرتمونى عليكم حبيت فيكم وقاتلت عدوكم وحكمت بينكم وأنصفت مظلومكم واخذت على يد ظالمكم حتى يجتمع الناس على خليفة فقام يزيد بن الحارث بن رويم اليشكرى وقال الحمد لله الذى أراحنا من بنى أمية وأخرى من ابن سمية لا والله ولا كرامة فأمر به عبيدالله فلبب ثم انطلق به الى السجن فقامت بكر بنت وائل فحالت بينه وبين ذلك ثم خرج الثانية عبيدالله بن زياد الى المنبر فخطب الناس فحصبه الناس ورموه بالحجارة وسبوه وقام قوم فدنوا منه فنزل فاجتمع الناس فى المسجد فقال نؤمر رجلا حتى تجتمع الناس على خليفة فاجتمع رأيهم على ان يؤمروا عمرو بن سعد بن أبى وقاص وكان الذين قاموا بامره هذا الحى الذى من كندة فبيناهم على ذلك اذ أقبل النساء يبكين وينعين الحسين واقبلت همدان حتى ملؤا المسجد فطافوا بالمنبر متقلدين بالسيوف واجمع رأى

أهل البصرة والكوفة على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف فأمروه عليهم حتى يجتمع الناس وكتبوا الى عبدالله بن الزبير يبايعونه بالخلافة فأقر عبدالله بن الزبير عاملا عليهم نحوا من سنة واستعمل العمال فى الامصار فبلغ أهل البصرة ماصنع أهل الكوفة فاجتمعوا واخرجوا الرايات فلم يبق أحد الاخرج وذلك لسوء آثار عبيد الله بن زياد فيهم يطلبون قتله ثم قام ابن أبى ذؤيب فقال ياهؤلاء من ينصر الله ينصر الكعبة من يغار على ابن سمية سارعوا أيها الناس الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض واجتنبوا هذه الدعوة واقيموا أود هذه البيعة فانها بيعة هدى فانه من قد علمتم عبدالله بن الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وابن أسماء بنت أبى بكر الصديق أما والله لو أن ابا بكر علم أنه بقى على الارض من هو خير منه واولى بهذه البيعة مامديده ولانازعته اليها نفسه أما والله لقد علمتم ما أحد على وجه الارض خير ولا أحق بها الا هذا الشيخ عبدالله بن عمر المتبرىء من الدنيا المعتزل عن الناس الكاره لهذا الامر ثم خرجت الخوارج من سجون عبيدالله بن زياد واجتمعوا على حدة والقبائل كل قبيلة فى المسجد معتزلة على حدة وعبيدالله بن زياد فى القصر وقد اخذ بابوابه وقد تمنع أن يدخل القصر أحد وقد أخذت العرب بافواه السكك والدروب وكان عبيد الله أول من جفا العرب وأخذ منهم الحاربة اثنى عشر ألفا ليعتز بهم فوالله مازادوه الاذلا فلما رأى ذلك عبدالله بن زياد لم يدر كيف يصنع وخاف تميما و بكر بن وائل ان يستجير بهم ولم يأمن غدرهم فارسل الى الحارث بن قيس الجهمى من الازد فدخل عليه الحارث قال ياحارث قد أكرمتم زيادا وحفظتم منه ما كنتم أهله وقد استجرت بكم فانشدكم الله فى قال الحارث اخاف أن لاتقدر على الخروج الينا لما أرى من سوء رأى العامة فيك مع سوء آثارك فى الازد قال فتهيأ عبيدالله فلبس لبس امرأة فى خمرتها وعقيصتها فاردفه خلفه نخرج به على الناس فقالوا ياحارث ماهذه قال تحوا رحمكم الله هذه امرأة من أهلى كانت زائرة لاهل ابن زياد أتيت أذهب بها فقال عبيدالله للحارث أين نحن قال فى بنى سليم فقال سلمنا الله قال ثم سار قليلا ثم قال أين نحن قال فى بنى ناجية من الازد قال نجونا ان شاء الله قال فأتى به مسعود بن عمرو وهو يومئذ سيد الازد فقال ياابا قيس قد جئتك

بعبيدالله مستجيرا قال ولم جئتني بالعبد قال انشدتك الله فقد اختارك على غيرك فلما رآهم عبيد الله يتراضون ويتناشدون قال قد بلغني الجهد والجوع فقال مسعود ياغلام ائت البقال فأتنا من خبزه وتمره قال فجاء به الغلام فوضع قال فاكل وانما أراد ابن زيادان يحرم بطعامه ثم قال أدخل فدخل ومنارات الناس يومئذ من القصب وكان منزل مسعود يومئذ قاصية قال فكان عبيدالله خاف فقال ياغلام اصعد الى السطح بحزمة من قصب فاشعل اعلاه نارافعل ذلك فى جوف الليل فاقبلت الازد على الخيل وعلى أرجلها حتى شحنوا السكك وملؤها فقالوا ما السيدنا قال شيء حدث فى الدار قال فعرف عبيدالله عزته ورفعته وماهو عليه قال هذا والله العز والشرف فاقام عندها ياما وعنده امرأتان امرأة من الازد وامرأة من عبد قيس فكانت العبدية تقول اخرجوا العبد وكانت الازدية تقول استجار بك على بغضه اياك وجفوته لك وتحدث الناس انه لجأ الى مسعود ابن عمرو فاجتمعت القبائل فى المسجد والخوارج وهم فى أربعة آلاف فقال ابن مسعود ماأظنني الا خارجا الى البصرة معتذرا اليهم من أمر عبيدالله ثم قال وكيف آمن عليه وهو فى منزلى ولكنى أبلغه مأمنه ثم اعتذر اليهم قال وكان مسعود قد أجار عنده ابن زياد أربعين ليلة قال فاقبل مسعود يوما على برذون له وحوله عدة من الازد عليهم السيوف وقد عصب رأسه بسير أحمر قال الهيثم فقلت لابن عباس لم عصب رأسه بسير أحمر قال قد سألت عن ذلك قبلك فقال شيخ من الازد كان ضخم الهامة وكانت له ضفيرتان فعصب لذلك بالسير قال ابن عباس فذكرت ذلك لعمرو بن هرم وكان معنا بواسط فقال حدثك من لا يعرف هذا شيء كانت العرب تصنعه اذا أراد الرجل الاعتذار من الذنب عصب السير ليعلموا انه معتذر قال فاقبل مسعود حتى انتهى الى باب المسجد ومعه أصحابه رجالة بين يديه وخلفه وكان كبيرا فلم يستطع النزول والقبائل فى المسجد باجمعها فدخل المسجد بدابته فبصرت به الخوارج فظنوا انه عبيدالله فاقبلوا نحوه متقلدين السيوف وجال الناس جولة فضربوه باسيافهم حتى مات قتله نفر من بنى حنيفة من الخوارج وجال الناس ونهضوا من مجالسهم وبلغ ذلك الازد فاقبلوا على كل صعب وذلول وأقبل عباد بن الحصين لينظر الى عبيدالله فاذا هو بمسعود فقال مسعود ورب الكعبة انا لله وانا اليه راجعون ابا قيس قد وفيت

ما كان أغنى أهل مصرك بما صنعت من ذلك فجمتهم بنفسك ثم ألقى عليه كساءه ثم أقبلت الازد فكان بينهما و بين مضر ما وقع ذكره فى غير هذا الكتاب حتى اصطلحوا و تراضوا على بيعة ابن الزبير قال الهيثم قال ابن عباس حدثنى عوكل اليشكرى قال انا مع عبيد الله بن زياد فى ليلة مظلمة فاذا نحن بنار من بعد فقال عبيد الله يا عوكل كيف الطريق قال اجعل النار على حاجبك فقال بل على حاجبك قال عوكل فوالله انا نسير بالسمارة اذ قال عبيد الله قد كرهت البعير فابغوا الى ذا حافر قال فاذا نحن باعرابى من كلب معه حمار أقمر ضخم فقلت تبيعه بكم فقال بار بعمائة درهم لا انقصكم درهما فاشار الينا عبيد الله ان خذوه قال فجعلنا تنقده الدراهم قال لست أدرى ماهذه ولكن بينى و بينكم هذا المولى يعنى عبيد الله بن زياد وكان عبيد الله أحمر أقمر شبيها بالموالى قال فأخذناه منه فقال عبيد الله ارحلوا الى عليه فرحلناله عليه فلما قدم ليركب قال الاعرابى أنا أقسم بالله ان لكم شأنا وما أظن صاحبكم الا والى العراق فاستقفاه عبيد الله بالعصا فضربه بها فوقع ثم شدوه وثاقا قال وجعلوا يتجنبون المياه قال عوكل ثم ان عبيد الله بينا هو على راحلته اذ هجعت عينه فقلت له اراك نائما فقال ما كنت بنائم فقلت له ما أعلمنى بما كنت تحدث به نفسك قال وباى شىء كنت أحدث به نفسى قال قلت ليتنى لم أبن البيضاء ولم استعمل الدهاقين وليتنى لم أتخذ المحاربة قال ما خطر لى هذا على بال اما قولك ليتنى لم أبن البيضاء فما كان على منها أثم بناها اليزيد من ماله واما استعمال الدهاقين فقد استعملهم ابى ومن كان قبله واما المحاربة فوالله ما اتخذتهم الا وقاية لانى كنت أقتل بهم أهل المعصية فلو أمرت عشائرهم بهم لم يقتلوهم ولشق ذلك عليهم فجعلت ذلك بينى و بينهم من لا ألى بينه و بينهم ولكنى كنت احدث نفسى انى ندمت على تركى أربعة آلاف فى السجن من الخوارج فوددت انى كنت أضرمت البيضاء عليهم حتى أتى على آخرهم ووددت انى جمعت آل بيتى وموالى ونابذت أهل المصر على سواء حتى يموت الاعجل و وددت انى قدمت الشام ولم يبايع أهلها بعد

﴿ قتل المختار عمر و بن سعد ﴾

قال وذكروا ان المختار بن أبى عبيد كتب الى عبد الله بن الزبير من الكوفة وقال لرسوله اذا جئت مكة فدفعت كتابى الى عبد الله بن الزبير فأت المهدى محمد بن على وهو ابن

الحنفيـة فاقرىء عليه منى السلام وقل له يقول لك أخوك أبواسحاق انى أحبك وأحب أهل بيتك قال فأتاه الرسول فقال له ذلك فقال كذبت وكذب أبواسحاق معك كيف يحبنى ويحب أهل بيتى وهو يجالس عمرو بن سعد بن أبى وقاص على وسادة وقد قتل الحسين بن على أخى قال فلما قدم عليه رسوله أخبره بمـا قال محمد بن على فقال المختار لابن عمرة صاحب حرسه استأجر لى نوائح يبكين الحسين على باب عمرو بن سعد بن أبى وقاص قال ففعل فلما جئن يبكين الحسين قال عمرو لابنه حفص يا بنى قل له ما شأن النوائح يبكين الحسين قال فأتاه فقال له ذلك فقال له هل لك أن تبكى عليه فقال أصلحك الله انههن عن ذلك قال نعم ثم دعا أبا عمرة فقال اذهب الى عمرو بن سعد فأتنى برأسه قال فأتاه فقال قم الى أبا حفص فقام اليه وهو ملتحف فجلله بالسيف ثم جاء براسه الى المختار وحفص جالس عنده على الكرسى فقال هل تعرف هذا الرأس قال نعم رحمة الله عليه قال أتحب أن ألحقك به قال وما خير الحياة بعده قال فضرب رأسه فقتله قال ثم أرسل عبدالله بن الزبير يزيد بن زياد على العراق فكان بالكوفة حتى مات يزيد وأحرقت الكعبة ورجع الحسين هاربا الى الشام قال ثم أرسل عبدالله بن مطيع الى الكوفة ثم بعث المختار بن أبى عبيد على الكوفة وعزل عبدالله بن مطيع وسيره الى المدينة وسار عبيدالله بن زياد بعد ذلك الى المختار وجهه عبدالملك بن مروان اميرا على العراق وندب معـه جيشا عظيما من أهل الشام فاقبل الى الكوفة يريد المختار فالتقوا بالجازر فاقتتلوا فقتـل المختار عبيدالله بن زياد ومن معه وكان معه الحصين بن نمير وذا الكلاع وغلبة من كان معه ممن شهد وقعة الحرة من رؤسهم

﴿ قتل مصعب بن الزبير المختار بن أبى عبيدالله ﴾

قال وذكروا أن أبا معشر قال لما قتل عبيدالله بن زياد ومن معه ارتضى أهل البصرة عبدالله بن الحارث بن نوفل فأمروه على انفسهم ثم أتى عبدالله بن الزبير وأم عبدالله بن الحارث هند بنت أبى سفيان وكانت أمه تنبذه وهو صغير ببه فلقب ببه ثم بعث عبدالله ابن الزبير الحارث بن عبيدالله بن أبى ربيعة عاملا على البصرة ثم بعث حمزة بن الزبير بعده ثم بعث مصعب بن الزبير اخاه وضم اليه العراقين جميعا الكوفة والبصرة فلما ضم اليه

الكوفة وعزل المختار عبدالله بن الزبير بالكوفة ودعا الى آل الرسول واراد أن يعقد البيعة لمحمد بن الحنفية ويخلع عبدالله بن الزبير فكتب عبدالله الى أخيه مصعب ان سر الى المختار بمن معك ثم لا تبلعه ريقه ولا تمهله حتى يموت الاعجل منكما فأتاه مصعب بمن معه فقاتله ثلاثة أيام حتى هزمه وقتله وبعث مصعب برأس المختار الى أخيه وقتل مصعب أصحاب المختار قتل منهم ثمانية آلاف صبرا ثم قدم حاجا فى سنة احدى وسبعين فقدم عبدالله بن الزبير ومعه رؤساء أهل العراق ووجوههم وأشرافهم فقال يا امير المؤمنين قد جئتك برؤساء أهل العراق وأشرافهم كل مطاع فى قومه وهم الذين سارعوا الى بيعتك وقاموا باحياء دعوتك ونابذوا أهل معصيتك وسعوا فى قطع عدوك فاعطهم من هذا المال فقال له عبدالله بن الزبير جئتني بعبيد أهل العراق وتأمرنى أن أعطيهم مال الله لا أفعل وأيم الله لوددت انى أصرفهم كما تصرف الدنانير بالدراهم عشرة من هؤلاء برجل من أهل الشام قال فقال رجل منهم علقناك وعلقت أهل الشام ثم انصرفوا عنه وقد يئسوا مما عنده لا يرجون رفده ولا يطمعون فيما عنده فاجتمعوا واجمعوا على خلعه فكتبوا الى عبدالملك بن مروان ان أقبل الينا

﴿ خلع ابن الزبير ﴾

قال وذكروا أن ابامعشر قال لما اجمع القوم على خلع ابن الزبير وكتبوا الى عبد الملك بن مروان أن سر الينا فلما أراد عبدالملك أن يسير اليهم وخرج من دمشق فاغلق عمرو بن سعيد باب دمشق فقيل لعبدالملك ماتصنع أتذهب الى أهل العراق وتدع دمشق أهل الشام أشد عليك من أهل العراق فأقام مكانه فحاصر أهل دمشق أشهرا حتى صالح عمرو بن سعيد على أنه الخليفة بعده ففتح دمشق ثم أرسل عبدالملك الى عمرو وكان بيت المال فى يد عمرو ان أخرج للحرس أرزاقهم فقال عمرو ان كان لك حرس فان لنا حرسا فقال عبد الملك أخرج لحرسك أرزاقهم أيضا

﴿ قتل عبدالملك عمرو بن سعيد ﴾

قال وذكروا أن ابامعشر قال لما اصطلح عبدالملك وعمرو بن سعيد على أنه بعده أرسل عبدالملك الى عمرو بن سعيد نصف الليل ائتنى أبا امية قال فخرج ليأتيه

فقالت له امرأته لا تذهب اليه فانى اتخوفه عليك وانى لاجد ريح دم مسفوح قال فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشجها فتركته فأخرج معه أربعة آلاف رجل من أهل دولته لا يقدرون على مثلهم متسلحين فأحدقوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك بن مروان فقالوا لعمرو اذا دخلت على عبد الملك يا ابا أمية و رابك منه شيء فاسمعنا صوتك فقال لهم ان خفى عليكم صوتى ولم تسمعوه فالزوال بينى و بينكم ميعاد ان زالت الشمس ولم أخرج اليكم فاعلموا أنى مقتول أومغلوب فضعوا أسيافكم ورماحكم حيث شئتم ولا تغمدوا سيفا حتى تأخذوا بثارى من عدوى قال فدخل وجعلوا يصيحون يا ابا امية أسمعنا صوتك وكان معه غلام اسحم شجاع فقال له اذهب الى الناس فقل لهم ليس عليه بأس ليسمع عبد الملك أن وراءه ناس فقال له عبد الملك أتمكر يا ابا امية عند الموت خذوه فأخذوه فقيل له ان أمير المؤمنين قد أقسم ليجعلن فى عنقك جامعة منه ثم نشروه الى الارض نشرة فكسرت ثنيته قال فجعل عبد الملك ينظر اليه فقال عمرو لا عليك يا امير المؤمنين عظم انكسر فقال عبد الملك لاخيه عبد العزيز أقتله حتى ارجع اليك قال فلما أراد عبد العزيز أن يضرب عنقه قال له عمرو نمسك بالرحم يا عبد العزيز أنت تقتلنى من بينهم فتركه فجاء عبد الملك فرآه جالسا فقال له لم تقتله لعنه الله ولعن أما ولدته قال فانه قال تمسك بالرحم فتركته قال فأمر رجلا عنده يقال له ابن الزويدع فضرب عنقه ثم أدرجه فى بساط ثم ادخله تحت السرير قال فدخل عليه قبيصة بن ذؤيب الخزاعى وكان أحد الفقهاء وكان رضيع عبد الملك بن مروان وصاحب خاتمه ومشورته فقال له عبد الملك كيف رأيك فى عمرو بن سعيد فابصر قبيصة رجل عمرو تحت السرير فقال اضرب عنقه يا امير المؤمنين فقال له عبد الملك جزاك الله خيرا فما علمتك الا ناصحا أمينا موافقا قال له فما ترى فى هؤلاء الذين احدقوا بنا واحاطوا بقصرنا قال قبيصة اطرح رأسه اليهم يا امير المؤمنين ثم اطرح عليهم الدنانير والدراهم يتشاغلون بها قال فأمر عبد الملك برأس عمرو أن تطرح اليهم من أعلى القصر فطرحت اليهم وطرحت الدنانير ونشرت الدراهم ثم هتف عليهم الهاتف ينادى ان أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والامر النافذ ولكم على أمير

المؤمنين عهد الله وميثاقه ان يحمل راجلكم ويكسوا عاريكم ويغنى فقيركم ويلغكم الى أكمل مايكون من العطاء والرزق ويلغكم الى المائتين فى الديوان فاعترضوا على ديوانكم واقبلوا أمره واسكنوا الى عهدة يسلم لكم دينكم ودنيا كم قال فصاحوا نعم نعم سمعا وطاعة لأميرالمؤمنين قال فلما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان بالشام أراد أن يخرج الى مصعب فجعل يستفز أهل الشام فيبطؤن عليه فقال له الحجاج بن يوسف وكان يومئذ فى حرس أبان بن مروان ياأمير المؤمنين سلطنى عليهم فاعطاه ذلك فقال له عبد الملك اذهب قد سلطتك عليهم قال فكان لايمر على بيت رجل من أهل الشام تخلف الا أحرق عليه بيته فلما رأى ذلك أهل الشام خرجوا قال فاصابهم من ذلك غلاء فى الاسعار وشدة من الحال وصعوبة من الزمان قال وكانوا يصنعون لعبد الملك بن مروان الارز فسار باهل الشام الى العراق ومعه الحجاج بن يوسف

﴿ مسير عبد الملك الى العراق وقتله ﴾

قال وذكروا ان عبد الملك لما سار باهل الشام ومعه الحجاج بن يوسف الى العراق خرج مصعب بن الزبير باهل البصرة والكوفة فالتقيا بين الشام والعراق وكان عبد الملك ومصعب قبل ذلك متصافيين وصديقين متحابين لايعلم بين اثنين من الناس ما بينهما من الاخاء والصداقة فبعث اليه عبد الملك ان ادن منى اكلمك قال فدنا كل واحد من صاحبه ونحى الناس عنهما فسلم عبد الملك عليه وقال له يا مصعب قد علمت ما أجرى الله بينى وبينك منذ ثلاثين سنة وما اعتقدته من اخائى وصحبتى والله أنا خير لك من عبد الله وأنفع منه لدينك ودنياك فثق بذلك منى وانصرف الى وجوه هؤلاء القوم وخذ لى بيعة هذين المصرين والامر أمرك لاتعصى ولاتخالف وان شئت اتخذتك صاحبا لاتخفى ووزيراً لاتعصى فقال له مصعب أماماذكرت فىّ من ثقتى بك ومودتى واخائى فذلك كماذكرته ولكنه بعد قتلك عمرو بن سعيد لايطمأن اليك وهو أقرب رحما منى اليك وأولى بما عندك فقتلته غدرا ووالله لوقتلته فى ضرب وحراب لسك عاره ولما سلمت من أثمه وأما ماذكرت من انك خير لى من أخى فدع عنك أبا بكر واياك واياه لاتتعرض له واتركه ماتركك وارج عاجل عاقبته وارج الله فى السلامة من عافيته فقال له عبد الملك لاتخوفنى

يه فوالله انى لأعلم منه مثل ماتعلم ان فيه لثلاث خصال لا يسود بها أبداً عجب قد ملاه واستغناء برأيه و بخل التزمه فلا يسود بها أبدا

﴿ قتل مصعب بن الزبير ﴾

قال وذكروا ان عبد الملك لما ايس مصعب كتب الى أناس من رؤساء أهل العراق يدعوهم الى نفسه و يجعل لهم أموالا عامة وشروطاً وعهودا ومواثيق وعقودا وكتب الى ابراهيم ابن الاشتر يجعل له وحده مثل جميع ماجعل لاصحابه على ان يخلعوا عبد الله بن الزبير اذا لتقوا فقال ابراهيم بن الاشتر لمصعب ان عبد الملك قد كتب الى هذا الكتاب وكتب الى أصحابى كلهم فلان وفلان بذلك فادع بهم فى هذه الساعة فاضرب اعناقهم واضرب عنقى معهم فقال مصعب ما كنت لافعل ذلك حتى يستبين لى ذلك من أمرهم قال ابراهيم فأخرى قال وماهى قال احبسهم فى السجن حتى يتبين ذلك فأبى فقال له ابراهيم بن الاشتر عليك السلام و رحمة الله و بركاته ولا ترانى والله بعد فى مجلسك هذا أبدا وقد كان قال له قبل ذلك دعنى ادعو أهل الكوفة بدعوة لا يخلعونها أبدا وهى ماشرطه الله فقال له مصعب لا والله لا أفعل لا أكون قتلتهم بالامس واستنصر بهم اليوم قال فما هو الا أن التقوا فحولوا برؤسهم ومالوا الى عبد الملك بن مروان قال فبقى مصعب فى شرذمة قليلة قال فجاءه عبيد الله ابن ظبيان فقال أين الناس أيها الامير فقال غدركم ياأهل العراق قال فرفع عبيد الله سيفه ليضربه فبدره مصعب بالسيف على البيضة فنشب فيها فجعل يقلب السيف ولا ينتزع من البيضة قال فجاء غلام لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعب بالسيف فقتله ثم جاء عبيد الله برأسه الى عبد الملك يدعى انه قتله فطرح رأسه وقال

نطيع ملوك الارض ماقسطوا لنا   وليس علينا قتلهم بمحرم

قال فوقع عبد الملك ساجدا فتحامل عبيد الله على ركابه ليضرب عبد الملك بالسيف فرفع عبد الملك رأسه وقال والله ياعبيد الله لولا منتك لالحقتك سريعا به قال فبايعه الناس ودخل الكوفة فبايعه أهلها

﴿ ذكر حرب ابن الزبير وقتله ﴾

قال وذكروا انه لما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان من أهل العراق وأتاه الحجاج

ابن يوسف فقال يا أمير المؤمنين انى رأيت فى المنام كأنى أسلخ عبدالله بن الزبير فقال له عبدالملك أنت له فاخرج اليه فخرج اليه الحجاج فى ألف وخمسمائة رجل من رجال أهل الشام حتى نزل الطائف وجعل عبدالملك يرسل اليه الجيوش رسلا حتى توافى الناس عنده قدر ما يظن انه يقدر على قتال عبدالله بن الزبير وكان ذلك فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين فثار الحجاج من الطائف حتى نزل منى فحج الناس وعبدالله بن الزبير محصور بمكة ثم نصب الحجاج المنجنيق على أبى قبيس ونواحى مكة كلها فرمى أهل مكة بالحجارة فلما كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها جمع عبدالله بن الزبير القرشيين فقال لهم ما ترون فقال رجل منهم من بنى مخزوم والله لقد قاتلنا معك حتى ما نجد مقاتلا والله لئن صبرنا معك ما نزيد على ان نموت معك وانما هى احدى خصلتين اما ان تأذن لنا فنأخذ الامان لانفسنا ولك واما ان تأذن لنا فنخرج فقال عبدالله قد كنت عاهدت الله ان لا يبايعنى أحد فأقيله بيعته الا ابن صفوان قال ابن صفوان والله انا لنقاتل معك وما وفيت لنا بما قلت ولكن تأخذنى الحفيظة ان ادعك عند مثل هذه حتى أموت معك فقال رجل آخر اكتب الى عبد الملك فقال له عبدالله وكنت أكتب اليه من عبدالله أبى بكر أمير المؤمنين فوالله لا يقبل هذا منى أبدا أو أكتب اليه لعبد الملك أمير المؤمنين من عبدالله بن الزبير فوالله لأن تقع الخضراء على الغبراء أحب الى من ذلك قال عروة أخوه يا أمير المؤمنين قد جعل الله لك أسوة فقال له عبدالله من هو أسوتى قال الحسن بن على بن أبى طالب خلع نفسه وبايع معاوية فرفع عبدالله رجله وضرب عروة حتى ألقاه ثم قال يا عروة قلبى اذا مثل قلبك والله لو قبلت ما تقولون ما عشت الا قليلا وقد أخذت الدنية وما ضربة بسيف الا مثل ضربة بسوط لا اقبل شيئا مما تقولون قال فلما أصبح دخل على بعض نسائه فقال اصنعى لى طعاما فصنعت له كبدا وسناما قال فأخذ منها لقمة فلاكها ساعة فلم يسغها فرماها وقال اسقونى لبنا فاتى بلبن فشرب ثم قال صبوا على غسلا قال فاغتسل ثم تحنط وتطيب ثم تقلد سيفه وخرج وهو يقول

ولا ألين لغير الحق أسأله ... حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم دخل على أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق وهى عمياء من الكبر قد بلغت من السن مائة سنة فقال لها يا أماه ما ترين قد خذلنى الناس وخذلنى أهل بيتى فقالت يا بنى

لا يلعبن بك صبيان بنى أمية عش كريما ومت كريما فخرج واسند ظهره الى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتل بهم أهل الشام فيهزمهم وهو يقول ويل أمه فتح لو كان له رجال قال فجعل الحجاج يناديه قد كان لك رجال ولكن ضيعتهم قال فجاءه حجر من حجارة المنجنيق وهو يمشي فأصاب قفاه فسقط فما درى أهل الشام انه هو حتى سمعوا جارية تبكي وتقول وا امير المؤمنين فاحتزوا رأسه فجاؤا به الى الحجاج وقتل معه عبد الله بن صفوان بن أمية وعمارة بن عمرو بن حزم ثم بعث برؤسهم الى عبد الملك وقتل لسبع عشرة ليلة مضين من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين قال أبو معشر ثم أقام الحجاج بالمدينة عاملا عليها وعلى مكة والطائف ثلاث سنين يسير بسيرته فيما يقولون قال فلما مات بشر ابن مروان وكان على الكوفة والبصرة كتب اليه عبد الملك أن سر الى العراقين واحتل لقتلهم فانه قد بلغنى عنهم ما اكره واستعمل عبد الملك على المدينة يحيي بن حكيم بن أبى العاص

﴿ ولاية الحجاج على العراقين ﴾

قال وذكروا ان عبد الملك لما كتب الى الحجاج يأمره بالسير الى العراقين ويحتال لقتلهم توجه ومعه ألفا رجل من مقاتلة أهل الشام وحماتهم وأربعة آلاف من اخلاط الناس وتقدم بالفي رجل وتحرى دخول البصرة يوم الجمعة فى حين أوان الصلاة فلما دنى من البصرة أمرهم ان يتفرقوا على أبواب المسجد على كل باب مائة رجل باسيافهم تحت أرديتهم وعهد اليهم ان اذا سمعتم الجلبة فى داخل المسجد والوقيعة فيهم فلا يخرجن خارج من باب المسجد حتى يسبقه رأسه الى الارض وكان المسجد له ثمانية عشر بابا يدخل منها اليه فافترق القوم عن الحجاج فبدروا الى الابواب فجلسوا عندها مرتدين ينتظرون الصلاة ودخل الحجاج وبين يديه مائة رجل وخلفه مائة كل رجل منهم مرتد بردائه وسيفه قد أفضى به الى داخل ازاره فقال لهم انى اذا دخلت فسأكلم القوم فى خطبتى وسيحصبونى فاذا رأيتمونى قد وضعت عمامتى على ركبتى فضعوا أسيافكم واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين فلما دخل المسجد وقد حانت الصلاة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان أمير المؤمنين عبد الملك أمير استخلفه الله عز وجل فى بلاده وارتضاه اماما على عباده وقد ولانى مصركم وقسمة فيئكم وأمرنى بانصاف مظلومكم وامضاء

الحكم على ظالمكم وصرف الثواب الى المحسن البرىء والعقاب الى العاصى المسيء وأنا متبع فيكم امره ومنفذ عليكم عهده وارجو بذلك من الله عز وجل المجازاة ومن خليفته المكافاة وأخبركم انه قلدنى بسيفين حين توليته اياى عليكم سيف رحمة وسيف عذاب ونقمة فاما سيف الرحمة فسقط منى فى الطريق وأما سيف النقمة فهو هذا فحصبه الناس فلما اكثروا عليه خلع عمامته فوضعها على ركبته فجعلت السيوف تبرى الرقاب فلما سمع الخارجون الكائنون على الابواب وقيعة الداخلين ورأوا تسارع الناس الى الخروج تلقوهم بالسيوف فأردعوا الناس الى جوف المسجد ولم يتركوا خارجا يخرج فقتل منهم بضعا وسبعين ألفا حتى سالت الدماء الى باب المسجد والى السكك قال أبو معشر لما قدم الحجاج البصرة صعد المنبر وهو معتجر بعمامته متقلد سيفه وقوسه قال فنعس على المنبر وكان قد أحيي الليل ثم تكلم بكلام فحصبوه فرفع رأسه ثم قال انى أرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها فها بوه وكفوا ثم كلمهم فحصبوه وا كثروا واقام بهم جندا من أهل الشام وكانوا قد أحاطوا به من حوله ومن حول أبواب المسجد قال فلما فرغ منهم واحكم شأنه فيهم بعث عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الى سجستان عاملا ومعه جيش فكتب اليه الحجاج ان يقاتل حصن كذا وكذا فكتب الى الحجاج انى لا أرى ذلك صوابا ان الشاهد يرى مالا يرى الغائب فكتب اليه الحجاج أنا الشاهد وانت الغائب فانظر ما كتبت به اليك فامض له والسلام

﴿ خروج ابن الاشعث على الحجاج ﴾

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث لما خرج على الحجاج جمع أصحابه وفيهم عبد الرحمن بن ربيعة بن الحارث بن نوفل وبنوه عون بن عبد الله وعمرو بن موسى بن معمر بن عثمان بن عمرة وفيهم محمد بن سعد بن أبى وقاص فقال لهم ماترون قالوا نحن معك فاخلع عدو الله وعدو رسوله فان خلعه من أفضل أعمال البر نخلعه وأظهر خلعه فلما أظهر ذلك قدم عليهم سعيد بن جبير فقالوا له انا قد حبسنا أنفسنا عليك فما الرأى قال الرأى ان تكفوا عما تريدون فان الخلع فيه الفتنة والفتنة فيها سفك الدماء واستباحة الحرم

وذهاب الدين والدنيا فقالوا انه الحجاج وقد فعل مافعل فذكروا أشياء ولم يزالوا به حتى صار معهم وهو كاره قال وانتهى الخبر الى الحجاج فقيل له ان عبد الرحمن قد خلعك ومن معه فقال ان معه سعيد بن جبير وانا أعلم ان سعيدا لايخرج وان أرادوا ذلك سيكفهم عنه فقيل له انه رام ذلك ثم لم يزالوا به حتى فتنوه وصار معهم فبعث الحجاج الغضبان الشيباني ليأتيه بخبر عبد الرحمن بن الاشعث من كرمان وتقدم اليه أن لا يكتمه من أمره شيئا فتوجه الغضبان الى عبد الرحمن قال له عبد الرحمن ماوراءك ياغضبان قال شر طويل تغدى الحجاج قبل أن يتعشاك ثم انصرف من عنده فنزل رملة كرمان وهى أرض شديدة الحر فضرب بها قبة وجلس فيها فبينما هو كذلك اذ ورد اعرابى من بكر بن وائل على قعود فوقف عليه وقال السلام عليك فقال له الغضبان السلام كثير وهى كلمة مقولة قال الاعرابى من أين أقبلت قال من الارض الذلول قال وأين تريد قال أمشى فى مناكبها وآكل من رزق الله الذى أخرج لعباده منها قال الاعرابى فمن عرض اليوم قال الغضبان المتقول قال فمن سبق قال حزب الله الفائزون قال الاعرابى ومن حزب الله قال هم الغالبون فعجب الاعرابى من منطقه وحضور جوابه ثم قال أتقرض قال الغضبان انما تقرض الفأرة قال أفتنشد قال انما تنشد الضالة قال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة قال أفتنطق قال انما ينطق كتاب الله قال أفتقول قال انما يقول الامير قال الاعرابى تالله مارأيت مثلك قط قال الغضبان بلى ولكنك نسيت قال لاعرابى فكيف أقول قال أخذتك الغول فى العاقول وأنت قائم تبول قال الاعرابى أتأذن لى أن أدخل عليك قال الغضبان وراءك أوسع لك قال الاعرابى قد أحرقتنى الشمس قال الغضبان الآن يفىء عليك الفىء اذا غربت قال الاعرابى ان الرمضاء قد أحرقت قدمى قال الغضبان بل عليها يبردان قال الاعرابى ان الوهج شديد قال الغضبان مالى عليه سلطان قال الاعرابى انى والله ماأريد طعامك ولا شرابك قال الغضبان لاتعرض بهما فوالله لاتذوقهما قال الاعرابى وماعليك لوذقتهما قال الغضبان نأكل ولنشبع فان فضل شيء فمن الاكرياء والغلمان فالكلب أحق به منك قال الاعرابى

سبحان الله قال الغضبان نعم من قبل أن يطلع رأسك واضراسك الى الدنيا قال الاعرابى ماعندك الا ما أرى قال الغضبان بلى عندى هراوتان اضرب بهما رأسك حتى تنتثر دماغك قال الاعرابى انا لله وانا اليه راجعون قال الغضبان أظلمك أحد قال الاعرابى ما أرى ثم قال الاعرابى يا آل حارث بن كعب فقال الغضبان بئس الشيخ ذكرت قال الاعرابى ولم ذلك قال الغضبان لان ابليس يسعى حارثا قال الاعرابى انى لا احسبك مجنونا قال الغضبان اللهم اجعلنى من خيار الجن قال الاعرابى انى لأظنك حرورا قال الغضبان اللهم اجعلنى ممن يتحرى الخير قال الاعرابى انى لأراك منكرا قال الغضبان انى لمعروف فيما أوتى فولى عنه وهو يقول انك لبذخ أحمق وما أنطق الله لسانك الا بما أنت لاق وعما قليل تلتف ساقك بالساق فلما قدم الغضبان على الحجاج قال له أنت شاعر قال لست بشاعر ولكنى حائر قال أفعراف أنت قال بل وصاف قال كيف وجدت أرض كرمان قال الغضبان أرض ماؤها وشل وسهلها جبل وثمرها دقل ولصها بطل ان كثر الجيش بها جاعوا وان قل بها ضاعوا قال صدقت أعلمت من كان الاعرابى قال لا قال كان ملك خاصمك فلم تفقه عنه لبذخك اذهبوا به الى السجن فانه صاحب المقاتلة تغدى الحجاج قبل أن يتعشاك وأنت يا غضبان قد أدرك خصمك على نطق لسانك فما الذى به دهاك قال الغضبان جعلنى الله فداك يا امير المؤمنين أما انها لا تنفع من قيلت له ولا تضر من قيلت فيه فقال الحجاج أجل ولكن أراك تنجو منى بهذا والله لأقطعن يديك ورجليك ولاضربن بلسانك عينيك قال الغضبان أصلح الله الامير قد آذانى الحديد وأوهن ساقى القيود فما يخاف من عدلك البرىء ولا يقطع من رجائك المسىء قال الحجاج انك لسمين قال الغضبان القيد والرتعة ومن يك ضيف الامير يسمن قال انا حاملوك على الادهم قال الغضبان مثل الامير أصلحه الله يحمل على الادهم والاشقر قال الحجاج انه لحديد قال الغضبان لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا قال الحجاج اذهبوا به الى السجن قال الغضبان فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون فاستمر فى السجن الى أن بنى الحجاج خضراء واسط فقال لجلسائه كيف ترون هذه القبة قالوا ما رأينا مثلها قط قال الحجاج أما ان لها عيبا

فما هو قالوا ما نرى بها عيبا قال سأبعث الى من يخبرنى به فبعث فاقبل بالغضبان وهو يرسف فى قيوده فلما مثل بين يديه قال له يا غضبان كيف قبتى هذه قال أصلح الله الامير نعمت القبة حسنة مستوية قال اخبرنى بعيبها قال بنيتها فى غير بلدك لا يسكنها ولدك ومع ذلك فانه لا يبقى بناؤها ولا يدوم عمرانها وما لا يبقى ولا يدوم فكأنه لم يكن قال الحجاج صدق ردوه الى السجن فقال الغضبان اصلح الله الامير قد أكلنى الحديد وأوهن ساقى القيود وما أطيق المشى قال احملوه فلما حمل على الايدى قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال انزلوه قال رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين قال الحجاج جروه قال الغضبان وهو يجر بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم قال الحجاج اضربوا به الارض فقال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه ثم قال ويحكم قد غلبنى والله هذا الخبيث اطلقوه الى صفحى عنه قال الغضبان فاصفح عنهم وقل سلام فنجا من شره باذن الله وكانت براءته فيما انطلق على لسانه

﴿ حرب الحجاج مع ابن الاشعث وقتله ﴾

قال وذكروا أن الحجاج لما قدم العراق أميرا زوج ابنه محمدا ميمونة بنت محمد بن الاشعث بن قيس الكندى رغبة فى شرفها مع ما كانت عليه من جمالها وفضلها فى جميع حالاتها وأراد من ذلك استمالة جميع أهلها وقومها الى مصافاته ليكونوا له يدا على من ناواه وكان لها أخ يقال له عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الكندى له ابهة فى نفسه وكان جميلا بهيا منطقيا مع ما كان له من التقدم والشرف فازدهاه ذلك وملأه كبرا وفخرا وتطاولا فالزمه بنفسه وألحقه بأفاضل أصحابه وخاصته وأهل سره وأجرى عليه العطايا الواسعة صلة لصهره وحبا لاتمام الصنيعة اليه والى جميع أهله فأقام عبد الرحمن كذلك حينا مع الحجاج لا يزيده الحجاج الا اكراما ولا يظهر له الا قبولا وفى نفس الحجاج من عجبه ما فيها لتشمخه زاهيا بانفه حتى انه كان ليقول اذا رآه مقبلا أما والله يا عبد الرحمن انك لتقبل على بوجه فاجر وتدبر عنى بقفاء غادر وأيم الله لتبتلين حقيقة أمرك على ذلك فمكث بهذا القول منه دهرا حتى اذا عيل صبر الحجاج على ما يتطلع من عبد الرحمن أراد

أن يبتلى حقيقة مايتفرس فيه من الغدر والفجور وأن يبدى منه مايكتم من غائلته فكتب اليه عهده على سجستان فلما بلغ ذلك أهل بيت عبدالرحمن فزعوا من ذلك فزعا شديدا فأتوا الحجاج فقالوا له أصلح الله الاميرانا أعلم به منك فانك به غير عالم ولقد أدبته بكل أدب فأبى أن ينتهى عن عجبه بنفسه ونحن نخوف أن يفتق فتقا أو يحدث حدثا يصيبنا فيه منك مايسؤنا فقال الحجاج القول كما قلتم والرأى كالذى رأيتم ولقد استعملته على بصيرة فان يستقم فلنفسه نظر وان يفترج سبيله عن بصائر الحق يهدى ان شاء الله فلما توجه عبدالرحمن الى عمله توجه وهو مصر لخلعان طاعة الحجاج وسار بذلك مسيره اجمع حتى نزل مدينة سجستان ثم مر على خلعانه عاما كاملا فلما اجمع عبدالرحمن على اظهار خلعان الحجاج كتب الى أيوب بن القرية التميمى وهو مع الحجاج فى عسكره خاص المنزلة منه وكان مفوها كليما يسأله أن يصدر اليه رسالة الى الحجاج يخلع فيها طاعة الحجاج فكتب له ابن القرية رسالة فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث الى الحجاج بن يوسف سلام على أهل طاعة الله وأوليائه الذين يحكمون بعدله ويوفون بعهده ويجاهدون فى سبيله ويتورعون لذكره ولا يسفكون دما حراما ولا يعطلون للرب أحكاما ولا يدرسون له اعلاما ولا يتنكبون النهج ولا يبرمون السىء ولا يسارعون فى الغى ولا يدللون الفجرة ولا يتراضون الجورة بل يتمكنون عند الاشتباه ويتراجعون عند الاساءة أما بعد فانى احمد الله حمدا بالغا فى رضاه منتهيا الى الحق فى الامور الحقيقية لله علينا وبعد فان الله انهضنى لمصاولتك وبعثنى لمناضلتك حين تحيرت أمورك وتهتكت ستورك فاصبحت عريان حيران مهينا لا توافق وفقا ولا ترافق رفقا ولا تلازم صدقا أؤمل من الله الذى ألهمنى ذلك أن يصيرك فى حبالك وأن يجىء بك فى القرن ويسحبك للذقن وينصف منك من لم تنصفه من نفسك ويكون هلاكك بيدى من اتهمته وعاديته فلعمرى لقد طال ماتطاولت وتمكنت وأخطيت وخلت أن لن تبور وأنت فى فلك الملك تدور وأظن مصداق ما أقول ستخبره عن قريب فسر لامرك ولاق عصابة خلقك من حيالها خلفها نعالها وتدرعت حلالها تدرعها مطالها لا يحذرون منك جهدا ولا

يرهبون منك وعيدا يتأملون خزايتك و يتجرعون امارتك عطاشا الى دمك يستطمعون الله لحمك وأيم الله لينا فقك منهم الا بطال الذين بينهم فيما يحاولونك به على طاعة الله شروا أنفسهم تقربا الى الله فاعص عن ذلك يا ابن أم الحجاج فستحمل عليك ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله والسلام على أهل طاعة الله فلما قدم الكتاب على الحجاج خرج مواثلا قد أخذ بطرف ردائه وألقى الطرف الآخر يجره من خلفه حتى صعد المنبر ونودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس ثم قال

نقاتلهم ولا نشتم عــدوا وشر عداوة المرء السباب

امرؤ وعظ نفسه بنفسه امرؤ تعاهد غفلة نفسه وتفقدها جهده امرؤ وعظ بغيره فاتعظ قد تبين لكم ما تأتون وما تبغون العجب العجب وما هو أعجب من العير الابتر انى وجهته ومن معه من المنافقين سبعمائة وزن سبعة سواء فانطلقوا فى نحور العدو ثم اقبلوا على راياتهم لقتال أهل الاسلام من أجل عير أبتر ومن كيده ما هو أعجب العجب على حين انا قد أمنا الخوارج وأطفأنا الفتن وتتابعت اليهم فكان من شكركم يا أهل العراق ليد الله فيكم ونعمته عليكم واحسانه اليكم جرأتكم على الله وانتهاككم حرمته واغترار كم بنعمة الله ألم يأتكم شبيب مهزوما ذليلا فهلا توجهت اليه منكم خمسة وعشرون أمير جيش ليس منهم من أمير جيش الا وهو فى جنده بمنزلة العروس التى يزف بها الى خدرها فيقتل أميرهم وهم وقوف ينظرون اليه لا يرون له حرمة فى صحبة ولا ذماما فى طاعة فقبحت تلك الوجوه فما هذا الذى يتخوف منكم يا أهل العراق أما هذا الذى يتقى والله لقد أكرمنا الله بهوانكم واهانكم بكرامتنا فى مواطن شتى تعرفونها وتعرفون أشياء حرمكم الله أخاذها وما الله بظلام للعبيد ثم خذلانكم لهذه المعلوجاء المقصصة انحرافا أولهذه المعلوجاء واخلاطها من أهل العراق لقد هممت ان اترك بكل سكة منها جيفا متنفخين شائلة ارجلهم تنهشهم الطير من كل جانب يا أهل الشام احـدوا قلوبكم واحـدوا سيوفكم ثم قال

قدجـد أشياعكم فجدوا * والقوس فيها وتر عرد * مثل ذراع البكر أو أشد

هيهات ترك الخداع من أجرى من المائة ومن لم يزدعن حوضه يهدم وارى

الحزام قد بلغ الطبيين والتقت حلقتا البطان ليس سلامان كمهدان أنا ابن العرفة وابن الشيخ الاغر كذبتم ورب الكعبة ما الرأى كما رأيتم ولا الحديث كما حدثتم فافطنوا لعيو بكم وايا كم ان أكون أنا وأنتم كما قال القائل

انك ان كلفتنى مالم أطـــق ساءك ماسرك منى من خلق

والمخبر بالعلم ليس كالراجم بالظنون فالتقدم قبل التندم وأخو المرء نصيحته ثم قال

لذى العلم قبل اليوم ماتقرع العصا وما عـــلم الانسان الا ليعلما

ثم قال احمدوا ربكم وصلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم نزل وقال اكتب يانافع وكان نافع مولاه وكاتبا يكتب بين يديه بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى عبد الرحمن بن الاشعث سلام على أهل النزوع من التزيغ وأسباب الرداء الا الى معادن السىء والتقحم فى الغى فانى أحمد الله الذى خلاك فى حيرتك اذبهتك فى السيرة ووهلك للضروره حتى أقحمك أمورا أخرجك بها عن طاعته وجانبت ولايته وعسكرت بها فى الكفر وذهلت بها عن الشكر فلا تشكر فى السراء ولا تصبر فى الضراء أقبلت مستنا بحريم الحرة وتستوقد الفتنة لتصلى بحرها وجلبت لغيرك ضرها وقلت وثاق الاحتجاج ومبارزة الحجاج ألا بل لامك الهبل وعزة ربك لتكبن لنحرك ولتقلبن لظهرك ولتتخبطن فريصتك ولتدحضن حجتك ولتذمن مقامك ولتشغلن سهامك كأنى بك تصير الى غير مقبول منك الا السيف هو جاهو جاعند كشوف الحرب عن ساقها ومبارزة ابطالها والسلام على من أناب الى الله وسمع وأجاب ثم قال من ههنا من فتية بنى الاشعث بن قيس قيل سعيد بن جبير قال فأتى به قال له انطلق بهذا الكتاب الى هذه الطاغية الذى قد فتن فاردعه عن قبيح مادخل فيه وعظيم ما أصر عليه من حق الله وحرمة ماانتهك عدو الله الى مافى ذلك من سفك الدماء واباحة الحريم وانفاق الاموال فانى لولا معرفتى بانك قد حويت علما واصبت فقها اخاف ان يكون عليك لا لك لاعهدت لك به عهد اتقفل به ولكن انطلق مرتك هذه قبل الكتاب اليه واحمله على البريد فخرج سعيد به متوجها حتى انتهى اليه فلما قرأ عبد الرحمن الكتاب تبينت رعشته جزعا منه وهيبة له وسمع بذلك من كان يبايعه وهوى كالذى هوى وضم سعيد بن

جبير فلم يظهره للناس وكتم الكتاب وجعل يستخلي با بن جبير في الليل فيسمر معه و يسأله عبدالرحمن الدخول معه فيما رأى هو ومن خلع الحجاج فابى سعيد ذلك عليه فمكث بذلك شهراً كريتا فأسعفه سعيد بن جبير بطلبته وسارع معه في رغبته وخلعا ن طاعة الحجاج ثم ان عبدالرحمن تجهز من سجستان مقبلا يقود من يقوده من أهل هواه وأهل رأيه وخرج الحجاج اليه بمن معه من أجناده من أهل الشام و بمن معه يومئذ من أهل الطاعة من أهل العراق حتى لقيه بدير من أديار الاهواز يسمى بنيسابور فناصبه للقتال ستة أشهر كريتة لا له ولا عليه حتى اذا كان في جوف ليلة من الليالي خلا الحجاج بعنبسة بن سعيد بن العاص و يزيد بن أبي مسلم مولاه وحاجبه على ما وراء بابه وأما يحيي فوكله بالقيام خلف ظهره اذا هو نسي أو غفل نخسه بمنخسة ثم قال اذكر الله يا حجاج فيذكر ما بدا له ان يذكر وأما يزيد فكان ذا رأي ومشورة وأدب وفقه ونصيحة وأما عنبسة فكان بعيد الهمة طويل اللسان بديه الجواب فاصل الخطاب موفق الرأي فاستشارهم لما طال به و بعبدالرحمن القتال لا يظفر واحد منهما بصاحبه ومع عبدالرحمن سعيد بن جبير والشعبي فكان هذا فقيه أهل الكوفة وهذا فقيه أهل البصرة في ان يبيته فكره ذلك مواليه وأشار عنبسة ان يبيته فقال الحجاج أصبت اصاب الله بك الخير وما الامر الا النصيحة و لرأي شعوب فمخطئ منها ومنها مصيب غدا الاثنين فصوموا ونصوم واستعينوا الله بالخيرة ونبيتهم الليلة المقبلة ليلة الثلاثاء فسوف أرجل و يترجل أهل مودتي ونصيحتي من ولدي وغيرهم ففعل وأصبح صائما و بيتهم ليلة الثلاثاء وهو يقول اللهم ان كان الحق لهم فلا تعتنا على الضلالة وان كان الحق لنا فانصرنا عليهم فحمل عليهم والنيران توقد فاصاب منهم واصيب منه وانهزم ابن الاشعث في سواد الليل واصاب الحجاج عسكره وأسر سعيد بن جبير وأفلت عامر بن سعيد الشعبي مع ابن الاشعث فلما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال له ويحك يا سعيد أما تستحي مني ومدك الشيطان في طغيانك الا استحييت من المراقب لي ولك والحافظ علي وعليك فقال اصلح الله الامير وامتع به هي بلية وقعت وعذاب نزل والقول كما قال الامير وكما نسبه به واضافه اليه الا اني اتيت رجلا قد ازهي وطغى ولبسته الفتنة و ركب الشيطان كتفيه ونفث في

صدره واملى على لسانه تخفته واتقيته بالذى فعلت فان تعاقب فبذنب وان تعف فسجية منك فقال له الحجاج فانا قد عفونا عنك وسنردك اليه تارة أخرى ثم كتب كتابا وجهه مع سعيد بن جبير الى عبد الرحمن فلما كان سعيد ببعض الطريق خرق الكتاب وقدم على عبد الرحمن فاخبره فنفر عبد الرحمن وخرج موائلا الى أهل البصرة وقد قدمت عليه كتبهم يستبطؤنه و يستعجلونه حتى قدم عليهم و بلغ ذلك الحجاج فسبقه الى البصرة فدخل الحجاج المسجد متنكبا قوسا فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وحرض الناس على قتال ابن الاشعث وحضهم على طاعة عبد الملك وتكلم رجل من اهل البصرة يقال له سلمة المنقرى من بنى تميم وكان رجلا منطقيا وله هوى فى الخوارج وكان الحجاج به خابرا فلما رآه عرف انه يريد الكلام فقال له ادن يا سلمة فدنى فقال له قل فقال قد رضينا بالله ربا و بمحمد نبيا و بالاسلام دينا و بالقرآن اماما و بامير المؤمنين خليفة و بالحجاج بن يوسف واليا والله لو كنا زمعا و بنى زمع ما رضينا ان نكون تبعا لهذا الحائك أمير المؤمنين أعزه الله وأعز أمره اقرب قرابة واوجب حقا ونحن ألزم لطاعة الامير أكرمه الله من ان نسارع له فى معصية أو نبطئ عنه فى طاعة فأجابه الحجاج فقال يا سلمة هذا قول حسن لا أدخله صدرى ولا أردنه فى نحرك حتى نبتلى حقيقته ان شاء الله وكان قوله هذا على المنبر وقد عسكر باجناده بالراوية والزاوية فى طرف من ناحية البصرة فى طرف بنى تميم ثم انه خرج من المسجد وحشد الناس من كان فى الطاعة يومئذ من أهل العراق وقد كان انهزم لابن الاشعث غير مامرة وقتل له ابن الاشعث خلقا لا تحصى كثرة قبل هذه المرة حتى يئس من نفسه وقال أترون العجوز ابنة الرجل الصالح كذبتنى يعنى اسماء بنت أبى بكر الصديق لئن صدقت اسماء لأقتل اليوم وكان الحجاج لما فرغ من قتال عبد الله بن الزبير بعث الى أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق ان تأتيه فأبت ان تأتيه فقال والله لئن لم تأتنى لابعثن اليها من يجر بقرون رأسها و يسحبها حتى تصل الى فقيل ذلك لها فقالت والله لا أسير اليه حتى يبعث الى من يجر بقرون رأسى فأقبل الحجاج حتى وقف عليها فقال لها كيف رأيت ما فعل الله تعالى بابنك عدو الله الشاق لعصا المسلمين المفنى لعباده والمشتت لكلمة أمة نبيه فقالت رأيته اختار قتالك فاختار الله له عنده اذ كان اكرامه

خيراً من اكرامك ولكن يا حجاج بلغني انك تنتقصني بنطاقي هذين أوتدري ما نطاقي
أما النطاق هذا فشددت به سفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة بدر وأما النطاق
الآخر فاوثقت به خطام بعيره فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان لك به نطاقان في
الجنة فانتقص علي بعد هذا أودع ولكن لا أخالك يا حجاج ابشر فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول منافق ثقيف يملأ الله به زاوية من زوايا جهنم يبيد
الخلق ويقذف الكعبة باحجارها ألا لعنة الله عليه فافحم الحجاج ولم يجد
جوابا قال وسار ابن الاشعث بعد ما هزم الحجاج مرارا الى الكوفة حتى
نزل دير الجماجم فقتل للحجاج فيه خلق كثير وكتب الى عبد الملك بن
مروان ان أمدني بالرجال فأمده بمحمد بن مروان في أناس من بني أمية
كثير وجعل الحجاج أميرا عليهم فسار الحجاج الى ابن الاشعث فاقتتلوا
اياما بدير الجماجم حتى كثر القتل في الفريقين جميعا ثم ان ابن الاشعث لما حشد
والحجاج بالبصرة عسكر على مسير ثلاثة أيام من البصرة على نهر يقال له نهر ابن عمر
فكتب ابن الاشعث يسأله ان يتنحى عنهم لما كرهوا ولايته حتى يستعمل عليهم
أمير المؤمنين غيره من هو أحب اليهم منه فلما انتهى اليه رسوله قال الحجاج ادخلوه فلما
دخل سلم عليه بالامارة قال من أنت قال رجل من خزاعة قال من أهل البصرة أنت أم
من أهل الكوفة قال لا بل من أهل سجستان قال هل تأخذ لامير المؤمنين ديوانا قال لا
قال أفمن وزراء ابن الاشعث أنت علينا في هذه الفتنة يا أخا خزاعة قال والله ما هو بها
ولقد جلبني اليك مكرها قال فكيف تسليمك على صاحبك اذا انصرفت اليه قال
بالامرة قال فهل ترى في ذلك انك صادق قال والله أعلم بأي الامرين هو في نفسك أعلى
الصواب أم على الخطأ قال الله أعلم أي الامرين في نفسي قال اما انك يا أخا خزاعة قد
رددت الامر اليه وهو تعالى أعلم انطلق الى صاحبك بكتابك كما جئت به واعلمه
بالذي كان من ردنا عليك فانه جوابه عندنا ونحن مناجزوه القتال ومحاكموه الى الله من
يوم الاربعاء ان شاء الله فليعد وليستعد لذلك فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
وذلك يوم الاحد فلما انصرف رسوله اليه ناوله الكتاب فلما رآه بخاتمه (أي

مثل مافعله) كف فلم يسأله امام من حضر حتى ارتفع النـاس ثم دعاه فاخبره الخبر قال وماوراء ظهرك الا هذا قال له فى دون ماجئتك به مايكفيك فقد رأيت امر أصعباً ليس وراءه الا المناجزه ثم ان الحجاج هتف هتفة ان اجتمعوا للعطية ففرق العطية فى ثلاثة مواضع وكان قواده يومئذ ثلاثة سفيان بن الابرد الـكلبي على ميمنته وسعيد بن عمر والجرشي على الملب وعبدالرحمن بن عبدالله المكى على ميسرته فاعطى النـاس على ميسرته فاعطى النـاس على هـذا وأقام فى معسكره متربصاً ومنتظرا ليوم الاربعـاء فلما رأى ابن الاشعث انه لا يتقدم لقتاله وانه متربص ليوم الاربعاء بعث رجلا من معسكره حتى دنى من معسكر الحجاج فنزل قريباً منه على مقدار حضر الفرس رجاء ان يحرش له احد من معسكر الحجاج فينشب القتال قبل يوم الاربعاء فرارا منه وتطيرا به فلما رأى الحجاج ذلك علم ماأراده والذى توقع فتقدم الى أمراء اجناده وقواده والى أهل عسكره عامة ألا يكلم أحد منهم أحدا من عسكر ابن الاشعث ولا يعرضه نفسه وان أمكنته الفرصة منـه الى يوم الاربعاء فلما كان صبيحة يوم الاربعاء وهو يوم يتطير به أهل العراق فلا يتنا كحون ولا يسافرون فيه ولا يدخلون من سفر ولا يبايعون فيه بشيء ولا بالبغل الاغر الاشقر فدعا الحجاج ببغلة شقراء محجلة فركبها خـلافا لرأيهم واستشعارا بطيرتهـم وتوكلا على الله ونادى مناديه فى عسكره ان انهضوا الى قتال ابن الاشعث وأمر خاصته فركبوا معـه وقدم رجالته وأخر خلفه مقاتلته حتى اذا كانوا من عسكر ابن الاشعث على مثال السـهم وقف فصف أصحـابه وعبأهم للقتال وفعل مثل ذلك ابن الاشعث وترجل الحجاج وخاصته ووضع له منبرا من حديد فجلس عليه وترامى النـاس حتى اذا كاد القتال ينشب خرج رجل من أصحاب ابن الاشعث وهو ينـادى ألا مبارز فقام اليه عنبسة بن سعيد القرشي وهو يمشي مشـية كان قد لامه الحجاج عليهـا وكرهها له فلما رآه الحجاج وهو يمشي تلك المشية قال الحجاج ظلمتك ياعنبسة لو كنت تاركها يوماً من دهرك لتركتها يومك هذا فلما دنى من الرجل قال له عنبسة فمن أنت ياشيخي فقـال رجل من بنى تميم ثم من بنى دارم فحمل عليه عنبسة فبدره بالضربة فقتله ثم انصرف الى مجلسه فجلس وقد تبين للناس حسن صنعه ثم زحف

الفريقان بعضهم الى بعض واشتد قتالهم وانتحى سفيان على مركزه لم يرم والجرشي على مركزه لم يرم وكانت ميلتهم على الميسرة فنحوا عبد الرحمن العكى فلما رأى الحجاج قد انكسرت ناحيته وزال عنها بعث اليا ابن عمه الحكم بن أيوب فى خيل فقال الطلق الى عدو الله فاضرب وجهه بالسيف حتى ترده الى مقامه ففعل و بعث الى سفيان ابن الابرد يأمره بقتل القوم ومحاربتهم فحمل عليهم سفيان وهم مشغولون بالميسرة قد طمعوا فيها وكان باذن الله الفتح والغلبة من ناحية سفيان وقد بعث اليه الجرشي يستأذنه للقتال فنمنعه الحجاج وقال له لا الا أن ترى أمرا مقبلا وتمكنا من فرصة فاجتمع الامر وثاب العكى وانهزم ابن الاشعث واستحقت هزيمته فدعا الحجاج بدابته فركبها وركب من كان مرتحل معه بعد سجود ودعاء وشكر كان منه على ماصنع الله به ومن كان معه وحمدوا الله تعالى كثيرا وكبروه تكبيرا عاليا ثم انتهوا الى ربوة فأوما اليها ثم استقبل ناحيتهم والسيوف تأخذهم وحسر بيضته عن رأسه فجعل يقرع رأسه بخيزران فى يده وهو يتمثل بهذه الابيات وهى من قول عبيد بن الابرص أو من قول اليشكرى

كيف ترجون سقوطى بعدما ... جلل الرأس بياض وصلع
ساء ماظنوا وقد أوريتهم ... عند غايات المدى كيف أقع
رب من انضجت غيظا قلبه ... قد تمنى لى موتا لم يطع
و يرانى كالشجى فى حلقه ... عسرا مخرجه ماينتزع
مزبد يهدر مالم يرنى ... فاذا اسمعته صوتى انقمع
و يحيينى اذا لاقيته ... واذا يخلوا له لحمى رتع
ورث البغضاء عن والده ... حافظا منه الذى كان استمع
ولسانى صير فى صارم ... كذباب السيف مامس قطع

قال فلما فرغ الحجاج من هذه الابيات كبر ثم حمد الله بما هو أهله للذى كان من صنعه فبينا هو كذلك اذ اتاه من يخبره ان ابن الاشعث قد انخذل من أصحابه فى نفر يسير متوجها الى ناحية خراسان فدعا الحجاج ابن عم له كان يعرفه بالنصيحة والهوى فقطع معه ليلا وأرسله فى طلب ابن الاشعث الى مواضع شتى وعهد لهم ان لا يدركوا

أحدا الا أتوا به أو برأسه أو يموت فوقف طويلا في مكانه ذلك المرتفع ينظر الى معسكر ابن الاشعث وأصحابه ينتهبونه ثم رجع الى معسكره فنزل ودخل فسطاطه فجلس وأذن لاصحابه فدخلوا عليه فقام كل واحد منهم يهنئه بالفتح وجعل ابن جبلة يأتيه بالاسرى فكلما أوتى باسير أمر به فضربت عنقه فكان ذلك فعله يومه ذلك الى الليل فلما أصبح وتراجع اليه أكثر خيله أمر مناديه ينادى بالقفل فقفل وقفلت معه اجناده وجميع أصحابه الى مدينة واسط فكان فيها وهو الذى بناها وضرب ابن الاشعث ظهرا لبطن ليلا ونهارا حتى لحق بخراسان ورجا فى لحوقه بها النجاة من الحجاج والحذر لنفسه ولم يشعر بالخيل التى فى طلبه حتى غشيته فلم تزل تطلبه من موضع الى موضع حتى استغاث بقصر منيف فحصره ابن عم الحجاج فيه وأحاطت به الخيل من كل جانب حتى ضيق عليه ودعا بالنار ليحرقه فى القصر فلما رأى ابن الاشعث انه لامحيص له ولا ملجأ وخاف النار فرمى بنفسه من بعض علالى القصر وطمع ان يسلم ولا يشعر به فيدخل فى غمار الناس فيخفى أمره ويكتم خبره فسقط فانكسرت ساقه وانخذل ظهره ووقع مغشيا عليه فشعر به أصحاب الحجاج فاخذوه وقد أفاق بعض الافاقة ولا يقدر على النهوض فاتوا به الى ابن عم الحجاج فلما رآه بتلك الحال ايقن انه لا يقدر على ان يبلغ الحجاج حتى يموت فامر به فضربت رقبته وانطلق برأسه الى الحجاج فلما قدم عليه أحدث لله شكرا وحمدا فيما كان من تمام الصنع وما هيأ له من التأييد والظفر وأقام كذلك لا يمر عليه يوم الا وهو يؤتى فيه باسرى فلما رأى كثرتهم ازداد حنقا وغيظا لمسارعتهم فى اتباع ابن الاشعث ومخالفتهم عن الحجاج فيأمر بقتلهم حردا على الخوارج ورجاء ان يستاصلهم فلا يخرج عليه خارجى بعدها فلما رأى كثرة من يؤتى به من الاسرى تحرى فجعل اذا أوتى بأسير يقول له أمؤمن أنت أم كافر ليعرف بذلك الخوارج من غيرهم فمن باء على نفسه بالكفر والنفاق عفى عنه ومن قال انا مؤمن ضرب عنقه واسر عامر بن سعيد الشعبى فيمن أسر وكان مع ابن الاشعث فى جميع حروبه وكان خاص المنزلة منه ليس لاحد منه مثلها للذى كان عليه من حاله الا سعيد بن جبير وأفلت سعيد بن جبير فلحق بمكة وأوتى بالشعبى الى الحجاج فى

سورة غضبه وهو يقتل الاسرى الاول فالاول الامن باء على نفسه بالكفر والنفاق فلما سار عامر بن سعيد الشعبي الى الدخول عليه لقيه رجل من صحابة الحجاج يقال له يزيد بن أبي مسلم وكان مولاه وحاجبه فقال ياشعبي لهفي بالعلم الذي بين دفتيك وليس بيوم شفاعة اذا دخلت على الامير فبؤله بالكفر والنفاق عسى ان تنجوا فلما دخل على الحجاج صادفه واضعا رأسه لم يشعر فلما رفع رأسه رآ.قال له وأنت أيضا ياشعبي فيمن اعان علينا وألب قال اصلح الله الامير انى امرت بأشياء أقولها لك ارضيك بها واسخط الرب ولست أفعل ولكني أقول أصلح الله الامير واصدقك القول فان كان شيء يقع بين يديك فهو في الصدق ان شاء الله احزن بنا المنزل واجدب الجناب واكتحلنا السهر واستحلسنا الخوف وضاق بنا البلد العريض فوقعنا في حرب لم يكن فيه بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء فقال له الحجاج كذلك قال نعم اصلح الله الامير وامتع به قال فنظر الحجاج الى أهل الشام فقال صدق والله ياأهل الشام ما كانوا بررة أتقياء فيتورعوا عن قتالنا ولا فجرة أقوياء فيقووا علينا ثم قال انطلق ياشعبي فقد عفونا عنك فأنت أحق بالعفو ممن يأتينا وقد تلطخ بالدماء ثم يقول كان وكان قال وكان قد أحضر بالباب رجلان أحدهما من بكر بن وائل والآخر من تميم وكان سمعا ماقيل للشعبي بالباب ان يقوله فلما ادخلا قال الحجاج للبكري أمنافق أنت قال نعم أصلح الله الامير لكن أخو بني تميم لا يبوء على نفسه بالنفاق قال التميمي أناعلى دمي أخدع أصلح الله الامير منافق مشرك فتبسم الحجاج وأمر بتخلية سبيلهما قال الشعبي فوالله ماأتى لذلك الامر الانحو من شهرين حتى رفعت اليه فريضة أشكلت عليه وهي أم وجد وأخت فقال من ههنا نسأله عنها قال فدل علي فارسل الى وقال ياشعبي ماعندك في هذه الفريضة أم وأخت وجد فقلت أصلح الله الامير قال فيها خمسة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال من قال فيها قلت قال فيها علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين عثمان بن عفان وعبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت قال هات ماقال فيها علي فاخبرته قال فما قال فيها ابن عباس فوالله لقد كان متقفا فاخبرته قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان فاخبرته قال فما قال زيد بن ثابت قلت أخذها من تسعة أسهم فاعطى الام ثلاثة أسهم وأعطى الجد أربعة أسهم وأعطى

الاخت سهمين فلما سمع ما كان من قول كل واحد منهم وعرف رأيهم فيها قال يا غلام قل للقاضي يعضيها على ما قال أمير المؤمنين عثمان قال الشعبي ودخلت عليه الترك قد شدوا أوساطهم بعمائمهم وانتزعت السيوف من أعناقهم وأخذوا الطوامير بأيمانهم فدخل عليه رجل من قبل أمير المؤمنين عبد الملك فقال له الحجاج كيف تركت أمير المؤمنين وأهله وولده وحشمه فانبأه عنه وعنهم بصلاح فقال ما كان وراءك من غيث قال نعم أصلح الله الامير أصابتني سحابة في موضع كذا فوادسائل وواد نازع فارض مدبرة وأرض مقبلة حتى صدعت عن الكمأة أماكنها فما أتيتك الا في مثل مجرى الضب فقال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل أتاه من قبل نجد فقال له ما كان وراءك من غيث فقال كثير الاعصار واغبر البلاد وأكل ما اشرف من الحشيشة فاستيقنا انه عام سنة فقال بئس المخبر أنت قال أخبرتك بالذي كان فقال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل أتاه من قبل اليمامة فقال هل كان وراءك من غيث قال نعم وسمعت الرواد يدعون الى ريادها وسمعت رائدا يقول هلموا اطعمكم محلة تطفو فيها النيران وتشتكى فيها النساء وتنافس فيها المعز فقال له ويحك انما تحدث أهل الشام فافهمهم فقال أصلح الله الامير أما تطفو النيران فيستكثر فيها الزبد واللبن والتمر فلا توقد نارا واما ان يشتكى النساء فانه من جذبها على ابريق لبنها فتظل تمخض لبنها فتبيت ولها انين من عضديها وأما تنافس المعز فانها ترأم من نوار النبات والوان الثمر ما يشبع بطونها ولا يشبع عيونها فتبيت وقد امتلأت اكراشها من الكظة شرة تنزل به الدرة ثم قال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل من الموالى كان أشجع الناس فى زمانه يقال له عمرو بن الصات فقال له الحجاج هل كان وراءك من غيث قال نعم أصلح الله الامير أصابتنى سحابة بموضع كذا وكذا فلم أزل أطلب أثرها حتى دخلت على الامير فقال له الحجاج أما والله لئن كنت فى المطر أقصرهم خطبة انك بالسيف لاطولهم خطوة ولما انهزم ابن الاشعث قام بعده عبد الرحمن بن عياش بن ربيعة فقاتل الحجاج ثلاثة أيام ثم انهزم فوقع بارض فارس ثم صار الى السند فمات هناك وتحصن ناس من أصحاب ابن الاشعث فى قلعة بأرض فارس منهم عبد الرحمن ابن الحارث بن نوفل والفضل بن عياش وعمرو بن موسى التميمى ومحمد بن سعد بن أبى

وقاص وعبيدالله ومحمدواسحاق وعون بنوعبدالله بن الحارث فى ناس من قريش ولحق سعيد بن جبير بمكة فاشعر به الحجاج فغفل عنه ولم يهجه فبعث الحجاج يزيد بن المهلب فحاصرهم بفارس قال أبومعشر حدثنى عون قال كتب الينا يزيد بن المهلب ان اخبرونى بآية بينى وبينكم حتى اخرجكم قال فكتب اليه عبدالله بن الحارث كنت يوم كذا وكذا فى دارنا قال فأخرجو بنيه فسكناه عمان واسر من بقى واسروا اثنى عشر رجلا من وجوه الناس عامتهم من قريش منهم عمرو بن موسى التميمى ومحمد بن سعد ابن أبى وقاص فبعث بهم الى الحجاج فحبسهم عنده وكتب الى عبدالملك يخبره بامرهم وجعل يذكر فى كتابه ان سعيد قد أنكر الخروج مع هؤلاء القوم فكتب اليه عبدالملك يأمره بضرب اعناقهم ويقول فى كتابه لم أبعثك مشفعاً وانما بعثتك منفذاً منا جزاً لاهل الخلاف والمعصية فابرزهم الحجاج فقال لعمرو بن موسى ياعاتق قريش وكان شاباً جميلا مالك أنت وللخروج انما أنت عاتق صاحب ثياب ولعب فقال عمرو أيها الرجل امض لما تريد فانما نزلت بعهدالله وميثاقه فان شئت فارسل يدى وقد برئت منى الذمة قال له الحجاج كلا حتى أقدمك الى النار فضربت رقبته ثم جىء بمحمد بن سعد فقال له ياظل الشيطان وكان رجلا طويلا ألست بصاحب كل موطن انت صاحب الحرة وصاحب يوم الزاوية وصاحب الجماجم فقال له انما نزلت بعهدالله وميثاقه ارسل يدى وقد برئت منى الذمة قال لا حتى اقدمك الى النار ثم قال لرجل من أهل الشام اضرب لى مفرق رأسه فضرب فمال نصفه ههنا ونصفه ههنا ثم قتل الباقين

﴿ ذكر قتل سعيد بن جبير ﴾

قال وذكروا ان مسلمة بن عبدالملك كان واليا على أهل مكة فبينما هو يخطب على المنبر اذ أقبل خالد بن عبدالله القسرى من الشام واليا عليها فدخل المسجد فلما قضى مسلمة خطبته صعد خالد المنبر فلما ارتقى فى الدرجة الثالثة تحت مسلمة اخرج طومارا مختوما ففضه ثم قرأه على الناس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالملك بن مروان أمير المؤمنين الى أهل مكة أما بعد فانى وليت عليكم خالد بن عبدالله القسرى فاسمعوا له واطيعوا ولا يجعلن امرؤ على نفسه سبيلا فانما هو القتل لا غير وقد برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبير

والسلام ثم التفت اليهم خالد وقال والذى نحلف به ونحج اليه لا اجده فى دار احد الا
قتلته وهدمت داره ودار كل من جاوره واستبحت حرمته وقد اجلت لكم فيه ثلاثة ايام
ثم نزل ودعا مسلمة بر واحله ولحق بالشام فأتى رجل الى خالد فقال له ان سعيد بن جبير
بواد من أودية مكة مختفيا بمكان كذا فارسل خالد فى طلبه فاتاه الرسول فلما نظر اليه الرسول
قال انما أمرت بأخذك وأتيت لاذهب بك اليه وأعوذ بالله من ذلك فالحق باى بلد شئت
وانا معك قال له سعيد بن جبير ألك ههنا أهل وولد قال نعم قال انهم يؤخذون وينالهم
من المكروه مثل الذى كان ينالنا قال الرسول فانى أكلهم الى الله فقال سعيد لا يكون هذا
فاتى به الى خالد فشده وثاقا وبعث به الى الحجاج فقال له رجل من أهل الشام ان الحجاج
قد أنذر به وأشعر قبلك فاعرض له فلو جعلته فيما بينك وبين الله لكان أزكى من كل عمل
يتقرب به الى الله فقال خالد وقد كان ظهره الى الكعبة قد استند اليها والله لو علمت ان
عبد الملك لا يرضى عنى الا بنقض هذا البيت حجرا حجرا لنقضته فى مرضاته فلما قدم
سعيد على الحجاج قال له ما اسمك قال سعيد قال ابن من قال ابن جبير قال بل أنت شقى ابن
كسير قال سعيد أمى أعلم باسمى واسم أبى قال الحجاج شقيت وشقيت امك قال سعيد
الغيب يعلمه غيرك قال الحجاج لاردنك حياض الموت قال سعيد أصابت اذا امى
اسمى فقال الحجاج لابدلنك بالدنيا نارا تلظى قال سعيد ولو انى اعلم ان ذلك بيدك لاتخذتك
الها قال الحجاج فما قولك فى محمد قال سعيد نبى الرحمة ورسول رب العالمين الى الناس كافة
بالموعظة الحسنة فقال الحجاج فما قولك فى الخلفاء قال سعيد لست عليهم بوكيل كل
امرىء بما كسب رهين قال الحجاج اشتمهم ام امدحهم قال سعيد لا اقول مالا اعلم انما
استحفظت امر نفسى قال الحجاج ايهم اعجب اليك قال حالاتهم يفضل بعضهم على
بعض قال الحجاج صف لى قولك فى على اوفى الجنة هو ام فى النار قال سعيد لو دخلت الجنة
فرايت اهلها علمت ولو رايت من فى النار علمت فما سؤالك عن غيب قد حفظ بالحجاب
قال الحجاج فاى رجل انا يوم القيامة فقال سعيد انا اهون على الله من ان يطلعنى على
الغيب قال الحجاج ابيت ان تصدقنى قال سعيد بل لم ارد ان اكذبك فقال الحجاج
فدع عنك هذا كله اخبرنى مالك لم تضحك قط قال لم ار شيئا يضحكنى وكيف يضحك

مخلوق من طين والطين تأكله النار ومنقلبه الى الجزاء واليوم يصبح ويمسى فى الابتلاء قال الحجاج فانا اضحك فقال سعيد كذلك خلقنا الله اطوارا قال الحجاج هل رايت شيئا من اللهو قال لا اعلمه فدعا الحجاج بالعود والناى قال فلما ضرب بالعود ونفخ فى الناى بكى سعيد قال الحجاج ما يبكيك قال يا حجاج ذكرتنى امرا عظيما والله لا شبعت ولا رويت ولا اكتسيت ولا زلت حزينا لما رأيت قال الحجاج وما كنت رأيت هذا اللهو فقال سعيد بل هذا والله الحزن أما هذه النفخة فذكرتنى يوم النفخ فى الصور وأما هذا المصران فمن نفس ستحشر معك الى الحساب وأما هذا العود فنبت بحق وقطع لغير حق فقال الحجاج انا قاتلك قال سعيد قد فرغ من تسبب موتى قال الحجاج أنا أحب الى الله منك قال سعيد لا يقدم أحد على ربه حتى يعرف منزلته منه والله بالغيب أعلم قال الحجاج كيف لا أقدم على ربى فى مقامى هذا وانا مع امام الجماعة وانت مع امام الفرقة والفتنة قال سعيد ما انا بخارج عن الجماعة ولا أنا براض عن الفتنة ولكن قضاء الرب نافذ لا مرد له قال الحجاج كيف ترى ما نجمع لامير المؤمنين قال سعيد لم أر فدعا الحجاج بالذهب والفضة والكسوة والجوهر فوضع بين يديه قال سعيد هذا حسن ان قمت بشرطه قال الحجاج وما شرطه قال ان تشترى له بما تجمع الأمن من الفزع الاكبر يوم القيامة والا فان كل مرضعة تذهل عما أرضعت ويضع كل ذى حمل حمله ولا ينفعه الا ما طاب منه قال الحجاج فترى جمعنا طيباً قال برأيك جمعته وأنت أعلم بطيبه قال الحجاج أتحب ان لك منه شيئاً قال لا أحب ما لا يحب الله قال الحجاج ويلك قال سعيد الويل لمن زحزح عن الجنة فادخل النار قال الحجاج اذهبوا به فاقتلوه قال انى أشهدك يا حجاج ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله استحفظكهن يا حجاج حتى القاك فلما أدبر ضحك قال الحجاج ما يضحكك يا سعيد قال عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك قال الحجاج انما أقتل من شق عصا الجماعة ومال الى الفرقة التى نهى الله عنها اضربوا عنقه قال سعيد حتى اصلى ركعتين فاستقبل القبلة وهو يقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفاً مسلما وما انا من المشركين قال الحجاج اصرفوه عن القبلة

الى قبلة النصارى الذين تفرقوا واختلفوا بغيا بينهم فانه من حزبهم فصرف عن القبلة فقال سعيد فأينما تولوا فثم وجه الله الكافى بالسرائر قال الحجاج لم نوكل بالسرائر وانما وكلنا بالظواهر قال سعيد اللهم لا تترك له ظلمى واطلبه بدمى واجعلنى آخر قتيل يقتل من أمة محمد فضربت عنقه ثم قال الحجاج هاتوا من بقى من الخوارج فقرب اليه جماعة فأمر بضرب أعناقهم وقال ما أخاف الادعاء من هو فى ذمة الجماعة من المظلومين فاما أمثال هؤلاء فانهم ظالمون حين خرجوا عن جمهور المسلمين وقائد سبيل المتوسمين وقال قائل ان الحجاج لم يفرغ من قتله حتى خولط فى عقله وجعل يصيح قيودنا قيودنا يعنى القيود التى كانت فى رجل سعيد بن جبير ويقال متى كان الحجاج يسأل عن القيود أو يعبأ بها وهذا يمكن القول فيه لاهل الاهواء فى الفتح والاغلاق

﴿ ذكر بيعة الوليد وسليمان ابنى عبد الملك ﴾

قال وذكروا انه لما فرغ الحجاج من قتل الخوارج وتم له أمر العراق فاستقر ملك عبد الملك كتب اليه الحجاج ان يبايع للوليد ابنه ويكتب له عهده للناس فأبى ذلك عبد الملك لان أخاه عبد العزيز كان حيا وكان قد استعمله عبد الملك على مصر وكتب اليه الحجاج يوبخه ويقول مالك انت والتكلم بهذه وكانت البيعة بالشام لهما جميعا اذ مات مروان وكان عبد العزيز نظير عبد الملك فى الحزم والرأى والعقل والذكاء وكان عبد الملك لا يفضل عبد العزيز فى شىء الا باسم الخلافة حتى لربما كان عبد الملك يأمره بالشىء فيريد عبد العزيز غيره ويرى خلافه فيرده الى رأيه ولا يمضيه وكان لا ينكر ذلك عبد الملك فلما كانت سنة احدى وثمانين عقد عبد الملك لموسى بن نصير على أفريقية وما حولها ووجهه الى من بها من البربر يقاتلهم وضم اليه برقة فلما قدم موسى بن نصير متوجها انتهى ذلك الى عبد العزيز فرده من مصر الى الشام وبعث قرة بن حسان التغلبى فانصرف موسى بن نصير الى الشام لعبد الملك وذكر امتهانا ناله من عبد العزيز وما استقبله الى كلام كثير فقال له عبد الملك ان عبد العزيز صنو أمير المؤمنين وقد أمضينا فعله فتوجه قرة بن حسان الى افريقية فهزم بها وقتل غالب أصحابه فلما كانت سنة أربع وثمانين توفى عبد العزيز بن مروان بمصر ثم ولى محمد بن مروان الى سنة ست وثمانين فلما توفى عبد العزيز اجمع عبد

الملك على بيعة الوليد ثم من بعد الوليد سليمان فكتب الى الحجاج ببيعة الوليد وسليمان فبايع الحجاج لهما بالعراق فلم يختلف عليه احد و بويع لهما بالشام ومصر واليمن وكتب عبد الملك الى هشام بن اسماعيل وهو عامله على المدينة ان يأخذ بيعة أهل المدينة فلما أتت البيعة لهما كره ذلك سعيد بن المسيب وقال لم أكن لابايع بيعتين فى الاسلام بعد حديث سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا كانتا بيعتين فى الاسلام فاقتلوا الاحدث منهما » فاتاه عبد الرحمن بن عبد القارى فقال انى مشير عليك بثلاث خصال اختر أيها شئت قال وماهى قال له انك تقدم حيث يراك هشام بن اسماعيل فلو غيرت مقامك قال ما كنت لاغير مقاما قمته منذ أربعين سنة لهشام بن اسماعيل قال فثانية قال وماهى قال اخرج معتمرا قال سعيد ما كنت لاجهد نفسى وانفق مالى فى شىء ليس لى فيه نية قال له فثالثة قال وماهى قال تبايع للوليد ثم لسليمان قال سعيد أرأيت ان كان الله قد أعمى قلبك كما أعمى بصرك فما على قال وكان أعمى قال فدعاه هشام بن اسماعيل الى البيعة وكان ابن عم سعيد بن المسيب فلما علم بذلك القرشيون أتواهشاما فقالوا له لا تعجل على ابن عمك حتى نكلمه ونخوفه القتل فعسى به ان يبايع و يجيب قال فاجتمع القرشيون فارسلوا الى سعيد مولى له كان فى الحرس فقالوا له اذهب اليه نخوفه القتل وأخبره انه مقتول فلعله يدخل فيما دخل فيه الناس فجاءه مولاه فوجده قائما يصلى فى مسجده فبكى مولاه بكاء شديدا قال له سعيد ما يبكيك و يحك قال أبكى مما يراد بك قال له سعيد وما يراد بى و يحك قال جاء كتاب من عبد الملك بن مروان الى هشام بن اسماعيل ان لم تبايع والا قتلت فجئتك لتطهر وتلبس ثيابا طاهرة وتفرغ من عهدك ان كنت لا تريد ان تبايع فقال له سعيد لا أم لك قد وجدتنى أصلى فى مسجدى أفترانى كنت أصلى ولست بطاهر وثيابى غير طاهرة وأما ماذكرت من ان أفرغ من عهدى بعد ما حدثنى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ماحق امرىء مسلم يبيت ليلة له شىء يوصى به الا و وصيته مكتوبة فاذا شاؤا فليفعلوا فانى لم أكن لابايع بيعتين فى الاسلام قال فرجع اليهم المولى فأخبرهم بما ذكر فكتب صاحب المدينة هشام بن اسماعيل الى عبد الملك يخبره ان سعيد بن المسيب كره ان يبايع لهما (للوليد وسليمان) فكتب عبد الملك اليه مالك ولسعيد وما كان علينا منه أمر نكرهه

وما كان حاجتك ان تكشف عن سعيد وتأخذه ببيعة ما كنا نخاف من سعيد فأما اذ قد ظهر ذلك وانتشر في أمره للناس فادعه الى البيعة فان أبى فاجلده مائة سوط أو احلق رأسه ولحيته وألبسه ثيابا من شعر واوقفه في السوق على الناس لكيلا يجترئ علينا أحد غيره قال فلما وصل الكتاب أرسل اليه هشام فانطلق سعيد اليه فلما أتاه دعاه الى البيعة فابى ان يجيبه فالبسه ثيابا من شعر وجرده وجلده مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وأوقفه في السوق وقال لو أعلم انه ليس الا هذا ما نزعت ثيابي طائعا ولا أجبت الى ذلك قال بعض الايليين الذين كانوا في الشرط بالمدينة لما علمنا انه لا يلبس الثياب طائعا قلنا له يا أبا محمد انه القتل فاستر بها عورتك قال فلبس فلما تبين له انا خدعناه قال يا معلجة أهل ايلة لولا انى ظننت انه القتل ما لبسته قال فكان هشام بن اسماعيل بعد ذلك اذا خطب الناس يوم الجمعة تحول اليه سعيد بن المسيب ان قبل عليه بوجهه مادام يذكر الله حتى اذا وقع في مدح عبد الملك وغيره اعرض سعيد عنه بوجهه فلما فطن هشام لذلك أمر حرسيا يحصب وجه سعيد اذا تحول عنه ففعل ذلك به فقال سعيد انما هي ثلاث وأشار بيده قال فما مر به الا ثلاثة أشهر حتى عزل هشام

﴿ موت عبد الملك و بيعة الوليد ﴾

قال وذكروا ان عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة جمع بنيه قال لهم اتقوا الله ربكم وأصلحوا ذات بينكم وليجل صغيركم كبيركم وكبيركم صغيركم انظروا أخاكم مسلمة فاستوصوا به خيرا فانه شيخكم ومجنكم الذى به تستجنون وسيفكم الذى به تضربون أوصيكم به خيرا وانظروا الى ابن عمكم عمر بن عبد العزيز فاصدروا عن رأيه ولا تخلوا من مشورته اتخذوه صاحبا لا تجفوه ووزيرا لا تعصوه فانه ماعلمتم فضله ودينه وذكاء عقله فاستعينوا به على كل مهم وشاوروه في كل حادث قال ثم دخل عليه خالد وعبد الرحمن ابنا يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فقال لهما أتحبان ان أسألكما بيعة الوليد وسليمان فقالا يا أمير المؤمنين معاذ الله من ذلك قال فأومأ بيده الى مصلى كان مضطجعا عليه فأخرج من تحته سيفا مصلتا فقال لهما والله لو قلتما غير ذلك لضربت أعناقكما بهذا السيف ثم خرجا من عنده ودخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال عبد الملك يا أبا حفص استوص خيرا بأخويك

الوليد وسليمان ان زلا فشلهما وان مالا فأقمهما وان غفلا فذكرهما وان ناما فأيقظهما وقد أوصيتهما بك وعهدت اليهما ان لا يقطعا شيئا دونك فقال عمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين أوصيتهما بكتاب الله فليقيماه فى عباده و بلاده وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فليجيياها و يحملا الناس عليها فقال عبد الملك قد فعلت و ولي فيكم الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ثم قال وقد علمت يا عمر مكان فاطمة منى ومحلها من قلبى وانى آثرتك بها على جميع آل مروان لفضلك و ورعك فكن عند ظنى بك ورجائى فيك وقد علمت انك غير مقصر ولا مضيع حقها ولكن الله قد قضى ان الذكرى تنفع المؤمنين قوموا عصمكم الله وكفاكم ثم خرجوا من عنده قال ثم دعا عبد الملك بالوليد وسليمان فدخلا عليه فقال للوليد اسمع يا وليد قد حضر الوداع وذهب الخداع وحل القضاء قال فبكى الوليد فقال له عبد الملك لا تعصر عينيك على كما تعصر الامة الوكساء اذا أنامت فاغسلنى وكفنى وصل على واسلمنى الى عمر بن العزيز يدلينى فى حفرتى واخرج أنت الى الناس والبس لهم جلد نمر واقعد على المنبر وادع الناس الى بيعتك فمن مال بوجهه عنك كذا فقل له بالسيف كذا وتنكر للصديق والقريب واسمح للبعيد واوصيك بالحجاج خيراً فانه هو الذى وطأ لكم المنابر وكفاكم تقحم تلك الجراثيم قال فلما توفى عبد الملك ومات من يومه ذلك خرج الوليد الى الناس وقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال نعمة الله ما أجلها ومصيبة ما أعظمها وانا لله وانا اليه راجعون نقل الخلافة وفقد الخليفة ثم دعا الناس الى البيعة فلم يختلف عليه أحد ثم كان أول ما ظهر من أمره وتبين من حكمه ان أمر بهدم كل دار ومنزل من دار عبد الملك الى قبره فهدمت من ساعتها وسويت بالارض لئلا يعرج بسرير عبد الملك يمينا وشمالا وليكون النهوض به الى حفرته تلقاء منزله ثم كتب ببيعته الى الآفاق والامصار والى الحجاج بالعراق فبايع له الناس ولم يختلف عليه أحد فدخل عليه سليمان بن عبد الملك فقال له يا أمير المؤمنين اعزل الحجاج بن يوسف عن العراقين فان الذى أفسد الله به أكثر مما أصلح فقال له الوليد ان عبد الملك قد أوصانى به خيرا فقال سليمان عزل الحجاج والانتقام منه من طاعة الله وتركه من معصية الله فقال الوليد سنرى فى هذا الامر وترون ان شاء الله ثم كتب الحجاج الى الوليد أما

بعد فان الله تعالى استقبلك ياأمير المؤمنين فى حداثة سنك بمـا لا أعلمه استقبل به خليفة قبلك من التمكين فى البلاد والملك للعباد والنصر على الاعداء فعليك بالاسلام فقوم أوده وشرائعه وحدوده ودع عنك محبة الناس و بغضهم وسخطهم فانهم قل ما يؤتى الناس من خير وشر الا أفشوه فى ثلاثة أيام والسلام

﴿ تولية موسى بن نصير البصره ﴾

قال وحدثنا يزيد بن سعيد مولى مسلم ان عبد الملك بن مروان لمـا أراد ان يولى أخاه بشر بن مروان على العراق كتب الى أخيه عبد العزيز ابن مروان وهو بمصر و بشر معه يقود الجنود وكان يومئذ حديث السن انى قد وليت أخاك بشر البصرة فاشخص معه موسى بن نصير و زيرا ومشيرا وقد بعثت اليك بديوان العراق فادفعه الى موسى واعلمه انه المأخوذ بكل خلل وتقصير فشخص بشر من مصر الى العراق ومعه موسى بن نصير حتى نزل البصرة فلما نزلهـا دفع الى موسى بن نصير خاتمه وتخلى على جميع العمل فلبث موسى مع بشر ما لبث ثم ان رجلا من أهل العراق دخل على بشر بن مروان فقال له هل لك ان أسقيك شرابا لا تشيب معه أبدا بعد ان اشترط عليك شروطا قال بشر وماهى قال لا تغضب ولا تركب ولا تجامع امرأة فى أربعين ليلة ولا تدخل حمـاما فقبل ذلك بشر وأجابه وشرب ما أسقاه واحتجب عن قريب الناس و بعيدهم وخلا مع جواريه وخدامه فكان كذلك حتى أتته ولاية الكوفة وقد ضمت اليه مع البصرة فأتاه من ذلك ما لم يحمل فرحه ولا السرور به فدعا بركاب ليركبها فأتاه الرجل فناشده لا يخرج ولا يركب وان لا يتحرك بحركة من مكانه فلم يلتفت بشر الى كلامه ولم يقبل ما أمره به فلما رأى الرجل عزمه قال له فاشهد لى على نفسك بانك عصيتنى ففعل بشر ذلك واشهد انه قد برأه فركب وهو يريد الكوفة فلم يسر الا ميلا لاحتى وضع يده على لحيته فاذاهى فى كفه قد سقطت من وجهه فلما رأى ذلك انصرف الى البصرة فلم يلبث الا قليلا حتى هلك فلما بلغ عبد الملك موته وجه الحجاج بن يوسف واليا عليها فقال له موسى بن نصير ما فاتك فلا يفوتك وكان عبد الملك قد أراده لامر عتب عليه منه فكتب خالد بن أبان من الشام الى موسى ابن نصير انك معزول وقد وجه اليك الحجاج بن يوسف وقد أمر فيك باغلظ أمر

فالنجاة النجاة والوحا الوحا فاما ان تلحق بالفرس فتأمن وأما ان تلحق بعبد العزيز بن مروان مستجيرا به ولا تمكن ملعون ثقيف من نفسك فيحكم فيك فلما أتاه الكتاب ركب النجائب ولحق بالشام وبها يومئذ عبد العزيز بن مروان قد وفد باموال مصر فكتب الحجاج من العراق يا أمير المؤمنين انه لا أقدر لما اقتطعه موسى بن نصير من أموال العراق وليس بالعراق فابعث به الىّ

﴿ دخول موسى بن نصير على عبد الملك بن مروان ﴾

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سالم حدثهم عن أبيه انه حضر يومئذ شأن موسى ودخوله على عبد الملك قال وكان لموسى يد عظيمة عند عبد العزيز بن مروان يطول ذكرها قال سالم قال لى موسى لما قدمت الشام لقيت عبد العزيز وكان ذلك من صنع الله فادخلنى على عبد الملك فلما رآنى عبد الملك قلت موسى قال ماتزال تعرض لحيتك علينا قال قلت لم يا أمير المؤمنين قال لجرأتك على واقتطاعك الفىء قال فقلت مافعلت يا أمير المؤمنين وما الوتك نصحاً واجتهادا واصلاحا قال اقسم لتؤدين ديتك خمسين مرة قال قلت لم يا أمير المؤمنين قال فما تركنى أتمها حتى قال قم لتؤدينها مائة مرة فذهبت لا تكلم فاشار على عبد العزيز ان قل نعم فقلت نعم يا أمير المؤمنين ثم خرجت فاعانني عبد العزيز بخمسين ألفا وأديت خمسين ألفا فى ثلاثة أشهر نجمها على

﴿ تولية موسى بن نصير على أفريقية ﴾

قال وذكروا ان عبد العزيز لما رجع الى مصر سار موسى معه فكان من أشرف الناس عنده فأقام بها ما أقام حتى قدم حسان بن النعمان من أفريقية يريد الشام الى عبد الملك وقد فتح له بها فتحا وقتل الكاهنة فاجازه عبد الملك وزاده برقة ورده اليها (الى افريقية) واليا فاقبل حتى نزل مصر وبعث معه بعثا من هناك فاخذوا اعطياتهم منه ثم ساروا حتى نزلوا ذات الجماجم قال فبلغ ذلك عبد العزيز ان حسان بن النعمان يطلب برقة من عند عبد الملك وانه قد ولاه اياها فبعث اليه فقال له أولاك أمير المؤمنين برقة قال نعم فقال له عبد العزيز لا تعرض وكان عليها مولى لعبد العزيز فقال حسان ما أنا فاعل فغضب عبد العزيز وقال له ائت بعهدك عليها ان كنت صادقا قال فأتى به حسان فلما

اقرأه عبد العزيز وجدها فيه فالتفت الى حسان فقال ما أنت بتاركها قال والله لا أنعزل عما ولانيه أمير المؤمنين قال فاقعد فى بيتك فسيولى هذا الامر من هو خير منك وأولى به منك فى تجربته ومعرفته وسياسته ويغنى الله أمير المؤمنين عنك ثم أخذ عبد العزيز عهده ومزقه ودعى بموسى بن نصير فعقد له على افريقية يوم الخميس فى صفر سنة تسع وسبعين فتجهز موسى بن نصير وحمل الاموال الى ذات الجماجم وبها الجيوش ينتظرون واليهم فقدم عليهم موسى بن نصير فلما صار على الجيش الاول أتى عصفور حتى وقع على صدره فأخذه موسى فدعا بسكين فذبحه موسى ولطخ بدمه صدره من فوق الثياب ونتف ريشه وطرحه على صدره وعلى نفسه ثم قال الفتح ورب الكعبة والظفر ان شاء الله

﴿ خطبة موسى بن نصير رحمه الله ﴾

قال وذكروا ان موسى لما قدم ذات الجماجم وقد توافت الجيوش بها جمع الناس فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان أمير المؤمنين أصلحه الله رأى رأيا فى حسان بن النعمان فولاه ثغركم ووجهه أميرا عليكم وانما الرجل فى الناس بما أظهر والرأى فيما اقبل وليس فيما أدبر فلما قدم حسان بن النعمان على عبد العزيز أكرمه الله كفر النعمة وضيع الشكر ونازع الامر أهله فغير الله ما به وانما الامير أصلحه الله صنو أمير المؤمنين وشريكه ومن لا يتهم فى عزمه ورأيه وقد عزل حسان عنكم وولانى مكانه عليكم ولم يأل ان أجهد نفسه فى الاختيار لكم وانما أنا رجل كاحدكم فمن رأى منى حسنة فليحمد الله وليحض على مثلها ومن رأى منى سيئة فلينكرها فانى أخطئ كما تخطئون وأصيب كما تصيبون وقد أمر الامير اكرمه الله لكم وتضعيفها ثلاثا فخذوها هنيئا مريئا ومن كانت له حاجة فليرفعها الينا وله عندنا قضاؤها على ما عزوها ان مع المواساة ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله

﴿ دخول موسى بن نصير افريقية ﴾

قال وذكروا ان موسى لما سار متوجها الى المغرب بقية صفر ثم ربيع وربيع ودخل فى جمادى الاولى يوم الاثنين لخمس خلون منه سنة تسع وسبعين فاخذ سفيان بن مالك الفهرى وأبا صالح فغرم كل واحد منهما عشرة آلاف دينار ووجههما الى عبد الملك

فى الحديد قال وكان قدوم موسى افريقية وما حولها مخوف بحيث لا يقدر المسلمون أن يبرزوا فى العيدين لقرب العدو منهم وان عامة بيوتها الخصوص وأفضلها القباب وبناء المسجد يومئذ بالحظير غير انه قد سقف ببعض الخشب وقد كن ابن النعمان بنى القبلة وما يليها بالمدر بنيانا ضعيفا وكانت جبالها كلها محاربة للاسلام وعامة لسهل

﴿ خطبة موسى بافريقية ﴾

قال وذكروا ان موسى لما قدم أفريقية ونظر الى جبالها والى ما حولها جمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انما كان قبلى على افريقية أحد رجلين مسالم يحب العافية ويرضى بالدون من العطية ويكره ان يكلم ويحب ان يسلم أو رجل ضعيف النفيدة قليل المعرفة راض بالهوينا وليس أخو الحرب الا من اكتحل السهر وأحسن النظر وخاض الغمر وسمت به همته ولم يرض بالدون من المغنم لينجو ويسلم دون أن يكلم أو يكلم ويبلغ النفس عذرها فى غير خرق يريده ولا عنف يقاسيه متوكلا فى حزمه جازما فى عزمه مستزيدا فى علمه مستشيرا لاهل الرأى فى أحكام رأيه متحنكا تجاربه ليس بالمتجابن اقحاما ولا بالمتخاذل احجاما ان ظفر لم زده الظفر الا حذرا وان نكب أظهر جلادة وصبرا راجيا من الله حسن العاقبة فذكر بها المؤمنين ورجاهم اياها لقول الله تعالى ان العاقبة للمتقين أى الحذرين وبعد فان كل من كان قبلى كان يعمد الى العدو الاقصى ويترك عدوا منه أدنى ينتهز منه الفرصة ويدل منه على العورة ويكون عونا عليه عند النكبة وأيم الله لا أريم هذه القلاع والجبال المتمنعة حتى يضع الله أرفعها ويذل أمنعها ويفتحها على المسلمين بعضها أو جمعها أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين

﴿ فتح زعوان ﴾

قال وذكروا انه كان بزعوان قوم من البربر يقال لهم عبدوه عليهم عظيم من عظمائهم يقال له ورقطان فكانوا يغيرون على سرح المسلمين ويرصدون غرتهم والذى بين زعوان وبين القيروان يوم الى الليل فوجه اليهم موسى خمسمائة فارس عليهم رجل من خشين يقال له عبد الملك فقاتلهم فهزمهم الله وقتل صاحبهم ورقطان وفتحها الله على موسى فبلغ سبيهم يومئذ عشرة آلاف رأس وانه كان أول سبى دخل القيروان فى ولاية موسى ثم وجه

ابناله يقال له عبدالرحمن بن موسى الى بعض نواحيها فأتاه بمائة ألف رأس ثم توجه ابناله يقال له مروان فاتاه بمثلها فكان الخمس يومئذ ستين ألف رأس

﴿ قدوم كتاب الفتح على عبدالعزيز بن مروان ﴾

قال وذكروا ان موسى بن نصير كتب الى عبدالعزيز بن مروان بمصر يخبره بالذى فتح الله عليه وأمكن له و يعلمه ان الخمس بلغ ثلاثين ألفا وكان ذلك وهما من الكاتب فلما قرأ عبدالعزيز الكتاب دعا الكاتب قال ويحك اقرأ هذا الكتاب فلما قرأه قال هذا وهم من الكاتب فراجعه فكتب اليه عبدالعزيز انه بلغنى كتابك وتذكر فيه انه قد بلغ خمس ماأفاء الله عليك ثلاثين ألف رأس فاستكثرت ذلك وظننت ان ذلك وهم من الكاتب فاكتب الى بعد ذلك على حقيقة واحذر الوهم فلما قدم الكتاب على موسى كتب اليه بلغنى ان الامير ابقاه الله يذكر انه استكثر ماجاءه من العدة التى أفاء الله على وانه ظن ان ذلك وهم من الكاتب فقد كان ذلك وهما على ماظنه الامير والخمس أيها الامير ستون ألفا حقا ثابتا بلا وهم قال فلما أتى الكتاب الى عبدالعزيز وقرأه ملأ ه سرورا

﴿ انكار عبد الملك تولية موسى بن نصير ﴾

وذكروا ان عبد العزيز لما ولى موسى وعزل حسان كما تقدم وفتح الله لموسى بلغ ذلك عبدالملك بن مروان فكره ذلك وأنكره ثم كره رد رأى عبدالعزيز ثم هم بعزل موسى لسوء رأيه فيه ثم رأى ان لا يرد ماصنع عبدالعزيز فكتب عبدالملك الى عبدالعزيز أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك فى عزل حسان وتوليتك موسى مكانه وعلم الامر الذى له عزلته وقد كنت انتظر منك مثلها فى موسى وقد أمضى لك أمير المؤمنين من رأيك ماأمضيت و ولايتك من وليت فاستوص بحسان خيرا فانه ميمون الطائر والسلام

﴿ جوابه ﴾

فلما قدم الكتاب على عبدالعزيز كتب الى أخيه عبدالملك أما بعد فقد بلغنى كتاب أمير المؤمنين فى عزل حسان وتوليتى موسى بن نصير وقد كان لمثلها منى منتظرا فى موسى و يعلمنى انه قد أمضى لى من رأيى فيما أمضيت و ولايتى من وليت وقد علمت ان أمير المؤمنين يتفاءل بحسان للذى فتح الله على يديه ولم أعدم نظرى لامير المؤمنين بان عزلت

حسان وولیت موسی فی یمن طائره وحسن أثره فأما قول أمیر المؤمنین قد کنت انتظرها منك فی موسی فلعمری لقد کنت لها فیه مرصدا ولأمیر المؤمنین ان یسبق بها الیه منتظرا حتی حضر أمر جهدت فیه نفسی لأمیر المؤمنین ولنفسی الرأی والنصیحة والسلام

﴿ کتاب عبد العزیز بالفتح الی عبد الملك ﴾

وذکروا ان عبد العزیز کتب الی عبد الملك أما بعد فانی کنت وأنت یاأمیر المؤمنین فی موسی وحسان کالمتراهنین أرسلا فرسیهما الی غایتهما فاتیا معا وقد مدت الغایة لاحدهما ولك عنده مزید ان شاء الله وقد جاءنی یاأمیر المؤمنین کتاب من موسی وقد وجهته الیك لتقرأه وتحمد الله علیه والسلام

﴿ جوابه ﴾

فکتب الیه عبد الملك أما بعد فقد بلغ أمیر المؤمنین کتابك وفهم لمثل الذی مثلته فی حسان وموسی ویقول لك عند أحدهما مزید وکل قد عرف الله علی یده خیرا ونصرا وقد أجریت وحدك وکل مجر بالخلاء مسرور والسلام ثم وجه عبد الملك رجلا الی موسی لیقبض ذلك منه علی ماذکر موسی وعلی ما کتب به فلما قدم الرسول علی موسی دفع الیه ماذکر وزاده ألفا للوفاء

﴿ فتح هوارة وزنانة وکتامة ﴾

قال وذکروا ان موسی أرسل عیاش بن أخیل الی هوارة وزنانة فی ألف فارس فأغار علیهم وقتلهم وسباهم فبلغ سبیهم خمسة آلاف رأس وکان علیهم رجل منهم یقال له کامون فبعث به موسی الی عبد العزیز فی وجوه الاسری فقتله عند البرکة التی عند قریة عقبة فسمیت برکة کامون فلما اوجع عیاش فیهم دعوا الی الصلح فقدم علی موسی بوجوههم فصالحوهم وأخرجوهم وکانت کتامة قد قدمت علی موسی فصالحته وولی علیهم رجلا منهم وأخذ منهم رهونهم وکتب أحدهم الی موسی انما نحن عبدانك قتل أحدنا صاحبه وأنا خیر لك منه فلم یشك موسی ان ذلك انما کان عن ممالأة من کتامة وقد کانت رهون کتامة استأذنوا موسی قبل ذلك بیوم لیتصیدوا فاذن لهم فلما أتاه ما أتاه تحقق ظنه فیهم وانهم انما هربوا فوجه الخیول فی طلبهم فأتی بهم فأراد صلبهم فقالوا لا تعجل أیها الامیر بقتلنا حتی یتبین أمرنا فان آباءنا وقومنا لم یکونوا لیدخلوا فی خلاف أبدا ونحن فی یدك وأنت علی

البيان أقدر منك على استحيائنا بعد القتل فأوقرهم حديدا واخرجهم معه الى كتامة وخرج هو بنفسه فلما بلغهم خروج موسى تلقاه وجوه كتامة معتذرين فقبل منهم وتبينت له براءتهم واستحيى رهونهم

﴿ فتح صنهاجة ﴾

قال وذكروا ان الجواسيس أتوا موسى فقالوا له ان صنهاجة بغرة منهم وغفلة وان ابلهم تنتج ولا يستطيعون براحا فأغار عليهم موسى بأربعة آلاف من أهل الديوان وألفين من المتطوعة ومن قبائل البربر وخلف عياشا على أثقال المسلمين وعيالهم بطبية فى ألفى فارس وعلى مقدمة موسى عياض بن عقبة وعلى ميمنته المغيرة بن أبى بردة وعلى ميسرته زرعة ابن أبى مدرك فسار موسى حتى غشى صنهاجة ومن كان معها من قبائل البربر وهم لا يشعرون فقتلهم قتل الفناء فبلغ سبيهم يومئذ مائة ألف رأس ومن الابل والبقر والغنم والخيل والحرث والثياب مالا يحصى ثم انصرف قافلا الى القيروان وهذا كله فى سنة ثمانين فلما سمعت الاجناد بما فتح الله على موسى وما أصاب معه المسلمون من الغنائم رغبوا فى الخروج الى الغرب فخرج نحو مما كان معه فالتقى المغيرة وصنهاجة فاقتتلوا قتالا شديدا ثم ان الله منحهم اكتافهم وهزمهم فبلغ سبيهم ستين ألف رأس ثم انصرف قافلا

﴿ فتح سجوما ﴾

قال وذكروا انه لما كانت سنة ثلاث وثمانين قدم على موسى نجدة بن موسى فى طالعة أهل مصر فلما قدم عليه أمر الناس بالجهاد والتأهب ثم غزا يريد سجوما وما حولها واستخلف عبد الله بن موسى على القيروان ثم خرج وهو فى عشرة آلاف من المسلمين وعلى مقدمته عياض بن عقبة وعلى ميمنته زرعة بن أبى مدرك وعلى ميسرته المغيرة بن أبى بردة القرشى وعلى ساقته نجدة بن مقسم فاعطى اللواء ابنه مروان فسار حتى اذا كان بمكان يقال له سجن الملوك خلف به الاثقال وتجرد فى الخيول وخلف على الاثقال عمرو ابن أوس فى ألف وسار بمن معه حتى انتهى الى نهر يقال له ملويه فوجده حاملا فكره طول المقام عليه خوفا من نفاد الزاد وان يبلغ العدو مخرجه ومكانه فأحدث مخاضة غير مخاضة عقبة بن نافع وكره ان يجوز عليها فلما أجاز وانتهى اليهم وجدهم قد أنذروا به وتأهبوا وأعدوا للحرب فاقتتلوا قتالا شديدا فى جبل منيع لا يوصل اليهم الا من أبواب

معلومة فاقتتلوا يوم الخميس و يوم الجمعة و يوم السبت الى العصر فخرج اليهم رجل من ملوكهم فوقف والناس مصطفون فنادى بالمبارزة فلم يجبه أحد فالتفت موسى الى مروان ابنه فقال له اخرج اليه أى بنى فخرج اليه مروان ودفع اللواء الى أخيه عبد العزيز بن موسى فلما رآه البربرى ضحك ثم قال ارجع فانى أكره ان أعدم منك أباك وكان حديث السن قال فحمل عليه مروان فكرده حتى الجأه الى جبله ثم أنه زرق مروان بالمزراق فتلقاه مروان بيده وأخذه ثم حمل مروان عليه و زرقه به زرقة وقعت فى جنبه ثم لحقت حتى وصلت الى جوف برذونه فـال فوقع به البرذون ثم التقى الناس عليه فاقتتلوا قتالا شديدا أنساهم ما كان قبله ثم ان الله هزمهم وفتح للمسلمين عليهم وقتل ملكهم كسيلة بن لمزم و بلغ سبيهم مائتى ألف رأس فيهم بنات كسيلة وبنات ملوكهم ومالا يحصى من النساء السلسات اللاتى ليس لهن ثمن ولا قيمة قال فلما وقفت بنات الملوك بين يدى موسى قال على بمروان ابنى قال فاتى به قال له أى بنى اختر قال فاختار ابنة كسيلة فاستسرها فهى أم عبد الملك بن مروان هذا قال قاتل يومئذ زرعة بن أبى مدرك قتالا شديدا أبلى فيه حتى اندقت ساقه قال فآلى موسى ان لا يحمل الا على رقاب الرجال حتى يدخل القير وان وان يحمله خمسون رجلا كل يوم يتعاقبون بينهم ثم انصرف موسى وقد دانت له البلاد كلها وجعل يكتب الى عبد العزيز بفتح بعد فتح و ملأت سباياه الاجناد وتمايل الناس اليه و راغبوا فيما هنالك لديه فكان عبد الملك بن مروان كثيرا ما يقول اذا جاءه فتوح موسى لتهنئك الغلبة أبا الاصبع ثم يقول وعسى ان تكرهوا شيئا و يجعل الله فيه خيرا كثيرا قال و بعث موسى الى عياض وعثمان والى عبيدة بن عقبة فقال اشتفوا وضعوا أسيافكم فى قتلة قال فقتل منهم عياض ستمائة رجل صبرا من خيارهم وكبارهم فارسل اليه موسى ان أمسك فقال أما والله لو تركتنى ما امسكت عنهم ومنهم عين تطرف

﴿ قدوم الفتح على عبد الملك بن مروان ﴾

قال وذكروا ان موسى لما قدم وجه بذلك الفتح الى عبد العزيز بن مروان مع على بن رباح فسار حتى قدم على عبد العزيز بمصر فأجازه ووصله ووجهه الى عبد الملك بن مروان أحسه فلما قدم عليه أجازه أيضا و زاد فى عطائه عشرين فلما انصرف قال له عبد العزيز كم

زادك أمير المؤمنين قال عشرين قال ولولا أكره ان افعل مثل ما فعل لزدتك مثلها ولكن تعدلهـا زيادة عشرة وكتب عبد الملك الى موسى يعلمه ان قد فرض لجميع ولده فى مائة و يلغ به هو المـائتين وفرض فى مواليه وأهل الجزاء والبلاء ممن معه خمسمائة رجل ثلاثين ثلاثين وكتب اليه ان أمير المؤمنين قد أمر لك بمـائة ألف التى اغرمها لك تأخذها من قبلك من الاخماس قال فلما قدم على موسى كتاب عبد الملك بن مروان يأمره بأخذ المائة الف مما قبله قال فانى أشهدكم انه رد على المسلمين ومعونة لهم وفى الرقاب وكان موسى اذا أفاء الله عليه شيئا اشترى من ظن منهم انه يقبل الاسلام و ينجب فيعرض عليه الاسلام فان رضي قبله من بعد ان يمحص عقله و يجرب فطنة فهمه فان وجده ماهرا امضى عتقه وتولاه وان لم يجد فيه مهارة رده فى الخمس والسهام قال وكتب موسى الى عبد العزيز يبلاء زرعة ابن ابى مـدرك وما اوصله وانه لولا ذلك اوفده الى امير المؤمنين ففرض له عبد العزيز فى مائة وفرض لثلاثين رجلا من قومه وانصرف موسى قافلا وذلك فى سنة اربع وثمـانين

﴿غزوة موسى فى البحر﴾

قال وذكروا ان موسى اقام بالقيروان بعد قفله شهر رمضان وشوال فامر بدار صناعة بتونس وجرى البحر اليها فعظم عليه الناس ذلك وقالوا له هذا امر لا نطيقه فقام الى موسى رجل من مسالمة البربر ممن حسن اسلامه فقال له ايها الامير قد مر على مائة وعشرون سنة وان ابى حدثني ان صاحب قرطاجنة لمـا اراد بناءقناتها اتاه الناس يعظمون عليه ذلك فقام اليه رجل فقال له ايها الملك انك ان وضعت يدك بلغت منها حاجتك فان الملوك لا يعجزها شيء لقوتها وقدرتها فضع يدك ايها الامير فان الله تعالى سيعينك على ما نويت و يؤجرك فيما توليت فسر بذلك موسى واعجبه قول هذا الشيخ فوضع يده فبنى دار صناعة بتونس وجرى البحر اليه مسيرة اثنى عشر ميلا حتى اقحمه دار الصناعة فصارت مشتا للمراكب اذا هبت الانواء والارياح ثم امر بصناعة مائة مركب فاقام بذلك بقية سنة اربع وثمـانين وقدم عطاء بن ابى نافع الهذلى فى مراكب اهل مصر وكان قد بعثه عبد العزيز يريد سردانية فأرسى بسوسه فاخرج اليه موسى الاسواق وكتب اليه ان ركوب البحر قد فات فى هذا الوقت وفى هذا العام فأقم لا تغرر

بنفسك فانك فى تشرين الاخر فأقم بمكانك حتى يطيب ركوب البحر قال فلم يرفع عطاء لكتاب موسى رأسا وشحن مراكبه ثم رفع فسار حتى اتى جزيرة يقال لها سلسلة وافتتحها واصاب فيها مغانم كثيرة واشياء عظيمة من الذهب والفضة والجواهر ثم انصرف قافلا فاصابته ريح عاصف فغرق عطاء واصحابه واصيب الناس و وقعوا بسواحل افريقية فلما بلغ ذلك موسى وجه يزيد بن مسروق فى خيل الى سواحل البحر يفتش على ما يلقى البحر من سفن عطاء واصحابه فاصاب تابوتا منحوتا قال فانه كان اصل غناء يزيد بن مسروق قال ولقد لقيت شيخا متوكئا على قصبة فذهبت لافتشه فنازعنى فأخذت القصبة من يده فضربت بها عنقه فانكسرت فتناثر منها اللؤلؤ والجوهر والدنانير ثم ان موسى امر بتلك المراكب و من نجا من النواتية فادخلهم دار الصناعة بتونس ثم لما كانت سنة خمس وثمانين امر الناس بالتأهب لركوب البحر واعلمهم انه راكب فيه بنفسه فرغب الناس وتسارعوا ثم شحن فلم يبق شريف ممن كان معه الا وقد ركب حتى اذا ركبوا فى الفلك ولم يبق احد الا ان يرفع دعا برمح فعقده لعبد الله بن موسى بن نصير وولاه عليهم وامره ثم امره ان يرفع من ساعته وانما اراد موسى بما اشار من مسيره ان يركب اهل الجلد والنكاية والشرف فسميت غزوة الاشراف ثم سار عبد الله بن موسى فى مراكبه وكانت تلك اول غزوة غزيت فى بحر افريقية قال فاصاب فى غزوته تلك صقيلة فافتتح مدينة فيها فاصاب ما لا يدرى فبلغ سهم الرجل مائة دينار ذهبا وكان المسلمون ما بين الالف الى التسعمائة ثم انصرف قافلا فلما قانت موسى وفاة عبد العزيز بن مروان واستخلاف الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين فبعث اليه بالبيعة و بفتح عبد الله بن موسى وما أفاء الله على يده ثم ان موسى بعث زرعة ابن ابى مدرك الى قبائل من البربر فلم يلق حربا منهم و رغبوا فى الصلح فوجه رؤسهم الى موسى فأعطاهم الامان وقبض رهونهم وعقد لعياش بن اخيل على مراكب اهل افريقية فشتا فى البحر واصاب مدينة يقال لها سرقوسة ثم قفل فى ست وثمانين ثم ان عبد الله بن مرة قام بطالعة اهل مصر على موسى فى سنة تسع وثمانين فعقد له موسى على بحر افريقية فأصاب سردانية وافتتح مدائنها فبلغ سبيها ثلاثة آلاف راس سوى الذهب والفضة والحرث وغيره

﴿ غزوة السوس الاقصى ﴾

قال وذكروا ان موسى وجه مروان ابنه الى السوس الاقصى و ملك السوس يومئذ مزدانة الاسوارى فسار فى خمسة آلاف من اهل الديوان فلما اجتمعوا و راى مروان ان الناس قد تعجلوا الى قتال العدو وان فى يده اليمنى القناة وفى يده اليسرى الترس وانه ليشير بيده الى الناس ان كما انتم فلما التقى مروان و مزدانة اقتتل الناس اذذاك قتالا شديدا ثم انهزم مزدانة ومنح الله مروان اكتافهم فقتلوا اقتلة الفناء فكانت تلك الغزوة استئصال اهل السوس على ايدى مروان فبلغ السبي اربعين الفا وعقد موسى على بحر افريقية حتى نزل بميورقة فافتتحها

﴿ قدوم الفتوحات على الوليد بن عبد الملك ﴾

قال وذكروا ان خادما للوليد بن عبد الملك بن مروان اخبرهم قال انى لقريب من الوليد بن عبد الملك و بين يديه طشت من ذهب وهو يتوضأ منه اذ اتى رسول من قبل قتيبة بن مسلم من خراسان بفتح من فتوحاتها فاعلمته قال خذ الكتاب منه فأخذه فقراه فاتى على آخره حتى اتى رسول آخر من قبل موسى بن نصير بفتح السوس من قبل مروان ابن موسى فاعلمته قال هاته فقراه فحمد الله وخر ساجدا لله حامدا ثم التفت الى قال امسك الباب لا يدخل احد قال وكان عنده ابن له يحبو بين يديه فلما خر الوليد ساجدا شاكرا لله جاء الصبي الى الطشت فاضطرب فيه وصاح فما التفت اليه قال وصرت لا استطيع ان اغيثه لما امرنى به من امساك الباب واطال السجود حتى خفي صوت الصبي ثم رفع راسه فصاح بى فدخلت واخذت الصبي وانه لما به روح

﴿ فتح قلعة ارساف ﴾

قال ثم ان صاحب قلعة ارساف اغار على بعض سواحل افريقية فنال منهم و بلغ موسى خبره فخرج اليه بنفسه فلم يدركه فاشتد ذلك على موسى قال قتلنى الله ان لم اقتله وانا مقيم هنا قال فاقام موسى ما اقام ثم انه دعا رجلا من اصحابه فقال له انى متوجهك فى امر وليس عليك فيه بأس ولك عندى فيه حسن الثواب خذ هذين الاذنين فسر فيهما عن معك حتى تأتى موضع كذا وكذا فى مكان كذا فانك تجد كنيسة وتجد الروم قد جعلوها

لعيدهم فاذا كان الليل فادن من ساحلها ودع احدى هذين الاذنين بما فيها ثم انصرف الى بالاذن الاخرى و بعث معه موسى قبة من الخز والوشي ومن طرائف أرض العرب شيئا مليحا وكتب كتابا بالرومية جوابا للكتاب كانه كان كتب به الى موسى يسأله الامان على ان يدلة على عورة الروم وكتاب فيه امان من موسى مطبوع فسار حتى انتهى الى الموضع الذى وصف له موسى فترك الاذن بما فيها وانصرف راجعاً فى الاذن الاخرى حتى قدم على موسى وان الروم لما عثروا على اذن موسى استنكروها فارتفع أمرها الى بطريق تلك الناحية فاخذ مافيها فلما رأى مافيها من الكتب والهدية هاب ذلك فبعث بها كما هى الى الملك الاعظم فلما أفضت اليه وقرأ الكتب تحقق ذلك عنده فبعث الى ارساف رجلا وملكه عليها وأمر ان يضرب عنق صاحبها الذى أثار على ساحل افريقية ففعل فقتله الله بحيلة موسى

﴿ فتح الاندلس ﴾

قال وذكروا ان موسى وجه طارقا مولاه الى طنجه وماهنالك فافتتح مدائن البربر وقلاعها ثم كتب الى موسى انى قد أصبت ست سفن فكتب اليه موسى أتمها سبعاً ثم سر بها الى شاطئ البحر واستعد لشحنها واطلب قبلك رجلا يعرف شهور السريانيين فاذا كان يوم أحد وعشرين من شهر ادار بالسريانى فاشحن على بركة الله و نصره فى ذلك اليوم فان لم يكن عندك من يعرف شهور السريان فشهور العجم فانها موافقة لشهور السريان وهو شهر يقال له بالاعجمية مارس فاذا كان يوم أحد وعشرين منه فاشحن على بركة الله كما أمرتك ان شاء الله فاذا أجريت فسر حتى يلقاك جبل أحمر وتخرج منه عين شرقية الى جانبها صنم فيه تمثال صور فاكثر ذلك التمثال وانظر فى من معك الى رجل طويل أشقر بعينيه قبل و بيده شلل فاعقد له على مقدمتك ثم اقم مكانك حتى يغشاك ان شاء الله فلما انتهى الكتاب الى طارق كتب الى موسى انى منته الى ما أمر الامير و وصف غير انى لم أجد صفة الرجل الذى أمرتنى به الا فى نفسى وسار طارق فى ألف وسبعمائة وذلك فى شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وقد كان لوذريق ملك الاندلس قد غزا عدواً يقال له البشكبس واستخلف ملكا من ملوكهم يقال له تدمير فلما بلغ تدمير مكان

طارق ومن معه من المسلمين كتب الى لوذريق انه قد وقع بأرضنا قوم لا ندرى امن السماء نزلوا أم من الارض نبعوا فلما بلغ لوذريق ذلك اقبل راجعاً الى طارق فى سبعين ألف عنان ومعه العجل تحمل الاموال والزخرف وهو على سرير بين دابتين وعليه قبة مكللة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ومعه الحبال ولا يشك فى أسرهم فلما بلغ طارقا دنوه منهم قام فى أصحابه فحمد الله ثم حض الناس على الجهاد ورغبهم فى الشهادة وبسط لهم فى آمالهم ثم قال أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو امامكم فليس ثم والله الا الصدق والصبر فانهما لا يغلبان وهما جندان منصوران ولا تضر معهما قلة ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة أيها الناس ما فعلت من شيء فافعلوا امثاله ان حملت فاحملوا وان وقفت فقفوا ثم كونوا كهيئة رجل واحد فى القتال الا وانى عامد الى طاغيتهم بحيث لا أنهيه حتى أخالطه واقتل دونه فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وتولوا الدبر لعدوكم فتبددوا بين قتيل وأسير واياكم اياكم ان ترضوا بالدنية ولا تعطوا بايديكم وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة والذلة وما قد أحل لكم من ثواب الشهادة فانكم ان تفعلوا والله معكم ومعيذكم تبوؤن بالخسران المبين وسوء الحديث غداً بين من عرفكم من المسلمين وها أنا ذا حامل حتى أغشاه فاحملوا بحملتى فحمل وحملوا فلما غشيهم اقتتلوا اقتتالا شديداً ثم ان الطاغية قتل وانهزم جميع العدو فاحتز طارق رأس لوذريق وبعث به الى موسى بن نصير وبعث به موسى مع ابنه وجهز معه رجالا من أهل افريقية فقدم به على الوليد بن عبد الملك ففرض له فى الشرف وأجاز كل من كان معه ورده الى أبيه موسى وان المسلمين قد أصابوا مما كان مع لوذريق ما لا يدرى ما هو ولا ما قيمته قال وكتب طارق الى مولاه موسى ان الامم قد تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث فلما أتاه الكتاب نادى فى الناس وعسكر وذلك فى صفر سنة ثلاث وتسعين وكان أحب الخروج اليه يوم الخميس اول النهار فاستخلف عبد الله بن موسى على افريقية وطنجة والسوس وكتب ساعة قدم عليه كتاب طارق الى مروان يأمره بالمسير فسار مروان بمن معه حتى أجاز الى طارق قبل دخول ابيه موسى وخرج موسى ابن نصير والناس معه حتى أتى المجاز فاجاز بمن زحف معه فى جموعه وعلى مقدمته طارق

مولاه فوجدالجوع قدشردت اليه من كل مكان فسار حتى افتتح قرطبه وما يليها من حصونها وقلاعها ومدائنها فغل الناس يومئذ غلولا لم يسمع بمثله ولم يسلم من الغلول يومئذ الا ابوعبدالرحمن الجبلى ثم ان موسى سار لا يرفع له شىء الا هده يفتتح له المدائن يمينا وشمالا حتى انتهى الى مدينة الملوك وهى طليطلة فوجد فيها بيتا يقال له بيت الملوك وجد فيه أربعة وعشرين تاجا تاج كل ملك ولى الاندلس كان كلما هلك ملك جعل تاجه فى ذلك البيت وكتب على التاج اسم صاحبه وابن كم هو ويوم مات ويوم ولى ووجد فى ذلك البيت أيضا مائدة عليها اسم سليمان بن داود عليه السلام ومائدة من جزع فعمد موسى الى التيجان والآنية والموائد فقطع عليها الاغشية وجعل عليها الامناء ليس منها شىء يدرى ما قيمته فاما الذهب والفضة والمتاع فلم يكن يحصيه أحد

﴿ اتهام الوليد موسى بالخلع ﴾

قال وذكروا ان الوليد بن عبدالملك بن مروان لما بلغه مسير موسى بن نصير الى الاندلس ظن انه يريد ان يخلع ويقيم فيها ويمتنع بها وقيل ذلك له وأبطأت كتب موسى عليه لاشتغاله بما هنالك من العدو وتوطئة لفتح البلاد فامر الوليد القاضى ان يدعو على موسى اذا قضى صلاته وان موسى لما دخل طليطلة بعث على بن رياح بفتحها وأوفد معه وفدا فسار حتى قدم دمشق صلاة العصر فدخل المسجد فالتى القاضى يدعو على موسى فقال أيها الناس الله الله فى موسى والدعاء عليه والله ما نزع يدا من طاعة ولا فارق جماعة وانه لفى طاعة أمير المؤمنين والذب عن حرمات المسلمين والجهاد للمشركين وانى لاحدثكم عهدا به وما قدمت الآن الا من عنده وان عندى خبره وما أفاء الله على يده لامير المؤمنين وما أيد به المسلمين ما تقر به أعينكم ويسر به خليفتكم

﴿ دخول وفد موسى على الوليد بن عبدالملك ﴾

قال وذكروا ان الوليد لما بلغه خبر هذا المتكلم الوافد من عند موسى ارسل اليه فادخل عليه ثم قال له ما وراءك فقال كل ما تحب يا أمير المؤمنين تركت موسى بن نصير فى الاندلس وقد أظهره الله ونصره وفتح على يديه مالم يفتح على يد أحد وقد أوفدنى الى أمير المؤمنين فى نفر من وجوه من معه بفتح من فتوحه فدفع اليه الكتاب من عند موسى

فقرأه الوليد فلما أتى على آخره خر ساجداً فلما رفع رأسه أتاه فتح آخر فخر أيضا ساجداً ثم رفع رأسه فأتاه آخر بفتح آخر وخر ساجدا حتى ظننت أنه لا يرفع رأسه

﴿ذكر ما وجد موسى فى البيت الذى وجد فيه المائدة مع صور العرب﴾

قال وذكروا ان هرم بن عياض حدثهم عن رجل من اهل العلم انه كان مع موسى بالاندلس حين فتح البيت الذى كانت فيه المائدة التى ذكروا انها كانت لسليمان بن داود عليه السلام فقال كان بيتا عليه أربعة وعشرون قفلا كان كلما تولى ملك جعل عليه قفلا اقتداء منه بفعل من كان قبله حتى اذا كانت ولاية لوذريق القرطبى الذى افتتحت الاندلس على يديه وفى ملكه قال لا والله لا أموت بغم هذا البيت ولا فتحنه حتى أعلم ما فيه فاجتمعت اليه النصرانية والاساقفة والشمامسة وكل منهم معظم له فقالوا له ما تريد بفتح هذا البيت فقال له لا أموت بغمه ولا علمت ما فيه فقالوا أصلحك الله انه لا خير فى مخالفة السلف الصالح وترك الاقتداء بالاولياء فاقتد بمن كان قبلك وضع عليه قفلا كما صنع غيرك ولا يحملك الحرص على ما لم يحملهم عليه فانهم أولى بالصواب منا ومنك فأبى الا فتحه فقالوا له انظر ما ظننت ان فيه من المال والجواهر وما خطر على قلبك فانا ندفعه اليك ولا تحدث علينا حدثا لم يحدثه فيه من كان قبلك من ملوكنا فانهم كانوا أهل معرفة وعلم فأبى الا فتحه ففتحه فوجد فيه تصاوير العرب ووجد كتابا فيه اذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء الذين هيئاتهم هكذا هذه البلاد فملكوها فكان دخول المسلمين من العرب اليه فى ذلك العام

﴿ذكر ما أفاء الله عليهم﴾

قال وذكروا عن الليث بن سعد ان موسى لما دخل الاندلس ضربوا الاوتاد بخيولهم فى جدار كنيسة من كنائسها فتلفت الاوتاد فلم تلج فنظروا فاذا بصفائح الذهب والفضة خلف بلاط الرخام قال وذكروا أن رجلا كان مع موسى ببعض غزواته بالاندلس وانه رأى رجلين يحملان طنفسة منسوجة بالذهب والفضة والجوهر والياقوت فلما أثقلتهما أنزلاها ثم حملا عليها الفأس فقطعاها نصفين فأخذا نصفاً وتركا الآخر قال فلقد رأيت الناس يمرون يميناً وشمالا ما يلتفتون اليها استغناء عنها بما هو أنفس منها وأرفع قال وأقبل رجل الى موسى فقال ابعث معى

أدلكم على كنز فبعث معه موسى رجالا فقال الذى دلهم انزعوا ها هنا فنزعوا فسال عليهم من الزبرجد والياقوت مالم يروا مثله قط فلما رأوه بهتوا وقالوا لا يصدقنا موسى ارسلوا اليه فارسلوا حتى جاء ونظر قال وكانت الطنفسة قد نظمت بقبضان الذهب والفضة المسلسلة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد قال وكان البربريان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها حتى يأتيا بالفأس فيضربا وسطها ويأخذا منها ما أمكنهما اشتغالا بغير ذلك مما هو أنفس منه قال الليث وبلغنى أن رجلا غل فى غزوة عطاء بن نافع فحمل ماغل حتى جعله فى مزفت بين كتفيه وصدره فحضره الموت فجعل يصيح المزفت المزفت وحدثنا ابن أبى ليلى النجيبى عن حميد عن أبيه انه قال لقد كانت الدابة تطلع فى بعض غزوات موسى فينظر فى حافرها فيوجد فيه مسامير الذهب والفضة قال وكتب موسى حين افتتح الاندلس الى أمير المؤمنين انها ليست كالفتوح يا أمير المؤمنين ولكنه الحشر وأخبرنى عن عبد الحميد بن حميد عن أبيه انه قال قدمت الاندلس امرأة عطارد فخرجت بخمسمائة رأس فاما الذهب والفضة والآنية والجوهر فذلك لا يحاط بعلمه قال وحدثنى ياسين بن رجاء انه قدم عليهم رجل من أهل المدينة شيخ فجعل يحدثنا عن الاندلس وعن دخول موسى اياها فقلنا له فكيف علمت هذا قال انى والله من سبيه ولاخبركم بعجيب والله ما اشترانى الذى اشترانى الا بقبضة من فلفل لمطبخ موسى بن نصير فقلنا له ما أقدمك فقال أبى كان من وجوه الاندلس فلما سمع بموسى بن نصير عمد الى عين ماله من الذهب والفضة والجوهر وغير ذلك فدفنه فى موضع قد عرفته فتقدمت أنا للخروج الى ذلك الموضع لاستخراجه قلنا له وكم لك منذ فارقته قال سبعون سنة قلنا له أفنسيته قال نعم فلم ندر بعد ما فعل

﴿ غزوة موسى بن نصير البشكيس والافرنج ﴾

قال وذكروا ان موسى خرج من طليطلة بالجموع غازيا يفتح المدائن جميعا حتى دانت له الاندلس وجاءه وجوه جليقية فطلبوا الصلح فصالحهم وغزا البشكيس فدخل فى بلادهم حتى أتى قوما كالبهائم ثم مال الى أفرنجة حتى انتهى الى سرقسطة فافتتحها وافتتح ما دونها من البلاد الى الاندلس قال فاصاب فيها مالا يدرى ماهو

ثم سار حتى جاوزها بعشرين ليلة وبين سرقسطة وقرطبة شهراً أوأربعين ليلة قال وذكروا ان عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة قال كنت ممن غزا مع موسى الاندلس حتى بلغنا سرقسطة وكانت من أقصى ما بلغنا مع موسى الا يسيراً من ورائها فاتينا مدينة على بحر ولها أربعة أبواب قال فبينما نحن محاصروها اذ أقبل عياش بن أخيل صاحب شرطة موسى قال أيها الامير انا قد فرقنا الجيش أرباعا على نواحي المدينة وقد بقي الباب الاقصى وعليه رتبة قال له موسى بن نصير دع ذلك الباب فانا سننظر فيه قال ثم ان موسى التفت الى قال لى كم معك من الزاد قلت ما بقي معي غير تليس قال قال فأنت لم يبق معك غير تليس وأنت من أمراء الجيش فكيف غيرك اللهم اخرجهم من ذلك الباب قال المغيرة فأصبحنا من تلك الليلة وقد خرجوا من ذلك الباب فدخلها موسى منه ووجه ابنه مروان فى طلبهم فادركهم فأسرع القتل فيهم وأصابوا مما كان معهم ومما فى المدينة شيئا عظيما قال وذكروا أن جعفر بن الاشتر قال كنت فيمن غزا الاندلس مع موسى فحاصرنا حصنا من حصونها عظيما بضعا وعشرين ليلة ثم لم نقدر عليه فلما طال ذلك عليه نادى فينا ان أصبحوا على تعبئة وظننا انه قد بلغه مادة من العدو وقد دنت منا وأنه يريد التحول عنهم فاصبحنا على تعبئة فقام فحمد الله ثم قال أيها الناس انى متقدم أمام الصفوف فاذا رأيتمونى قد كبرت وحملت فكبروا وأحملوا فقال الناس سبحان الله أترى فقد عقله أم عزب عنه رأيه يأمرنا نحمل على الحجارة ومالا سبيل اليه قال فتقدم بين يدى الصفوف حيث يراه الناس ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء والرغبة فأطال ونحن ركوب منتظرون تكبيره فاستعددنا ثم ان موسى كبر وكبر الناس وحمل وحمل الناس فانهدت ناحية الحصن التى تلينا فدخل الناس منها وماراعنى الا خيل المسلمين تمرع فيها وفتحها الله علينا فأصبنا من السبي والجوهر مالا يحصى قال وحدثتني مولاة لعبد الله بن موسى وكانت من أهل الصدق والصلاح أن موسى حاصر حصنها الذى كانت من أهله وكان تلقاءه حصن آخر قالت فاقام لنا محاصراحينا ومعه أهله وولده وكان لا يغزو الا بهم لما يرجو فى ذلك من الثواب قالت ثم ان أهل الحصن خرجوا الى موسى فقاتلوه قتالا

شديدا ففتح الله عليه قالت فلما رأى ذلك أهل الحصن الآخر نزلوا على حكمه ففتحهما موسى فى يوم واحد فلما كان فى اليوم الثانى أتى حصنا ثالثا فالتقى الناس فاقتتلوا قتالا شديدا أيضا حتى حال المسلمون حوله قال فامر موسى بسرادقه فكشطه عن نسائه و بناته حتى برزن قال فلقد كسرت بين يديه من أغماد السيوف مالا يحصى وحمى المسلمون واحتدم القتال ثم ان الله فتح عليه و نصره وجعل العاقبة له وقال عبد الرحمن ابن سلام كنت فيمن غزا مع موسى فى غزوته كلها فلم ترد له رايه قط ولا هزم له جمع قط حتى مات وقال ابن صخر لما قدم موسى الاندلس قال أسقف من أساقفتها انا لنجدك فى كتب الحدثان عن دانيال بصفتك صيادا تصيد بشبكتين رجل لك فى البر و رجل فى البحر تضرب بهما هاهنا وهاهنا فتصيد قال فسر بذلك موسى وأعجبه وقال عبد الحميد بن حميد عن أبيه ان موسى لما وغل وجاوز سرقسطة اشتد ذلك على الناس وقالوا أين تذهب بنا حسبنا ما فى أيدينا وكان موسى قال حين دخل افريقية وذكر عقبة بن نافع لقد كان غرر بنفسه حين وغل فى بلاد العدو والعدو عن يمينه وعن شماله وامامه وخلفه أما كان معه رجل رشيد فسمعه حبيش الشيبانى قال فلما بلغ موسى ذلك المبلغ قام حبيش فاخذ بعنانه ثم قال أيها الامير انى سمعتك وأنت تذكر عقبة بن نافع تقول لقد غرر بنفسه و عن سعه أما كان معه رجل رشيد وأنا رشيدك اليوم أين تذهب تريد أن تخرج من الدنيا أو تلتمس أكثر وأعظم مما أتاك الله عز وجل وأعرض مما فتح الله عليك ودوخ لك انى سمعت من الناس مالم تسمع وقد ملؤا أيديهم وأحبوا الدعة قال فضحك موسى ثم قال أرشدك الله وكثر فى المسلمين مثلك ثم انصرف قافلا الى الاندلس فقال موسى يومئذ أما والله لو انقادوا الى لقدتهم الى رومية ثم يفتحها الله على يدى ان شاء الله

﴿ خروج موسى بن نصير من الاندلس ﴾

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سلام أخبرهم وكان مع موسى بن نصير بالاندلس قال أقام موسى بقية سنته تلك وأشهرا من سنة أربع وتسعين ثم خرج وافدا الى الوليد بن عبد الملك وكان ما أقام بها موسى عشرين شهرا واستخلف عبد العزيز بن موسى

فجاز موسى البحر على الاندلس فغزا بالناس حتى بلغوا أربونة ومعه أبناء الملوك من الافرنج وبالتيجان والمائدة والآنية والذهب والفضة والوصفاء والوصائف ومالا يحصى من الجوهر والطرائف وخرج معه بوجوه الناس قال وذكروا عن صفة المائدة عن عبد الحميد انه قال كانت مائدة خوان ليست لها أرجل قاعدتها منها وكانت من ذهب وفضة خليطين فهى تتلون صفرة وبياضا مطوقة بثلاثة أطواق طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق من زمرد قال قلت فما عظمها قال كنا بعوضع والناس معسكرون اذ قلت بغل لرجل من موالى موسى يقال له صالح أبو ريشة على رمكة فكردها فى العسكر فقام الناس اليه باعمدة الاخبية وجال فى العسكر جولة فتطلع موسى قال ماهذا وتطلع الجوارى فاذاهو بالبغل يكرد الرمكة وقد أدلى فغار موسى وقال احملوا عليه المائدة فلم يبلغ بها الامنقلة حتى تفتحت قوائمه لكثرة ثقلها على هذا البغل القوى

﴿ قدوم موسى أفريقية ﴾

قال وذكروا ان يزيد بن مسلم مولى موسى أخبرهم انه لما جاز موسى الحصن أمرهم بصناعة العجل فعلمت له ثلاثون ومائة عجلة ثم حمل عليها الذهب والفضة والجوهر وأصناف الوشى الاندلسى حتى أتى افريقية فلما قدمها بقى بها سنة أربع وتسعين ثم قفل واستخلف ابنه عبدالله على افريقية وطنجة والسوس وخرج معه ولده مروان بن موسى وعبد الاعلى بن موسى وعبدالملك بن موسى وخرج معه مائة رجل من أشراف الناس من قريش والانصار وسائر العرب ومواليها منهم عياض بن عقبة وعبد الجبار بن أبى سلمة بن عبدالرحمن بن عوف والمغيرة بن أبى بردة وزرعة ابن أبى مدرك وسليمان بن نجد ووجوه من وجوه الناس وأخرج معه من وجوه البربر مائة رجل فيهم بنو كسيلة وبنو قصدر وبنو ملوك البربر وملك السوس مزدانة ملك قلعة ارساف وملك ميورقة وخرج بعشرين ملكاً من ملوك جزائر الروم وخرج معه مائة من ملوك الاندلس ومن الافرنجيين ومن القرطبيين وغيرهم وخرج معه أيضا باصناف مافى كل بلد من بزها ودوابها ورقيقها وطرائفها ومالا يحصى فاقبل يجر الدنيا

و راءه جرا لم يسمع بمثله ولا بمثل ماقدم به

﴿ قدوم موسى الى مصر ﴾

قال وذكروا ان يزيد بن سعيد بن مسلم أخبرهم قال لما أتى موسى مصر وانتهى ذلك الى الوليد بن عبد الملك كتب الى قرة بن شريك ان ادفع الى موسى من بيت مال مصر ما أراد فأقبل موسى حتى اذا كان فى بعض الطريق لقيه خبر موت قرة بن شريك ثم قدم مصر سنة خمس وتسعين فدخل المسجد فصلى عند باب الصوال وكان قرة قد استخلف ابن رفاعة على الجند حتى توفى فلما سمع بموسى خرج مبادرا حتى لحقه حين استوى على دابته فلقيه فسلم عليه فقال له موسى من أنت يا ابن أخى فانتسب له فقال مرحبا وأهلا فسار معه حتى نزل منية عمرو بن مروان فعسكر بها موسى فكلمه حينئذ رفاعة فى المال الذى كان استخرجه من سفيان بن مالك الفهرى وذلك بعد مهلك سفيان فقال هو لك قال فأمر بدفع عشرة آلاف دينار الى ولد سفيان بن مالك قال فاقام موسى ثلاثة أيام تأتيه أهل مصر فى كل يوم فلم يبق شريف الا وقد أوصل اليه موسى صلة ومعروفا كثيرا وأهدى لولد عبد العزيز بن مروان فاكثر لهم وجاءهم بنفسه فسلم عليهم ثم سار متوجها حتى أتى فلسطين فتلقاه آل روح بن زنباع فنزل بهم فبلغنى انهم نحر واله خمسين جزورا وأقام عندهم يومين وخلف بعض أهله وصغار ولده عندهم واجاز آل مروان وآل روح بن زنباع بجوائز من الوصائف وغير ذلك من الطرف

﴿ قدوم موسى على الوليد رحمهما الله تعالى ﴾

قال وذكروا ان محمد بن سليمان وغيره من مشايخ أهل مصر أخبروهم ان موسى لما قدم على الوليد وكان قدومه عليه وهو فى آخر شكايته التى توفى منها وقد كان سليمان ابن عبد الملك بعث الى موسى من لقيه فى الطريق قبل قدومه على الوليد يأمره بالتثبط فى مسيره وان لا يعجل فان الوليد بآخر رمقه فلما أتى موسى بالكتاب من سليمان وقرأه قال حييت والله ماغدرت وماوفيت والله لا تربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكنى أسير بمسيرى فان أوافيه حيا لم أتخلف عنه وان عجلت منيته فامره الى الله فرجع

الرسول الى سليمان فاعلمه فقال لئن ظفر بموسى ليصلبنه أو ليأتين على نفسه فلما قدم موسى على الوليد وكان الوليد لما بلغه قدوم موسى واقترابه منه وجه اليه كتابا يامره اليـه بالعجلة فى مسيره خوفا ان تعجل منيته قبل قدوم موسى عليه وانه أراد ان يراه وان يحرم سليمان ماجاءبه فلم يكن لموسى شيء يثبطه حين أتاه كتاب الوليد فاقبل حتى دخل عليه وقدم تلك الطرائف من الدر والياقوت والزبرجد والوصفاء والوصائف والوشي ومائدة سليمان بن داود عليه السلام ومائدة ثانية من جزع ملون والتيجان قال فقبض الوليد الجميع وأمر بالمـائدة فكسرت وعمد الى أنفرمافيها والتيجان والجزع فجعله فى بيت الله الحرام وفرق غير ذلك ولم يلبث الوليد ان مات رحمه الله

﴿ خلافة سليمان بن عبد الملك وماصنع بموسى بن نصير ﴾

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سلام أخبرهم ان سليمان بن عبد الملك لمـا أفضت الخلافة اليه بعث الى موسى فاوتى به فعنفه بلسانه وكان فيما قال له يومئذ أعلى اجترأت وأمري خالفت والله لاقلن عددك ولافرقن جمعك ولابددن مالك ولاضعن منـك ما كان يرفعه غيري ممن كنت تمنيه أماني الغرور وتخـدعه من آل أبى سفيان وآل مروان فقال له موسى والله ياأمير المؤمنين ماتعتل على بذنب سوى انني وفيت للخلفاء قبلك وحافظت على ولى النعمة عنده فيه فاما ماذكر أمير المؤمنين من انه يقل عددى ويفرق جمعي ويبدد مالي ويخفض حالى فذلك بيد الله والى الله وهو الذى يتولى النعمة على الاحسان الي وبه أستعين ويعيذ الله عز وجـل أمير المؤمنـين ويعصمه ان يجري على يديه شيئا من المـكروه لم استحقه ولم يبلغه ذنب اجترمته فامر به سليمان فوقف فى يوم صائف شديد الحر على طريقه قال وكانت بموسى نسمة فلما أصابه حر الشمس وأتعبه الوقوف هاجت عليه قال وجعلت قرب العرق تعتوره فـمازال كذلك حتى سقط وعمر بن عبد العزيز حاضر الى ان نظر سليمان الى موسى وقد وقع مغشيا عليه قال عمر بن عبد العزيز مامر بي يوم كان أعظم عندى ولا كنت فيه أكرب من ذلك اليوم لمـا رأيت من الشيخ موسى وما كان عليه من بعد أثره فى سبيل الله ومافتح الله على يديه قال فالتفت الى سليمان فقـال ياأباحفص ماأظن الا قد خرجت من يميني قال عمر

فاغتنمت ذلك منه فقلت ياأمير المؤمنين شيخ كبير بادن وبه نسمة قد أهلكته وقد أتت على مافيه من السلامة لك من يمينك وهو موسى البعيد الاثر فى سبيل الله العظيم الغناء عن المسلمين قال عمر والذى منعنى من الكلام فيه ما كنت أعلم من يمينه وحقده عليه فخشيت ان ابتدأته ان يلج عليه وهو لحوح قال فلما قال لى ماقال حمدت الله على ذلك وعلمت ان الله قد أحسن اليه وان سليمان قد ندم فيه فقال سليمان من يضمه فقال يزيد بن المهلب أنا أضمه ياأمير المؤمنين قال وكانت الحال بين يزيد وموسى لطيفة خاصة قال سليمان فضمه اليك يايزيد ولا تضيق عليه قال فانصرف به يزيد وقد قدم اليه دابة ابنه مخلد فركبها موسى فاقام اياما قال ثم انه تقارب ما بين موسى وسليمان فى الصلح حتى افتدى منه موسى بثلاثة آلاف ألف دينار

﴿ عدد موالى موسى بن نصير ﴾

قال وذكروا عن بعض البصريين ان رجلا منهم أخبرهم أن يزيد قال لموسى ذات ليلة وقد سهر سهرا طويلا ياأبا عبد الرحمن كم تعد مواليك وأهل بيتك فقال كثيرا قال يكونون ألفا قال له موسى نعم وألفا وألفا حتى ينقطع النفس لقد خلفت من الموالى ما أظن ان أحدا خلف مثلهم قال له يزيد انك لعلى مثل ماوصفت وتعطى بدك ألا أقمت بدار عزك وموضع سلطانك وبعثت بما قد قدمت به فان أعطيت الرضا أعطيت الطاعة والا كنت على التخير من أمرك فقال موسى والله لو أردت ذلك ماتناولوا طرفا من أطرافى الى ان تقوم الساعة ولكن آثرت حق الله ولم أر الخروج من الطاعة والجماعة ثم خرج يزيد من عنده فنظر اليه موسى قال لمن عنده والله ان فى رأس أبى خالد لنفرة وليأتين عليها

﴿ ذكر ماراه موسى بالمغرب من العجائب ﴾

قال وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر قال لما بعث موسى رحمه الله بالخمس الذى أفاء الله عليه وكان مائة ألف رأس فنزلوا بالاسكندرية ونزل بعضهم كنيسة فيها فسميت كنيسة الرفيق الى اليوم ونزلوا موضعا بالفسطاط فتسوقوا فيه فسمى سوق البربر الى اليوم قال محمد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك ان موسى اتخذ لنفسه

داراوسكناحتى كان من أمر سليمان ماقد ذكر وهوالذى أخرجه وأهله من المغرب قال وحدثنا بعض أفريقية أن موسى ركب يوماحتى خرج من القيروان فوقف قريبا من أفريقية على رأس أميال فأخذ بيده ترابا فشمه ثم أمر بحفر بئر وابتنى داراواتخذ فيها خيلا فسميت بئر منية الخيل فليس يعلم بالمغرب بئر أعذب منها وحدثنا الكريم أبو بكر عبد الوهاب بن عبدالغفار شيخ من مشايخ تونس قال ان موسى انتهى الى صنم يشير باصبعه خلفه ثم تقدم الى صنم أمام الصنم الاول فاذاهو يشير باصبعه الى السماء ثم تقدم فاذا بصنم على نهر ماء جار يشير باصبعه تحت قدميه فلماانتهى موسى الى الصنم الثالث قال موسى احفر وافاذا بحدث مختوم الرأس قد أخرج فأمر به موسى فكسر فخرجت ريح شديدة فقال موسى للجيش أتدرون ماهذا قالوالا والله أيها الامير ماندرى قال ذلك شيطان من الشياطين التى سجنها نبى الله سليمان بن داود قال وحدثنا بعض مشايخ أهل المغرب أن موسى أرسل ناسا فى مراكب فامرهم أن يسيروا حتى ينتهوا الى صنم يشير بأصبعه أمامه فى جزيرة فى البحر ثم يسيروا حتى يأتواصنما آخر فى جزيرة يشير باصبعه أمامه ثم يسيروا الليالى والايام ويجدوافى السير حتى يأتوا صنما آخر فى جزيرة فى البحر فيها أناس لا يعرف كلامهم قال فاذا بلغتم ذلك فارجعوا وذلك فى أقصى المغرب ليس وراءه أحد من الناس الا البحر المحيط وهوأقصى المغرب فى البر والبحر قال وحدثنا بعض المشايخ من أهل المغرب أن موسى بلغ نهرامن أقصى المغرب فاذا عليه فى الشق الايمن أصنام ذكور وفى الايسر أصنام أناث وان موسى لما انتهى الى ذلك الموضع خاف الناس فلما رأى ذلك منهم رجع بالناس ثم مضى فى وجهه ذلك حتى انتهى الى أرض تميد بأهلها ففزع الناس وخافوا فرجع بهم قالوا وحدثنا عبدالله بن قيس قال بلغنى أن موسى لما جاوز الاندلس أتى موضعا فاذا فيه قباب من نحاس فأمر بقبة منها فكسرت فخرج منها شيطان نفخ ومضى فعرف موسى انه شيطان من الشياطين التى سجنها سليمان بن داود فأمر موسى بالقباب فتركت على حالها وسار بالناس قال وحدثنا عمارة بن راشد قال بلغنا أن موسى كان يسير فى بعض غزواته وهو بأقصى المغرب اذ غشى الناس ظلمة شديدة

فعجب الناس منها وخافوا وسار بهم موسى فى ذلك اذهجم على مدينة عليها حصن من نحاس فلما أتاها أقام عليها وطاف بها فلم يقدر على دخولهـا فأمر بنبـل ورماح وندب الناس فجعل يقول من يصعد هذه وله خمسمائة دينار فصعد رجل فلما استوى على سورها تردى فيها ثم ندب الناس موسى ثانية وقال من يصعد وله ألف دينار فصعد آخر ففعل به مثل ذلك ثم ندب الناس ثالثة قال من يصعد وله ألف وخمسمائة دينار فصعد رجل ثالث فاصابه ماأصاب صاحبيه فـكلم الناس موسى فقالوا هـذا أمر عظيم أصيب اخواننا وغررت بهـم حتى هلـكوا فقال لهم على رسلـكم يأتيكم الامر على ماتحبون ان شاء الله ثم أمر موسى بالمنجنيق فوضعت على حصن المدينـة ثم أمر ان يرمى الحصن فلما علم من فى الحصن ماعمل موسى ضجوا وصاحوا وقالوا باأيها الملك لسنا بغيتك ولا نحن ممن تريد نحن قوم من الجن فانصرف عنا فقال لهم موسى أين أصحابى ومافعلوا قالوا هم عندنا على حالهم فقـال أخرجوهم الينا قالوا نعم فاخرج الثـلاثة نفر فسألهم موسى عن أمرهم وماصـنع بهم فقـالوا مادرينا ما كنا فيـه وماأصابتنا شوكة حتى أخرجنا اليك فقـال موسى الحمد لله كثيرا ثم تقدم بالناس سائرا يفتح كل مامر به ثم نرجع الى حديث سليمان بن عبد الملك

﴿ تولية سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة وماأشار به موسى عليه ﴾

قال وذكروا ان سعيد بن عبد الله أخبرهم قال ان سليمان بن عبد الملك بعث مسلمة الى أرض الروم ووجه معه خمسمائة وثلاثين ألف رجل وخمسمائة رجل ممن قد ضمه الديوان واكتتب فى العطاء وتقلب فى الارزاق ثم دعا سليمان بموسى بعد ان رضى عنه على يد عمر بن عبد العزيز فقال سليمان له أشر على ياموسى فلم تزل مبارك الغزو فى سبيل الله بعيد الاثر طويل الجهاد فقـال له موسى أرى ياأمـير المؤمنـين أن توجهه بمن معه فلا يمر بحصن الا صير عليه عشرة آلاف رجـل حتى يفرق نصف جيشــه ثم يمضى بالبـاقى من جيشه حتى يأتى القسطنطينية فانه يظفر بمـا يريد ياأمـير المؤمنين قال فدعا سليمان مسلمة فامره بذلك من مشورة موسى وأوعز اليه فاما علم مسلمة بالمشورة فكأنه كره ذلك وكان فى مسامة بعض الاباية ثم رجع الى قول موسى فيما

صنع بارض الروم حين ظفر يبطريق ليس فوقه الاملك الروم فقال البطريق لمسلمة آمني على نفسي وأهلي ومالي و ولدي وأنا آتيك بالملك فامنه ومضى البطريق الى الملك الاعظم فاعلمه بما فعل مسلمة وماظفر به منه ومن حصون الروم فلما رأى ذلك ملك الروم أعظم ذلك وسقط فى يديه فقال البطريق له عند ذلك مالى عليك ان صرفت مسلمة عنك وجميع من معه فقال الملك اجعل تاجي على رأسك وأقعدك مكانى فقال البطريق أنا أكفيك ذلك فرجع البطريق الى مسلمة فقال اخرني ثلاثا حتى آتيك بالملك فبعث البطريق الى جميع الحصون فامرهم بالتقلع الى الجبال وحمل ماقدروا عليه من الطعام وأمر باحراق الزرع وغيرذلك مما يؤكل و ينتفع به مما كان خلفه مسلمة وجنده وما بين المسلمين وملك الروم فلما فعلوا ماأمروا به وعلم أنه أحكم أمره بعث الى مسلمة فقال له لو كنت امرأة لفعلت بك كما يفعل الرجل بامرأته قال فتغيظ مسلمة وآلى ألا يبرح حتى يظفر بملك الروم

﴿ سؤال سليمان موسى عن المغرب ﴾

قال وذكروا أن محمد بن سليمان أخبرهم ان سليمان بن عبد الملك قال لموسى من خلفت على الاندلس قال لعبد العزيز بن موسى قال ومن خلفت على افريقية وطنجه والسوس قال عبد الله ابني فقال له سليمان لقد انجبت ياموسى فقال موسى ومن أنجب مني ياأمير المؤمنين ان ابني مروان أتى بملك الاندلس وابني عبد الله أتى بملك ميورقة وصقلية وسردانية وان ابني مروان أتى بملك السوس الاقصى فهم متفرقون فى الامصار وغيرهم يغيرون فيأتون من السبي بما لا يحصى فمن انجب مني ياامير المؤمنين قال فغضب سليمان فقال ولا امير المؤمنين ليس بانجب منك فقال موسى شأن امير المؤمنين شأن ليس فوقه شأن وكل شأن وان عظم دونه لانه به و منه وعلى يديه وأمره قالوا وحدثنا عبد الله بن شريح قال بلغني ان موسى لما نزل الحيرة عند قدومه من المغرب اتاه رجل من بني امية فقال له ياموسى أنت ملك المغرب واعلم الناس تخرج الى الوليد وتعلم من سليمان فقال له موسى ياابن أخي حسبك من قريش ثم من بني أمية ماتعلم ألا ترى ياابن أخي ان الصبي يأخذ

العظم فيعقفه بحبل ثم ينصبه و يهيء و يصنع فيه حبة بر أو ذرة فينصب للهدد العالم بما تحت الارض ثم تدفعه المقادير الى الوقوع فيه فاحذر يا ابن أخى ان تراك الشام أو تراها فخرج موسى الى الوليد بدمشق فمات الوليد واستخلف سليمان أخاه فلقى منه موسى ماذكرنا واخرج القرشى الى الشام فضربت عنقه

﴿ ذكر قدوم موسى على الوليد ﴾

قال وذكروا أن موسى لما قدم على الوليد وذلك يوم الجمعة فى حين جلوس الوليد ابن عبد الملك على المنبر وكان موسى قال لبعض من وفد معه بان يلبس كل رجل من الاسرى تاجا وثياب ملك ذلك التاج ثم يدخلوا معه المسجد قال فالبس ثلاثين رجلا ثلاثين تاجا وهيأهم هيئة الملوك وأمر بابناء ملوك البربر فهيئوا وأمر بابناء ملوك الجزائر والروم فهيئوا كذلك ولبسوا التيجان وأمر بابناء ملوك الاشبان فهيئوا بمثل ذلك وأمر بالاموال والجوهر واللؤلؤ والياقوت والزبرجد والجزع والوطاء والكساء المنسوج بالذهب والفضة المحرش باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فوقف الجميع بباب الوليد وأبناء ملوك أفرنجية وأقبل موسى بالذين البسهم التيجان حتى دخل مسجد دمشق والوليد على المنبر يحمد الله وهو موهون قد أثرت فيه العلة وانهكه المرض وانما كان متحملا لاجل قدوم موسى ومن معه فلما رآهم بهت اليهم وقال الناس موسى موسى ثم أقبل حتى سلم على الوليد و وقف الثلاثون بالتيجان عن يمين المنبر وشماله ثم ان الوليد أخذ فى حمد الله تعالى والثناء عليه والشكر لما أيده الله ونصره فتكلم بكلام لم يسمع منه وأطال حتى فات وقت الجمعة ثم صلى بالناس فلما فرغ جلس ثم دعا بموسى فصب عليه الوليد الخلع ثلاث مرات واجازه بخمسين ألف دينار وفرض لولده جميعا فى الشرف وفرض لخمسمائة من مواليه ثم ادخل عليه موسى ملوك البربر وملوك الروم وملوك الاشبان وملوك افرنجة ثم أدخل عليه رؤس أهل البلاد ممن كان معه من قريش والعرب فاحسن جوائزهم وفرض لهم فى الشرف ثم أقام موسى عند الوليد أربعين يوما ثم ان الوليد هلك

﴿ ذكر اختلاف الناقلين فى صنع سليمان بموسى ﴾

قالوا لما استخلف سليمان بعد أخيه الوليد فكان أحنق الناس على الحجاج وموسى ابن نصير وكان يحلف لئن ظفر بهما ليصلبنهما وكان حنقه عليهما الامر يطول ذكره قال فارسل سليمان الى عمر بن عبد العزيز فاتاه فقال انى صالب غداً موسى بن نصير فبعث عمر الى موسى فأتاه فقال له يا بن نصير انى أحبك لاربع الواحدة بعد أثرك فى سبيل الله وجهادك لعدو الله والثانية حبك لآل محمد صلى الله عليه وسلم والثالثة حبك عياض بن عقبة لما تعلم من حسن رأيى فيه وكان عياض من عباد الله الصالحين والرابعة ان لابى عندك يدا او صنيعة وانا أحب ان تتم يده وصنيعته حيث كانت وقد سمعت أمير المؤمنين يذكر انه صالبك غدا فاحدث عهدك وانظر فيما أنت فيه ناظر من أمرك فقال له موسى قد فعلت واسندت ذلك اليك فقال له عمر لو قبلت ذلك من أحد قبلت منك ولكن أسند الى من أحببت فانصرف فلما أصبح اغتسل وتحنط وراح ولم يشك فى الصلب فلما انتصف النهار واشتد الحر وذلك فى حمارة الصيف دعا سليمان موسى فادخل عليه متعبا وكان بادنا جسيما به نسمة لا تزال تعرض له فلما وقف بين يديه شتمه وخوفه وتواعده فقال له موسى أما والله يا أمير المؤمنين ما هذا بلائى ولا قدر جزائى انى البعيد الاثر فى سبيل الله العظيم الغناء على المسلمين مع قدمة آبائى مع آبائك ونصيحتى لهم قال فيقول له سليمان كذبت قتلنى الله ان لم أقتلك فلما أكثر على موسى قال له أما والله لمن فى بطن الارض أحب الى ممن على ظهرها فقال سليمان ومن أولئك واستطير فقال له موسى مروان وعبد الملك والوليد أخوك وعبد العزيز عمك قال فكاد سليمان ينكسر ثم يقول قتلنى الله ان لم أقتلك فيقول له موسى ما أنت بفاعل يا أمير المؤمنين فيقول له موسى انى لارجو ان لا يكرم موسى بهوان أمير المؤمنين وموسى حينئذ قائم فى الشمس قد ارتفع نفسه وعظم بهره ثم التفت سليمان الى عمر بن عبد العزيز فقال ما أرى يمينى الاقد برئت يا عمر قال عمر فاغتنمتها منه ولم أبال ان يحنث باحياء رجل من المسلمين فقلت أجل يا أمير المؤمنين امرؤ كبرت سنه وكثر لحمه وبه نسمة وبهر وسقم فما أراه الا ميتا قال ثم التفت سليمان الى جلسائه فقال من يأخذ هذا الشيخ فيستخرج منه هذه الاموال فقال يزيد بن المهلب انا يا أمير المؤمنين قال فخذه ولا تمسه وضع العذاب على ابنيه مروان وعبد الاعلى فخرج به

يزيد فحمله على دابة ابنه ثم انصرف به الى منزله فاكرمه وبره وقال له أطع أمري وأجب أمير المؤمنين الى مقاضاته عن نفسك وعن ابنيك وحملني كلما قاضيته عليه فقال له موسى اما اذا كنت أنت صاحب هذا الشأن فانا غير مخبرك فيما ضمنت لامير المؤمنين وأيم الله لو أمر سواك بي وأمره بالبسط علي لكان أحب الي ان ألقى الله عز وجل وأقرب الي من ان يأخذ مني دينارا واحدا ولكن أديا يابني عن أنفسكما وعن أبيكما فقالا نعم فغدا يزيد بن المهلب الى سليمان فاعلمه بذلك وبرضا موسى بمقاضاته فادخله سليمان عليه فقال موسى أرأيت لو لم أقاضك ما كنت فاعلا فقال سليمان أضع العذاب عليك وعلى ابنيك حتى أبلغ ما أريد أو آتي على انفسكم فقال موسى الآن طابت نفسك ياأمير المؤمنين فاعطني أربع خصال ولك ما دعوتني اليه من هذا المال فقال وما هن قال لا تعزل عبد الله بن موسى عن افريقية وجميع عمله سنتين وان كل ما جباه عبد الله بافريقية وعبد العزيز بالاندلس فهو لي فيما قاضيت عليه أمير المؤمنين وان تدفع الى طارقا مولاي وأكون اعلا به عينا وبماله فقال له سليمان اما ما سألت من اقرار عبد العزيز وعبد الله على مكانهما فذلك لك وأما ما سألت من دفع طارق اليك فتكون اعلا عينا به وبماله فليس هذا جزاء اهل النصيحة لامير المؤمنين فلست بفاعل ولا مخل بينك وبين عقوبته ولا آخذ ماله فقاضاه موسى على مال فاجله في ذلك وخلى سبيله

﴿ نسخة القضية ﴾ هذا ما قاضى عليه عبد الله سليمان أمير المؤمنين موسى بن نصير قاضاه على أربعة آلاف ألف دينار وخمسين دينارا ذهبا طيبة يؤديها الى أمير المؤمنين وقد قبض منها أمير المؤمنين مائة ألف وبقي على موسى سائر ذلك أجله أمير المؤمنين الى سير رسول أمير المؤمنين الى ابن موسى الذي بالاندلس يمكث شهرا بالاندلس وليس له ان يمكث وراء ذلك يوما واحدا حتى يقبل راجعا بالمال الا ما كان من افريقية وما دونها وليس لموسى ان يتكثر بشيء مما كان عليه من العمل منذ استخلف الله أمير المؤمنين من ذمة أو فيء أو أمانة فهو لامير المؤمنين يأخذه ويقتضيه ولا يحسبه موسى من غرامته فان أدى موسى الذي سمى أمير المؤمنين في كتابه هذا من المال الى ما قد سمى أمير المؤمنين من

الاجل فقد برئ موسى و بنوه وأهله ومواليه وليست عليهم تبعة ولا طلبة فى المال ولا فى العمل يقرون حيث شاؤا وما كان قبض موسى او بنوه من عمال موسى الى قدوم رسول أمير المؤمنين افريقية فهو من الذى على موسى من المال يحسب له من الذى عليه مالم يقبض قبل وصول رسول أمير المؤمنين فليس منه فى شىء وقد خلى أمير المؤمنين بين موسى و بين أهله ومواليه ليس له ظلم احدمنهم غير ان أمير المؤمنين لا يدفع اليه طارقا مولاه ولا شيئا من الذى قد أباه عليه أول يوم شهد أيوب بن أمير المؤمنين وداود بن أمير المؤمنين وعمر بن عبد العزيز وعبد العزيز بن الوليد وسعيد بن خالد و يعيش بن سلامة وخالد بن الريان وعمر بن عبد الله و يحيى بن سعيد وعبد الله بن سعيد وكتبه جعفر بن عثمان فى جمادى سنة تسع وتسعين فلما تقاضيا أمر سليمان يزيد بن المهلب بتخلية موسى وابنيه والكف عنه فاعانه يزيد بن المهلب بمائة ألف دينار فاهدى اليه موسى حقا فيه ثلاث خرزات فبعث بهن الى ابن المهلب فقومهن فقو بلن بثلاثمائة ألف دينار فقال ابن المهلب لموسى أتدرى لم قلت لامير المؤمنين انا اضمه قال لا قال خفت ان يحيه قبلى من لا يرى فيك ما انا عليه لك وكانت لك يد عند المهلب رحمه الله فأحببت ان اجزيك بها عنه و بالله لو لم تفعل وأبيت عن المقاضاة ماشاكتك عندى شوكة حتى لا يبقى لآل المهلب مال ولا ثوب قال فجزاه موسى خيرا

﴿ ذكر يد موسى الى المهلب ﴾

قال وذكروا ان مخبرا أخبرهم من شيوخ الشام ممن أدرك القوم وصحبتهم قال كانت اليد التى اسداها موسى الى المهلب ان عبد الملك بن مروان لما ولى العراق بشرا أخاه جعل معه موسى بن نصير وزيراً ومدبرا لامره وقد كانت الازارقة أفسدت ماهنا لك فامر عبد الملك بشر بن مروان يولى المهلب قتالهم وكان بشر للمهلب مسيئا فلما قدم بشر العراق وعلم المهلب برأيه اعتزل بشرا فلم يأته فولى بشر بن مروان قتال الازارقة الوليد بن خالد فانهزم وافتضح ثم ولى بشر رجلا آخر فلم يصنع شيئا فكتب عبد الملك الى بشر أخيه يفند رأيه فيما صنع و يوبخه لما خالف رأيه فصمم بشر على رأيه فلما استغلظ أمر الازارقة استشار بشر بن مروان اسماء بن خارجة وعكرمة بن ربعى

وموسى بن نصير فى أمر المهلب فاما عكرمة وأسماء فوافقا هواه فيه وأما موسى فقال له ان أمير المؤمنين لا يحتملك على المعصية وليس مثل المهلب فى فضله وشرفه وقدره فى قومه ومعرفته أقصيت أوجفوت فان كان ما بلغك أمر يقال أنه أتاه فاكشفه عنه حتى تعلم عذره فيه أوذنبه فلم يزل موسى يردد أمر المهلب على بشر و يعطفه عليه بعد أن كان هم بقتله أن ظفر به حتى أرسل اليه بشر فجاءه المهلب فتنصل اليه المهلب فقبل منه بشر و ولاه ما كان يلي فبعث اليه موسى بخمسين فرسا و بمائة بعير وقال له استعن بها على حربك ثم لم يزل موسى قائما بأمره عند بشر حتى هلك بشر قالوا وأخبرنا محمد بن عبد الملك أن المهلب فى الايام التى كان يخاف فيها بشر بن مروان على نفسه خرج الى مال له فكان فيه وحده فأتى رجل الى بشر وعنده موسى فقال له ان كان لك أيها الامير بالمهلب حاجة فابعث خيلا الى موضع كذا وكذا فانه فيه فى غار وحده وليس معه فيه رجل من قومه فبعث بشر خيلا قال فنهض من مجلسه موسى فوجه اليه غلاما له ثم قال له أنت حر لوجه الله ان أنت سبقت هذه الخيل حتى تنتهى الى موضع كذا وكذا فتأتى المهلب فتقول له ان موسى يقول لك النجاة بنفسك فخرج غلام موسى حتى انتهى الى المهلب فاعلمه فاستوى على فرسه فذهب وأتت الخيل فلم تجد أحدا هناك فانصرفوا راجعين الى بشر فاعلموه بذلك

﴿ ذكر قتل عبد العزيز بن موسى بالاندلس ﴾

وذكروا أن محمد بن عبد الملك أخبرهم قال أقام موسى بن نصير مع سليمان بن عبد الملك يطلب رضاه حتى رضى عنه وابنه عبد الله بن موسى على أفريقية وطنجه والسوس وابنه عبد العزيز على الاندلس كما هو فلما بلغ عبد العزيز الذى فعل سليمان بأبيه موسى تكلم بكلام خفيف حملته عليه حمية لما صنع بأبيه على حسن بلائه فنميت الى سليمان فخاف سليمان ان يخلع فكتب الى حبيب بن عبيد وابن وعلة التميمى وسعد بن عثمان بن ياسر وعمرو بن زياد اليحصبي وعمر بن كثير وعمرو بن شرحبيل كتب الى كل رجل منهم كتابا يعلمه بالذى بلغه عن عبد العزيز بن موسى وماهم به من الخلع وانه قد كتب الى عبد الله بن موسى يأمره باشخاصهم الى عبد العزيز وأعلمه انما دعاه

الى ذلك الذى أحب من مكانفتكم لانه بازاء العدو وأعطاهم العهود ان من قتله منهم فهو أمير مكانه وكتب الى عبدالله بن موسى انى نظرت فاذا عبد العزيز بازاء عدو يحتاج فيه الى الغناء والبلاء فسأل أمير المؤمنين فاخبران معك رجالا منهم فلان وفلان فاشخصهم الى عبد العزيز بن موسى وكتب سليمان الى عبد العزيز أما بعد فان أمير المؤمنين علم ما أنت بسبيله من العدو وحاجتك الى الرجال اهل النكاية والغناء فذكر له ان بافريقية رجالا منهم فكتب أمير المؤمنين الى عبدالله بن موسى يأمره باشخاصهم اليك فولهم أطرافك وثغورك واجعلهم اهل خاصتك وكتب اليهم سليمان انى قد بعثت لكم بكتاب الى أهل الاندلس بالسمع والطاعة لكم والغدر فى قتله فاذا ولاكم اطرافه فاقرؤا عهدى على من قبلكم من المسلمين ثم ارجعوا اليه حتى تقتلوه فلما قدم الكتاب على عبدالله بن موسى بافريقية أشخص القوم فخرجوا حتى قدموا على عبد العزيز بالاندلس بكتاب سليمان فى الطافهم واكرامهم فقربهم عبد العزيز وأكرمهم وحياهم وقال لهم اختاروا أى نواحى وثغورى شئتم فضربوا الرأى فقالوا انكم ان فعلتم ما أنتم فاعلون ثم رجعتم اليه من أطرافهم لم تأمنوا ان يميل معه عظيم الناس فان فى يديه الاموال والقوة من مواليه وغيرهم ولكن اعملوا رايكم فى الفتك به قالوا فان ههنا رجلان دخل معنا استقام لنا الامر ووصلنا الى ما اردنا وهو ايوب بن حبيب بن اخت موسى قال فلقوه ودعوه الى انه ان قتله فهو مكانه فقبل وبايعوه على ذلك ثم انهم اتوا عبدالله بن عبد الرحمن الغافقى وكان سيد اهل الاندلس صلاحا وفضلا فاعلموه ثم اقرأوه كتاب سليمان فقال لهم قد علمتم يد موسى عند جميعكم صغيركم وكبيركم وانما بلغ أمير المؤمنين أمر كذب عليه فيه والرجل لم ينزع يدا من الطاعة ولم يخالف فيستوجب القتل وانتم ترون وامير المؤمنين لا يرى فاطيعونى ودعوا هذا الامر فأبوا ومضوا على رأيهم فاجمعوا على قتله فوقفوا له فلما خرج لصلاة الصبح ودخل القبلة وأحرم وقرأ بأم القرآن الكريم واستفتح (اذا وقعت الواقعة) ضربه حبيب بن أبى عبيدة ضربة فدهش ولم يصنع شيئاً فقطع عبد العزيز الصلاة وخرج وتبعوه فقتله ابن وعلة التميمى وأصبح الناس فأعظموا ذلك فأخرجوا كتاب سليمان بذلك فلم يقبله أهل الاندلس وولوا عليهم

عبدالله بن عبد الرحمن الغافقي ووفد حبيب بن أبي عبيدة برأس عبد العزيز بن موسى رحمهما الله

﴿ قدوم رأس عبد العزيز بن موسى على سليمان ﴾

وذكروا أن سليمان لما ظن أن القوم قد دخلوا الاندلس وفعلوا ما كتب به اليهم عزل عبد الله بن موسى عن افريقية وطنجه والسوس في آخر سنة ثمان وتسعين في ذي الحجه وأقبل هؤلاء حتى قدموا على سليمان وموسى بن نصير لا يشعر بقتل عبد العزيز ابنه فلما دخلوا على سليمان ووضع الرأس بين يديه بعث الى موسى فأتاه فلما جلس وراء القوم قال له سليمان أتعرف هذا الرأس ياموسى فقال نعم هذا رأس عبد العزيز بن موسى فقام الوفد فتكلموا بما تكلموا به ثم أن موسى قام فحمد الله ثم قال وهذا رأس عبد العزيز بين يديك ياأمير المؤمنين فرحمة الله تعالى عليه فلعمر الله ماعلمته نهاره الاصواما وليله الاقواما شديدالحب لله ولرسوله بعيد الاثر في سبيله حسن الطاعة لامير المؤمنين شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين فان يك عبدالعزيز قضى نحبه فغفر الله له ذنبه فوالله ما كان بالحياة شحيحا ولا من الموت هائبا وليعز على عبدالملك وعبدالعزيز والوليدأن يصرعوه هذا المصرع ويفعلوا به ماأراك تفعل ولهو كان أعظم رغبة فيه وأعلم بنصيحة أبيه أن يسمعوا فيه كاذبات الاقاويل ويفعلوا به هذه الافاعيل فردسليمان عليه قال بل ابنك المارق من الدين والشاق عصا المسلمين المنابذ لامير المؤمنين فهلا أيها الشيخ الخرف فقال موسى والله مابي من خرف ولا أناعن الحق بذي جنف ولن ترد محاورة الكلام مواضع الحمام وأنا أقوم كما قال العبد الصالح (فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون) فتأذن في رأسه ياأمير المؤمنين واغرورقتا عيناه فقال له سليمان نعم نخذه فقام موسى فأخذه وجعله في طرف قميصه الذي كان عليه ثم أدبر في السماطين فوقع الطرف الآخر عن منكبيه وهو يجر لا يحفل به ولا يرفعه فقال له خالد بن الريان ارفع ثوبك ياابن نصير فالتفت موسى وقال مالك وذاك ياخالد قال سليمان دعه حسبه مافعلنا به فلما توارى موسى قال سليمان ان في الشيخ لبقية بعد ثم ان موسى التفت الى حبيب بن أبي عبيدة

فكلمه بكلام غليظ حتى ذكر أمراخفيا من نسبه فافحمه ثم ان سليمان كشف عن أمر عبد العزيز فالفى ذلك باطلا وان عبد العزيز لم يزل صحيح الطاعة مستقيم الطريقة فلما تحقق عند سليمان باطل مارفع اليه عن عبد العزيز ندم وامر بالوفد فاخرجوا ولم ينظر فى شيء من حوائجهم واهدر عن موسى بقية النضية التى كان سليمان قاضا ها عليها وكان سليمان قد آلى قبل خلافته لئن ظفر بالحجاج بن يوسف وموسى بن نصير ليعزلنهما ثم لا يليان معه من أمور الناس شيئا فلما رضى عن موسى جعل يقول ماندمت على شيء ندامتى ان لا كنت خلوا من اليمين على موسى فى ان لا اوليه شيئا مامثل موسى استغنى عنه قال وان موسى دخل على سليمان فى آخر يوم من شعبان عند المغرب وهو مستشرف على سطح وعنده الناس فلما رآه سليمان قال عندكم والله من ان سألتموه عن الهلال ليخبرنكم انه قد رآه وقد غمى يومئذ عن سليمان والناس فلما دنى موسى وسلم قال له سليمان أرأيت الهلال بعد ياموسى قال نعم ياامير المؤمنين هاهو ذاك وأشار بأصبعه الى ناحية وهو مقبل على سليمان بوجهه فرمى الناس بابصارهم حيث أشار موسى فأبصروا الهلال فلما جلس موسى قال انى والله لست بأحدكم بصرا ولكنى أعلمكم بمطالعه ومناسقه قال فخرج فلقيه يزيد بن المهلب فقال له ياابا عبد الرحمن بينا أنت ادهى الناس واعلمهم أقبلت تسوق نفسك حتى تضعها فى يد سليمان فقال له موسى أما علمت ياابا خالد ان الهدهد يهندس المـاء و يعرفه من الارض القضاء ومن الحزونة والسهل و يبصر القريب منه والبعيد ثم ينصب له الصبى الفخ بالدودة وما أشبهها فلا يبصر ذلك حتى يقع فيه فيؤخذ وذلك انه لا حذر ينجى من قدر ولا رأى ولا بصر وكذلك كنت وسليمان ابن عبد الملك قال وذكروا ان سليمان خرج يوما الى بعض أمواله متنزها فخرج معه موسى بن نصير فعرضت عليهم غنم حلب نحو من الف راس فاعجب سليمان ما رأى منها والتفت الى موسى قال له هل رأيت مثلها قط قال نعم فرددها سليمان كالمغضب عليه قال موسى نعم ياامير المؤمنين وماهذا فيما أفاء الله عز وجل على يدى لقد كانت الالف تباع بعشرة دراهم أودونها ولقد كانت فى بعض المواطن وما لهـا قيمة ولا يلتفت اليها أحد ياامير المؤمنين ولغير ذلك ممـا أفاء الله عليهم ولقد رأيت العلج العتل والوصيف القاره

والجارية الحسناء وان أكثر ما تبلغ خمسين درهما لكثرة ذلك من صنوفه كلها ولقد رأيت الذود من الابل لا تباغ قيمته عشرين درهما اكثير يا امير المؤمنين ما اعلمتك فيما تسمع قال سليمان لا وحمد الله وذكروا ان موسى دخل على سليمان يوما وعنده الناس فلما رآه سليمان قال ذهب سلطان الشيخ وابصره موسى حين تكلم فلم يفهم ما قال فلما سلم قال يا امير المؤمنين رأيتك لما نظرتني داخلا تكلمت بكلام ظننتك عنيتني به قال نعم قلت ذهب سلطان الشيخ قال له موسى أما والله لئن ذهب سلطان الشيخ لقد أثر الله في دينه أثرا حسنا ولقد كنت طويل الجهاد في الله حريصا في اظهار دين الله حتى أظهره الله وكنت ممن تم الله به موعده لنبيه ولئن أدبر معك لقد كان مع آبائك ناضر الغصن ميمون الطائر فقال سليمان هو ذاك فقال موسى وهو ذاك فلم يزل يرددها سليمان ويرددها موسى حتى سكت سليمان

﴿ سؤال سليمان بن عبد الملك موسى عن أخباره وافعاله ﴾

وذكروا ان سليمان قال لموسى ما الذى كنت تفزع اليه فى مكان حربك من أمور عدوك قال التوكل والدعاء الى الله يا امير المؤمنين قال له سليمان هل كنت تمتنع فى الحصون والخنادق أو كنت تخندق حولك قال كل هذا لم أفعله قال فما كنت تفعل قال كنت أنزل السهل واستشعر الخوف والصبر وأتحصن بالسيف والمغفر واستعين بالله وارغب اليه فى النصر قال له سليمان فمن كان من العرب فرسانك قال حمير قال فأى الخيل رأيت فى تلك البلاد اصبر قال شقرها قال فاى الامم كانوا أشد قتالا قال انهم يا امير المؤمنين اكثر مما أصفهم قال له اخبرنى عن الروم قال اسود فى حصونهم عقبان على خيولهم نساء فى مواكبهم ان رأوا فرصة افترصوها وان خافوا غلبة فأوعال ترقل فى اجبال لا يرون عارا فى هزيمة تكون لهم منجاة قال فاخبرنى عن البربر قال هم يا امير المؤمنين أشبه العجم بالعرب لقاء ونجدة وصبرا وفروسية وسماحة وبادية غير انهم يا امير المؤمنين غدر قال فاخبرنى عن الاشبان قال ملوك مترفون وفرسان لا يجبنون قال فاخبرنى عن الافرنج قال هناك يا امير المؤمنين العدد والعدة والجلد والشدة وبين ذلك أمم كثير ومنهم العزيز ومنهم الذليل وكل قد لقيت بشكله فمنهم المصالح ومنهم المحارب

المقهور والعزيز البذوخ قال فاخبرني كيف كانت الحرب بينك وبينهم أكانت عقباً قال لا يا أمير المؤمنين ماهزمت لى راية قط ولا فض لى جمع ولا نكب المسلمون معى نكبة مذ اقتحمت الاربعين الى ان شارفت الثمانين قال فضحك سليمان وقال فاين الراية التى حملتها يوم مرج راهط مع الضحاك قال تلك يا أمير المؤمنين زبيرية وانما عنيت المروانية فقال صدقت واعجبه قوله وذكروا ان محمد بن عبد الملك حدثهم عن ريان بن عبد العزيز بن مروان قال انا لجلوس عند سليمان وهو على سطح فسيح والناس يدخلون حتى دخل موسى من الباب فتحرك بنا سقف السطح من شدة وطئه فسلم ثم جلس فذكر سليمان بيت الذهب الذى فتحه قتيبة بن مسلم فجعل يردد فيه فقال له موسى وماهذا يا أمير المؤمنين بيت لا يكون فيه عشرة آلاف دينار والله لقد بعثت الى أخيك الوليد بثور من زمرد أخضر يصب فيه اللبن فيخضر وانه لمن أدنى مابعثت به اليه ولقد أصبت كذا وكذا وأصاب المسلمون كذا وكذا وجعل يحدث سليمان بالعجائب قال ريان حتى والله أبهته فلم نزل موسى بباب سليمان عظيم المنزلة عنده فلما كانت سنة ثمان وتسعين تجهز سليمان للحج وامر موسى بالشخوص والحج معه فذكر له انه ضعيف فامر له سليمان بثلاثين نجيبا موقورة جهازا وبحجرة من حجره وجائزة فحج سليمان وحج معه موسى فبينما هو يسير يوما اذ دعا بموسى فناداه خالد بن الريان وكان موسى يساير رجلا فلم يلتفت موسى الى ندائه ثم دعا به فناداه خالد أيضا فلم يلتفت اليه فقال له الرجل غفر الله لك ألم تسمع دعاء أمير المؤمنين انى أخافه وأخاف ان يغضب فقال موسى ذاك لو كان عبد الملك أو الوليد فاما هذا فانه يرضيه مايرضى الصبي ويسخطه مايسخطه وسترى ذلك ثم تقدم موسى حتى لحق ولصق بسليمان فقال له أين كنت يابن نصير فقال له يا أمير المؤمنين اين دوابنا من دوابك انى لمنذ دعانى أمير المؤمنين لفى كد حتى لحقت أمير المؤمنين فضحك سليمان وأمر له بدواب من مراكبه فسايره وحادثه ثم انصرف عنه فلحق الرجل اليه فقال له موسى كيف رأيت قال أنت كنت أعلم به فسار سليمان حتى نزل المدينة فى دار يزيد ابن رومان قال فحدثنى بعض أهل المدينة ان موسى قال يوما لبعض من يثق به ليموتن

الى يومين رجل قد بلغ ذكره المشرق والمغرب فلم نظن الا انه يعني الخليفة فلما كان اليوم الثاني لم أشعر واناقى مسجد الرسول حتى سمعت الناس يقولون مات موسى بن نصير فاذا هو وصلى سليمان عليه ودفن رحمه الله وذكروا ان عبدالله بن صخر اخبرهم قال بينما موسى يسير يوما على دابة له وكان طويلا جسيما فمر به رجلان من قريش وقد تدلت رجلاه وانحنتا اوهما لا يعرفانه فقالا أدبر والله الشيخ فسمعهما موسى فقال لهما من أنتما فانتسبا له فقال أما والله ان أبيكما لمما افاء الله على يدى هذا الشيخ فاهداهما الى أبويكما فقالا له ومن أنت يرحمك الله قال موسى بن نصير فقالا مرحباً وأهلا صدقت وبررت والله ماعرفناك فقال لا عليكما قد والله ادبر عنى وبقى منى وذكروا ان ابراهيم بن سليمان أخبرهم عن من حدثه عن موسى ان الناس قحطوا بافريقية عاما فخرج موسى بالناس فاستسقى فأمر رجلا فقص على الناس ورققهم فجعل يذكر ثم انه انتحى فى الدعاء للوليد بن عبد الملك فاكثر فارسل اليه موسى انالم نأت ههنا للدعاء للوليد فاقبل على ماله جئنا فعدنا فلم يلتفت ورجا ان يبلغ الوليد فامر به فسحب حتى خرج من الناس ثم قام موسى ودعا بالناس فما برحنا حتى انصبت السماء بمثل القرب فأوتى موسى بدابة من دوابه فقال والله لا ركبت ولكن اخوض الطين وانصرف ماشياً ومشى الناس فسمعته يومئذ يردد فى دعائه اللهم الشهادة فى سبيلك أوموتا فى مدينة رسولك قال فذكروا ان عرفة بن عكرمة حدثهم عن مشائخ من مراد عن رجل منهم كان مع موسى بالاندلس قال كنت أبصر من مجارى الشمس والقمر شيئاً فوقع فىّ عند موسى وقيل له عنده علم فوالله ماشعرت حتى أتيت فاخذت فادخلت عليه فاذا بين يديه عصفور مذبوح مشقوق البطن قال لى ادخل يدك فانظر قلت أصلح الله الامير طلقت امرأتى البتة ان كان يعلم قليلا أوكثيرا الا مايعلم الناس من مجارى الشمس والقمر قال فأمر بى فنحيت ثم دعا برجل من الاعاجم قال ادخل يدك فانظر ماذا ترى وكان من الاسارى فادخل يده فى جوف العصفور فحركه طويلا ثم قلبه ثم قال للترجمان بلسانه انه ليس يموت ههنا ولكنه يموت بالمشرق فى بلاد العرب فنظر اليه موسى ثم قال له قاتلك الله ما أعلمك قال ثم أمر به فقتل ثم دعانى فاخذ على الايمان ان لا أتكلم به

ما بقي ففعلت وكان دخول موسى المغرب سنة تسع وسبعين في جمادى الاولى وكان يومئذ ابن ستين سنة فاقام بافريقية ست عشرة سنة وقفل منها سنة خمس وتسعين ومات سنة ثمان وتسعين وولى عبدالله بن موسى بافريقية وطنجة والسوس بعد موسى أبيه سنتين وكان عزله عنها في ذي الحجة سنة سبع وتسعين وقيل سنة تسع وتسعين

﴿ ذكر ولاة الاندلس بعد موسى بن نصير ﴾

وذكروا ان عبدالعزيز بن موسى ولي الاندلس بعد أبيه سنة ثم قتل وولي بعده أيوب بن حبيب ستة أشهر ثم الحارث بن عبدالرحمن ثلاث سنين ونصف ثم عنبسة سنتين وتسعة أشهر ثم يحيى بن سلمة سنة وثلاثة أشهر ثم الهيثم بن عبيد سنة وشهرين ثم عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي أربع سنين ثم عبدالملك بن قطن القرشي أيضا سنة ثم ابن بشر القسرى ستة أشهر ثم ثعلبة بن سلام العاملي خمسة أشهر ثم أبو الخطار بن ضرار الكلبي ثلاث سنين ثم ثوابة بن مسلمة سنة وشهرا فلما وهن سلطان بني أمية بالمشرق ولوا على أنفسهم يوسف بن عبدالرحمن القرشي الفهرى من غير عهد من الخليفة فملك الاندلس عشر سنين الى ان دخل عليه عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك ابن مروان وذكروا انه لما حج سليمان بن عبدالملك ومعه عمر بن عبدالعزيز وذلك في سنة ثمان وتسعين فلما انتهى الى عقبة عسفان نظر سليمان الى السرادقات قد ضربت له ما بين أحمر وأخضر وأصفر وكان يوسف بن عمر قد عمل له باليمن ثلاث سرادقات فكان الذى يلي منها للناس من خز أخضر والذى يليه من خز أصفر ثم الذى يكون هو فيه من وشي أحمر محبر من حبرات اليمن مزرر بالذهب والفضة وفي داخله فسطاط فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مرافقها من وشي أصفر وضربت حجب نسائه من وراء فسطاطه وحجر بنيه وكتابه وحشمه قرب ذلك فلما استوى سليمان في قبة العقبة ونظر الى ما نصب له قال يا عمر كيف ترى ههنا قال أرى دنيا عريضة يأكل بعضها بعضا أنت المسؤل عنها والمأخوذ بها فبينما هما كذلك اذ طار غراب من سرادق سليمان في منقاره كسرة فصاح الغراب فقال سليمان ما يقول هذا الغراب يا عمر قال عمر ما أدرى ولكن ان شئت أخبرتك بعلم قال سليمان اخبرني فقال عمر هذا غراب طار من سرادقك بكسرة هو

يأكلها وأنت المأخوذ بها والمسئول عنها من أين دخلت وأين أخرجت قال سليمان انك لتجيء بالعجائب يا أبا حفص فقال عمر أفلا أخبرك بأعجب من هذا يا أمير المؤمنين قال اخبرني قال من عرف الله تعالى كيف يعصاه ومن عرف الشيطان كيف يطيعه ومن أيقن بالموت كيف يهنيه العيش ويسوغ له الطعام ومن أيقن بالنار كيف يضحك فقال سليمان نغصت علينا ما نحن فيه يا أبا حفص ومن يطق ما تطيق انت يا عمر انت والله الموفق المطيع

﴿ ماقال طاوس اليماني لسليمان بمكة ﴾

قالوا ان ابراهيم بن مسلم أخبرهم عن رجاء بن حيوة انه نظر الى طاوس اليماني يصلي في المسجد الحرام فانصرف رجاء الى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ بمكة قد حج ذلك العام فقال اني رأيت طاوس في المسجد فهل لك ان ترسل اليه قال فارسل اليه سليمان فلما أتاه قال رجاء لسليمان يا أمير المؤمنين لا تسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يتكلم فلما قعد طاوس سكت طويلا ثم قال ما أول شيء خلق فقلنا لا ندري فقال أول شيء خلق القلم ثم قال أتدرون أول شيء كتب قلنا لا قال فان أول ما كتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم كتب القدر خيره وشره الى يوم القيامة ثم قال أتعلمون من أبغض الخلق الى الله قلنا لا فقال ان أبغض الخلق الى الله تعالى عبد أشركه الله في سلطانه فعمل فيه بمعاصيه ثم نهض قال رجاء فاظلم على البيت فمازلت خائفا عليه حتى توارى فرأيت سليمان يحك رأسه بيده حتى خشيت ان تخرج أظفاره لحم رأسه

﴿ ماقال أبو حازم لسليمان ﴾

قالوا وان يحيى بن المغيرة أخبرهم عن عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبي حازم قال لما حج سليمان ودخل المدينة زائرا لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابن شهاب الزهري ورجاء بن حيوة فاقام بها ثلاثة ايام فقال أما ههنا رجل ممن أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له بلى ههنا رجل يقال له أبو حازم فبعث اليه فجاءه وهو أقور أعرج فدخل عليه فوقف منتظرا للاذن فلما طال عليه الاذن وضع عصبته ثم جلس فلما نظر اليه سليمان ازدرته عينه فقال له يا أبا حازم

ماهـذا الجفاء الذى ظهـر منك وأنت توصـف برؤية أصحـاب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم مع فضل ودين تذكر به فقال أبو حازم وأى جفاء رأيت مـنى يا أمـير المؤمنين فقال سليمان انه أتانى وجوه أهـل المـدينة وعلماؤها وخيارها وأنت معـدود فيهم ولم تأتنى فقال أبو حازم اعيـذك بالله ان تقول مالم يكن ماجرى بينى و بينك معرفة آتيك عليها قال سليمان صـدق الشيخ فقـال يا أبا حازم مالنـا نكره الموت فقـال أبو حازم لانكم أخربتم آخرتكم وعمـرتم دنياكم فانتم تكرهون النـقلة من العـمران الى الخراب قال سليمان صدقت يا أبا حازم فكيف القدوم على الآخرة قال نعم أما المحسن فانه يقدم على الآخرة كالغائب يقـدم على أهله من سـفر بعيد وأما قدوم المسىء فـكالعبـد الآبق يؤخـذ فيشد كتافه فيؤتى به الى سـيد فظ غليظ فان شاء عـفى وان شاء عـذب فبكى سليمان بكاء شـديداً و بكى من حوله ثم قال ليت شـعرى مالنا عند الله يا أبا حازم فقـال اعرض نفسك على كتاب الله فانك تعلم مالك عند الله قال سليمان يا اباحازم واين اصيب تلك المعرفة فى كتاب الله قال عند قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال سليمان يا اباحازم فاين رحمة الله قال رحمة الله قريب من المحسنين قال سليمان يا أبا حازم من اعقل الناس قال أبو حازم أعقل الناس من تعلم العلم والحـكمة وعلمها الناس قال سليمان فمن أحمق الناس فقال من حط فى هوى رجل وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان فـأ أسمع الدعاء قال أبو حازم دعاء المخبتين الخائفين فقال سليمان فـاازكى الصدقة عند الله قال جهد المقل قال فـا تقول فيما ابتلينا به قال اعفنا عن هذا وعن الكلام فيه اصلحك الله قال سليمان نصيحة تلقيها فقال ماأقول فى سـلطان استولى عنوة بلا مشورة من المؤمنين ولا اجتماع من المسلمين فسفكت فيه الدماء الحرام وقطعت به الارحام وعطلت به الحدود ونكثت به العهود وكل ذلك على تنفيذ الطينة والجمع لمتاع الدنيا المشينة ثم لم يلبثوا ان ارتحلوا عنها فياليت شعرى ماتقولون وماذا يقال لكم فقال بعض جلسائه بئس ماقلت يااقور أمير المؤمنين يستقبل بهذا فقال ابوحازم اسكت يا كاذب فانما اهلك فرعون هامان وهامان

فرعون ان الله قد أخذ على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه أى لا ينبذونه وراء ظهورهم قال سليمان يا اباحازم كيف لنا ان نصلح مافسد منا فقال الأخذ فى ذلك قريب يسير ياامير المؤمنين فاستوى سليمان جالسا من اتكائه فقال كيف ذلك فقال تأخذ المال من حله وتضعه فى اهله وتكف الاكف عما نهيت وتمضيها فيما امرت به قال سليمان ومن يطيق ذلك فقال ابوحازم من هرب من النار الى الجنة ونبذ سوء العادة الى خير العبادة فقال سليمان اصحبنا ياأباحازم وتوجه معنا تصب منا ونصب منك قال ابوحازم اعوذ بالله من ذلك قال سليمان ولم ياباحازم قال اخاف ان اركن الى الذين ظلموا فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات فقال سليمان فتزورنا قال ابوحازم انا عهدنا الملوك يأتون الى العلماء ولم يكن العلماء يأتون الملوك فصار فى ذلك صلاح الفريقين ثم صرنا الآن فى زمان صار العلماء يأتون الملوك والملوك تقعد عن العلماء فصار فى ذلك فساد الفريقين جميعا قال سليمان فاوصنا ياباحازم وأوجز قال اتق الله أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك من حيث أمرك قال سليمان أدع لنا بخير فقال أبو حازم اللهم ان كان سليمان وليك فبشره بخير الدنيا والآخرة وان كان عدوك فخذ الى الخير بناصيته قال سليمان زدنى قال قد أوجزت فان كنت وليه فاغتبط وان كنت عدوه فاتعظ فان رحمته فى الدنيا مباحة ولا يكتبها فى الآخرة الا لمن اتقى فى الدنيا فلا نفع فى قوس يرمى بلا وتر فقال سليمان هات ياغلام الف دينار فأتاه بها فقال خذها ياابا حازم فقال لا حاجة لى بها لانى وغيرى فى هذا المال سواء فان سويت بيننا وعدلت أخذت والا فلا لانى أخاف أن يكون ثمنا لما سمعت من كلامى وان موسى بن عمران عليه السلام لما هرب من فرعون ورد ماء مدين وجد عليه الجاريتين تذودان فقال مالكما معين قالتا لا فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال « رب انى لما أنزلت الى من خير فقير » ولم يسأل الله أجرا فلما أعجل بالجاريتين الانصراف انكر ذلك أبوهما فقال لهما ما اعجلكما اليوم قالتا وجدنا رجلا صالحا قويا سقى لنا قال ماسمعتماه يقول قالتا تولى الى الظل وهو يقول « رب انى لما أنزلت الى من خير فقير » فقال ينبغى لهذا ان يكون جائعا تنطلق احدا كما له فتقول له ان أبى يدعوك

ليجزيك اجر ماسقيت لنا فأتته احداهما تمشي على استحياء (أي على اجلال له) قالت ان أبي يدعوك ليجزيك اجر ماسقيت لنا فجزع موسى من ذلك وكان طريدا في القيافي والصحاري فقال لها قولي لابيك ان الذي ستي يقول لاأقبل اجرا على معروف اصطنعته فانصرفت الى أبيها فاخبرته فقال اذهبي فقولي له انت بالخيار من قبول مايعرض عليك أبي و بين تركه فاقبل فانه يحب أن يراك و يسمع منك فاقبل والجارية بين يديه فهبت الريح فوصفتها له وكانت ذات خلق كامل فقال لها كوني ورائي وار يني سمت الطريق فلما بلغ الباب قال استأذني لنا فدخلت على أبيها فقالت انه مع قوته لامين فقال شعيب و بم علمت ذلك فاخبرته ما كان من قوله عند هبوب الريح عليها فقال ادخليه فدخل فاذا شعيب قدوضع الطعام فلما سلم رحب به وقال أصب من طعامنا يافتى فقال موسى اعوذ بالله قال شعيب لم قال لاني من بيت قوم لانبيع ديننا بملء الارض ذهبا قال شعيب لا والله ماطعامي لما تظن ولكنه عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى فأكل وهذه الدنانير يا امير المؤمنين ان كانت ثمنا لما سمعت من كلامي فان اكل الميتة والدم في حال الضر ورة احب الي من ان آخذها فاعجب سليمان بامره عجبا شديدا فقال بعض جلسائه ياامير المؤمنين ان الناس كلهم مثله قال لا قال الزهري انه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته قط فقال ابو حازم صدقت لانك نسيت الله ونسيتني ولو ذكرت الله لذكرتني قال الزهري اتشتمني قال له سليمان بل انت شتمت نفسك اوماعلمت ان للجار على الجار حقا قال ابو حازم ان بني اسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الامراء تحتاج الى العلماء وكانت العلماء تعز بدينها من الامراء فلما رؤى قوم من اراذل الناس تعلموا العلم واتوا به الامراء استغنت الامراء عن العلماء واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وهلكوا ولو كان علماؤنا هؤلاء يصونون علمهم لكانت الامراء تهابهم وتعظمهم فقال الزهري كانك اياي تريد وبي تعرض قال هوماتسمع قال سليمان ياابا حازم عظني واوجز قال حلال الدنيا حساب وحرامها عذاب والى الله المآب فاتق عذابك اودع قال لقد اوجزت فاخبرني ما مالك قال الثقة بعدله والتوكل

على كرمه وحسن الظن به والصبر الى اجله واليأس مما فى ايدى الناس قال يا ابا حازم ارفع الينا حوائجك قال رفعتها الى من لا تخذل دونه فما اعطانى منها قبلته وما امسك عنى رضيت مع انى قد نظرت فوجدت امر الدنيا يؤول الى شيئين احدهما لى والآخر لغيرى فاما ما كان لى فلو احتلت عليه بكل حيلة ما وصلت اليه قبل اوانه وحينه الذى قد قدر لى واما الذى لغيرى فذلك لا اطمع فيه فكما منعنى رزق غيرى كذلك منع غيرى رزقى فعلى م اقتل نفسى فى الاقبال والادبار قال سليمان لا بد ان ترفع الينا حاجة نأمر بقضائها قال فتقضيها قال نعم قال فلا تعطنى شيئا حتى أسألكه ولا ترسل الى حتى آتيك وان مرضت فلا تعدنى وان مت فلا تشهدنى قال سليمان أبيت يا ابا حازم ابيت قال اتأذن لى اصلحك الله فى القيام فانى شيخ قد زمنت قال سليمان يا ابا حازم مسئلة ما تقول فيها قال ان كان عندى علم اخبرتك به والا فهذا الذى عن يسارك يزعم انه ليس شىء يسأل عنه الا وعنده علم يريد الزهرى فقال له الزهرى عائذا بالله من شرك ايها المرء قال اما من شرى فقد عفيت وأما من لسانى فلا قال سليمان ما تقول فى سلام الائمة من صلاتهم أواحدة أم اثنتان فان العلماء لدينا قد اختلفوا علينا فى ذلك اشد الاختلاف قال على الخبير سقطت ارميك فى هذا بخبر شاف حدثنى عامر بن سعد بن ابى وقاص عن ابيه سعد انه شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم فى الصلاة عن يمينه حتى يرى بياض خده الايمن ثم يسلم عن يساره حتى يرى بياض خده الايسر سلاما يجهر به قال عامر وكان ابى يفعل ذلك واخبرنى سهل بن سعد الساعدى انه راى عمر بن الخطاب وابن عمر يسلمان من الصلاة كذلك فقال الزهرى اعلم ما تحدث به ايها الرجل فان الحديث عن رسول الله صعب شديد الا بالتثبت واليقين قال ابو حازم قد علمته ورويته قبل ان تطلع اضراسك فى راسك فالتفت الزهرى الى سليمان قال اصلحك الله ان هذا الحديث ما سمعت به من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قط فضحك ابو حازم ثم قال يا زهرى احطت بحديث رسول الله كله قال لا قال فثلاثة ارباعه قال لا قال فثلثه فقال اراني ذلك قد رويت و بلغنى فقال ابو حازم فهذا من الثلث الذى لم يبلغك و بقى عليك اسماعه فقال سليمان ما ظلمك من حاجك

ثم قام مأذونا له فأتبعه سليمان بصره ينظر اليه ويعجب به ثم التفت الى جلسائه فقال ما كنت اظنــه بقى فى الدنيا مثـل هذا قال ثم انصرف سليمان من الحج قافلا الى الشام وذكروا ان غلمانا لسليمان نازعوا غلمانا لعمر بن عبد العزيز فتعدى غلمان عمر على غلمان سليمان فرفع ذلك الى سليمان واغرى بعمر فقال له سليمان الا تنصف غلمانى وهو كالمغضب مما فعل بهم فقال عمر ما علمت هذا قبل هذا الوقت وما سمعت هذا الا فى مقامى هذا فقال سليمان كذبت لقد علمته فقال عمر كذبت والله ما كذبت ولا تعمدت كذبا منذ شددت مئزرى على نفسى وان فى الارض عن مجلسك لسعة ثم خرج عمر فتجهز وهو يريد مصر ليسكنها فبلـغ ذلك سليمان فندم على ما كان من قوله وارسل اليه ان لا يبرح وامر رجلا يقول له لا تعتب امير المؤمنين على قوله ولا تذكرهذا فترك عمر الخروج وجلس واقل الاختلاف الى سليمان

﴿ ذكر وفاة سليمان واستخلافه عمر بن عبد العزيز ﴾

قال وذكروا ان خالد بن ابى عمران اخبرهم وكان قد ادرك القوم قال مرض سليمان مرضه الذى مات فيه وذلك فى شهر صفر سنة تسع وتسعين فدخل عليه عمر بن عبد العزيز عائداً فدعا سليمان بنين له صغاراً فقلدهم السيوف فوقعوا فى الارض فقال سليمان قد أفلح من كان له بنون كبار فقال له عمر ليس هكذا قال الله فقال سليمان وكيف قال الله فقال عمر قال الله تعالى « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » فقال سليمان انى أريد ان اعهد اليــك وأوليك أمور الناس بعدى فقال عمر لا حاجة لى بذلك فقال سليمان ولم ذلك فقال لانى لا أريد أخــذ أموالهم فاذا لم ارد اخذ اموالهم فــالذى يدعونى الى ضرب ظهورهم فقال سليمان لا بد من هذا فقال عمر ولم ذلك ولك فى ولد عبد الملك سعة فاعفنى من هذا يعف الله عنــك فقال له سليمان والله لا اوليها غيرك بعدى فقال عمر وما الذى يدعوك الى هذا فقال ســليمان انى رأيت فى منامى قائلا لى يقول ان عمر بن عبد العزيز لك جنة ووقاية وجسر تخطاه فاولت ذلك ان شاء الله ان أوليــك الامر من بعدى لتكون توليتى لك جنة من النار وجسرا أركبه لانجو عليــه من عــذاب يوم القيامة ثم ليزيد بعدك فانه أرشد ولد عبد الملك فقال عمر ان هذا الامر لا يسعنى بينى و بين الله عز وجل ان أتقدم على أمة محمد

وفيهم خير مني فقال سليمان أما في آل أمية وعبد شمس فلا أعلم خيرمنك فقال عمر ان لم يكن في آل امية وعبد شمس خير مني بقولك ففي آل عبد مناف وآل هاشم من هو خير مني فقال سليمان لا فقال عمر ففي آل تيم وعدى خير مني وملؤا الارض مثلي فقال سليمان انما تريد القاسم وسالم قال نعم اياهما أردت فقال سليمان رجلان صالحان ذكرت ولكنهما ليسا للملك ولا الملك لهما ولا من معدن الملك هما مع انه ليس بزمان خلافة ولا أيام عدل فيها مثل القاسم وسالم انما هو زمان ملك وسيف وانما هى ذئاب تعدو ليست على غنم تؤمن فقال عمر الله المعين المصلح لمن أراده فسكت سليمان وظن ان عمر رضى بما قال له ثم دعا سليمان بصحيفة ثم كتب ويده ترعش من شدة العلة لا يعلم أحد بما يخط فكتب عهد عمر ثم من بعد عمر ليزيد ثم ختم عليه بيده متحاملا لذلك وعمر لا يشك ان الامر فيه قد صار لغيره ثم دعا سليمان برجاء بن حيوة فقال له خذ هذا الكتاب فانه عهدى فاجمع اليك قريشاً وامراء الاجناد واعلمهم انه عهدى وان من كان اسمه فى كتابي هذا فهو الخليفة بعدى فمن نزع عن ذلك وأباه فالسيف السيف والقتل القتل ثم رفع سليمان يديه الى السماء فقال اللهم ان ذنوبي قد عظمت وجلت وهى صغيرة يسيرة فى جنب عفوك فاعف عني يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اعف عني ما بيني وبينك من الذنوب واحمل عني ما بيني وبين خلقك وارضهم بما شئت يا أرحم الراحمين اللهم ان كنت تعلم مني وتطلع من ضميرى انى انما أردت بعهدى هذا وتوليتي من وليت فيك ورضاك فاغفرلى وارحمني ثم تخاخل لسانه فلم يقو على الكلام من ثقل العلة ثم سكت وأغمى عليه قال رجاء فخرجت وعمر معى فقلت له ما أراك الا صاحب الامر فقال عمر ما أحسب ذلك فقلت ومن عسى ان يكون فى آل مروان من يريد سليمان توليته غيرك فقال عمر ما أراه عهد الا لاحد الرجلين اما القاسم أو سالم قال رجاء فقلت له أسمعت ذلك منه فقال عمر ما سمعته ولكنه دار بيني وبينه كلام آنفا قبل دخلتك لا أشك انه أراد أحدهما قال رجاء فقلت والله هذا الاختلاف فى أمة محمد والفتن الظاهرة القاصمة للظهور الفانيه للانفس فقال عمر ولم ذلك فقال رجاء لان قريشا ونحوها لا ترضى بهذا ولا تصير اليه ولا

آل أمية وعبد شمس حيث كانت من الارض فقال عمر ان الامر لله من قبل ومن بعد يؤتى الملك من يشاء فقال رجاء فخرجت الى الناس واعلمتهم بعهد أمير المؤمنين فقالوا سمعا وطاعة ثم اعلمتهم بابتهاله و رغبته الى الله وما قال فلم يشك الناس ان عمر بن عبد العزيز صاحبهم فارادوا ان يسلموا عليه بالخلافة وذلك لما ايقنوا بهلاك سليمان فقلت لهم لا تعجلوا فان عمر قال لى أرى سليمان ما أراد الا القاسم أوسالما وهذا أفطن منى بهذا الامر لانه كان حاضرا وسليمان يكتب العهد بيده فضج الناس من ذلك واختلفوا فقالت فرقة سمعنا وأطعنا لمن استخلف علينا كان من كان وقالت فرقة لا والله لا نقر بهذا ولا نطيعه ولا يستخلف علينا الامر وانى ولا تبقى منا عين تطرف فى الدنيا فقال رجاء لعمر كيف ترى قولى والله لئن كان هذا انه لهو البلاء المبين وانها الفتنة قد فتح بابها فقال عمر ارجو الله ان يغلقه ان شاء الله قال رجاء فقلت لعمر ما نحن صانعون ان كان هذا فقال عمر لا أدرى ما أقول فى موقفى هذا قال رجاء ولم فقال عمر لانى والله ما وقفت موقفا قط لا رأى لى فيه ولا بصيرة الا موقفى هذا فانى قد أجدنى قد ذهب ر وعى وفقدت رأيى ولا أدرى ما استقبل من أمرى ولا ما استدبر ولو استطعت الفرار لفررت من موضعى هذا حيث لا أدرك ولا أرى قال رجاء فلما قاولنى بهذا علمت انه الذى أريد من فقده لرأيه و بصيرته قال رجاء فقلت له يا أبا حفص فاين نحن من المفزع الى الله والرغبة فى الصلاح علينا وعلى المسلمين و يعزم لنا على ما فيه الخير والخيرة فقال عمر بلى والله هذا الملجأ وهذا الحصن الحصين والمعقل الشديد قال رجاء فبتنا ليلتنا لا نألو على أنفسنا فى الدعاء والاستخارة لله فلما أصبحنا قلت لعمر ماترى يا أبا حفص فقال أرى أن اسمع وأطيع لمن فى هذا الكتاب فان كان أحد الرجلين سمعت له وأطعت و رددت من أدبر عنه بمن أقبل عليه حتى أموت فبينما هما كذلك اذ اقبل وصيف يسعى اليهما يقول قد قضى أمير المؤمنين نحبه فخرجا فاذا بالعويل والنوح فرجعا الى المسجد ترعد فرائصهما والناس يسلمون على عمر بالخلافة وهو يقول لست به لست به حتى دخل المسجد وقد اجتمع الناس وهم مستعدون للفتنة والقتال ان خالف العهد ما يريدون

فقام رجاء الى جانب المنبر فحمد الله وحض الناس على الطاعة ولزوم الجماعة واعلمهم بما فى الفرقة والاختلاف من ذهاب الدين والدنيا ثم أخرج العهد ففضه بمحضر منهم ثم قرأه عليه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد به عبد الله سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين وخليفة المسلمين عهد انه يشهد لله بالربوبية والوحدانية وان محمدا عبده ورسوله بعثه الى محسني عباده بشيرا والى مذنبيهم نذيرا وان الجنة والنار مخلوقتان حق خلق الجنة رحمة لمن أطاعه والنار عذابا لمن عصاه واوجب العفو لمن عفى عنه وان سليمان مقر على نفسه بما يعلم الله من ذنوبه موجبا على نفسه استحقاق ماخلق من النقمة واجبا لنفسه ماخلق من الرحمة ووعد من المغفرة راج لما وعد من الرحمة وان المقادير كلها خيرها وشرها من الله وانه هو الهادى لم يستطع أحد لمن خلق الله لرحمته غواية ولا لمن خلق لعذابه هداية وان الفتنة فى القبور بالسؤال عن دينه ونبيه الذى ارسل الى امته لامنجى لمن خرج من الدنيا الى الآخرة من هذه المسألة وسليمان يسأل الله بواسع فضله وعظيم منه الثبات على الحق عند تلك المسألة والنجاة من هول تلك الفتنة وان الميزان حق يقين يضع الموازين القسط ليوم القيامة فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك هم الخاسرون وان حوض محمد صلى الله عليه وسلم يوم الحشر والموقف حق عدد آنيته كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبداً وسليمان يسأل الله برحمته أن لا يرده عنه عطشان وان أبابكر وعمر خير هذه الامة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم والله يعلم بعدهما حيث الخير وفيمن الخير من هذه الامة وان هذه الشهادة المذكورة فى عهده هذا يعلمها من سره واعلانه وعقد ضميره وان بها عبد ربه فى سالف ايامه وماضى عمره وعليها أتاه يقين ربه وتوفاه أجله وعليها يبعث بعد الموت ان شاء الله وان سليمان كانت له بين هذه الشهادة بلايا وسيئات لم يكن له عنها محيص ولا دونها مقصر بالقدر السابق والعلم النافذ فى محكم الوحى فان يعف ويصفح فذلك ماعرف منه قديما ونسب اليه حديثا وذلك

الصفة التي وصف بها نفسه في كتابه الصادق وكلامه الناطق وان يعاقب وينتقم فيما قدمت يداه وما الله بظلام للعبيد وانى أخرج على من قرأ عهدى وسمع ما فيه من حكمه أن ينتهي اليه في أمره ونهيه بالله العظيم وبمحمد صلى الله عليه وسلم وان يدع الاحن ويأخذ بالمكارم ويرفع يديه الى السماء بالابتهال الصحيح والدعاء الصريح يسأله العفو عنى والمغفرة لى والنجاة من فزعى والمسألة في قبرى لعل الودود أن يجعل منكم مجاب الدعوة بما على من صفحه يعود ان شاء الله وان ولى عهدى فيكم وصاحب أمرى بعد موتى في كل من استخلفني الله عليه الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز بن عمى لما بلوت من باطن أمره وظاهره ورجوت الله بذلك وأردت رضاه ورحمته ان شاء الله ثم ليزيد بن عبد الملك من بعده فانى ما رأيت منه الا خيرا ولا اطلعت له على مكروه وصغار ولدى وكبارهم الى عمر اذ رجوت الا يألوهم رشدا وصلاحا والله خليفتى عليهم وهو ارحم الراحمين وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله ومن أبى عهدى هذا وخالف أمرى فالسيف ورجوت أن لا يخالفه أحد ومن خالفه فهو ضال مضل يستعتب فان أعتب والا فالسيف والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله القديم الاحسان

﴿ أيام عمر بن عبد العزيز ﴾

وذكروا عن خلد بن أبي عمران انه قال انى لحاضر يوم قرىء عهد سليمان في المسجد بدمشق على الناس فما رأيت يوما أكثر باكيا ولا داعيا له بالرحمة من ذلك اليوم فلم يبق محب ولا مبغض ولا خارجى ولا حرورى الا أخذ الله له بقلوبهم وابتهلوا بالدعاء واخلصوا له بالسؤال بالعفو من الله ورضى الناس أجمعون فعله قال خالد ثم بايع الناس لعمر في المسجد بيعة تامة جامعة طيبة بها النفوس لا يشوبها غش ولا يخالطها دنس قال خالد وسمعت رجاء يقول لما تمت البيعة انى مهما شككت في شىء فانى لم أشك يوم البيعة لعمر بالنجاة والرحمة لسليمان ان شاء الله واستفتح عمر ولايته ببيع أموال سليمان ورباعه وكسوته وجميع ما كان يملكه فبلغ ذلك أربعة وعشرين الف دينار فجمع ذلك كله وجعله في بيت المال ثم دخل على زوجته فاطمة ابنة عبد الملك فقال لها يا فاطمة فقالت لبيك يا امير المؤمنين فجعل يبكى وكان لها محبا وبها كلفا ثم استفاق

من بكائه فقال لها اختاريني أو اختاري الثوب الذي عمل لك أبوك وكان قد عمل لها أبوها عبد الملك ثوبا منسوجا بالذهب منظوما بالدر والياقوت انفق عليه مائة الف دينار فقال لها ان اخترتيني فانى آخذ الثوب فاجعله فى بيت المال وان اخترت الثوب فلست لك بصاحب فقالت أعوذ بالله يا امير المؤمنين من فراقك لا حاجة لى بالثوب فقال عمر وانا أفعل بك خصلة اجعل الثوب فى آخر بيت المال وانفق مادونه فان وصلت اليه انفقته فى مصالح المسلمين وانما هو من أموال المسلمين انفقت فيه وان بقي الثوب ولم احتج اليه فلعل أن يأتى بعدى من يرده اليك قالت افعل يا امير المؤمنين مابدالك ثم دخل عليه ابن له وعليه قميص قد تذعذع فقال له عمر رقع قميصك يا بنى فوالله ما كنت قط باحوج اليه منك اليوم

﴿ ذكر قدوم جرير بن الخطفى على عمر بن عبد العزيز ﴾

قال وذكروا عن عبد الاعلى ابن أبى المشاور انه أخبرهم قال قدم جرير شاعر أهل العراق وأهل الحجاز على عمر أول ما استخلف فاطال المقام ببابه لا يصل اليه حتى قدم عليه عون بن عبد الله الهزلى وكان من عباد الناس وخيارهم وعليه جبة صوف وعمامة صوف قد أسدلها خلفه فجعل يتخطى رقاب الناس من قريش بنى أمية وغيرهم لا يمنع ولا يحجب ومثله من أكابر الناس وخيارهم وفضلاء العباد وقريش لا يصلون ولا يدخلون فلما خرج عون بن عبد الله اتبعه جرير بن الخطفى وهو يقول

يا ايها الرجل المرخى عمامته ... هذا زمانك انى قد مضى زمنى
أبلغ خليفتنا ان كنت لاقيه ... انى لدى الباب كالمقصود فى قرن
فاحلل صفادى فقد طال المقام به ... وشطت الدار عن أهلى وعن وطنى

قال فضمن له عون بن عبد الاعلى أن يدخله عليه فلما دخل على عمر قال يا امير المؤمنين هذا جرير الخطفى بالباب يريد الاذن فقال عمر ما كنت أرى أحدا يحجب عنى قال انه يريد اذنا خاصا قال عمر اله عن ذكره ثم حدثه طويلا ثم قال يا امير المؤمنين ان جريرا بالباب فقال اله عن ذكره قال اذاً لا أسلم من لسانه فقال عمر أما اذ قد بلغ منك خوف لسانه ما أرى فأذن له فدخل جرير فلما كان قيد رمح أو رمحين وعمر منكس

رأسه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ثم قال ان الخلفاء كانت تتعاهدني فيما مضى بجوائز وصلات وقد أصبحت الى ذلك منك محتاجا ثم أنشا يقول

قد طال قولى اذا ماقمت مبتهلا يارب أصلح قوام الدين والبشر
انا لنرجو اذا ماالغيث أخلفنا من الخليفة مانرجو من المطر
أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت أم قد كفانى مابلغت من خبر
مازلت بعدك فى هم يؤرقنى قدطال فى الحى اصعادى ومنحدرى
لاينفع الحاضر المجهود باديه ولا يعود لنا باد على حضر
كم باليمامة من شعثاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به خبلا من الجن أو مسا من البشر
فان تدعهم فمن يرجون بعدكم أوتنج منها فقد أنجيت من ضرر
هذا الارامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
خليفة الله ماذا تأمرن بنا لسنا اليكم ولافى دار منتظر
أنت المبارك والمهدى سيرته تعصى الهوى وتقوم الليل بالسور

قال فبكى عمر وهملت عيناه وقال ارفع حاجتك الينا ياجرير قال جرير ماعودتنى الخلفاء قبلك قال وماذلك قال أربعة آلاف دينار وتوابعها من الحملان والكسوة قال عمر أمن أبناء المهاجرين أنت قال لا قال أفمن أبناء الانصار أنت قال لا قال أفقير أنت من فقراء المسلمين قال نعم قال فاكتب لك الى عامل بلدك أن يجرى عليك مايجرى على فقير من فقرائهم قال جرير أنا أرفع من هذه الطبقة ياامير المؤمنين قال فانصرف جرير فقال عمر ردوه على فلما رجع قال له عمر قد بقيت خصلة أخرى عندى نفقة وكسوة أعطيك بعضها ثم وصله بأربعة دنانير فقال وأين تقع منى هذه ياامير المؤمنين فقال عمر انها والله لمن خالص مالى ولقد أجهدت لك نفسى فقال جرير والله ياامير المؤمنين انها لاحب مال كسبته ثم خرج فلقيه الناس فقالوا له ماوراءك قال جئتكم من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عنه لراض

﴿ دخول الخوارج على عمر بن عبد العزيز ﴾

وذكروا ان ابن حنظلة أخبرهم قال بعثني وعون بن عبد الله عمر بن عبد العزيز الى خوارج خرجت عليه بالحيرة رأسهم رجل من بني شيبان يقال له شوذب وكتب معنا كتابا اليهم فقدمنا عليهم فبعثوا معنا اليه رجلين أحدهما من العرب فاتينا بهما عمر فدخلنا عليه وتركناهما بالباب فقلنا له انا قد بلغنا عنك وقد بعثوا معنا رجلين هما بالباب قال فتشوهما الا يكون معهما حديد أو شيء ففعلنا ثم أننا أدخلناهما عليه فلما دخلا قالا السلام عليكم قال وعليكم السلام أجلسا فلما جلسا قال لهما عمر ما الذي أخرجكم علينا فقال العربي وكان أشدهما كلاما وأعمهما عقلا أما انا لم ننكر عليك عدلك ولا سيرتك ولكن بيننا وبينك أمر هو الذي يجمع ويفرق بيننا فان أعطيتناه فنحن منك وأنت منا وان لم تعطناه فلسنا منك ولست منا فقال عمر فما هو فقال خالفت أهل بيتك وسميتهم الظلمة وسميت أعمالهم المظالم فان زعمت انك على الحق وانهم على الباطل فالعنهم وتبرأ منهم فقال عمر انكم لم تتركوا الاهل والعشائر وتعرضتم للقتال الا وأنتم فى أنفسكم مصيبون ولكنكم أخطأتم وضللتم وتركتم الحق اخبراني عن الدين أواحد أواثنان قالا بل واحد قال أفيسعكم فى دينكم شيء يعجز عني قالا لا قال فاخبراني عن أبي بكر وعمر ما حالهما عندكم قالا أفضل الناس أبو بكر وعمر قال ألستما تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفى ارتدت العرب فقاتلهم أبو بكر فقتل الرجال وسبي النساء والذرية قالا بلى قال عمر فلما توفى أبو بكر وقام عمر ورد تلك النساء والذرارى الى عشائرهما فهل تبرأ عمر من أبي بكر ولعنه بخلافه اياه قالا لا قال فتتولونهما على خلاف سيرتهما قالا نعم قال عمر فما تقولان فى بلال بن مرادس قالا من خير اسلافنا قال افليس قد علمتم انه لم يزل كافا عن الدماء والاموال وقد لطخ أصحابه أيديهم فيها فهل تبرأت منه احدى الطائفتين من الاخرى أو لعنت احداهما الاخرى قالا بلى قال فتتولونهما جميعا على خلاف سيرتهما قال نعم قال عمر فاخبراني عن عبد الله بن وهب حين خرج باصحابه من البصرة يريدون أصحابهم فمروا بعبد الله بن خباب فقتلوه وبقروا بطن جاريته ثم عدوا على قوم من بني قطيعة فقتلوا الرجال وأخذوا الاموال وغلوا الاطفال فى المراجل ثم قدموا على أصحابهم من الكوفة وهم كافون عن الدماء

والفروج والاموال هل تبرأت احدى الطائفتين من الاخرى أولعنت احداهما الاخرى قال لا قال فتتولونهما على خلاف سيرتهما قالا نعم فقال عمر فهؤلاء الذين اختلفوا بينهم فى السيرة والاحكام لم يتبرأ بعضهم من بعض ولا لعن بعضهم بعضا وأنتم تتولونهم على خلاف سيرتهم فهل وسعكم فى دينكم ذلك ولا يسعنى حين خالفت أهل بيتى فى الاحكام والسيرة حتى ألعنهم وأتبرأ منهم اخبرانى عن اللعن فرض على العباد قالا نعم فقال عمر متى عهدك بلعن فرعون قال ما ابالى به من عهد منذ زمان قال عمر هذا رأس رؤوس الكفار ليس لك عهد بلعنه منذ زمان وانا لا يسعنى أن ألعن من خالفتهم من أهل بيتى ألستم أنتم الذين تؤمنون من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيفه وتخيفون من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمنه فقالا نبرأ الى الله تعالى من هذه الصفة فقال بلى فسأخبركما عن ذلك ألستما تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج والناس أهل كفر فدعاهم ان يقروا بالله ورسوله فمن أبى قاتله وخوفه ومن اقر بهما امنه وكف عنه وأنتم اليوم من مر بكم مقر بهما قتلتموه ومن لم يقر بهما امنتموه وخليتم سبيله فقال العربى تالله ما رايت حجيجا اقرب مأخذا ولا اوضح منهاجا منك اشهد انك على الحق وانا على الباطل وقال الآخر لقد قلت قولا حسنا وما كنت لافتات على اصحابى حتى القاهم فلحق باصحابه واقام الآخر عند عمر فاجرى عليه العطاء والرزق حتى مات عنده

﴿ وفاة عمر بن عبد العزيز ﴾

وذكروا ان عبد الرحمن بن يزيد أخبرهم قال كتب عمر بن عبد العزيز الى بن أبى زكريا أما بعد فاذا نظرت فى كتابى فاقدم فقدم عليه فقال مرحبا بابن أبى زكريا قال وبك يا امير المؤمنين قال حاجة لى قبلك قال بين الانف والعين حاجتك يا امير المؤمنين ان قدرت عليها قال لست اكلفك الا ما تقدر عليه قال نعم قال أحب ان تثنى على الله بمبلغ علمك حتى اذا فرغت سألت الله ان يقبض عمر فقال انا لله وانا اليه راجعون بئس وافد أمة محمد أنا هذا لا يحل لى قال فانى اعزم عليك بحق الله وبحق رسوله وبحقى ان كان لى عليك حق الا ما فعلته فبكى ثم استرجع ثم أقبل يثنى على الله وانه ليبكى حتى اذا فرغ قال اللهم ان عمر

سألني بحقك و بحق رسولك و بحقه على ان ادعو فى قبضه اليك فاقبض عمر اليك كما سأل
ولا تبقنى بعده وجاء حينئذ بنى لعمر فسقط فى حجره فقال وهذا أى ربى معنا فانى أحبه
قال فما كانوا الا كخرزات فى خيط فانقطع الخيط فاتبع بعضها بالسقوط بعضاً

﴿ ذكر رؤيا عمر بن عبد العزيز ﴾

وذكروا عن مزاحم مولى عمر قال اخبرتنى فاطمة ابنة عبد الملك امرأة عمر قالت كان
لعمر بن عبد العزيز مكان يخلو فيه فأبطأ على ذات ليلة فقلت لآتينه فوجدته نائما فهبته
ان أيقظه فما لبث الا قليلا حتى رفع رأسه فقال من هذا فقلت أنا فاطمة فقال يا فاطمة لقد
رأيت رؤيا ما رأيت احسن منها فقلت حدثنى بها يا أمير المؤمنين قال رأيت كانى فى
أرض خضراء لم أر أحسن منها و رأيت فى تلك الارض قصرا من زبرجد و رأيت جميع
الخلائق حول ذلك القصر فما لبث الا قليلا حتى خرج المنادى فقال أين محمد بن عبد الله بن
عبد المطلب فقام النبي عليه السلام فدخل القصر فقلت سبحان الله انا فى جمع فيهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم أسلم عليه فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادى فنادى أين أبو بكر
ابن أبى قحافة فقام أبو بكر فدخل فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادى فنادى أين عمر
ابن الخطاب أين الفاروق فقام عمر فدخل فقلت سبحان الله انا فى ملأ فيهم جدى لم أسلم
عليه فما لبثت الا يسيرا حتى خرج المنادى فقال اين عثمان بن عفان فقام عثمان فدخل فما
لبثت الا قليلا حتى خرج المنادى فنادى أين على بن أبى طالب فقام فدخل فما لبثت الا
قليلا حتى خرج المنادى فنادى أين عمر بن عبد العزيز قال فقمت فدخلت فلما صرت
فى القصر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعثمان وعليا
امامه فقلت أين أقعد لا اقعد الا الى جنب عمر قال فرأيت فيما بين النبي صلى الله عليه وسلم
وأبى بكر شابا حسن الوجه حسن الهيئة فقلت لعمر من هذا قال هذا عيسى بن مريم عليه
السلام فما لبثت الا قليلا حتى خرج عثمان بن عفان وهو يقول الحمد لله الذى نصرنى ربى ثم
خرج على وهو يقول الحمد لله الذى غفر لى ربى ثم نودى لى عمر بن ابن عبد العزيز فقمت
فصرت بين يدى ربى فحاسبنى فلقد سألنى عن النقير والفتيل والقطمير حتى خفت ان لا
انجو ثم قمت فخرجت فقيل لى اثبت وتمسك على ما أنت عليه فبينما أنا سائر فاذا بجيفة قد

علا تنها الخلائق فضر بتها برجلى وقلت لمن معى لمن هذه الجيفة فقيل لى هذا الحجاج بن يوسف فضر بته برجلى فقلت له ما فعل الله بك يا حجاج قال يا أمير المؤمنين والله لقد قتلت بكل قتيل قتلته قتلة بسيف من نار ولقد قتلت بسعيد بن جبير اثنين وسبعين قتلة فقلت فآخر أمرك ماهو قال انا ههنا انتظر ما ينتظر من وحد الله وآمن برسوله قالت فاطمة فلم يبق عمر بعد هذه الرؤيا الا يسيرا حتى مرض مرضه الذى مات فيه فدخل عليه مسلمة ابن عبد الملك فقال له يا أمير المؤمنين انك لتترك ولدك عالة على الناس فاوص بهم الى كفك أمرهم فانك لم تمولهم شيئا ولم تعطهم فقال عمر يا أباسعيد ان ولدى لهم الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ثم دعاهم عمر وهم أربعة عشر غلاما فنظر اليهم عمر وقد لبسوا الخشن من قباطى مصر فاغر ورقت عيناه بالدموع قال لهم أوصيكم بتقوى الله العظيم وليجل صغيركم كبيركم وليرحم كبيركم صغيركم ثم قال لمسلمة يا اباسعيد انما ولدى على أحد امرين اما عامل بطاعة الله فان يضيعه الله واما عامل بمعصيته فلا أحب ان يعينه بالمال فقوموا عصمكم الله ووفقكم ثم دعا رجاء بن حيوة فخلا به فقال يا رجاء ان الموت قد نزل وأنا أعهد اليك عهدا لا أعهد الى غيرك اذا انا مت فكن ممن يقبرنى فاذا سويت على اللبن فارفع لبنة ثم اكشف عن وجهى وانظر اليه فانى قبرت ثلاثة رجال بيدى وكشفت عن وجوههم فنظرت وجوههم قد اسودت وعيونهم قد برزت من وجوههم فاكشف عن وجهى يا رجاء وانظر اليه فان رأيت شيئا من هذا فاستر على ولا تعلم به احدا وان رأيت غير ذلك فاحمد الله عليه قال رجاء ففعلت ذلك فاما سوينا عليه اللبن رفعت لبنة وكشفت وجهه فاذا وجهه مثل القمر ليلة البدر واذا على صدره صك فيه خط ليس من كتابة الآدميين بسم الله الرحمن الرحيم كتاب بالقلم الجليل من الله العزيز العليم براءة لعمر بن عبد العزيز من العذاب الاليم

﴿ ماعلم به موت عمر رحمه الله فى الامصار ﴾

وذكروا ان رجلا من أهل المدينة قال وفد قوم من أهل المدينة الى الشام فنزلوا برجل فى أوائل الشام موسعا عليه تروح عليه ابل كثيرة وابقار واغنام فنظروا الى شىء لا يعلمونه غير ما يعرفون من غضارة العيش اذ أقبل بعض رعاته فقال ان السبع عدا اليوم

على غنمى فذهب منها بشاة فقال الرجل انالله وانااليه راجعون ثم جعل يأسف اسفا شديدا فقلنا بعضنا لبعض ماعندهذا خيرا يتأسف و يتوجع من شاة اكلها السبع فكلمه بعض القوم قال له ان الله تعالى قد وسع عليك فما هذا التوجع والتأسف قال انه ليس مما ترون ولكني أخشى ان يكون عمر بن عبد العزيز قد توفى الليلة والله ماتعدى السبع على الشاة الالموته فأثبتوا ذلك اليوم فاذا عمر قد توفى فى ذلك اليوم وذكروا انهم سمعوا رجلا يحدث و يقول بينا رجل باليمن نائم على سطح له ذات ليلة اذ تسور عليه كلب فسمعه وهو يقول لهرة له أى جنة هل من شيء أصيبه فانى والله أكال فقالت له الهرة ماثم شيء لقد غطوا الاناء وأكفؤا الصحفة فقال لها هل تدنينى من يد صبى أوقدر لم تغسل اشمها لتردلى روحى قالت الهرة ما كنت لاخونهم امانتى فمن أين أقبلت تشكوالكلل والجوع قال من الشام شهدت وفاة عمر بن عبد العزيز وحضرت جنازته قالت انالله وانااليه راجعون نور كان فى الدنيا فطمس ثم زالت عنه وتحت وفرت منه وهابته خوفا من ان يعدو عليها ثم انسل الكلب ذاهبا فلما أصبح الرجل جعل يقول للهرة أى جنة جزاك الله عنا خيرا قال فاستوبرت الهرة وذهبت فلم تر بعد فكتب ذلك اليوم فجاءهم موت عمر فى ذلك اليوم وذكروا ان زياد بن عبد الله أخبرهم قال كان رجل فى بعض كور الشام يعالج اندرا له مع زوجته وكان قد استشهد ابن لهما منذ زمان طويل فنظر الرجل الى فارس مقبل نحوهما فقال الرجل لزوجته يا فلانة هذا والله ابنى وابنك مقبل فنظرت المرأة فقالت أخدعك الشيطان انك مفتون بابنك وابنك تشبه به الناس كلهم كيف يكون ابنك وابنك استشهد منذ حين فاستعاذ الرجل بالله من الشيطان الرجيم ثم أقبل على أندره يعالجه ودنا منهما الفارس ثم نظر ثانية قال يا فلانة ابنى والله وابنك فنظرت ودنا منهما الفارس فلما وقف عليهما فاذا هو ابنهما قال فسلم عليهما وسلما عليه فقالا له يا بنى أما كنت استشهدت منذ حين قال نعم الاان عمر بن عبد العزيز توفى الليلة فاستأذن الشهداء ربهم عز وجل فى شهود جنازته فاذن لهم وكنت فيهم فاستأذنت ربى فى زيارتكما والنظر فاذن لى ثم ودعاه وسلما عليه ودعا لهم ثم ذهب

﴿ ولاية يزيد بن عبد الملك بن مروان ﴾

وذكروا ان الامر صار بعد عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك بعهد سليمان أخيه اليه بذلك والى عمر وكان يزيد قبل ولايته محبوبا فى قريش بجميل ماخذه فى نفسه وهديه وتواضعه وقصده وكان الناس لا يشكون اذا صار اليه الامر ان يسير بسيرة عمر لما ظهر منه فلما صارت اليه الخلافة حال عما كان يظن به وسار بسيرة الوليد أخيه واحتذى على مثاله وأخذ ماخذه حتى كان الوليد لم يمت فعظم ذلك على الناس وصاروا من ذلك الى أحوال يطول ذكرها حتى هموا بخلعه وجاءهم بذلك قوم من أشراف قريش وخيار بنى أمية وكانت قلوبهم قد سكنت الى هدى عمر واطمأنت الى عدله بعد النفار والانكار لسيرته وعاد ذلك من قلوبهم الى الرضا بامره والقنوع بقصده عليهم وتقصيره فى ادراك المطامع والعطايا عليهم وانهم منهم نفر بالخلع والخروج فاخذهم عمه محمد بن مروان بن الحكم فاسكنهم السجن عشرين شهرا ثم دس لهم السم فماتوا جميعا وأقصى من سائر قريس ثلاثين رجلا بعد ان اغرمهم مائة ألف ألف ربا عقر أموالهم وربا عهم وحمل العذاب عليهم والنكال حتى اصارهم عالة يتكففون الناس متفرقين فى كور الشام وآفاق البلاد وصاب من الناس جملة عن ألف هؤلاء القوم وآتهم عصا نعتهم ومصاحبتهم وكانت ولايته فى ربيع الاول سنة احدى ومائة ومات سنة ست ومائة

﴿ ولاية هشام بن عبد الملك ﴾

وذكروا ان عبد الملك بن مروان بينما هو يوما فى بعض بوادى الشام يتطوف اذ نظر الى ساع يسعى اليه فوقف منتظرا له فلما قاربه قال له ماوراءك فقال ولدت المخزومية غلاما قال فسمته قال هشاما قال هشم الله رأسها فقال له قبيصة بن ذؤيب ولم يا أمير المؤمنين قال أخبرنى أبى مروان انه سمع بشرة بنت صفوان تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول راحة أصحابى معاوية ولا راحة لهم بعد معاوية وراحة العرب هشام ولا راحة لهم بعد هشام وذكروا ان هشاما صارت اليه الخلافة فى سنة ست ومائة فكان محمود السيرة ميمون النقيبة وكان الناس معه فى دعة وسكون وراحة لم يخرج عليه خارج ولم يقم عليه قائم الا ما كان من قيام

زيد بن على بن الحسين فى بعض نواحى الكوفة فبعث اليه ابن هبيرة وكان عامل الكوفة فاخذ زيد فاتى به ابن هبيرة فامر بقتله دون رأى هشام فلما بلغ ذلك هشاما عظم عليه قتله واعظم فعل ابن هبيرة واجتراءه على قتل قرشي دون مشورة حتى جعل يقول مثل زيد بن على فى شرفه وفضله يقتله ابن هبيرة وما كان عليه من قيامه ان هذا لهو البلاء المبين مازال ابن هبيرة مبغضا لاهل هذا البيت من آل هاشم وآل عبد المطلب ووالله لازلت لهم محبا حتى أموت ثم عزل ابن هبيرة عن الكوفة واغرمه ألف ألف ولم يزل له شيئا حتى مات وكانت أيام هشام عشرين سنة وولى سنة ست ومائة وتوفى سنة ست وعشرين ومائة بعد ان حج احدى عشر حجة وهو خليفة

﴿ قدوم خالد بن صفوان بن الاهتم على هشام ﴾

وذكروا ان شبيب بن شيبة أخبرهم عن خالد بن صفوان بن الاهتم قال أوفدنى يوسف بن عمر الى هشام فى وفد العراق فقدمت عليه وقد خرج متنديا فى قرابته وأهله وحشمه وحاشيته من أهله الى بعض بوادى الرصافة فنزل فى أرض قاع صحصح أفيح فى عام قد بكر وسميه وقد ألبست الارض أنواع زهرتها وأخرجت الوان زينتها من نور ربيعها فهى فى أحسن منظر وأجمل مخبر بصعيد كان ترابه قطع الكافور فلوان قطعة دينار ألقيت فيه لم تترب وقد ضرب له سرادقات من حبرات اليمن مزرورة بالفضة والذهب وضرب له فسطاط فى وسطه فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها وعليه دراعة خز أحمر وعمامة مثلها وضربت حجر نسائه من وراء سرادقه وعنده أشراف قريش وقد ضربت حجر بنيه وكتابه وحشمه بقرب فسطاطه ثم أمر الربيع حاجبه فاذن للناس اذنا عاما فدخلوا عليه وأخذ الناس مجالسهم قال خالد فادخلت رأسى من ناحية السماط فاطرق ثم رفع رأسه ونظر الى شبه المستنكر وكنت قد حليت عنده ببلاغة وفهم وحكمة فقلت أقر الله نعمته عليك يا أمير المؤمنين وكرامته وسوغك شكره يا أمير المؤمنين ومد لك فى المزيد فيها بفضله ثم وصلها بعد بطول العمر وتابع الكرامة الباقية التى لا انقطاع لها ولا نفاد لشىء منها حتى يكون آجل ذلك خيرا من عاجله وآخره أفضل من أوله وعاقبته خيرا من ابتدائه وجعل

ماقلدك من هذا الامر رشدا وعاقبته تؤول الى أحمد ودرك الرضا وأخلص لك ذلك بالتقوى وكثره لك بالنماء ولا كدر عليك منك ماصفا ولا خالط سروره أذى فقد أصبحت للمسلمين ثقة وستر ايفزعون اليك فى أمورهم و يقصدونك فى حوائجهم وما أجد يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداك شيئاً ابلغ فى حقك وتوفير مجلسك اذ من الله على بمجالستك والنظر الى وجهك منى وما أجد فيما أظهر ذلك الا فى ما اكرتك نعم الله التى أنعم بها عليك وأحسن فيها اليك ونبهك الى شكرها ثم انى لا أجد شيئاً هو أبلغ فى ذلك ولا أجمع من ذكر حديث لملك خلا من الملوك كان فى سالف الامم فان اذن أمير المؤمنين اكرمه الله حدثته قال وكان هشام متكئاً فاستوى جالسا وقال هات يا ابن الاهتم قال قلت يا أمير المؤمنين ان ملكا كان فيما خلا مجتمعا له فيها فناء السن واعتدال الطباع وتمام الجمال وكثرة المال وتمكين الملك وكان له ذلك الى البطر والمرح داعيا وعلى الغفلة والذهول معينا فخرج متنزها الى بعض منازله فصعد جوسقا له فاشرف على ارض قد أخضلها ربيع عامه كان شبيها بعامك هذا يا أمير المؤمنين فى خصبه وعشبه وكثرة زهره وحسن منظره فنظر فرجع اليه بصره كليلا عن بلوغ أقصى أمواله من الضياع والابل والخيل والنعم فقال لنفر من ناديه لمن هذا قيل له لك فاعجبته نفسه وما بسط له من ذلك حتى أظهر فرحه وزهوه ثم قال لجلسائه هل رأيتم مثل ما أنا فيه أم هل أوتى احد مثل ما أوتيت وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والعلم والمضى على أدب الحق ومنهاج الصدق فى الضمير والمقالة وقد قيل ان الله الجليل لم يخل الارض منذ اهبط آدم من قائم يقوم بحجة الله فيها وكان ذلك الرجل ممن يسامره قال أيها الملك قد سألت عن امر افتأذن لى بالجواب فيه قال نعم قال أرأيتك هذا الذى أعجبك مما عليه اطلع نظرك واستطال ملكك وسلطانك أشىء لم يزل لك ولم يزل عنك أم شىء كان لغيرك فزال عنه اليك ثم هو صائر الى غيرك كما صار اليك قال الملك بل كما ظننت ومثلت قال فانى اراك أعجبت بما يفنى وزهدت فيما يبقى وسررت بقليل وحسابه غدا طويل قال ويحك فكيف المطلب واين المهرب وما الحيلة فى المخرج قال احدى خصلتين اما ان تقيم فى ملكك فتعمل فيه بطاعة ربك على ماسرك وساءك

وامضك واما ان تضع تاجك ونجادك وتذكر ذنوبك وتلحق فى الخلاء بن يغزلك
فتعبد فيه ربك حتى يوافيك اجلك وتنقضى مدتك وانت عامل لربك فيما يعطيك
قال فاذا فعلت ذلك فمالى فقال ملك خالد لا يفنى ونعيم لا ينقضى ومزيد وكرامة
وصحة لا تسقم أبدا وسرور لا ينصرم وشباب لا يشوبه هرم وقرار لا يخالطه هم
قال الملك سأنظر الى نفسى فى الاختيار لهما مما ذكرت لى فاذا كان وقت السحر
فاقرع على بابى لتعرف رأيى فانى مختار احدى المنزلتين فان أقمت فى ملكى
واخترت ما أنا فيه كنت وزيرا لا تعصى وان خلوت كنت رفيقا لا تجفى فلما
كان السحر قرع عليه بابه فاذا هو قد وضع تاجه ولبس أطماره فلحقا بالجبل
فلم يزالا يعبدان الله فيه حتى بلغ اجلهما وانقضى عمرهما فبكى هشام حتى بل لحيته
ثم نكس رأسه طويلا ثم أمر بنزع ابنيته وانتقاله واقبلت العامة من الموالى على
ابن الاهتم فقالوا له ماذا اردت لامير المؤمنين افسدت عليه لذته ونغصت عليه شهوته
وقد حرمتنا ما أملنا فيه قال اليكم عنى فانى عاهدت ربى انى لا أخلو بملك الا ذكرته الله
ونبهته ورشدته ثم رجع خالد الى فسطاطه كئيبا حزينا متخوفا يظن ان قد هلك وكان
للربيع صديقا فبينما هو كذلك اذا اتاه رسول الربيع فقال يا صفوان يقول لك أخوك
الربيع من كان فى حاجة الله كان الله فى حاجته انك لما وليت من عند امير المؤمنين
جعل يقول لله در ابن الاهتم أى رجل دنيا وأخرى مره يا ربيع فليرفع حوائجه وليغد
الينا بها نقضها له فقال الربيع فاغد علينا بحوائجك رحمك الله واحمده على ما صنع واذهب
من مخافتك فغدا عليه بحوائجه فقضيت وذكروا انه لم يكن فى بنى أمية ملك أعظم
من هشام ولا أعظم قدرا ولا اعلا صوتا منه دانت له البلاد وملك جميع العباد وأديت اليه
الجزية من جميع الجهات من الروم والفرس والترك والافرنج والزنج والسند والهند
وكان قريبا من الضعفاء مهتما باصلاح الادواء لم يجترئ أحد معه على ظلامة ولم يسلك
احد معه الا سبيل الاستقامة وكان له موضع بالرصافة افيح من الارض يبرز فيه فتضرب
له به السرادقات فيكون فيه ستين ليلة بارزا للناس مباحا للخلق لا يغفى ايامه تلك الا برد
المظالم والاخذ على يد الظالم من جميع الناس واطراف البلاد ويصل الى مخاطبته بذلك

الموضع داعى السوام والامة السوداء فمن دونهما قدوكل رجالا ادباء عقلاء بادناء الضعفاء والنساء واليتامى منه وامرهم باقضاء اهل القوة والكفاية عنه حتى يأتى على آخر مايكون من امره فيما يرفع اليه لا ينضم اليه رجل يريد الوصول اليه فينظروا اوضع منه الا أدنوا الاوضع وابعدوا الارفع حتى ينظر فى شأنه ويعرف امره وينفذ فيه ماامر ولا يرفع اليه ضعيف ولا امراة امراوظلامة على غطريف من الناس مرتفع القدر ولا مستخدم به الا امر باقتضاء يمينه واغداه بمطلبه لا يقبل لهم حجة ولا يسمع لهم من بينة حتى لربما مر به المراة والرجل اوعابر سبيل لا حاجة له فيما مر به فيقال له ماحاجتك وما قصتك وماظلامتك فيقول انما سلكت اريد موضع كذا اروم بلد كذا فيقول له لعلك ظلمك احد من آل الخليفة تهاب امره وتتوقع سطوته فذلك الذى منعك عن رفع ظلامتك الى امير المؤمنين فيقول لا والله لا ابغى الا ما قلت فيقال له اذهب بسلام حتى لربما انت عليه تارات من الليل وساعات من النهار لا ينظر فى شىء ولا يأتيه احد فى خصومة لاستغناء الناس عن المطالب وتعففا من المظالم ورقاية من سطواته وتخوفا من عقوبته وقد وسع العباد امنه واشعرهم عدله وصارت البلاد المتنائية الشاسعة كدار واحدة ترجع الى حاكم قاضى يرقبه الناس فى المواضع النائية عنه كما يرقبه من معه وقد وضع العيون والجواسيس من خيار الناس وفضلاء العباد فى سائر الامصار والبلدان يحصون اقوال الولاة والعمال ويحفظون اعمال الاخيار والاشرار قد صار هؤلاء اعقابا يتعاقبون ينهض قوم باخبار ما بلوا فى المصر الذى كانوا فيه ويقبل آخرون يدخلون مسترقين ويخرجون متفرقين لا يعلم منهم واحد ولا يرى لهم عابر فلا خبر يكون ولا قصة تحدث من مشرق الارض ولا مغربها الا وهو يحدث به فى الشام وينظر فيه هشام وقد اقصر نفسه على هذه الحال وحببت اليه هذه الافعال فكانت ايامه عند الناس احمد ايام مرت بهم واعفاها وارجاها قد لبس جلباب الهيبة على اهل العنود والكنود وارتدى برداء التواضع الى اهل الخشوع والسكون وكان قد حبب اليه التكاثر من الدنيا والاستمتاع بالكساء لم يلبس ثوبا قط يوما فعاد اليه حتى لقد كان كساء ظهره وثياب مهنته لا يستقل بها ولا يحملها الا سبعمائة بعير من اجلد ما يكون من الابل

وأعظم مايحمل عليه من الجمـال وكان مع ذلك يتقللها وطالت أيامه واستبطأ صاحب العهد بموته فناوأه وعاداه وانتقل عن الموضع الذى كان به هو والوليد بن يزيد ابن عبد الملك فمـات هشام والوليد غائب فاتاه موته فامر بقفل الخزائن فلم يجدوا لهشام مايكفنونه به واستؤذن الوليد فى اقباله فلم يدفن هشام حتى قدم الوليد وذلك فى ثلاثة أيام

﴿ بدء الفتن والدولة العباسية ﴾

وذكروا ان الهيثم بن عدى أخبرهم قال اختلفت روايات القوم الذين عنهم حملنا وروينا ذكر الدولة فحملنا عنهم مااختلفوا فيه وألفناه فكان أول مااختلفت فيه الرواية ولم تلائمه الحكاية أشياء سنذكرها فى موضعها من هذا الكتاب ان شاء الله واقتصرنا على معانيها وبعد بعض الفاظها لطول أخبارها واجتنينا الجزل السمين من اللفظ ورددنا هزيله لنزر فائدته وقلة عائدته وقد اختصرنا واشبعنا اذلم نترك من المعانى المتقـدمة شيئا والله الموفق للصواب فكان ممـا ألفنا بدأ من ذكر الدولة ماأخبرنا عن الهيثم بن عدى عن الرجال الذين حدثوه قالوا لـمـا سلم الحسن بن على الامر الى معـاوية بن أبى سفيان قامت الشيعة من أهل المدينة وأهل مكة واهل الـكوفة واليمن واهل البصرة وأرض خراسان فى ستر وكتمان فاجتمعوا الى محمد بن على وهو محمد بن الحنفية فبايعوه على صلب الخلافة ان أمكنه ذلك وعرضوا عليه قبض زكاتهم لينفقوها يوم الوثوب على فرصته فيما يحتاج من النفقة على مجاهدته فقبلها وولى على شيعة كل بلد رجلا منهم وأمره باستدعاء من قبله منهم فى سر وتوصية اليهم ألا يبوحوا بمكتومهم الا لمن يوثق به حتى يرى للقيام موضعا فأقام محمد بن الحنفية امام الشيعة قابضا لزكاتهم حتى مات فلما حضرته الوفاة ولى عبدالله ابنه من بعده وأمره بطلب الخلافة ان وجد الى ذلك سبيلا وأعلم الشيعة بتوليته اياه فأقام عبدالله بن محمد بن على وهو أمير الشيعة فبلغ ذلك سليمان بن عبدالملك فى أول خلافته ان الشيعة قد بايعت عبدالله بن محمد بن على بعد أبيه فبعث اليه وقد أعدله فى افواه الطرق رجالا معهم أشربة مسمومة وأمرهم اذا خرج من عنده أن يعرضوا عليه الشراب فلما دخل على

سليمان أجلسه الى جانبه ثم قال له بلغني ان الشيعة بايعتك على هذا الامر فجحده عبدالله وقال بلغك الباطل ومازال لنا أعداء يبلغون الائمة قبلك عنا مثل ما بلغك ليغروهم بنا فيدفع الله عنا كيد من ناوأنا وانا بما يلزمني من مؤنتي اشغل مني بطلب هذا الامر ثم خرج من عنده فى وقت شديد الحر فكان لا يمر بموضع الا قام اليه الرجل بعد الرجل يقول له هل لك فى شربة سويق اللوز وسويق كذا وكذا يا ابن بنت رسول الله ونفسه موجسة منهم فيقول بارك الله لكم حتى اذا خرج الى آخر الطريق خرج اليه رجل من خبائه وبيده عس فقال له هل لك فى شربة من لبن يا ابن بنت رسول الله فوقع فى نفسه ان اللبن مما لا يسم فشرب منه ثم مضى فلم ينشب ان وجد للسم حسا فاستدل على الطريق الى الحميمة وبها جماعة آل عباس وقال لمن معه ان مت ففى أهلى ثم توجه فنزل على محمد بن على بن عبد الله بن عباس فاخبره الخبر وقال له اليك الامر والطلب للخلافة بعدى فولاه وأشهد له من الشيعة رجالا ثم مات فأقام محمد بن على بن عبدالله بن عباس ودعوة الشيعة له حتى مات فلما حضرته الوفاة ولى محمد ابن ابراهيم الامر فأقام وهو أمير الشيعة وصاحب الدعوة بعد أبيه

﴿دخول محمد بن على على هشام﴾

وذكروا ان محمد بن على بن عبدالله بن عباس دخل وهو شيخ كبير قد غشى بصره على هشام بن عبد الملك متوكئا على ولديه أبى العباس وأبى جعفر فسلم ثم قال له هشام ماحاجتك ولم يأذن له فى الجلوس فذكر قرابته وحاجة به ثم استجداه فقال له هشام ماهذا الذى بلغنى عنكم يا بنى العباس ثم يأتى أحدكم وهو يرى انه أحق بما فى أيدينا منا والله لا أعطيتك شيئا فخرج محمد بن على فقال هشام كالمستهزئ ان هذا الشيخ ليرى ان هذا الامر سيكون لولديه هذين أو لاحدهما فرجع محمد نحوه فقال أما والله انى أرى ذلك على رغم من رغم فضحك هشام وقال اغضبنا الشيخ ثم مضى محمد بن على

﴿ولاية الوليد بن يزيد وفتن الدولة﴾

وذكروا ان الوليد بن يزيد لما تولى الامر بعد هشام أساء السيرة واتحى على أهله وجماعة قريش واحدث الاحداث العظيمة وسفك الدماء وأباح

الحريم وكانت ولايته فى سنة ست وعشرين ومائة فلما استولى على الامر بعث الى اشراف الاجناد فقدموا عليه وقدم خالد فيمن قدم فلم يأذن لواحد منهم وكان مشتغلا بلهوه ولعبه ومرض خالد فاستؤذن له فى الانصراف فأذن له فانصرف الى دمشق فأقام بها شهراً . ثم كتب اليه الوليد ان أمير المؤمنين قد علم الخمسين ألف ألف التى تعلم فأقدم بها على أمير المؤمنين مع رسوله فقد أمره ان لا يعجلك عن جهازك فبعث خالد الى عدة من ثقاته فيهم عمارة بن أبى كلثوم فاقرأهم كتاب الوليد وقال أشيروا على برأيكم . فقالوا ان الوليد ليس بمأمون فالرأى ان تدخل مدينة دمشق فتأخذ بيوت الاموال وتدعو الى من أحببت والناس قومك ولن يختلف مناعليك اثنان فقال لهم وماذا قالوا تأخذ بيوت الاموال وتجمع اليك قومك حتى تتوثق لنفسك قال وماذا قالوا نتوارى . فقال أما قولكم ان أدعو الى من أحببت فانى أكره ان تكون الفرقة على يدى وأما قولكم ان آخذ بيوت حتى الاموال أتوثق لنفسي فأنتم لا تأمنونى عليها ولا ذنب لى فكيف لى ترجون وفاة بما يعطينى وقد فعلت ما فعلت وأما قولكم فى التوارى فوالله ما قنعت رأسى خوفا من أحد قط فالآن وقد بلغت من السن ما بلغت ولكنى أمضى وأستعين بالله تعالى .

(قتل خالد بن عبد الله القسرى)

وذكروا أن خالد بن عبد الله القسرى شخص الى الوليد بن يزيد حتى قدم على معسكره فلم يدع به الوليد ولم يكلمه وهو يختلف اليه غدوة وعشية حتى قدم براس يحيى بن زيد بن على بن الحسين من خراسان فجمع الناس الاذن فحضر الاشراف وجلس الوليد وجاء خالد الى الحاجب فقال ان حالى كما ترى لا أقدر على المشى وانما أحمل فى الكرسى قال الحاجب ما يدخل أحد على أمير المؤمنين على هذه الحال ثم أذن له فحمل على كرسيه ثم دخل على الوليد وهو جالس فى سريره والمائدة موضوعة فلما دخل عليه قال له الوليد أين ولدك يزيد بن خالد فقال قد أصابه من هشام ظفر فخلى سبيله ثم طلب فهرب فكنا نراه عند أمير المؤمنين ثم استخلفه الله فقال له الوليد لكنك خلفته طالبا للفتنة فقال خالد قد علم أمير المؤمنين انا أهل بيت طاعة

أناوأبي وجدي فقال له الوليد لتأتيني بابنك أولا زهقن نفسك فقال له خالد هذا الذي تريد والله لو كان ابني تحت قدمي مارفعتهما لك فاصنع مابدالك . فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبسط عليه والاخذ له وقال له أسمعني صوته فذهب به غيلان الى رحله فعذبه بالسلاسل والحديد فلم يتكلم بكلمة فرجع غيلان الى الوليد فقال له والله لا أعذب انسانا لا يتكلم فقال له كف عنه واحتبسه ففعل فقام يوسف ابن عمر فقال أنا أشتريه بخمسين ألف ألف فأرسل الوليد الى خالد أن يوسف بن عمر قدسأل أن يشتريك بخمسين ألف ألف فان ضمنتها لامير المؤمنين والادفعتك اليه . قال خالد ماعهدنا العرب تباع فدفعه الى يوسف بن عمر فنزع ثيابه وألبسه عباءة وألحقه أخرى وحمله على محمل ليس تحته وطاء فبسط عليه وعذبه وخالد لا يكلمه بكلمة ثم ارتحل حتى اذا كان ببعض الطريق عذبه يوما ثم وضع المضرسة على صدره فقتله في الليل فدفن في الحيرة وذلك في المحرم سنة سبع وعشرين ومائة .

﴿ وثوب أهل دمشق على الوليد بن يزيد وقتله ﴾

وذكروا أن يزيد بن خالد دب في أهله وتحمل في عشائره فاجتمع أمرهم على الوليد بن يزيد فبيناهم يديرون أمرهم اذ انطلق ساع الى الوليد قال له أدلك على يزيد بن خالد قال نعم فبعث الوليد مولى له وأمره ان يكمن النهار ويسير الليل حتى أتى دمشق ليلا ويزيد مختف بدمشق في منزل رجل عند باب السوق فاقتحم عليه المنزل فأخذه وشخص به من ساعته حتى قدم على الوليد فأمر بالبعث به الى يوسف ابن عمر بالعراق قال له يزيد يا أمير المؤمنين أنا أدفع لك الخمسين ألف ألف التي طلبت من خالد في ثلاث سنين على أن تكتب الى الآفاق بامان من كانت لي عنده وديعة وأمان فيها ذمتي وموالي فقبل منه الوليد ذلك فأمر بالكتب الى العراق والحجاز وكور الشام في ذلك واحتبس يزيد عنده وجعل عليه القيود والحرس ثم ارتحل الوليد ومعه خدمته وشرطته وتواعد أهل اليمن ان يثوروا اذا صلوا العتمة في المسجد وكانت العلامة بينهم ان يلتمس أحدهم صاحبه . فلما تفرق أهل المسجد فاستخرجوا يزيد بن الوليد من منزله ثم أتوا به القصر وعلى دمشق يومئذ رجل من بني

الحجاج وكان قدخرج من الطاعون واستخلف رجلا من قيس فدخلوا عليه فأوثقوه
كتافا وأوثقوا كل من خافوا خلافه فتسلل رجل حتى أتى الوليد بن يزيد فأخبره
الخبر فلما أصبحوا غدوا الى الوليد فبعث الوليد فى طلب يزيد بن خالد وهو عنده فى
الحديد فقال له ان قومك قدخرجوا بين يدى الوليد فارددهم عن أمير المؤمنين ولك
الله ان أوليك العراق وادفع اليك يوسف فتقتله بابيك فقال له يزيد بن خالد وتوثقنى
ياامير المؤمنين قال نعم فتوثق له وحلف قال فارسلنى اليهم حتى أردهم عنك فقال له الوليد
بل اكتب اليهم قال ان كتابى لايغنى شيئاً وقدعلموا انى فى يديك وانى سأكتب
بمـا تريد فأمر باطلاقه من الحديد ورده الى حبسه وأمر الحرس يتحفظون به ثم ارتحل
الوليد بيزيد بن خالد معه فلما كان الفجر صبحته أوائل الخيل خيل أهل اليمن فأرسل
الوليد الى يزيد بن خالد فقال له يزيد خل عنى حتى أردهم عنك فبينما هم على ذلك اذ التقى
القوم فشدت الميمنة وقد طلعت الشمس واختلط الناس وكثر القتل وتخلص يزيد
ابن خالد من الحرس فهرب فاتوه ببرذون من براذين الوليد وأتى بسيف فتقلده ثم
نادى مناديه من جاء برأس الوليد فـله مائة الف دينار ونودى فى العسكر من دخل
رحله فهو آمن فنادى الوليد ياأهل الشام ألم أحسن اليكم ألم أفعل كذا فعدد احسانه
فقال عبد السلام بلى قدفعلت ولكنك عمدت الى شيخنا وسيدنا خالد بن عبدالله قد
عزله الخليفة قبلك وأخذ امواله ثم خلى عنه فدفعته الى يوسف بن عمر بالبيع فادرعه
ثم حمله على محمل بلا وطاء ثم انطلق به فعذبه حتى قتل شر قتل يكون فقال لهم الوليد
فاخلعونى فى قميصى هذا وولوا من شئتم فانصرفوا الى قومهم فاعلموهم بمـا رضى
من الخلع فقالوا الا رأسه فتدلى القوم الى القصر وانتهى يزيد بن خالد الى الباب
وعليه سلسلة فأمر بها فكسرت وكسر الباب وخرج الوليد يسعى حتى دخل بيتاً من
بيوت القصر ودخل عليه نحو من ثلاثين رجلا وهو قائم بيده السيف منكسا رأسه
لاينظر اليهم وهو يذب عن نفسه فضربه رجل ضربة ثم صرعه ثم أكب عليه فاحتز
رأسه فخرج به وانصرف الناس الى دمشق فبايع الناس ليزيد بن الوليد بن عبدالملك
وذلك فى ذى الحجة من سبع وعشرين ومائة فكان خليفة ستة أشهر ثم مات فى

جمادى الاولى ثم ولى ابراهيم بن الوليد فبويع له فى جمادى الاولى فمكث ثلاثة أشهر ثم خلع وهرب ﴿ ولاية مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ﴾

وذكروا انه لما خلع ابراهيم بن الوليد خرج مروان بن محمد فى صفر سنة سبع وعشرين ومائة ومعه أهل الجزيرة واهل حمص فدعا الى نفسه بالبيعة ووعد الناس خيرا فرضى به أكثر الناس لشجاعة كانت فيه وسخاء يوصف به فملك الشام واستقل له الامر وغلظ شأنه واستعلى سلطانه وبايع له اهل العراق والحجاز وهابه الناس وخافوه واستعمل العمال فى الافاق والامصار وكانت الشيعة تتكاتب على الكتمان لذلك وتتلاقى على السر فلما كانت سنة ثمان اجتمعت الشيعة

﴿ خروج أبى مسلم الخراسانى ﴾

وذكروا ان الشيعة لما اجتمعت وغلظ أمرهم بخراسان قرب منهم سليمان بن كثير وقحطبة بن شبيب فلقوا ابراهيم بمكة فقالوا قد قدمنا بمال قال وكم هو قالوا عشرين الف دينار ومائتى الف درهم وبمسك ومتاع قال ادفعوه الى عروة مولى محمد بن على ففعلوا فكان يحيى بن محمد يتبعهم ويسألهم فيقول ماقصتكم وفى أى شىء جئتم فلا يخبروه فذكروا ذلك لابراهيم فقال احذروه فانه قليل العقل ضعيف الرأى فجاء الى ابراهيم فقال له ان على دينا والله لئن لم تعطنى قضاء دينى لارفعن امرك الى عبد العزيز بن عمر وهو يومئذ على الموسم فاعطاه خمسة آلاف درهم وقدموا بابى مسلم معهم وقد خرج أصحابه من السجن فاعلموا ابراهيم انه مولاه فقال لسليمان قد ربى امركم فانت على الناس فاخرج الى خراسان وقد كان أبو مسلم قدم على ابراهيم قبل ان ينصرف أصحابه فرأى عقله وظرفه فكتب الى اصحابه انى قد أمرته على خراسان وماغلب عليها فأتاهم فلم يقبلوا قوله وخرجوا من قابل فالتقوا بمكة فاعلمهم أبو مسلم انهم لم ينفذوا كتابه قال ابراهيم انه قد أجمع رأيه على هذا فاسمعوا له واطيعوا ثم قال لابى مسلم ياابا عبد الرحمن انك رجل منا اهل البيت فاحفظ وصيتى انظر هذا الحى من اليمن فاكرمهم فان الله لايتم هذا الامر الابهم وانظر هذا الحى من ربيعة فاتهمهم وانظر هذا الحى من مضر فانهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت

فى امره ومن وقع فى نفسك منه تهمة فقال ايها الامام فان وقع فى أنفسنا من رجل هو على غير ذلك احبسه حتى تستبينه قال لا السيف السيف لا تتقى العدو بطرف ثم قال للشيعة من اطاعنى فليطع هذا يعنى أبا مسلم ومن عصاه فقد عصانى ثم قال له ان استطعت انا لا تدع بخراسان ارضا فيها عربى فافعل وايما غلام بلغ خمسة أشبار فاتهمته فاقتله ولا تخالف هذا الشيخ يعنى سليمان بن كثير ولا تعصه فشخصوا الى خراسان ووقعت العصبية بخراسان بين نصر بن سيار كان عامل مروان عليها وبين الكرمانى فدخل على نصر بن سيار رجل فقال له ان مروان بن محمد قد خالف ماظن به الناس وقد كان رجى وامل ومارأى امره الا وقد انتقض واجترأت عليه الخوارج وانتقضت عليه البلاد وخرج عليه ثابت بن نعيم ورأى الاشغال بلذاته اهم عليه فلو اجتمعت كلمتك مع الكرمانى فانى خائف ان يوقعك هذا الخلاف فيما نكره وانت شيخ العرب وسيدها وأرى والله فى هذه الكور شيئاً واسمع امورا اخاف ان تذهب اوتذهل منها العقول فقال نصر بن سيار والله ما اتهم عقلك ولا نصيحتك ولكن اكفف عن هذا القول فلا يسمعن منك فالتحم ما بين الرجلين وهاجت الحرب وتقاتلوا وجعلت رجال الشيعة تجتمع فى الكور الالف والالفان فيجتمعون فى المساجد ويتعلمون أى يتعارفون بينهم فبلغ ذلك نصر واغتم لذلك وخاف ان وجه اليهم من يقاتلهم ان يتجاوزوا الى الكرمانى فلما استفحل امر القوم وقام بامرهم ابومسلم الخراسانى ثم اجتمعوا واظهروا امرهم فكتب نصر بن سيار الى مروان بن محمد

أرى خلل الرماد وميض نار ... ويوشك ان يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى ... وان الحرب اولها الكلام
اقول من التعجب ليت شعرى ... أايقاظ امية ام نيام
فان كانوا لحينهم نياما ... فقل قوموا فقد حان القيام
ففرى عن رحالك ثم قولى ... على الاسلام والعرب السلام

فكتب اليه مروان ان الشاهد يرى مالا يرى الغائب فقال نصر لما قرأ الكتاب اما صاحبكم فقد اعلمكم ان لا نصر عنده وجعل أبومسلم يكتب الكتب ثم يقول للرسل

مروابها على اليمانية فانهم يتعرضون لكم ويأخذون كتبكم فاذا رأوافيها انى رايت المضرية لاوفاء لهم ولا خير فيهم فلا تثق بهم ولا تطمئن اليهم فانى ارجو ان يريك الله فى اليمانية ماتحب ويرسل رسولا آخر بمثل ذلك على اليمانية فيقول مر على المضرية فكان الفريقان جميعا معه وجعل يكتب الى نصر بن سيار والى الكرمانى ان الامام قداوصانى بكم ولست اعدو رأيه فيكم فجعل نصر يقول ياعباد الله هذه والله الذلة رجل بين اظهرنا يكتب الينا بمثل هذا لانقدرله على ضر ولانفع فلما تبين القوم ان لانصير لهم كتب ابومسلم الى اصحابه فى الكور ان أظهروا امركم فكان أول الناس من سود اسيد بن عبدالله فنادى يامحمد يامنصور فسود معه العكى ومقاتل بن حكم وعمر بن غزوان واقبل أبومسلم حتى نزل الخندقين فهابه الفريقان جميعا فقال لست أعرض لواحد منكم انما ندعو الى آل محمد فمن تبعنا فهو منا ومن عصانا فالله حسيبه فلما جعل أصحابه يكثرون عنده وهو يطمع الفريقين جميعا فى نفسه كتب نصر بن سيار الى مروان بن محمد يذكر استعلاء امر أبى مسلم ويعلمه بحاله وخروجه وكثرة شيعته وانه قد خاف ان يستولى على خراسان وانه يدعو الى ابراهيم بن محمد فاتى مروان الكتاب وقد أتاه رسول أبى مسلم بجواب ابراهيم فأخذ جواب ابراهيم وفيه لعن ابراهيم لابى مسلم حين ظفر بالرجلين الايدع بخرسان عربيا الاقتله فانطلق الرسول بالكتاب الى مروان فوضعه فى يده فكتب الى مروان الى الوليد بن معاوية وهو على دمشق ان اكتب الى عاملك بالبلقاء فليأخذ ابراهيم بن محمد فليشده وثاقا ثم يبعث به اليك ثم وجه به الى فاتى اليه وهو جالس فى مسجد القرية فأخذ الى دمشق ودخل على مروان فانبه وشتمه فاشتد لسان ابراهيم عليه ثم قال ياأمير المؤمنين ماأظن مايروى الناس عنك الاحقا فى بعض بنى هاشم فقال ادركك الله بأعمالك اذهب به فان الله لايأخذ عبداً عند أول ذنب اذهب به الى السجن فقال أبو عبيدة فكنت آتيه فى السجن ومعه عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز فوالله انى ذات ليلة فى سقيفة السجن بين النائم واليقظان اذا مولى لمروان قد استفتح ومعه عشرون رجلا من موالى مروان من الاعاجم ومعه صاحب السجن ففتح لهم فدخلوا واصبحنا فاذا عبد الله بن عمر وابراهيم بن محمد ميتان

فانكسر لذلك أبو مسلم بخراسان اذ بلغه موت ابراهيم وانكسرت الشيعة واستعلى أمر الكرمانى فلما رأى ابو مسلم ذلك قال له انا معك ثم دارت الاحوال بين نصر والكرمانى حتى غدر نصر بالكرمانى فقتله وصلبه فخاف نصر على نفسه من أبى مسلم

﴿ ذكر ما أمال أصحاب الكرمانى الى أبى مسلم ﴾

وذكروا ان أبا مسلم كتب الى نصر انه قد جاءنا من الامام كتاب فهلم بعرضه عليك فان فيه بعض ما تحب فدخل عليه رجل فقال ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فقال نصر ادخل فالبس ثيابى فدخل بستانا له وقد تقدم الى صاحب دوابه فأتاه بدواب فركب وهرب معه داود بن أبى داود وهرب معه بنوه وتفرق أصحابه وجاء القوم الى ابى مسلم فاعلموه انه قد خرج ولا يدرون أين توجه فاستولى ابو مسلم على خراسان فاستعمل عليها عماله ثم وجه اباعون فى ثلاثين الفا الى مروان فلما بلغ مروان الخبر خرج حتى أتى حران فتحمل بعياله و بناته وأهله وقد كان يتعصب قبل لجفا أهل اليمن وأهل الشام وغيرهم وقتل ثابت بن نعيم والسمط بن ثابت وهدم مدائن الشام وتحول الى الجزيرة قال اسماعيل بن عبدالله القسرى دعانى مروان فقال يا أبا هاشم وما كان يكنينى قبلها قد ترى ما حل من الامر وأنت الموثوق به ولا مخبأ بعد بؤس ما الراى فقلت يا اميرالمؤمنين على ما أجمعت قال على ان أرتحل بموالى وعيالى وأموالى ومن تبعنى من الناس حتى أقطع الدرب ثم أميل الى مدينة من مدائن الروم فانزلها واكاتب صاحب الروم واستوثق منه فما يزال يأتينى الخائف والهارب حتى يلتف امرى قال اسماعيل وذلك والله الراى فلما رايت ما اجمع عليه ورايت سوء آثاره فى قومى و بلائه القبيح عندهم قلت له اعيذك بالله يا اميرالمؤمنين من هذا الراى ان تحكم فيك اهل الشرك وفى بناتك وحرمك وهم الروم لا وفاء لهم ولا تدرى ما تأتى به الايام فان انت حدث عليك حادث بالروم ولا يحدث الا خير ضاع اهلك من بعدك ولكن اقطع الفرات ثم استدعى الشام جندا جندا فانك فى كنف وجماعة وعزة ولك فى كل جند صارم يسيرون معك حتى تأتى مصر فانها اكثر ارض الله مالا و رجالا ثم الشام امامك وافريقية خلفك فان رايت ما تحب انصرفت الى الشام وان كانت الاخرى مضيت الى

افريقية قال صدقت ثم استخار الله وقطع الفرات فمر بكورمن كور الشام فوثبوا عليه فأخذوا مؤخر عسكره فانتهبوه ثم مر بحمص فصنعوا له مثل ذلك ثم أتى أهل دمشق فوثبوا عليه ووثب به الوليد بن معاوية وكان عامل مروان على دمشق ثم مضى الى الاردن فوثب به هاشم بن عمر ثم مر بفلسطين فوثب به الحكم ثم مضى الى مصر فأتبعه الحجاج بن زمل السكسكي فقيل له اتتبعه وقد عرفت بغضه لقومك فقال ويحكم انه اكرمنى لمثل هذا اليوم لأخذله وتبعه ايضا ابوسلمة الخلال وثعلبة بن سلامه وكان عامله على الاردن وتبعه ايضا الرماحس فقال انى لاسيرمع مروان حيث جزنا فلسطين فقال يا رماحس انفرجت عنى قيس انفراج الرأس ماتبعنى منهم أحد وذلك انا وضعنا الأمر فى غير موضعه واخرجناه من قوم ايدنا الله بهم وخصصنا به قوما والله ما رأينا لهم وفاء ولا شكرا

﴿ تولية ابى مسلم قحطبة بن شبيب قتال مروان ﴾

وذكروا ان الهيثم بن عدى اخبرهم عن رجال ادركوا الدولة وصحبوا اهلها قالوا لما استولى ابومسلم على خراسان وولى قحطبة الطائى قتل مروان بن محمد وبعث معه ثلاثين الفامن رجال اليمن واهل الشيعة وفرسان خراسان وخرج مروان وهو يريد أبا مسلم بخراسان ومعه مائة ألف فارس سوى اصحاب الحمولة فهرب من بين يديه ابوالعباس وابوجعفر وعيسى بن على بن عبدالله بن عباس فلحقوا بالكوفة فبعث أبوالعباس الى ابى سلمة الخلال واسمه حفص بن سليمان وكان واليا لابراهيم ابن محمد على الشيعة بالكوفة فامره ان بلغه امر فيه قوة لابى مسلم بخراسان ان يظهر امره بالكوفة ويدعو اليه ويناهض صاحب الكوفة ففعل ذلك ابو سلمة فلما غلظ امر ابى مسلم بخراسان واستولى عليها وبعث الجيوش الى مروان اظهر امره بالكوفة وطرد عامل الكوفة فخرج هاربا

﴿ ذكر البيعة لابى العباس بالكوفة ﴾

وذكروا ان ابا مسلم لما بلغه ان اباسلمة قد اظهر امره بالكوفة ودعا الى محمد وجه رجلا من قواده الى الكوفة فى ألفى فارس وأمره ان يسرع السير حتى يأتيها فاقبل ذلك القائد حتى دخل الكوفة فلقى غلاما اسود لابى العباس فقال له أين

مولاك قال هو فى دارهنا قال دلنى عليه فدله على الدار فاستفتح الباب ثم دخل عليه فسلم عليه بالخلافة وكان أبو سلمة يريد صرف الخلافة الى ولد على بن أبى طالب وكان ينهى أبا العباس عن الخروج ويقول له ان الامر لم يتم وان موالى بنى امية قائمون بالحرب والامر أشد مما كان فقال أبو العباس ان اباسلمة منعنى عن الخروج حتى يولى العمال ويعمل الخراج فقال القائد لعن الله اباسلمة والله لا أجلس حتى نخرج الى الناس فخرج له مع رجاله الى المسجد ونودى الصلاة جامعة فصعد أبو العباس المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم ذكر بنى امية وسوء آثارهم وذكر العدل فحض عليه ووعد الناس خيراو رجالهم الاصلاح وقسمة الفىء على وجهه ثم دخل دار الامارة وجلس الناس فلما بلغ اباسلمة خروجه اتاه يعتذر فقبل منه وأراه المكانة منه والخاصة به وقد كان علم أبو العباس الذى أراده ابو سلمة من صرفه الخلافة الى ولد على بن أبى طالب

﴿ حرب مروان بن محمد وقتله ﴾

وذكروا ان قحطبة بن شبيب لما انتهى الى بعض كور الشام التقى بمروان فقاتله فانهزم مروان فاقحم قحطبة فى طلب مروان فرسه فى الفرات فحمله الماء فمات فيه وقد أصاب أهل عسكر قحطبة من اموال مروان وامتعة عسكره مالا يحصى كثرة فتناول اللواء حميد بن قحطبة وعبر الفرات حتى اتى الشام فقيل له ان مروان ترك الطريق الى دمشق وذهب صالح بن على بن عبد الله بن عباس وكان بناحية من الشام وقد اجتمع اليه الناس لما علموا من قرابته لامير المؤمنين فلما اجتمع مع حميد بن قحطبة سلم اليه الامر وقال الناس انه خرج باظهار الدعوة لابى العباس من غير أمره فلما سلم الامر الى صالح بن على اتاه كتاب ابى مسلم ان يرجع بن قحطبة ببعض عساكره الى العراق فيكون فيها حتى يا تيه امره فاتى صالح بن على كتابه بانه قد صير اليه الشام وماوراءها الى المغرب ويامره فيه ببعثه الجيوش فى طلب مروان فولى صالح بن على رجلا من الازد يقال له ابو عون على مصر وأمره بطلب مروان فى ارض المغرب وبعثه فى عشرين ألفا وكان سليمان بن هشام قد نافر مروان وقاتله مرارا فأقبل أن يشتد

أمر ابى مسلم فسار اليه فى أربعة آلاف وذلك بعد خروج قحطبة من عند أبى مسلم
فنزل به سليمان وكانت بينه وبين أبى العباس مودة قديمة فبايع أبامسلم على طاعة
أبى العباس فسر به أبومسلم وشيعته ثم سيره فى طلب قحطبة ممداله وقد قاتل مروان
قحطبة قبل قدوم سليمان بيومين فلما نظر مروان الى دخول سليمان بن هشام فى
عسكر قحطبة وكثرة من جاء معه انهزم فمضى سليمان مع حميد بن قحطبة فى طلبه
ولم يكن مروان انهزم عنه غلبة ولكنه كان نظر فى كتب الحدثان فوجد فيها أن
طاعة المسودة لا تجاوز الزاب فقال ذلك لوزرائه فقال له ان بمصر زابا آخر قال
قالها اذهب اذا والزاب الذى أراد علمه هو بارض المغرب فاقبل مروان وهو يريد
مصر فالتفت الخيل فانهزم خيل أبى عون وأسر القوم وصاحب ابراهيم فاتى مروان
بالاسارى فقال مروان شدوا أيديكم بالاسرى فقد اجننا الليل وبات مسرورا فلما
أصبح جعل يهيىء أصحابه للقاء القوم فاقبل سليمان بن هشام وابوعون وكان مروان قد
أرخى حبال الجسر وتوسط أصحابه فيما هنالك وهم آمنون فقال أبوعون للقبط هل لهذا
النهر من مخاضة فقالوا والله ما علمنا ذلك ولا بلغنا ان أحدا خاضه قط فقطع عما قصد واراد
فكتب الى صالح بن على بذلك ويسأله ان يبعث اليه بمراكب ساحل البحر عاجلا فبينما
هو فى ذلك اذ أتاه رجل من القبط فقال له ان أبى كان يقرأ الكتاب وكان يحدثنا بأمور
تكون بعده ويصف لنا موضعاً يجعله الله لكم تخوض فيه الخيل عند تلك الامور وقد
اختبرت ذلك الليلة فسر بذلك أبوعون ثم بعث معه الخيل الى ذلك الموضع بعد ان وصله
ووعده خيرا وكان مروان نظر الى الرايات السود بناحية مصر ونظر الى الخيل تعدو
النهر ولا يشك انهم لا يجدون سبيلا الى عبوره فلم ينشب أهل عسكر مروان ان نظروا الى
خيل أبى عون قد جاوزت النيل فعبأ مروان اصحابه وأهل بيته ثم خطبهم وحضهم على
الصبر وقال لهم ان الجزع لا يزيد فى الاجل وان الصبر لا ينقص الاجل وأقبل القوم
فاقتتلوا من وقت صلاة الصبح الى ان مالت الشمس فأصيب عبدالله ومحمد ابنا مروان
وبنوا أبيه أكثرهم وولد عبدالعزيز وصابر القوم فلما لم يبق حوله الا قدر الثلاثين حمل
على القوم فاكردهم ورجع فجعل أصحابه يفترقون عنه فلما رأى ذلك نزل عن فرسه

وأنشأ يقول متمثلا

ذل الحياة وهول الممات وكلا اراه وخيما و بيلا
فان كان لابد من ميتة فسيرى الى الموت سيرا جميلا

فوثب رجل الى فرسه فاخذه فقال له مروان اكرمه فانه أشقر مروان ثم كسر محمد سيفه وقاتل قتالا شديدا ثم أصيب فنزل أبوعون فامر بضرب قبابه وأمر سليمان ابن هشام بطلب المنهزمين حتى أصيب عامتهم واستأثر منهم من استأسر وكان فيمن أسر منهم عبد الحميد كاتبه وحكم المكى مؤذنه فاستبقاهما أبوعون و بعث بهما الى صالح بن على ثم أمر أبوعون بطلب جثة مروان على شاطئ النيل فلما كان من الغد ركب أبوعون وسليمان بن هشام لينظر مروان فنظر اليه ثم تحول أبوعون الى سليمان فقال . الحمد لله الذى شفى صدرك قبل الموت من مروان فهل لك يا أبا أيوب ان تذهب الى أمير المؤمنين بكتابى و بعاهيأ الله على يديك وشفى به صدرك فيفعل بك خيرا و يعرف من قرابتك ونصحك ما أنت أهله فرضى بذلك سليمان فكتب وصار فلما قدم سليمان بن هشام على أبى العباس أمير المؤمنين رحب به وقربه واستلطفه وانزله بعض دور الكوفة وفعل به مالم يفعل بأحد سواه من البر والاكرام وكان سليمان يختلف الى مائدة أبى العباس فى كل يوم فيتغدى معه و يتعشى وكان كاحد وزرائه وفوقهم وكان يجلس أباجعفر عن يمينه وسليمان عن يساره

﴿ قتل أبى سلمة الخلال ﴾

وذكروا ان أبا العباس لما تمت له الامور واستوثقت استشار وزراءه فى قتل أبى سلمة فادار القوم الرأى فيه وكان أبوسلمة يظهر الادلال والقدرة على أمير المؤمنين وكان يقيم عنده فى كل ليلة الى حين من الليل فاذا أراد الخروج والرجوع الى منزله قربت اليه دابته الى المجلس فيركب منه دون غيره ثم يخرج الى داره فقالوا له انك ان قتلته ارتاب أبو مسلم ولكن الرأى ان تكتب اليه بامره اليه فلما قدم الكتاب الى أبى مسلم كتب الى أبى العباس ان كان رابك منه ريب فاضرب عنقه فلما أتاه الكتاب قال له وزراءه لا تأمن ان يكون ذلك غدرا من أبى مسلم وان يكون انما يريدان

يجد السبيل الى ما نتخوف منه ولكن اكتب اليه ان يبعث اليك برجل من قواده يضرب عنقه فكتب اليه بذلك وذكر فى كتابه انى لا أقدم ولا أؤخر الا برأيك فبعث اليه برجل يقال له مرار الضبي فلما قدم على أبى العباس أمر ذلك الضبي ان يقعد له فى الظلمة فى داخل دار الامارة بالكوفة فاذا خرج ضربه بالسيف ثم يأتيه برأسه فقتله ثم أمر بصلبه فلما أصبح الناس اذاهم بأبى سلمة مصلوبا على دار الامارة

﴿ قتل رجال بنى أمية بالشام ﴾

وذكروا ان أبا العباس ولى عمه عبدالله بن على الذى يقال له السفاح الشام وأمره ان يسكن فلسطين وان يجد السير نحوها وهنأه بما أصاب من أموال بنى أمية وكتب الى صالح بن على ان يلحق بمصر واليا عليها . فقدم السفاح فلسطين وتقدم صالح الى مصر فأتاها بعد قتل مروان بيومين وان السفاح بعث الى بنى أمية وأظهر للناس ان أمير المؤمنين وصاه بهم وأمره بصلتهم والحاقهم فى ديوانه ورد أموالهم عليهم فقدم عليه من أكابر بنى أمية وخيارهم ثلاثة وثمانون رجلا وكان فيهم عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك وابان بن معاوية بن هشام وعبدالرحمن بن معاوية وغيرهم من صناديد بنى أمية . فأما عبدالرحمن بن معاوية فلقيه رجل كان صنع به برا واسداه خيرا وأولاه جميلا فقال له اطعنى اليوم فى كلمة ثم أعصنى الى يوم القيامة . فقال له عبدالرحمن وما أطيعك فيه اليوم فقال له الرجل ادرك موضع سلطانك وقاعدتك المغرب . النجا النجا فان هذا غدر من السفاح ويريد قتل من بقى من بنى أمية فقال له عبدالرحمن ويحك انه كتاب أبى العباس قدم عليه يأمره فيه بصلتنا ورد أموالنا الينا والحاقنا بالعطاء الكامل والرزق الوافر فقال له الرجل ويحك اتغفل والله لا يستقر ملك بنى العباس ولا يستولون على سلطان ومنكم عين تطرف فقال له عبدالرحمن ما أنا بالذى يطيعك فى هذا فقال الرجل أفتأذن لى ان أنظر الى ما تحت ظهرك مكشوفا فقال له وما تريد بهذا فقال له أنت والله صاحب الامر بالاندلس فاكشف لى فكشف عبدالرحمن عن ظهره فنظر الرجل فاذا العلامة التى كانت فى ظهره قد وجدت فى كتب الحدثان وكانت العلامة خالا اسود عظيما مرتفعا على الظهر هابطا

فلما نظر اليه الرجل قال له النجا النجا والهرب الهرب فانك والله صاحب الامر فاخرج فانا معك ومالى لك ولى عشرون الف دينار مصرورة كنت أعددتها لهذا الوقت فقال له عبدالرحمن وعمن أخذت هذا العلم فقال الرجل من عمك مسلمة ابن عبدالملك فقال له عبدالرحمن ذكرت والله عالما بهذا الامر اما لئن قلت ذلك لقد وقفت بين يديه وانا غلام يوم توفى أبى معاوية وهشام يومئذ خليفة فكشفت عن ظهرى فنظر الى ما نظرت اليه فقال لهشام جدى وهو يبكى هذا اليتيم ياامير المؤمنين صاحب ملك المغرب فقال له هشام وما الذى أبكاك يا أبا سعيد لهذا تبكى فقال ابكى والله على نساء بنى أمية وصبيانهم كانى بهم والله وقد أبدلوا بعد أساورة الذهب والفضة الاغلال والحديد و بعد الطيب والدهن البقل والعقار و بعد العز الذل والصغار فقال هشام أحان زوال ملك بنى أمية يا أبا سعيد فقال مسلمة أى والله حان وان هذا الغلام يعمر منهم ثم يصير الى المغرب فيملكها فقال له الرجل فاقبض منى هذا المال واخرج بمن تثق به من غلمانك فقال عبدالرحمن والله ان هذا الوقت مايوثق فيه بأحد فولى ذاهبا وخرج لايدرى متى خرج فلحق بالمغرب وأقبل القوم من بنى أمية وقد اقعد لهم السفاح مجلسا فيه اضعافهم من الرجال ومعهم السيوف والاجرزة فاخرجهم عليهم فقتلهم وأخذ أموالهم واستعفى عبد الواحد بن سليمان بن عبدالملك وكان عبدالواحد قد بذ العابدين فى زمانه وسبق المجتهدين فى عصره فركب السفاح الى أموال عبدالواحد وكان عبد الواحد قد اتخذ أموالا معجبة تطرد فيها المياه والعيون فأمره السفاح أن يصيرها اليه فأبى عليه واختفى منه فأخذ رجالا من أهله فتواعدهم السفاح وأمر بحبسهم حتى دلوه عليهم فلما قبضه أمر بقتله ثم استقصى ماله فبلغ ذلك أبا العباس أمير المؤمنين وكان أبو العباس يعرفه قبل ذلك وكان عبد الواحد أفضل قرشى كان فى زمانه عبادة وفضلا فقال أبو العباس رحم الله عبد الواحد أما والله كان يقاتل المقاتلة ولا ممن يشار اليه بفاحشة وماقتلته الا أمواله ولولا ان السفاح عمى وذمامه ورعاية حقه على واجب لاقدت منه ولكن الله طالبه وقد كنت أعرف عبدالواحد برا تقيا صواما قواما ثم كتب الى عمه السفاح ألا يقتل

أحد من بنى أمية حتى يعلم به أمير المؤمنين فكان هذا أول ما نقم أبو العباس على عمه السفاح

(ذكر قتل سليمان بن هشام)

وذكروا ان عيسى بن عبد البر أخبرهم قال كان سليمان بن هشام أكرم الناس على أبى العباس أمير المؤمنين لحسن بلائه مع قحطبة وقيامه معه على مروان بن عمه وكان هو الذى تولى كبره وقتل على يديه فكان لذلك أخص الناس بأبى العباس فبينماهما يوما وقد تضاحكا وتداعبا اذ أتى رجل من موالى ابى العباس يقال له سديف فناول ابا العباس كتابا فيه

أصبح الملك ثابت الاساس   بالبهاليل من بنى العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها   بعد ميل من الزمان وباس
لاتقيلن عبد شمس عثارا   واقطعن كل نخلة وغراس
ذلها أظهر التودد منها   وبها منكم كحز المواسى
ولقد غاظنى وغاظ سوائى   قربهم من منابر وكراسى
واذكرن مقتل الحسين وزيداً   وقتيلا بجانب المهراس

فقرأها بو العباس ثم قال له نعم ونعما عين وكرامة سننظر فى حاجتك ثم ناول الكتاب أبا جعفر ثم سلم سليمان بن هشام ثم قام وخرج فتطلع رجل من موالى بنى أمية كانت له خاصة وخدمة فى بنى العباس فعرف بعض مافى الكتاب فلما خرج من عند أمير المؤمنين مر بسليمان بن هشام فى غرفة له بالكوفة فسلم ثم قال لسليمان من عندك يا أبا أيوب فقال له ماعندى غير ولدى فقال له . ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين . فخرج سليمان من ليلته هاربا فلحق ببعض نواحى الجزيرة وكتب الى مواليه وصنائعه فاجتمع اليه منهم خلق كثير فبعث اليه أبو العباس بعثا يقاتله فانهزم ذلك البعث ثم بعث اليه بعثا آخر فهزمه أيضا قال فتنقل سليمان عن ذلك الموضع الى غيره ثم بعث اليه بعثا آخر فاسر سليمان وولده فاتى بهما أسيرين الى أبى العباس فامر فقطعت لهما خشبتان وقدمتا اليهما فامر بضرب رقابهما وصلبهما فقال سليمان لولده تقدم يا بنى على مصيبتى بك فتقهقر الغلام ثم تقدم فقتل ثم تتل سليمان

وصلبا على باب دارالامارة بالـكوفة

﴿ خروج السفاح على أبى العباس وخلعه ﴾

وذكروا ان الهيثم بن عدى أخبرهم قال لما ولى السفاح الشام واستصفى أموال بنى أمية لنفسه أعجبته نفسه وحسد ابن أخيه على الخلافة فاظهر الطعن على أبى العباس والتنقص له فلما بلغ ذلك أبا العباس كتب اليه يعاتبه على ما كان منه فزاده ذلك عجبا وحسدا بما فيه فحبس الخراج ودعا الى نفسه وخلع طاعته ثم قرب موالى بنى أمية وأطمعهم وسد ثغورهم وأبدى العزم وأظهره على محاربة أبى العباس فلما انتهت أخباره الى أبى العباس كتب الى أبى مسلم يستغيثه ويذكر عظيم يده عنده ويسأله القدوم عليه لامر السفاح فقدم أبو مسلم فاقام عنده اياما ثم خرج الى السفاح ومعه أجناده وقواده فلقى السفاح على الفرات فهزمه واستباح عسكره وأخذه أسيرا فقدم به على أبى العباس فلما قدم اليه وأدخل عليه قال يا عمى أحسنا وواسينا فحسدت وبغيت وقد رأيت تعطفا عليك بوصلة لرحمك ان أحبسك حبسا رقيقا حتى تؤدب نفسك ويبدو ندمك ثم أمر فبنى له بيت جعل أساسه قطع الملح فحبسه فيه فلما كان بعض أيام ارسل الماء حول البيت فذاب الملح وسقط البيت عليه فمات فيه ورد أبا مسلم الى عمله بخراسان فاقام فيها بقية عامه ثم أخرج أبو العباس أبى جعفر واليا على الموسم وخرج أبو مسلم أيضا حاجا من خراسان

﴿ اختلاف أبى مسلم على أبى العباس ﴾

وذكروا ان أبا العباس وجه أبا جعفر فى ثلاثين رجلا الى أبى مسلم وكان فيهم الحجاج بن ارطاة الفقيه والحسن بن الفضل الهاشمى وعبد الله بن الحسين فلما توجه أبو جعفر الى أبى مسلم بخراسان وقدم عليه استخف به بعض الاستخفاف ولم يزد الاجلال له وجعل يعظم فى كلامه وفعله الخليفة ولم يزل أبو مسلم يتخوف ان يصنع به مثل ما صنع بأبى سلمة الخلال وكان لا يظهر ذلك لاحد فلما قدم أبو جعفر عليه ومعه الثلاثون رجلا وفيهم عبد الله بن الحسين قام اليه سليمان بن كثير فقال يا هذا انا كنا نرجو ان يتم أمركم فا... شئتم فادعوا الى ما تريدون فظن انه دسيس من أبى مسلم فخاف ذلك فبلغ ابا مسلم ...

سليمان بن كثير سامر عبدالله ابن الحسين بن على فقال لسليمان بلغنى انك سامرت هذا الفتى قال أجل له قرابة وحق علينا وحرمة فسكت فاتى عبد الله بن الحسين أبا مسلم فذكر له ذلك وظن انه ان لم يفعل اغتاله أبو مسلم فبعث أبو مسلم الى سليمان بن كثير فقال له أتحفظ قول الامام من أتهمته فاقتله قال نعم قال قد أتهمتك فقال ناشدتك الله قال لا تناشدنى وأنت منطو على غش الامام فأمر فضربت عنقه وكتب أبو مسلم الى محمد بن الاشعث ان يأخذ عمال أبي سلمة فيضرب أعناقهم واستعمل أبو العباس عيسى بن على على فارس فأخذه محمد فهم بقتله فقيل لمحمد ان هذا لا يسوغ لك قال امرنى أبو مسلم ان لا يقدم على احد الا ضربت عنقه فقال ما كان ابو مسلم ليفعل شيئاً الا بأمر الامام فلما قدم ابو جعفر من عند ابى مسلم قال لابى العباس لست بخليفة ولا أمرك بشىء ان لم تقتل ابا مسلم فقال أبو العباس وكيف ذلك قال لا والله ما يعبأ بنا ولا يصنع الا ما يريد فقال له أبو العباس اسكت واكتمها

﴿ قتال بن هبيرة وأخذه ﴾

وذكروا ان أبا العباس وجه أبا جعفر الى مدينة واسط فقدم على الحسين بن قحطبة وهو على الناس وكتب أبو العباس الى الحسين بن قحطبة ان العسكر عسكرك والقواد قوادك فان احببت ان يكون أخى حاضراً فأحسن مؤازرته ومكاتفته وكتب الى أبي نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك وذكروا ان ابن هبيرة كان قد نصب الجسور بين المدينتين فقالت اليمانية الذين مع ابن هبيرة لا والله لا نقاتل على دعوة بنى أمية أبدا لسوء رأيهم فينا وبغضهم لنا وقالت لنا القيسية لا والله لا نقاتل حتى يقاتل اليمانية فلم يكن يقاتل مع ابن هبيرة الا صعاليك الناس وأهل العطاء وكان كثيرا ما يتمثل ويقول

التوب ان أنهج فيه البلى أعيا على ذى الحيلة الصانع
كنا نرقعها اذا مزقت فاتسع الخرق على الراقع

وكان من رأى ابن هبيرة ان لا يعطى طاعة لبنى العباس وكان رأيه ان يدعو الى محمد بن عبدالله بن الحسين فاطلع على ذلك أبو العباس وخاف ان يثور اليمانية مع ابن هبيرة فى ذلك فكاتبهم أبو جعفر وقال فى كتابه لهم السلطان سلطانكم والدولة دولتكم وكتب الى زياد بن صالح الحارثى بذلك وكان عامل ابن هبيرة فى المدينة وكان عامله قبل ذلك على

الكوفة فأجاب زيادبن صالح وذلك لما خاف ان يدخل المدينة فيقتل بها فلما كان مغيب الشمس قاموا اليه فلما صلى المغرب ركب فطاف فى مسالحه وأبوابه فرجع عتمة فتعشى ثم صلى فاقبل على ابن الهيثم فقال والله ماالتخلف غصة أعظم ولا اهم الى منك لانك مع هؤلاء ولست أدرى مايكون بعد اليوم وارى الامر قداستتب لهؤلاء القوم فى الشرق والمغرب ولكن ان لقيت اباالعباس اعلمته من أمرك مثل الذى أعلمته من أمرى قال ماأخاف تقضيرك ثم قال لست أثق بولد ولا بغيره ثقتى بك فيما أريد ان اوطده تأخذ مفاتيح هذه المدينة حتى تصبح فتأتى بها ابن هبيرة فقلت انظر ماتصنع فى خروجك اتثق بالقوم قال هم قد جرى بينى و بينهم مااثق به وأتانى كتاب أبى العباس بكل مااحب وكتاب ابى جعفر فقلت يااباالربيع اخاف ان لايوفى لك فلما ادهم الليل وانتصف قام فصلى ركعات ثم أمر غلمانه فحملوا متاعه على أربعة بغال ثم أخرج اربعة غلمان له وابنه ثابت على برذون له ثم خرج وأغلق الباب فلما انتهى الخبر الى ابن هبيرة بكى وقال مايوثق بأحد بعد زيادبن صالح بعد ايثارى اياه واكرامى وتفضيلى له وماصنعت به قلت هو هنالك والله خير لك منه ههنا قال وترى ذلك قلت نعم قال ثم مشت الكتب والرسل بينهم أى بين أبى جعفر وابن هبيرة حتى صار أمرهم الى ان يلقاه ونهض بن هبيرة اليهم وتخلى مما بيده لهم

﴿ كتاب الامان ﴾

وذكروا ان رجلا من قيس يقال له أبو بكر بن مصعب العقيلى سعى فى كتاب الصلح والامان عند أبى جعفر حتى تم فأتى به ابن هبيرة وفيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبدالله بن محمد بن على أبى جعفر ولى أمر المسلمين ليزيد بن هبيرة ومن معه من أهل الشام والعراق وغيرهم فى مدينة واسط وارضها من المسلمين والمعاهدين ومن معهم من وزرائهم انى أمنتكم بامان الله الذى لا اله الا هو الذى يعلم سرائر العباد وضمائر قلوبهم و يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور واليه الامر كله أمانا صادقا لايشوبه غش ولايخالطه باطل على أنفسكم وذراريكم وأموالكم وأعطيت يزيد بن عمر بن هبيرة ومن أمنته فى اعلا كتابى هذا بالوفاء بما جعلت لهم من عهد الله وميثاقه الذى واثق به الامم الماضية من خلقه وأخذ عليهم به أمره عهدا خالصاً مؤكداً وذمة الله وذمة محمد ومن

مضى من خلفائه الصالحين واسلافه الطيبين التي لا يسع العباد نقضها ولا تعطيل شيء منها ولا الاحتقار بها و بها قامت السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها تعظيما لها و بها حقنت الدماء وذمة روح الله وكلمته عيسى بن مريم وذمة ابراهيم واسماعيل واسحاق و يعقوب والاسباط وذمة جبريل وميكائيل واسرافيل وأعطيتك ماجعلت له من هذه العهود والمواثيق ولمن معك من المسلمين وأهل الذمة بعد استئماري فيما جعلت لك منه عبدالله بن محمد أمير المؤمنين أعز الله نصره وأمر بانفاذه لكم و رضي به وجعله لكم وعلى نفسه وتسليم ذلك من قبله من وزرائه وقواده وانصار الحق من شيعته من أهل خراسان فأنت وهم آمنون بأمان الله ليس عليك حد ولا تؤاخذ بذنب أتيته وكنت عليه في خلاف اومناوأة اوقتل او زلة اوجرم او جناية اوسفك دماء خطأ أو عمداً او أمر سلف منك أو منهم صغير أو كبير في سر أو علانية لا ناقض عليك ماجعلت لك من أماني هذا ولم أخنك فيه ولا ناكث عنه وأذنت لك في المقام في المدينة الشرقية الى الاجل الذي سألت ثم أسلك حيث بدا لك من الارض آمنا مطمئنا ملؤاً أنت ومن سألته ان يؤذن له في المسير معك ومن تبعك وأهل بيتك والخمسمائة رجل على ماسألت من دوابهم وسلاحهم ولباس البياض لايخافون غدراً ولا اخفارا بك حيث أحببت من بر او بحر وأنزل حيث شئت من الارض الى ان تنتهي الى منزلك من أرض الشام فأنت آمن بأمان الله ممن مررت بهم من عمالنا ومسالحنا ومراصدنا ليس عليك شيء تكرهه في سر ولا علانية ولك الله الذي لااله الا هو لاينالك من أمر تكرهه في ساعة من ساعات الليل والنهار ولا أدخل لك في أماني الذي ذكرت لك غشاً ولا خديعة ولا مكرا ولا يكون مني في ذلك دسيس بشيء مما تخافه على نفسك ولاخديعة في مشرب ولا مطعم ولا لباس ولا أضمر لك عليه نفسي الى ارتحالك من مدينة واسط في دخولك على عسكري والغدو والرواح اذا بدالك والدخول أي ساعات من ساعات الليل والنهار أحببت فاطمئن الى ماجعلت لك من الامان والعهود والمواثيق

وثق بالله و باميرالمؤمنين فيما سلم منه و رضى به وجعلته لك ولمن معك على نفسى ولك على الوفاء بهذه العهود والمواثيق والذمم أشد ما أخذه الله وحرمه وما أنزل الله تبارك وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانه جعله كتابا مبينا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه و نورا وحجة على العباد حتى ألقى الله وأنا عليه وأنا أشهد الله وملائكته و رسله ومن قرىء عليه كتابى هذا من المسلمين والمعاهدين بقبول هذه العهود والمواثيق واقرارى بها على نفسى وتوكيدى فيها وعلى تسليمى لك ما سألت ولا يغادر منها شيء ولا ينكث عليك فيها وأدخلت فى أمانك هذا جميع من قبلى من شيعة أمير المؤمنين من أهل خراسان ومن لامير المؤمنين عليه طاعة من اهل الشام والحرب وأهل الذمة وجعلت لك أن لا ترى منى انقباضا ولا مجانبة ولا ازورارا ولا شيئا تكرهه فى دخولك على الى مفارقتك اياى ولا ينال أحدا معك أمر يكرهه وأذنت لك ولهم فى المسير والمقام جعلت لهم أمانا صحيحا وعهدا وثيقا وان عبد الله بن محمد ان نقض ما جعل لكم فى أمانكم هذا فنكث أو غدر بكم أو خالف الى أمر تكرهه أو تابع على خلافه احدا من المخلوقين فى سر أو علانية أو أضمر لك فى نفسه غير ما اظهر لك أو أدخل عليك شيئا فى أمانه وما ذكر لك من تسليم أمير المؤمنين التماس الخديعة والمكر بك وادخال المكروه عليك أو نوى غير ما جعل لك من الوفاء لك به فلا قبل الله منه صرفا ولا عدلا وهو برىء من محمد بن على وهو يخلع أمير المؤمنين و يتبرأ من طاعته وعليه ثلاثون حجة يمشيها من موضعه الذى هو به من مدينة واسط الى بيت الله الحرام الذى بمكة حافيا راجلا وكل مملوك يملكه من اليوم الى ثلاثين حجة بشراء أو هبة احرار لوجه الله وكل امرأة له طالق ثلاثا وكل ما يملكه من ذهب أو فضة أو متاع او دابة أو غير ذلك فهو صدقة على المساكين وهو يكفر بالله و بكتابه المنزل على نبيه والله عليه فيما وكد وجعل على نفسه فى هذه الايمان راع وكفيل وكفى بالله شهيدا قالوا وكان من رأى أبى جعفر الوفاء لابن هبيرة وأصحابه

﴿ قدوم ابن هبيرة على أبى العباس ﴾

وذكروا ان ابن هبيرة وأصحابه لما جاءهم الكتاب بالايمان ترددوا فيه أربعين

يوما يتدبرونه ويستخيرون الله فى الخروج اليهم ثم عزم الله له فى القدوم على ابى العباس وأبى جعفر وكان أبومسلم كثيرا ما كتب لابى العباس انه قل طريق سهل يلقى فيه حجارة الا أضر ذلك بأهله ولا والله يصلح طريق فيه ابن هبيرة وأصحابه وكان أبوالجهم بن عطية عين أبى مسلم على أبى العباس فكان يكتب اليه بالاخبار وكان أبوالعباس لا يقطع أمرادون رأى أبى مسلم وقدكان ابن هبيرة فى تلك الار بعين ليلة يجمع لذلك الكتاب ممن يعبر الكلام والفقه طرفى النهار فيترددون فيه حتى بلغوا فيه الغاية التى يريدون ثم خرج ابن هبيرة الى أبى جعفر فى الف وثلاثمائة فلما قدم أراد أن يدخل دارالامارة على دابته فقام الاذن فقال مرحبا بك أباخالد أنزل راشدا وقد طاف بالدار يومئذ نحو من عشرة آلاف رجل من أهل خراسان مستلئمين فى السلاح أعينهم تزهو من تحت المغافر على عواتقهم السيوف مشهورة وعمد الحديد بأيديهم فأتى ابن هبيرة بوسادة فطرحت له فجلس عليها ثم دعا الحاجب بالعواد فدخلوا على أبى جعفر ثم خرج سلام بن سلام فقال ادخل اباخالد قال ومن معى قال انما استأذنت لك فدخل فوضعت له وسادة فجلس فحدثه أبو جعفر طويلا ثم نهض فركب فأتبعه أبوجعفر بصره حتى انصرف

﴿ قتل ابن هبيرة ﴾

وذكروا ان أبا العباس كتب الى أبى جعفر ان اقتل ابن هبيرة فراده أبو جعفر بالكتاب فكتب اليه ابو العباس والله لتقتلنه أولا بعثن اليك من يخرجه من عندك ويتولى ذلك عليك وكان ابن هبيرة اذا ركب الى أبى جعفر ركب فى ثلاثمائة فارس وخمسمائة راجل فقدم يزيد بن حاتم على أبى جعفر فقال أصلح الله الامير ماذهب من سلطان ابن هبيرة شىء يأتينا فيتضعضع به العسكر فقال أبوجعفر ياسلام قل لابن هبيرة لا يركب فى مثل تلك الجماعة وليأتنا فى حاشيته قال عدى فأصبحنا فخرج ابن هبيرة أيضا فى مثل تلك الجماعة الذين كانوا يركبون معه فخرج اليه سلام فقال يقول لك أمير المؤمنين ماهذه الجماعة لا تسير الا فى حاشيتك فتغير وجه ابن هبيرة فلما أصبح أتى فى نحو من ثلاثين رجلا قال له ابن سلام كانك انما تأتينا مباهيا

فقال ابن هبيرة ان أحببتم ان نمشي اليكم فعلنا فقال سلام ما نريد بذلك استخفافا بك ولكن أهل العسكر اذا رأوا جماعة من معك غمهم ذلك فكان هذا من الامير نظرا لك فمكث طويلا جالسا فى الرواق فقيل له ان الامير يحتجم فانصرف راشدا فلم يزل يركب يوما و يقيم آخر لايجيء الا فى رجلين أوغلامه وقد ختموا على الخزائن و بيوت الاموال وجعل القواد يدخلون على أبى جعفر فيقولون ماتنتظر به فيقول ماأريد الا الوفاء له حتى اذا اجتمع أمرهم على قتله بعث الى الحسين بن قحطبة فأتاه فقال لو سرت الى هذا الرجل فأرحتنا منه فقال لا نريد ذلك ولكن ابعث اليه رجلا من قومه من مضر حتى يقتله فتتفرق كلمتهم عند ذلك فدعا حازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة قال لهم أبوجعفر ائتوا الى ابن هبيرة فجددوا على بيوت المال الختم وعلى الخزائن و بعث معهما من المضرية والقيسية أن يحضروا الاذن واريحونا من الرجل ففعلوا ثم دخلوا رحبة القصر فى مائة رجل فارسلوا الى ابن هبيرة انا نريد حمل ما بقى فى الخزائن فقال ادخلوا فدخلوا الخزائن فطافوا بها ساعة وجعلوا يخلفون عند كل باب عدة حتى دخلوا عليه فقالوا أرسل معنا من يدلنا على المواضع و بيوت الاموال فقال ياعثمان أرسل معهم من يريدون فطاف حازم واصحابه فى القصر ساعة وابن هبيرة عليه قميص له مصرى وملاءة موردة وهو مسند ظهره الى حائط المسجد فى رحبة القصر ومعه ابنه داود وحاجبه وكاتبه عمر بن أيوب وعدة من مواليه و بنيه وفى حجر ابن هبيرة ولد صغير فلما توثقوا من كل شيء اقبلوا نحوه فلما رآهم قد أقبلوا اليه قال والله ان فى وجوه القوم لشرا فلما دنوا منه قام أبوعثمان فقال ماوراءكم فنضحه الهيثم بالسيف فأصاب حبل عاتقه فصرعه وقام ابنه داود فقاتل فتفرقوا عليه فقتلوه ومواليه ثم مضوا نحو ابن هبيرة فخر ساجدا وقال و يحكم نحوا عنى هذا الصبي لا يرى مصرعى قال فضرب حتى مات ساجدا ثم أخذوا رؤسهم فأتوا بها أباجعفر ونادى المنادى بواسط أمن الامير خلق الله جميعا الا الحكم بن بشير وعمرو بن ذر قال فضاقت على والله الارض بما رحبت حتى خرجت على دابتى مالى هجير الا آية الكرسى اتلوها والله ماعرض لى أحد حتى تواريت فلم ازل خائفا حتى استأمن لى زياد بن عبدالله بن العباس فأمنه وهرب الحكم بن

عبدالله بن بشير الى عسكره وضاقت بخالد بن مسلمة الارض حتى أتى أباجعفر فاستأذن عليه فأمنه وبلغ ذلك أباالعباس فكتب الى أبي جعفر والله لو كانت له ألف نفس لاتيت عليها أضرب عنقه فهرب أبو علافة الفزارى وهشام بن هبيرة وصفوان بن يزيد فلحقهم سعد بن شعيب فقتلهم وقبض على أصحاب بن هبيرة فقتل من وجوههم نحوا من خمسين ثم أمن الناس جميعا ونادى منادى أبي جعفر من اراد ان يقيم فليقم بالجابية ومن أحب أن يشخص فليشخص وهرب القعقاع بن ضرار وحميد وعدة حتى أتوا زياد بن عبدالله فاستأمن لهم فامنوا جميعا وقوى ملك بني العباس واستقرت قواعده فلما قتل ابن هبيرة نودى فى أهل الشام الحقوا شامكم فلا حاجة لنا بكم فسار أهل الشام حتى قدموا الكوفة منهم من قدم ومنهم من أخذ على عين الثمر ومنهم من أخذ على طريق المدائن ثم لحقوا بالشام على طريق الفرات واستعمل أبوجعفر على واسط ومن فيها الهيثم بن زياد وخلف معه خيلا ثم انصرف أبوجعفر الى أبي العباس وهو يومئذ بالحيرة ثم وجه داود بن على الى الحجاز فقتل من ظفر به من بني أمية وغيرهم فتوجه الى المثنى بن زياد بن عمر بن هبيرة باليمامة فقتله وأصحابه ثم تبعهم محمد بن عمارة وكان على الطائف فقتلهم وتحول أبوالعباس من الحيرة الى الانبار قام أبوالعباس برأس ابن هبيرة فوضع بالحيرة على خشبة ومعه غيره من عمال مروان وبها رفع رأس مروان بن محمد وعن يمينه رأس ثعلبة بن سلامة ورأس عثمان بن شعيب عن يساره وانقطعت شيعة بني أمية وطلبوا تحت كل حجر ومدر

﴿ اختلاف أبي مسلم على أبي العباس ﴾

وذكروا ان أبامسلم كتب الى أبي العباس يستأذنه فى القدوم عليه فقدم عليه فتلقاه الناس جميعا ومعه القواد والجماعة والخيل والنجائب ثم استأذن أباالعباس فى الحج فقال لولا ان أباجعفر يحج لاستعملتك على الموسم فقال أبوجعفر لابى العباس اطعنى وأقتل أبامسلم فوالله ان فى رأسه لغدرة فقال له أى أخى قد عرفت بلائه وما كان منه فقال أبوجعفر هو اخطأ بذلك والله لو بعثت سنورا مكانه لبلغ

ما بلغ فى مثل الدولة قال أبو العباس كيف تقتله قال اذا دخل عليك فحادثه فاذا أقبل عليك دخلت فأتيت من خلفه فضربته ضربة آتى منها على نفسه فقال أبو العباس أى أخى فكيف تصنع بأصحابه الذين يؤثرونه على أنفسهم ودينهم قال يؤول ذلك الى خير والى ما تريد قال يا أخى انى أريد ان تكف عن هذا فقال أبو جعفر أخاف ان لم تنفذه يتعشاك فقال أبو العباس فدونكه يا أخى قال وكان مع أبى مسلم من أهل خراسان عشرة آلاف قد قدم بهم يأخذون العطاء عند غرة كل شهر أوفر ما يكون من الارزاق سوى الاعاجم فلما دخل أبو مسلم على أبى العباس دعا أبو العباس خصياً له فقال اذهب فاعرف ما يصنع أبو جعفر فاتاه فوجده مختفيا بسيفه فقال ابو جعفر اجالس امير المؤمنين فقال الوصيف قد تهيأ للجلوس ثم رجع الوصيف فذكر ذلك لابى العباس فرده أيضا الى أبى جعفر وقال قل له عزمت عليك ان لا تنفذ الامر الذى عزمت عليه فكف عن ذلك فسار الى مكة حاجا وللموسم وخرج أبو مسلم فكان اذا كتب الى أبى جعفر يبدأ بنفسه ثم يكتب اليه لا يهولنك ما فى صدر الكتاب فانى لك بحيث تحب ولكنى أحب ان يعلم أهل خراسان ان لى منزلة عند أمير المؤمنين

﴿ كتاب أبى مسلم الى أبى جعفر وقدهم ان يخلع ويخالف ﴾

وذكروا ان أبا مسلم لما رجع من عند أبى العباس وقد قيل له بالعراق ان القوم ارادوك لولا ما توقفوا ممن معك من أهل خراسان فلما كان فى بعض الطريق كتب الى أبى جعفر اما بعد فانى كنت اتخذت أخاك اماما ودليلا على ما افترض الله على خلقه وكان فى محله من العلم وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث كان فقمعنى بالفتنة واستجهلنى بالقرآن فحرفه عن مواضعه طمعا فى قليل قد نعاه الله الى خلقه فمثل الضلالة فى صورة الهدى فكان كالذى دل بغروره حتى وترت أهل الدين والدنيا فى دينهم واستحللت بما كان من ذلك من الله النقمة وركبت المعصية فى طاعتكم وتوطئة سلطانكم حتى عرفكم من كان يجهلكم واوطأت غيركم العشواء بالظلم والعدوان حتى بلغت فى مشيئة الله ما أحب ثم ان الله بمنه وكرمه اتاح لى الحسنة وتداركنى بالرحمة واستنقذنى بالتوبة فان يغفر فقديما عرف بذلك وان يعاقب فبما

قدمت يداي وما الله بظلام للعبيد فكتب اليه أبو جعفر اروم مارمت واز ول حيث زلت ليس لي دونك مرمى ولا عنك مقصر الرأي ما رأيت ان كنت انكرت من سيرته شيئا فأنت الموفق للصواب والعالم بالرشاد انا من لا يعرف غير يديك ولم يتقلب الا في فضلك فانا غير كافر بنعمتك ولا منكر لاحسانك لا تحمل على اصر غيري ولا تلحق ما جناه سواي بي ان أمرتني ان أشخص اليك وألحق بخراسان فعلت الامر أمرك والسلطان سلطانك والسلام

﴿ موت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر ﴾

وذكروا ان أبا جعفر لما انقضى الموسم وانصرف راجعا جاءه موت أبي العباس وكان بينه وبين أبي مسلم مرحلة فكتب الى أبي مسلم انه قد حدث حدث ليس مثلك غائب عنه فالعجل العجل قال اسحاق بن مسلم فقلت لابي جعفر وانا اسايره ونحن مقبلون من مكة أيها الرجل لا ملك لك ولا سلطان مع هذا العبد فقال أبو جعفر ظهر غشك وبدا منك ما كنت تكتم بأبي مسلم يفعل هذا قلت نعم فاني أخاف عليك منه يوم سوء فقال كذبت قال اسحاق فسكت ثم لقيته بعد ذلك من الغد ولا والله ما عرفتها فيه وعاودني بمثل كلامه الاول فقلت له أكثر أم أقل ان لم تقتله والله يقتلك قال فهل شاورت في هذا احداقات لا قال اسكت فسكت فقدم الكوفة فاذا عيسى ابن موسى قد سبقه الى الانبار وغلب على المدينة والخزائن وبيوت الاموال والدواوين وخلع عبد الله وتوثب على أبي جعفر ودعا أهل خراسان فالحقهم باليمن وجعل لهم الجعائل الجليلة والعطايا الجزيلة فلما قدم أبو جعفر سلم الامر لعيسى بن موسى وتوثب عبد الله بن علي على أهل خراسان بالشام فقتلهم ودعا الى نفسه وأتاه أبو غانم عبد الحميد بن ربعي فقال ان اردت ان يصفو لك الامر فاقتل أهل خراسان وابدأ بي فلما قدم أبو جعفر من مكة قال لابي مسلم انما هو انا وانت والامر امرك فامض الى عبد الله بن علي أو أهل الشام فلما سار اليه أبو مسلم سار معه القواد وغيرهم فلقي عبد الله بن علي وأهل الشام فهزمهم وأسر عبد الله بن علي وبعث به الى أبي جعفر فاستنكر أبو جعفر قعود أبي مسلم عنه فبعث اليه يقطين بن موسى ورجلا معه على القبض فقال ابو مسلم لا يوثق بهذا ونحوه

فوثب وشتم وقال قولا قبيحا قال له يقطين بن موسى جعلت فداك لا تدخل الغم على نفسك ان احببت رجعت الى امير المؤمنين فانه ان علم ان هذا يشق عليك لم يدخل عليك مكروها ثم قدم ابو جعفر من الانبار حتى قدم المدائن وخرج ابو مسلم فاخذ طريق خراسان مخالفا لابي جعفر فكتب اليه ابو جعفر قد اردت مذاكرتك في اشياء لم تحملها الكتب فاقبل فان مقامك عندنا قليل فلم يلتفت ابو مسلم الى كتابه فبعث اليه ابو جعفر جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي وكان ابو مسلم يعرفه فقال له ايها الامير ضربت الناس عن عرض اهل هذا البيت ثم تنصرف على مثل هذه الحال ان الامر عند امير المؤمنين لم يبلغ ما تكره ولا ارى ان تنصرف على هذه الحال فيقول ابو مسلم ويحك اني دليت بغرور واخاف عدوه

﴿ قتل ابي مسلم ﴾

وذكروا ان جريرا لم يزل بابي مسلم حتى اقبل به وكان ابو مسلم يقول والله لاقتلن في الروم فاقبل منصرفا فلما قدم على ابي جعفر وهو يومئذ بالرومية من المدائن امر الناس يتلقونه واذن له فدخل على دابته ورحب به وعانقه واجلسه معه على السرير وقال له كدت ان تخرج ولم اقض اليك بما تريد فقال قد اتيت يا امير المؤمنين فليأمرني بامره قال انصرف الى منزلك وضع ثيابك وادخل الحمام ليذهب عنك كلال السفر وجعل ابو جعفر ينتظر به الفرصة فاقام اياما يأتي ابا جعفر كل يوم فيريه من الاكرام ما لم يره قبل ذلك حتى اذا مضت له ايام اقبل على التجني فأتى ابو مسلم الى عيسى بن موسى فقال اركب معي الى امير المؤمنين فاني قد اردت عتابه بحضرك فقال عيسى انت في ذمتي فاقبل ابو مسلم فقيل له ادخل فلما صار الى الزقاق الداخلي قيل له ان امير المؤمنين يتوضأ فلو جلست فجلس وابطأ عيسى بن موسى عليه وقد هيأ له ابو جعفر عثمان بن نهيك وهو على حرسه في عدة فيهم شبيب بن رياح وابو حنيفة الفقيه فتقدم ابو جعفر الى عثمان فقال له اذا عاتبته فعلا صوتي فلا تخرجوا وجعل عثمان واصحابه في ستر خلف ابي مسلم في قطعة من الحجرة وقد قال ابو جعفر لعثمان بن نهيك اذا صفقت بيدي فدونك يا عثمان فقيل لابي مسلم ان قد جلس امير المؤمنين فقام ليدخل فقيل له

انزع سيفك فقال ما كان يصنع بى هذا فقيل وما عليك فنزع سيفه وعليه قباء اسود وتحته جبة خز فدخل فسلم وجلس على وسادة ليس فى المجلس غيرها وخلف ظهره القوم خلف ستر فقال ابو مسلم صنع بى يا امير المؤمنين مالم يصنع باحد نزع سيفى من عنقى قال ومن فعل ذلك قبحه الله ثم اقبل يعاتبه فعلت وفعلت فقال يا امير المؤمنين لمن يقال هذا الى بعد حسن بلائى وما كان منى فقال له ابو جعفر يا ابن الخبيثة والله لو كانت امة او امرأة مكانك بلغت ما بلغت فى دولتنا ولو كان ذلك اليك ماقطعت فتيلا ألست الكاتب الى تبدأ بنفسك والكاتب الى تخطب آمنة ابنة على بن عمى وتزعم انك ابو مسلم بن سليط عن عبد الله بن العباس لقد ارتقيت لا ام لك مرتقا صعبا قال وابو جعفر ترعد يده فلما راى ابو مسلم غضبه قال يا امير المؤمنين لا تدخل على نفسك هذا الغم من اجلى فان قدرى اصغر مما بلغ منك هذا فصفق ابو جعفر بيده فخرج عثمان ابن نهيك فضربه ضربة خفيفة فاوما ابو مسلم الى رجل ابى جعفر يقبلها ويقول انشدك الله يا امير المؤمنين استبقنى لاعدائك فدفعه برجله وضربه شبيب على حبل العاتق فاسرعت فيه فقال ابو مسلم واتعساه الا قوة الا مغيث وصاح ابو جعفر اضرب لا ام لك فاعتوره القوم باسيافهم فقتلوه فامر به ابو جعفر فكفن بمسح ثم وضع فى ناحية ثم قيل ان عيسى بن موسى بالباب فقال ادخلوه فلما دخل قال يا امير المؤمنين فاين ابو مسلم قال كان ههنا آنفا فخرج فقال عيسى يا امير المؤمنين قد عرفت طاعته ومناصحته ورأى ابراهيم الامام فيه قال له ابو جعفر يا انوك والله ما اعرف عدوا اعدى لك منه هاهو ذا فى البساط فقال عيسى انا لله وانا اليه راجعون فاقبل اسحاق صاحب شرطه قال انما كان ابو مسلم عبد امير المؤمنين وامير المؤمنين اعلم بما صنع فامر ابو جعفر براسه فطرح الى من بالباب من قواد ابى مسلم فجالوا جولة وهموا ان يبسطوا اسيوفهم على الناس ثم ردهم عن ذلك انقطاعهم من بلادهم وتغربهم واحاطة العدو بهم فبعضهم اتكأ على سيفه فمات وبعضهم ناصب واراد القتال فلما نظر ابو جعفر الى ذلك امر بالعطاء لاصحاب ابى مسلم واجزل الصلات للقواد والرؤساء منهم ثم عهد اليهم ان من احب منكم ان يكون معنا ههنا نأمر بالحاقه فى الديوان فى الف من العطاء ومن أحب أن يلحق بخراسان كتبناه فى خمسمائة

تردعليه فى كل عام وهو قاعد فى بيته قال فكأنها نار طفئت فقالوا رضينا ياامير المؤمنين بما فعلت فأنت الموفق فمنهم من رضى بالمقام معه ومنهم من لحق بخراسان

﴿ ثورة عيسى بن زيد بن على بن الحسين ﴾

وذكروا ان أباجعفر لما قتل أبامسلم واستولى على ملك العراقين والشام والحجاز وخراسان ومصر واليمن ثار عليه عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب فقاتله فيما بين الكوفة و بغداد ولقيه فى جموع كثيرة نحوا من عشرين ومائة الف فأقام أياما يقاتله فى كل يوم حتى هم أبوجعفر بالهزيمة و ركب فرسه ليهرب ثم جعل يشجع أصحابه و يعدهم بالعطايا الواسعة والصلات الجزيلة فقاتلوا ثم ان أبا جعفر غلبته عيناه وهو على فرسه فرأى فى نومه أنه يمد يديه و رجليه على الارض فاستيقظ ودعا عابرا كان معه فاخبره بما رأى فقال له أبشر ياامير المؤمنين فان سلطانك ثابت وسيليه بعدك جماعة من ولدك وهذا الرجل منهزم فما كان باسرع من ان نظر الى عيسى بن زيد منهزما

﴿ هروب مالك بن الهيثم ﴾

وذكروا ان مالك بن الهيثم خرج هاربا حتى أتى همدان وعليها يومئذ زهير ابن التركى مولى خزاعة فكتب اليه أبوجعفر ان الله مهرق دمك ان فاتك مالك فجاء زهير بن التركى الى مالك بن الهيثم فقال له جعلت فداك قد أعددت لك طعاما فلو أكرمتنى بدخولك منزلى فقال له نعم وكان قد هيأ له زهير أربعين رجلا فلما دخل مالك قال لزهير عجل طعامك وقد توثق زهير من الباب وهيأ أصحابه فخرج عليه الاربعون فشدوه وثاقا ثم وضعوا القيود فى رجله ثم قال ابا نصر جعلت فداك والله ماعرفت هذه الدعوة حتى ادخلتنى فيها ودعوتنى اليها فالذى يخرجك منها والله ماأخليك حتى تزور أبا جعفر فبعث به اليه فعفى عنه أبا جعفر و ولاه الموصل قال الهيثم وكان يقال ان عبدالملك بن مروان كان أحزم بنى أمية وان أبا جعفر كان أحزم بنى العباس وأشدهم بأسا وأقواهم قلبا الا ترى ان عبد الملك قتل عمرو بن سعيد فى داخل قصره وابوابه مغلقة وابوجعفر قتل ابامسلم فى داخل سرادقه وليس بينه و بين أهل خراسان الا خرقة

وقال الهيثم ذكر ابن عياش ان أباجعفر قال لحاجبه عيسى بن روضة تقدم الى كل من دخل ان لا يذكر ابا مسلم فى شيء من كلامه قال ابن عياش فاغتممت لذلك فوقفت له خلف ستر ومر راكب مع هشام بن عمر وعبدالله فلما طلع عمر بن عبدالرحمن صاحب شرطه و بيده الحربة ركبت قال ابو الجراح مالك فقلت أسلم على امير المؤمنين قال دونك فدنوت والنهر بينى و بينه فقلت ياامير المؤمنين هنيئا لك وقعة اقعدت كل قائم فقال بيده على فيه ولم يلتفت كالكاره لما سمع وأقبل على صاحبيه قال ابن عياش وكان هذا فى سنة خمس وار بعين ومائة ثم انصرف ابوجعفر الى الحيرة ومعه عمه عبدالله بن على فى غير وثاق وعليه الاحراس وقدهيأله ابوجعفر بيتا فحبسه فيه فلما قدم به قيل انه سمه قال الهيثم ان أساس البيت الذى حبسه فيه من لبن والحيرة كثيرة السواقى ندية الارض فيقال انه امر من الليل بجدول فسرح حول البيت فتهدم عليه فمات قال ابن عياش أقبل رجل من همدان الى أبى جعفر فى وفد من العرب فدخلوا عليه فلما خرجوا وفاتوا بصره قال للآذن على بالهمدانى فلما مثل بين يديه قال له يااخا همدان اخبرنى عن خليفة اسمه على عين قتل ثلاثة أسماؤهم على عين فقال الهمدانى نعم ياامير المؤمنين عبدالملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد الاشدق اسمه على عين وعبد الله بن الزبير وعبدالرحمن بن محمد الاشعث وانت ياامير المؤمنين اسمك على عين وقتلت عبد الرحمن بن مسلم ابامسلم أول اسمه على عين وعبدالجبار الخولانى وسقط البيت على عمك عبدالله فقال ومايدخل سقوط البيت على عمى لاام لك ثم استعمل ابو جعفر على خراسان لسيد بن عبدالله الخزاعى و ولى اباعون عبد الملك بن يزيد ثم ولى بعد ابى عون حميد بن قحطبة ثم ولى المسيب بن زهير حتى مات ابوجعفر المنصور

﴿ قصة سابور ملك فارس ﴾

وذكروا ان اباجعفر دعا اسحاق بن مسلم العقيلى فقال له حدثنى عن الملك الذى كنت حدثتنى عنه بحران فقال نعم اكرمك الله اخبرنى ابى عن حصين بن المنذر ان ملكا من ملوك فارس يقال له سابور الاكبر كان له وزير ناصح قداخذ ادبا من آداب الملوك وشاب ذلك بفهم فى الدين فانتصف من اهلها فعلا وسنا فوجهه سابور داعية

الى اهل خراسان وكانوا قوما يعظمون الدنيا جهالة بالدين واستكانة لحب الدنيا وذلا لجبابرتها فجمعهم على كلمة من الهدى يكيد بها مطالب الدنيا وكان يقال لكل ذليل دولة ولكل ضعيف صولة فلما استوثقت له البلاد جعل الى سابور أمرهم وأحال عليه طاعتهم قوما لا يرامونه الى ماسبق اليهم قبله فلم ينتصف سابور من طاعتهم واستمالة اهوائهم مع مالا يأمن من زوال القلوب وغدرات الوزراء فاحتال على قطع رجائه عن قلوبهم فصمم فقاتلهم ووقف بهم بين الفرقة وتحطب الاعداء فنادى الرجعة واليأس من صاحبهم فرأوا ان يستتموا الدعوة فى طاعة سابور ويتعوضوه من الفتنة فملكهم ثمانين عاما فاطرق أبو جعفر مليا ثم قال متمثلا

لذى الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا وما علم الانسان الا ليعلما

﴿ خروج شريك بن عون على أبى جعفر وخلعه ﴾

وذكروا ان أباجعفر لما استقامت له الامور واستولى على الملك خرج عليه شريك بن عون الهمدانى وقال ماعلى هذا بايعنا آل محمد على ان يسفك الدماء وان يعملوا بغير الحق فخالف اباجعفر وتبعه أكثر من ثلاثين ألفا فوجه اليه أبو جعفر زياد بن صالح الخزاعى فقاتله شهورا ونهى أبو جعفر ان يسبى أحد منهم أو يقتل أحد من رجالهم لانه كان فيهم قوم اخيار ورجال أشراف وكان خروجهم ديانة وانكارا للدماء وللعمل بغير الحق فلذلك لم يقتلوا وكتب اليهم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا وقد عفونا عنكم مرتكم هذه فالله الله على دمائكم فاحقنوها

﴿ اجتماع شبيب بن شيبة مع أبى جعفر قبل ولايته وبعدها ﴾

وذكروا ان شبيب بن شيبة قال حججت عام هلك هشام بن عبد الملك فبينما أنا مريح ناحية المسجد اذ طلع على من بعض أبوابه فتى أسمر رقيق السمرة موفر اللمة خفيف اللحية رحب الجبهة كان عينيه لسانان ناطقان عليه ابهة الاملاك فى زى النساك تقبله القلوب وتتبعه العيون يعرف الشرف فى تواضعه والعفو فى صورته واللب فى مشيته فما ملكت نفسى ان نهضت فى أثره سائلا عن خبره فتحرم بالطواف فلما قضى طوافه قصد المقام ليركع وأنا أرعاه ببصرى ثم نهض منصرفا كأن عينا أصابته فكبا كبوة دميت

منها أصبعه فدنوت منه متوجعا لما ناله متصلا به امسح رجله من عفر التراب فلا يمتنع علي ثم شققت حاشية ثوبي فعصبت على رجله فلم ينكر ذلك ثم نهض متوكئا علي وانقدت له حتى أتى بناء بأعلى مكة فابتدره غلامان تكاد صدورهما تنفرج من هيبته ففتحا له الباب فدخل واجتذبني فدخلت بدخوله فخلى يدي واقبل على القبلة فصلى ركعتين ثم استوى في صدر مجلسه فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال لم يخف على مكانك منذ اليوم فمن تكون فقلت شبيب بن شيبة التميمي فقال الاهتمي فقلت نعم فرحب وقرب ووصف قومي أبين وصف وافصح لسان فقلت أصلحك الله أحب المعرفة وأجل عن المسألة فتبسم وقال لطف أهل العراق أنا عبدالله بن محمد بن على بن عباس فقلت بأبي أنت وأمي ما أشبهك بنسبك وادلك على سلفك وقد سبق الى قلبي من محبتك مالا أبلغه بوصفي اك قال فاحمد الله يا أخا تميم فانا قوم يسعد بحبنا من يحبنا ويشقى ببغضنا من يبغضنا ولن يصل الايمان الى قلب أحدكم حتى يحب الله ورسوله ومهما ضعفنا عن جزائه قوى الله على ادائه فقلت له أنت توصف بالعلم وانا من حملته وأيام الموسم ضيقة وشغل أهله كثير وفي نفسي أشياء أحب ان اسأل عنها افتأذن فيها جعلت فداك قال نحن أكثر الناس مستوحشون وارجو ان تكون للسر موضعا وللامانة واعيا فان كنت على مارجوت فهات على بركة الله فقدمت اليه من وثائق الايمان ماسكن اليه فتلا قول الله «قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم» ثم قال سل فقلت ماترى في من على الموسم وكان عليه يوسف بن محمد الثقفي خال الوليد بن يزيد فتنفس الصعداء ثم قال عن الصلاة خلفه تسأل أم استنكرت ان يتأمر على آل الرسول من ليس منهم قلت عن كلا الامرين اسأل قال ان هذا عند الله عظيم اما الصلاة ففرض الله على عباده فاذا فرضه عليك في كل وقت فان الذي ندبك لحج بيته ومجاهدة عدوه وحضور جماعته واعياده لم يخبرك في كتابه انه لا يقبل منك لسكا الامع أكمل المؤمنين ايمانا رحمة لك ولو فعل ذلك بك ضاق الامر عليك فاسمح يسمح لك ثم كررت عليه السؤال فما احتجت الى ان اسأل عن امر ديني احدا بعده ثم قلت له يزعم اهل العلم بالكتاب انها ستكون لكم دولة لا شك فيها تطالع مطلع الشمس وتظهر بظهورها فاسأل الله خيرها ونعوذ به من شرها قال خذ بحظ لسانك ويدك منها ان

ادركتها قلت او يتخلف عنها احد من العرب وانتم سادتها قال نعم قوم يأبون الا وفاء لمن اصطنعهم وتأبى الاطليا لحقنا فننتصر و يخذلون كما نصراولنا بأولهم وخذل لحالقتنا من خذل منهم فاسترجعت قال هون عليك الامر سنة الله التى قد خلت فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا وليس مايكون منهم بحاجزلنا عن صلة ارحامهم وحفظ اعقابهم فقلت كيف تسلم لهم قلوبكم وقد قاتلوكم مع عدوكم فقال نحن قوم حبب الينا الوفاء وان كان علينا و بغض الينا الغدر وان كان لنا وانما يشذ عنا منهم الاقل فاما انصار دولتنا ونقباء شيعتنا وامراء جيوشنا فهم وموالهم معنا فاذا وضعت الحرب أوزارها صفحنا للمحسن عن المسىء ووهب للرجل قومه ومن اتصل بأسبابه فتذهب المثابرة وتخمد الفتنة وتطمئن القلوب فقلت و يقال انه يبتلى بكم من أخلص لكم المحبة فقال قد روى ان البلاء أسرع الى محبينا من الماء الى قراره قلت لم أرد هذا قال فالذى تريد قلت توقعون بالولى وتحظون العدو فقال من يسعد بنا من الاولياء أكثر ومن يسلم معنا من الاعداء أقل انما نحن بشر ولا يعلم الغيب الا الله و ربما استترت عنا الامور فنوقع بمن لا نريد وان لنا لاحسانا نجازى الله به مداواة ماتكلم ورتق ماتثلم فنستغفر الله بما يعلم وما انكر من الا يكون الامر على ما بلغك ومع الولى التعزز والادلال والثقة والاسترسال ومع العدو التحرز والتذلل والاحتيال وانك لمسؤول يا أخا بنى تميم قلت انى أخاف الا اراك بعد اليوم قال لكن ارجو ان اراك وتراني قريبا ان شاء الله قلت عجل الله ذلك و وهب لى السلامة منكم فانى محبكم فتبسم وقال لا بأس عليك ما أعاذك الله من ثلاثة قلت وماهى قال قدح فى الدين وهتك للملوك وتهمة فى حرمة واحفظ عنى ما أقول لك أصدق وان ضرك الصدق وانصح وان اعدك النصح ولا تخالطن لنا عدوا وان أحظيناه فانه مخذول ولا تخذلن وليا وان أقصيناه وأصحبنا بترك المماكرة وتواضع اذا رفعوك وصل اذا قطعوك ولا تستخف فيمقتوك ولا تنقبض فيحتشموك ولا تخطب الاعمال ولا تتعرض للاموال وانا رائح من عشيتى هذه فهل من حاجة فنهضت لوداعه فودعته ثم قلت أوقت لظهور الامر ومتى قال الله

الموقت والمنذر فخرجت من عنده فاذا مولى له يتبعني فاتاني بكسوة من كسوته وقال لى يأمرك أبو جعفران تصلى فى هذه ثم افترقنا فوالله ما رأيته الا وحرسيان قابضان على يدفعانى الى بيعتى فى جماعة من قومى لنبايعه فلما نظر الى اثبتنى وقال للحرسيين خليا عمن صحت مودته وتقدمت قبل اليوم حرمته وأخذت بيعته فاكبر الناس ذلك من قوله ثم قال لى أين كنت أيام أبى العباس أخى فذهبت اعتذر فقال أمسك فان لكل شىء وقتا لا يعدوه ولن يفوتك ان شاء الله حظ مودتك وحق مشايعتك واخترمنى رزقا يسعك أوخطة ترفعك أوعملا ينهضك فقلت انا لوصيتك حافظ فقال وانا لها احفظ انى انما نهيتك ان تخطب الاعمال ولم أنهك عن قبولها ان اعرضت عليك فقلت الرزق مع قرب أمير المؤمنين أحب الى فقال وذلك أحب الى لك وهو أجم لملبك واودع لك وأعفى ان شاء الله فهل زدت احدا فى عيالك بعد وقد كان سألنى عنهم فعجبت من حفظه فقلت زدت الفرس والخادم فقال قد ألحقنا عيالك بعيالنا وخادمك بخدامنا ولولم يسعنى حملت لك على بيت المال فهل تحملك مائتا دينار لكل غرة أو نزيدك فقلت يا أمير المؤمنين ان شطرها ليحملنى العامين قال فانها لك فى كل غرة فاقبضها من عاملى فى أى بلد أحببت وان شئت فقد ضممتك الى المهدى فانه أفرغ لك منى وارضاه لك ان شاء الله

﴿ حج أبى جعفر ولقائه مالك بن أنس وما قال له ﴾

ذكروا ان أبا جعفر أمير المؤمنين لما استقامت له الامور واستولى على السلطان خرج حاجا الى مكة وذلك فى سنة ثمان وأربعين ومائة فلما كان بمنى أتاه الناس يسلمون عليه ويهنئونه بما أنعم الله عليه وجاءه رجال الحجاز من قريش وغيرهم وفقهائهم وعلمائهم ممن صاحبه وألفه معه على طلب العلم ورواية الحديث فكان فيمن دخل عليهم مالك ابن أنس فقال له أبو جعفر يا أبا عبد الله انى رأيت رؤيا فقال مالك يوفق الله أمير المؤمنين الى الصواب من الرأى ويلهمه الى الرشاد من مقول ويعينه على خير الفعل فرأى أمير المؤمنين فقال أبو جعفر رأيت انى اجلسك فى هذا البيت فتكون من عمار بيت الله الحرام وأحمل الناس على علمك واعهد الى أهل الامصار يوفدون اليك وفدهم

ويرسلون اليك رسلهم فى ايام حجهم لتحملهم من أمر دينهم على الصواب والحق ان شاء الله وانما العلم علم أهل المدينة وأنت أعلمهم فقال مالك أمير المؤمنين أعلاعينا وارشد رأيا واعلم بما يأتى ومايذر وان اذن لى اقول قلت فقال أبوجعفر فنعم فحقيق أنت ان يسمع منك ويصدر عن رأيك فقال مالك ياأمير المؤمنين ان أهل العراق قدقالوا قولا تعدوا فيه طورهم ورأيت انى خاطرت بقولى لأنهم أهل ناحية وأما أهل مكة فليس بها أحد وانما العلم علم أهل المدينة كما قال الامير وان لكل قوم سلفا وأئمة فان رأى أمير المؤمنين أعزالله نصره اقرارهم على حالهم فليفعل فقال أبوجعفر اما أهل العراق فلا يقبل أمير المؤمنين منهم صرفا ولا عدلا وانما العلم علم أهل المدينة وقد علمنا نك انما أردت خلاص نفسك ونجاتها فقال مالك أجل ياامير المؤمنين فاعفنى يعفو الله عنك فقال أبوجعفر قد أعفاك أمير المؤمنين وأيم الله ماأجد بعد أمير المؤمنين اعلم منك ولا أفقه

﴿ دخول سفيان الثورى وسليمان الخواص على أبى جعفر وماقالا له ﴾

وذكروا أنه لما كان أبو جعفر بمنى فى العام الذى حج فيه سفيان الثورى وسليمان الخواص قال أحدهما لصاحبه ألا ندخل على هذا الطاغى الذى كان يزاحمنا بالامس فى مجالس العلم عند منصور والزهرى فنكلمه ونأمره بحق وننهاه عن باطل فلعل أن يقع كلامنا منه موقعا ينفع الله به المسلمين ويأجرنا عليه فقال سليمان الخواص انى لاخشى ان يأتى علينا منه يوم سوء فقال الثورى ماأخاف ذلك فان شئت فادخل وان شئت فدخل سليمان الخواص فامره ونهاه ووعظه وذكره الله وماهو صائر اليه ومسؤول عنه فقال له أبوجعفر أست مقتول ماتقول فى كذا وكذا لشىء سأله عنه من باب العلم فاجابه فلما خرج قال سفيان الثورى ماذا صنعت قال امرت ونهيت ووعظت وذكرت فرضا كان فى رقابنا اديناه مع انه لا يقبل وسالنى عن مسئلة فاجبته قال سفيان ماصنعت شيئا فدخل سفيان الثورى فامره ونهاه فقال له ههنا اباعبد الله الى الى ادن منى فقال انى لا اطأ مالا املك ولا تملك فقال أبوجعفر ياغلام ادرج البساط وارفع الوطاء فتقدم سفيان فصار بين يديه وقعد ليس بينه وبين الارض شىء وهو

يقول « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » فدمعت عينا أبى جعفر ثم تكلم سفيان دون أن يستأذن فوعظ وامر ونهى وذكر واغلظ فى قوله فقال له الحاجب أيها الرجل أنت مقتول فقال سفيان وان كنت مقتول فالساعة فسأله ابو جعفر مسألة فاجابه ثم قال سفيان فما تقول انت ياامير المؤمنين فيما انفقت من مال الله ومال أمة محمد بغير اذنهم وقد قال عمر فى حجة حجها وقد أنفق ستة عشر ديناراهو ومن معه ماارانا الا وقد اجحفنا ببيت المال وقد علمت ماحدثنا به منصور بن عمار وانت حاضر ذلك واول كاتب كتبه فى المجلس عن ابراهيم عن الاسود عن علقمة عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رب متخوض فى مال الله ومال رسول الله فيما شاءت نفسه له النار غدا فقال له أبو عبيد الكاتب أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا فقال له سفيان اسكت فانما اهلك فرعون هامان وهامان فرعون ثم خرج سفيان فقال أبو عبيد الكاتب ألا تامر بقتل هذا الرجل فوالله ماأعلم أحدا أحق بالقتل منه فقال ابو جعفر أسكت يا انوك فوالله ما بقى على الارض أحد اليوم يستحيي منه غير هذا ومالك بن أنس

﴿ دخول ابن أبى ذؤيب ومالك بن أنس وابن سمعان على أبى جعفر ﴾

وذكروا عن مالك بن أنس قال لما ولى ابوجعفر الخلافة ورقى اليه الملاقون المشاؤون بالنميمة عنى بكلام كان قد حفظ على فأتانى رسوله ليلا قال اجب أمير المؤمنين وذلك بعد مفارقتى له وخروجى عنه فلم اشك انه القتل ففزعت من عهدى واغتسلت وتوضأت ولبست ثياب كفنى وتحنطت ثم نهضت فدخلت عليه فى السرادق وهو قاعد على فراش قد نظم بالدر الابيض والياقوت الاحمر والزمرد الاخضر حكى لى انه كان من فرش هشام بن الملك كان قد اهداه اليه صاحب القسطنطينية لا يعلم ثمنه ولا يدرى ماقيمته والشمع يحترق بين يديه وابن أبى ذؤيب وابن سمعان قاعدان بين يديه وهو ينظر فى صحيفة فى يديه فلما صرت بين يديه سلمت فرفع رأسه فنظر الى وتبسم تبسم المغضب ثم رمى بالصحيفة واشار لى الى موضع عن يمينه أقعد فيه فلما قعدت وأخذت مقعدى وسكن روعى رفعت رأسى انظر تلقائى

فاذا انا بواقف عليه درع و بيده سيف شهره يلمع له ماحوله فالتفت عن يميني فاذا انا بواقف عليه جز رمن حديد ثم التفت عن يساري فاذا انا بواقف عليه درع و بيده سيف قد شهره وهم اجمعون قد صفوا اليه و رمقوا بابصارهم خوفا منهم ان يامر في احد امر افيجده غافلا ثم التفت الينا قال امابعد معشر الفقهاء فقد بلغ امير المؤمنين عنكم ما اخشن صدره وضاق به ذرعه وكنتم احق الناس بالكف من ألسنتكم والاخذ بما يشبهكم واولى الناس بلزوم الطاعة والمناصحة في السر والعلانية لمن استخلفه الله عليكم قال مالك فقلت يا أمير المؤمنين قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين » فقال أبو جعفر على ذلكم أى الرجال أنا عندكم أمن أئمة العدل أم من أئمة الجور فقال مالك فقلت يا أمير المؤمنين انا متوسل اليك بالله تعالى وأتشفع اليك بمحمد صلى الله عليه وسلم و بقرابتك منه الا ما أعفيتني من الكلام في هذا قال قد أعفاك أمير المؤمنين ثم التفت الى ابن سمعان فقال له أيها القاضي ناشدتك الله تعالى أى الرجال انا عندك فقال ابن سمعان أنت والله خير الرجال والله يا أمير المؤمنين تحج بيت الله الحرام وتجاهد العدو وتؤمن السبل وتأمن الضعيف بك ان يأكله القوى و بك قوام الدين فأنت خير الرجال وأعدل الائمة ثم التفت الى ابن أبى ذؤيب فقال له ناشدتك الله أى الرجال أنا عندك قال أنت والله عندى شر الرجال استأثرت بمال الله و رسوله وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين واهلكت الضعيف وأتعبت القوى وأمسكت أموالهم فما حجتك غدا بين يدى الله فقال له أبو جعفر و يحك ماتقول أتعقل انظر ما امامك قال نعم قد رأيت أسيافا وانما هو الموت ولا بدمنه عاجله خير من آجله ثم خرجا وجلست قال انى لاجد رائحة الحنوط عليك قلت أجل لما نمى اليك عنى ما نمى وجاءنى رسولك في الليل ظننته القتل فاغتسلت وتطيبت ولبست ثياب كفني فقال أبو جعفر سبحان الله ما كنت لاثلم الاسلام واسعى في نقضه أوما ترانى اسعى في أود الاسلام واعزاز الدين عائذا بالله مما قلت يا أبا عبد الله انصرف الى مصرك راشدا مهديا وان أحببت ما عندنا فنحن ممن لا يؤثر عليك أحدا ولا يعدل بك مخلوقا فقلت ان يجبرنى أمير المؤمنين على ذلك فسمعا وطاعة وان يخيرنى أمير

المؤمنين اخترت العافية فقال ما كنت لاجيرك ولأكرهك انقلب معافا فامكثوا قال فبت ليلتي فلما أصبحنا أمر أبو جعفر بصرر دنانير في كل صرة خمسة آلاف دينار ثم دعا برجل من شرطته فقال له تقبض هذا المال وتدفع لكل رجل منهم صرة أما مالك بن أنس ان أخذها فبسبيله وان ردها فلا جناح عليه فيما فعل وان أخذها ابن أبي ذؤيب فأتني برأسه وان ردها عليك فبسبيله لاجناح عليه وان يكن ابن سمعان ردها فأتني برأسه وان أخذها فهي عافيته فنهض بها الى القوم فأما ابن سمعان فأخذها فسلم وأما ابن أبي ذؤيب فردها فسلم وأما أنا فكنت والله محتاجا اليها فأخذتها ثم رحل أبو جعفر متوجها الى العراق

﴿ كتاب عبيد الله العمري الى أبي جعفر ﴾

وذكروا ان أبا جعفر لما قفل من حجه سنة ثمان وأربعين ومائة سأل عن عبيد الله بن عمر بن حفص بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو الفقيه المعروف بالعمري فقيل له انه لم يحج العام يا أمير المؤمنين ولو حج لكان اول داخل عليك فلا تقبل عليه احدا يا امير المؤمنين ولا يقدح فيه عندك الا باطلي أو كذاب فانه من علمت فقال ابو جعفر والله ما تخلف عن الحج في عامه هذا الا علما منه بأني حاج فلذلك تخلف ولا والله ما زاده ذلك عندي الا شرفا ورفعة واني من التوقير به والاجلال له بحال لا اخال احدا من الناس بذلك لشرفه في قريش وعظم منزلته من هذا الامر والموضع الذي جعله الله فيه والمكان الذي انزله به فلما قدم ابو جعفر بغداد ورد عليه كتاب عبيد الله العمري فيه بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله ابي جعفر امير المؤمنين من عبيد الله بن عمر سلام الله عليك ورحمة الله التي اتسعت فوسعت من شاء اما بعد فاني عهدتك وامر نفسك لك مهم وقد اصبحت وقد وليت امر هذه الامة احمرها واسودها وابيضها وشريفها ووضيعها يجلس بين يديك العدو والصديق والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل ونصيبه من الحق فانظر كيف أنت عند الله يا أبا جعفر واني أحذرك يوما تفنى فيه الوجوه والقلوب وتنقطع فيه الحجة لملك قد قهرهم بجبروته وأذلهم بسلطانه والخلق داخرون له يرجون رحمته ويخافون عذابه وعقابه وانا كنا نحدث ان امر هذه الامة سيرجع في آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية اعداء السريرة واني اعوذ بالله ان تنزل كتابي سوء المنزل انما

كتبت به نصيحة والسلام

﴿ فاجابه ابو جعفر المنصور ﴾

من عبدالله بن محمد امير المؤمنين الى عبيدالله بن عمر بن حفص سلام عليك اما بعد فانك كتبت الى تذكر انك عهدتني وامر نفسي الى مهم فاصبحت وقد وليت امر هذه الامة با سرها وكتبت تذكر انه بلغك ان امر هذه الامة سيرجع فى آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية اعداء السريرة ولست ان شاء الله من أولئك وليس هذا زمان ذلك انما ذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرغبة تكون رغبة بعض الناس الى بعض صلاح دنياهم أحب اليهم من صلاح دينهم وكتبت تحذرني ماحذرت به الامم من قبلي وقدما كان يقال اختلاف الليل والنهار يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد ويأتيان بكل موعود حتى يصير الناس الى منازلهم من الجنة والنار وكتبت تعوذ بالله ان تنزل كتابك سوء المنزل وانك انما كتبت به نصيحة فصدقت وبررت فلا تدع الكتب الى فانه لا غنى بي عن ذلك والسلام

﴿ اجتماع أبي جعفر مع عبدالله بن مرزوق ﴾

وذكروا ان أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين لما حج ودخل بالطواف بالبيت الحرام أمر بالناس فنحوا عن البيت ثم طاف اسبوعه فوثب اليه عبدالله بن مرزوق وقال من جرأك على هذا فلبيه برداثه وهزه وقال له من جعلك أحق بهذا البيت من الناس تحول بينه وبينهم وتنحيهم عنه فنظر أبو جعفر فى وجهه فعرفه فقال عبدالله بن مرزوق قال نعم فقال من جرأك على هذا ومن أقدمك عليه فقال عبدالله بن مرزوق وما تصنع بى بيدك ضرا ونفع والله ما اخاف ضرك ولا ارجو نفعك حتى يكون الله عز وجل يأذن لك فيه ويلهمك الى فعله فقال له أبو جعفر انك أحللت بنفسك وأهلكتها فقال عبدالله بن مرزوق اللهم ان كان بيد أبى جعفر ضرى فلا تدع من الضر شيئا الا انزلته على وان كان بيده منفعتي فاقطع عنى كل منفعة منه أنت يارب بيدك كل شيء وانت مليك كل شيء فامر به أبو جعفر فحمل الى بغداد فسجنه بها وكان يسجنه بالنهار ويبعث اليه بالليل يبيت عنده ويسامره يلبث نهاره بالسجن أجمع ثم يسامره بالليل

ليظهر للناس انه سجن من اعترض عليه لئلا يجترىء الجاهل فيقول قد وسع عفو أمير المؤمنين فلانا أفلا يسعنى فكان دأبه هذا معه زمنا طويلا حتى نسى أمره وانقطع خبره ثم خلى سبيله فلحق بمكة فلم يزل بها حتى مات أبو جعفر وولى ابنه المهدى فلما حج المهدى فعل مثل ذلك فقعل به عبد الله بن مرزوق مثل ذلك أيضا فاراد قتله فقيل له يا أمير المؤمنين انه قد فعل هذا بابيك فكان من صنيعه ان حمله الى بغداد فسجنه بالنهار وسامره بالليل وأنت أحق من أخذ بهديه واحتذى على مثاله وورث اكرومانه فحمله المهدى معه فمات ببغداد رحمه الله

﴿ ذكر ما نال مالك بن أنس من جعفر بن سليمان ﴾

وذكروا انه هاج بالمدينة هيج فى ابتداء أيام أبى جعفر فبعث اليها أبو جعفر ابن عمه جعفر بن سليمان بن العباس ليسكن هيجها وفتنها ويجدد بيعة أهلها فقدمها وهو يتوقد نارا على أهل الخلاف لهم فاظهر الغلظة والشدة وسطا بكل من ألحد فى سلطانهم وأشار الى المنازعة لهم وأخذ الناس بالبيعة وكان مالك بن أنس رحمه الله لم يزل صغيرا وكبيرا محسدا وكذلك كل من عظمت نعمة الله عليه فى علمه أو عمله أو فهمه أو ورعه فكيف بمن جمع الله ذلك فيه ولم يزل منذ نشأ كذلك قد منحه الله تعالى العلم والعمل والفهم واللعب والنبل ووصل له ذلك بالدين والفضل عرف منه ذلك صغيرا وظهر فيه كبيرا واستلب الرئاسة ممن كان قد سبقه اليها بظهور نعمة الله عليه وسموها به على كل سام فاستدعى ذلك منهم الحسد له وألجأهم ذلك الى البغى عليه فدسوا الى جعفر بن سليمان من قال له ان مالكا يفتى الناس بان ايمان البيعة لا تحل ولا تلزمهم لمخالفتك واستكراهك اياهم عليها وزعموا انه يفتى بذلك أهل المدينة أجمعين لحديث رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه فعظم ذلك على جعفر واشتد عليه وخاف ان ينحل عليه ما أبرم من بيعة أهل المدينة وهم ان يبدر فيه بما عافاه الله منه وأنعم على المسلمين ببقائه فقيل له لا تبدر فيه بادرة فانه من اكرم الناس على أمير المؤمنين وآثرهم عنده ولا باس عليك منه فلا تحدث شيئا الا بامر أمير المؤمنين أو يستحق ذلك عندنا بامر لا يخفى على أهل المدينة فدس اليه جعفر

ابن سليمان بعض من لم يكن مالك يخشى ان يؤتى من قبله ولا من منه يؤتى الحذر فسأله عن الايمان فى البيعة فافتاه مالك بذلك طمأنينة اليه وحسنه فيه فلم يشعر مالك الا ورسول جعفر بن سليمان فيه فاتوا به اليه منتهك الحرمة مذال الهيبة فامر به فضرب سبعين سوطا فلما سكن الهيج بالمدينة وتمت له البيعة بلغ بمالك ألم الضرب حتى أضجعه

﴿ انكار أبى جعفر المنصور لضرب مالك ﴾

وذكروا انه لما بلغ أبا جعفر ضرب مالك بن أنس وما أنزل به جعفر بن سليمان أعظم ذلك اعظاما شديدا وانكره ولم يرضه وكتب بعزل جعفر بن سليمان عن المدينة وأمر أن يؤتى به الى بغداد على قتب وولى على المدينة رجلا من قريش من بنى مخزوم وكان يوصف بدين وعقل وحزم وذكاء وذلك فى شهر رمضان من سنة احدى وستين ومائة وكتب أبو جعفر الى مالك بن أنس ليستقدمه الى نفسه ببغداد فابى مالك وكتب الى أبى جعفر يستعفيه من ذلك ويعتذر له ببعض العذر اليه فكتب أبو جعفر اليه ان وافنى بالموسم العام القابل ان شاء الله فانى خارج الى الموسم

﴿ دخول مالك على أبى جعفر بمنى ﴾

وذكروا ان مالكا حج سنة ثلاث وستين ومائة ثم وافى أبا جعفر بمنى أيام منى فذكروا ان مطرفا أخبرهم وكان من كبار أصحاب مالك قال قال لى مالك لما صرت بمنى أتيت السرادقات فاذنت بنفسى فاذن لى ثم خرج الى الاذن من عنده فادخلنى فقلت للاذن اذا انتهيت بى الى القبة التى يكون فيها أمير المؤمنين فاعلمنى فمر بى من سرادق الى سرادق ومن قبة الى أخرى فى كلها اصناف من الرجال بايديهم السيوف المشهورة والاجزرة المرفوعة حتى قال لى الاذن هو فى تلك القبة ثم تركنى الاذن وتأخر عنى فمشيت حتى انتهيت الى القبة التى هو فيها فاذا هو قد نزل عن مجلسه الذى يكون فيه الى البساط الذى دونه واذا هو قد لبس ثيابا قصدة لا تشبه ثياب مثله تواضعا لدخولى عليه وليس معه فى القبة الا قائم على رأسه بسيف صلت فلما دنوت منه رحب بى وقرب ثم قال ههنا الى فأوميت للجلوس فقال ههنا فلم يزل يدنينى حتى اجلسنى اليه ولصقت ركبتى بركبتيه ثم كان أول ما تكلم به أن قال والله الذى

لا اله الا هو يا أبا عبدالله ما أمرت بالذى كان ولا علمته قبل ان يكون ولا رضيته اذا بلغنى (يعنى الضرب) قال مالك فحمدت الله تعالى على كل حال وصليت على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم نزهته عن الامر بذلك والرضاء به ثم قال يا أبا عبدالله لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين اظهرهم وانى أخالك أمانالهم من عذاب الله وسطوته ولقد دفع الله بك عنهم وقعة عظيمة فانهم ما علمت أسرع الناس الى الفتن وأضعفهم عنها قاتلهم الله أنى يؤفكون وقد أمرت أن يؤتى بعدو الله من المدينه على قتب وأمرت بضيق مجلسه والمبالغة فى امتهانه ولا بد أن انزل به من العقوبة اضعاف ما نالك منه فقلت له عافى الله أمير المؤمنين وأكرم مثواه قد عفوت عنه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم منك قال أبو جعفر وانت فعفى الله عنك ووصلك قال مالك ثم فاتحنى فيمن مضى من السلف والعلماء فوجدته أعلم الناس بالناس ثم فاتحنى فى العلم والفقه فوجدته اعلم الناس بما اجتمع عليه وأعرفهم بما اختلفوا فيه حافظا لما روى واعيا لما سمع ثم قال لى يا أبا عبد الله ضع هذا العلم ودونه ودون منه كتبا وتجنب شدائد عبدالله بن عمر ورخص عبدالله بن عباس وشواذ بن مسعود واقصد الى أواسط الامور وما اجتمع عليه الائمة والصحابة رضى الله عنهم لنحمل الناس ان شاء الله على علمك وكتبك ونبثها فى الامصار ونعهد اليهم أن لا يخالفوها ولا يقضوا بسواها فقلت له أصلح الله الامير ان أهل العراق لا يرضون علمنا ولا يرون فى علمهم رأينا فقال أبو جعفر يحملون عليه وتضرب عليه هاماتهم بالسيف وتقطع طى ظهورهم بالسياط فتعجل بذلك وضعها فسيأتيك محمد بن المهدى العام القابل ان شاء الله الى المدينة ليسمعها منك فيجدك وقد فرغت من ذلك ان شاء الله قال مالك فبينا نحن قعود اذ طلع له بنى صغير من قبة بظهر القبة التى كنا فيها فلما نظر الى الصبى فزع ثم تقهقر فلم يتقدم فقال له أبو جعفر تقدم يا حبيبى انما هو أبو عبدالله فقيه أهل الحجاز ثم التفت الى فقال يا أبا عبدالله أتدرى لما فزع الصبى ولم يتقدم فقلت لا فقال والله استنكر قرب مجلسك منى اذلم ير به أحدا غيرك قط فلذلك قهقر قال مالك ثم أمر لى بالف دينار عينا ذهبا وكسوة عظيمة وأمر لابنى بالف دينار ثم استأذنته

فأذن لى فقمت فودعني ودعا لى ثم مشيت منطلقا فلحقني الخصي بالكسوة فوضعها على منكبي وكذلك يفعلون بمن كسوه وان عظم قدره فيخرج بالكسوة على الناس فيحملها ثم يسلمها الى غلامه فلما وضع الخصي الكسوة على منكبي انحنيت عنها بمنكبي كراهة احتمالها وتبرأ من ذلك فناداه أبوجعفر بلغها رحل أبي عبد الله

﴿ماقال أبوجعفر لعبد العزيز بن أبي رواد﴾

وذكروا ان أباجعفر لما دخل فى الطواف بالبيت لقى عبد العزيز بن أبى رواد فى الطواف فقبض على يده ثم قال له أتعرفني قال لا الا ان قبضتك قبضة جبار فقال له أنا أبوجعفر أمير المؤمنين فسلنى من حوائجك ماشئت اقضيها قال أسألك برب هذا البيت ان لا ترسل الى بشيء حتى آتيك طوعا فقال له أبوجعفر ذلك لك فأقبل يمشي بمشيته فى طوافه وكان شيخا كبيرا ضعيفا فتأنف بقربه وثقل عليه كلامه فقال أسألك بحرمة هذا البيت الا تنحيت عنى فتنحى عنه أبوجعفر وخلى سبيله وكان عبد العزيز بن أبى رواد هذا لا يرفع رأسه الى السماء تخشعا لله فاقام كذلك أربعين سنة

﴿قدوم المهدى الى المدينة﴾

وذكروا ان مالك بن أنس لما أخذ فى تدوين كتبه و وضع علمه قدم عليه المهدى بن أبى جعفر فسأله عما صنع فيما أمره به أبوجعفر فاتاه بالكتاب وهى كتب الموطأ فامر المهدى بانتساخها وقرئت على مالك فلما تم قراءتها أمر له باربعة آلاف دينار ولابنه بالف دينار

﴿موت أبى جعفر المنصور واستخلاف المهدى﴾

وذكروا انه لما كانت سنة ست وستين ومائة قدم أبوجعفر مكة فلما قضى حجه احتضر ثلاثة أيام ثم توفى فى اليوم الرابع و ولى ابنه محمد المهدى وكان معه يومئذ بمكة أخوه جعفر ببغداد وكان قد عهد اليه أبوجعفر فلما قفل المهدى الى بغداد أتاه رجل فقال له أدرك أخاك جعفر فانه قدهم بمنازعتك وهو يريد خلعك فاخذ فى السير ومعه الجنود والاموال وصناديد الرجال من العراق ورجال العرب و وجوه قريش فلما قدم العراق اعتذر اليه جعفر مما رفع اليه عنه وحلف له انه ما نوى ولا أراد منازعته

ولا أشار الى خلافه ولا هم به فقبل منه المهدى ذلك وعفى عنه وكان كريمـا سخيا حليما فلما كان سنة سبع وستين ومائة قدم حاجا فدخل المدينة زائرا لقبر النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه مالك فحضه على الاحسان الى أهل المدينة وحدثه بفضلها وفضل أهلها و بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب (وهى المدينة) تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد ثم قال يا امير المؤمنين أفليس هؤلاء أهلا ان يعانوا على الصبر عليها وعلى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المهدى بلى والله يا ابا عبدالله حتى لا أجد الامثل هذا ومديده ليأخذ من الارض شيئا فلم يجده ثم قال صدقت فيهم و بررت وحضضت على الرشد فانت أهل ان يطاع أمرك و يسمع قولك فامر له بخمسة أبيات مال والبيت عندهم خمسمائة الف وأمر مالكا أن يختار من تلامذته رجالا يثق بهم و يعتمد عليهم يقسمونهـا على أهل المدينة و يؤثرون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسـلم وأهل بيت أبى بكر وعمر وعثمان ثم أهل بيوت المهاجرين والانصار ثم الذين أتبعوهم باحسان ففعل فاغنى أهل المـدينة عامهم ذلك

﴿ ذكر استخلاف هارون الرشيد ﴾

وذكروا انه لمـا كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة توفى المهدى وذلك انه خرج يوما الى بعض المنازل ومعه أهله و بعض بنيه وكان قد ذكر ان يستخلف ابنه عبد الله بعده ثم غفل عن ذلك وتركه فحمل عبدالله الحرص والطيش الى ان دس على ابيه بعض الجواري المتمكنات منه بسمه و بذل لهـا على ذلك الاموال ومناها امانى الغرور فلما سمته و وصل اليه السم عرف المهدى انه قد قتل فدعا كاتبه فقال له عجل واكتب عهد هارون الرشيد وخذ بيعة الجند وامراء الاجناد واكتب بذلك الى ولاة الامصار وكان الرشيد اصغر بنيه وكان ابن أمة لا يطمع فى خلافة ولا يطن بها فادخله على نفسه وهو يجود بها والرشيد لا يعلم انه مستخلف فقال له المهدى أى بنى والله ما اردت استخلافك ولا هممت به لحداثة سنك وقد كان قال لى جدك ابو جعفر وانت يومئذ قد ترعرعت فى اول رؤيةرآك انا بنى هذا الاعين سيلى هذا الامر و يسير

فيه سيرة صالحة فقلت يا ابت اتظن ذلك قال ما هو بالظن ولكنه اليقين ويكون ملكا بضعا وعشرين سنة وتقتله الحمى الربع فاندفع الرشيد باكيا فقال له ما يبكيك يا فتى قال يا ابت انك والله نعيت لى نفسي وعرفتني متى اموت ومما اموت قال هو ذاك فشمر واجتهد وجد وخذ بالحزم والكرم ودع الاحن وانظر اخاك عبد الله فلا يناله منك مكروه فقد عفوت عنه فقال الرشيد يا ابت وتعفو عنه وقد اتى ما ذكرت وصنع ما وصفت فقال يا بنى وما على ان أعفو عمن أكرمنى الله على يديه وارجو ان يغفر لى بصنيعته بى ان شاء الله عليك يا بنى بتقوى الله العظيم وطاعته فاتخذها بضاعة يأتيك الربح من غير تجارة أوصيك باخوتك خيرا وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل حسناتهم وتجاوز عن سيئاتهم واغفر زلاتهم وأوصيك باهل الحرمين خيرا فقد علمت من هم وأبناء من هم اجزل لهم العطاء وأحسن لهم الجزاء يكافئك الله فى الآخرة والاولى ثم توفى المهدى من يومه ذاك واستخلف الرشيد وخرج الى الناس يبايعهم بوجه طلق ولسان سلط فبايعوه ببغداد وذلك يوم الخميس من المحرم سنة ثلاث وسبعين ومائة وتمت له البيعة يوم الجمعة فى المسجد الجامع فلم يختلف عليه أحد ولا كره خلافته مخلوق فاحسن السيرة واحكم أمر الرعية وكان أوحد أهل بيته ولم يشبهه أحد من الخلفاء من أهله رحمه الله

﴿قدوم هارون الرشيد المدينة﴾

وذكروا انه لما كانت سنة أربع وسبعين ومائة خرج هارون حاجا الى مكة فقدم المدينة زائرا قبر النبي عليه السلام فبعث الى مالك بن أنس فاتاه فسمع منه كتاب الموطا وحضر ذلك يومئذ فقهاء الحجاز والعراق والشام واليمن ولم يختلف منهم أحد الا وحضر الموسم مع الرشيد وسمع وسمعوا من مالك موطأه الذى وضع وكان قارئه يومئذ حبيب كاتب الرشيد فلما تم قراءته قال هارون لفقهاء الحجاز والعراق هل انكرتم شيئا من هذا العلم قالوا ما أنكرنا شيئاً الا ما ذكر من أمر الدماء والتدمية فى القتل فان هذا من أنكر ما يكون من العلم وأبطله يقول الرجل قتلنى فلان فيقبل منه ويحلف أولياؤه على القاتل خمسين يمينا ثم يقتل ولعل أولياءه لم يحضروا ولم يكونوا بمصره فيعرض بهم الحنث فى الايمان فيقبل قول رجل على غيره وهو لا يقبل فى ربع دانق يدعيه الا ببينة تقوم ان هذا

لهو الضلال وقد قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه ابن عباس حيث قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء قوم وأموالهم ولكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر قال الرشيد ويحكم ان فى كتاب الله ما يصدق ذلك ولا اخال أبا عبد الله أخذه الا من كتاب الله فاستثبتوه فارسل اليه فاقبل فقال هارون يا أبا عبد الله ان أصحابنا هؤلاء لم يختلف منهم اثنان فى الانكار عليك فيما وضعت فى موطئك من التدمية وتصديق قول من ادعى وانت وهم تزعمون بطل دعوى من ادعى على رجل دانقا الا بينة تقوم له فاخبر القوم واوضح لهم حجتك فى ذلك وأنا معك عليهم فانى لا اعلم بعد أمير المؤمنين أحدا اعلم منك فقال مالك يا أمير المؤمنين ان مما يصدق القسامة ما فى كتاب الله من القتل والاخذ بالدم الذى كان فى بنى اسرائيل قال الله عز وجل « اضربوه ببعضها » فذبحت البقرة ثم ضربوه ببعضو من اعضائها فحيى القتيل ثم تكلم فقال فلان قتلنى فقتله موسى بن عمران عليه السلام بقوله ذلك وهو حكم التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا فالذين أسلموا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقد حكم بالتوراة رسول الله فى المرجوم اليهودى الذى زنا فرجمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر أنس بن مالك رضى الله عنه ان يهوديا لقى جارية من جوارى الانصار فى بعض انقاب المدينة وعليها أوضاح من ذهب وورق فاخذ الاوضاح منها وشدخ رأسها بين حجرين فأدركت الجارية وبها رمق فاتهم بها اليهود فاتى بهم فعرضوا عليها رجلا رجلا وهى لا تتكلم حتى أتى بصاحبها الذى قتلها فعرفته فقيل لها هذا الذى قتلك فأومأت برأسها أن نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فشدخ رأسه بين حجرين فهذا يا أمير المؤمنين حكم الدماء والقسامة فيها سنة قائمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء فقنعوا منه بذلك وصاروا الى الرضاء بقوله والتصديق لروايته والتسليم لتأويل ما تأول من القرآن الكريم ثم قال له مالك ان أباك يا أمير المؤمنين بعث الىّ فى هذا المجلس كما بعثت الىّ وحدثته عما حدثتك به فى شأن أهل المدينة وما يصيرون عليه من البلاء وشدة الزمان وغلاء الاسعار صبرا على ذلك واحتيارا لجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هارون ذلك أبى وأنا ابنه وسوف أفعل ما فعل وأمر لاهل المدينة بعشر أبيات مال

ضعنى ماأمرهم المهدى وكان أبو يوسف القاضى مع الرشيد يومئذ فسأله أن يجمع بينه وبين مالك ليكلمه فى الفقه فقال الرشيد لمالك كلمه يا أبا عبد الله فامتنع من ذلك مالك وتنزه عنه وقال لهارون ههنا من فتيان قريش من تلامذتنا من يبلغ حاجة أمير المؤمنين ويخصمه فيما يتكلم به ويذهب اليه فسر ذلك الرشيد حين أضاف ذلك الى قريش فقال من هو فقال المغيرة بن عبد الرحمن المخزومى فبعث اليه الرشيد فقال كلمنى بما بدا لك أجاوبك فقال أبو يوسف القاضى يا أمير المؤمنين ان هؤلاء يعنى مالك وأصحابه يقضون بغير ما فى كتاب الله يقول الله عز وجل « وأشهدوا ذوى عدل منكم » وقال « وأشهدوا شهيدين من رجالكم » وهؤلاء يقضون باليمين مع الشاهد ولا تسمع ان الله تعالى ذكر الا شاهدين وأربعة شهداء ولم يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قضى به وانما يدور هذا الحديث الذى روى فيه سهيل عن أبى صالح عن أبيه ثم نسبه سهيل فكان يحدث ويقول حدثنى ربيعة عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد فلما نسبه سهيل بطل الخبر وأثبت أصله فلا معنى لذكره قال المغيرة قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضى به على بالكوفة فقال ابو يوسف انا اكلمك بالقرآن وانت تكلمنى بافعال الناس أتراك تعرفنى بهذا وبما قضى به على وغيره فقال المغيرة فاست كافرا بنبى قضى باليمين مع الشاهد او مؤمن به فسكت ابو يوسف فحجه المغيرة فسر بذلك الرشيد وامر للمغيرة بالف دينار ثم ارسل الرشيد الى مالك فقال ما تقول فى هذا المنبر فانى اريد ان انزع مازاد فيه معاوية بن ابى سفيان واردهالى الثلاث درجات التى كانت بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك لا تفعل يا امير المؤمنين فانما هو من عود ضعيف قد تخرمته المسامير فان نقضته تفكك وذهب اكثره ومع هذه يا امير المؤمنين لو أعدته الى ثلاث درجات لم آمن عليه ان ينتقل عن المدينة يأتى بعدك احد فيقول او يقال له ينبغى لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون معك حيث كنت فانما المنبر للخليفة فينتقل كما انتقل من المدينة كلما كان بها من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعلم انه ترك له عليه الصلاة والسلام بها ولا نعل ولا شعر ولا فراش ولا عصاة ولا قدح ولا شىء مما كان له ههنا من آثاره الا وقد انتقل فاطاعه الرشيد وانتهى عن ذلك

برأى مالك بن انس وكان ذلك رحمة من الله لاهل المدينة وتثبيتا لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم

﴿ مسير الرشيد الى فضل بن عياض ﴾

وذكروا ان الرشيد كان كثيرا ما يتلثم فيحضر مجالس العلماء بالعراق وهو لا يعرف وكان قد قسم الايام والليالى على سبع ليالى فليلة للوزراء يذاكرهم امور الناس ويشاورهم فى لمهم وليلة للكتاب يحمل عليهم الدواوين ويحاسبهم عما لزم من اموال المسلمين ويرتب لهم ماظهر من صلاح امور المسلمين وليلة للقواد وامراء الاجناد يذاكرهم امر الامصار ويسألهم عن الاخبار ويوقفهم على ماتبين له من صلاح الكور وسد الثغور وليلة للعلماء والفقهاء يذاكرهم العلم ويدارسهم الفقه وكان من أعلمهم وليلة للقراء والعباد يتصفح وجوههم ويتعظ برؤيتهم ويستمع لمواعظهم ويرقق قلبه بكلامهم وليلة لنسائه وأهله ولذاته يتلذذ بدنياه ويأنس بنسائه وليلة يخلوا فيها بنفسه لا يعلم أحد قرب أو بعد ما يصنع ولا يشك أحد انه يخلو فيها بربه يسأله خلاص نفسه وفكاك رقه فبينما هو يوما فى مجلس محمد بن السماك وقد قصد لرؤيته يسمع لموعظته ولا يعلم أحدا بمكانه فسمع بعض أهل المجلس يذكر الفضل بن عياض ويصف فضله وعبادته وعلمه وورعه فاشتهى النظر اليه وتاقت نفسه الى رؤيته ومحادثته فتوجه من العراق الى الحجاز قاصدا اليه ومعه عبد الله بن المبارك فقيه اهل بغداد وعالمهم وكان الفضل ابن عياض يسكن العراق فلما قربا من موضعه قال عبد الله بن المبارك يا امير المؤمنين ان الفضل ان عرفك وعرف مكانك لم يأذن لك عليه ويسفر عنك فقال هارون تستأذن أنت عليه وتخفى مكانى عنه حتى يأذن بالدخول فاستأذن عليه ابن المبارك قال الفضل من بالباب قال ابن المبارك قال مرحباً يا أخى وصاحبى فقال ابن المبارك ومن معى يدخل قال الفضل ومن معك قال رجل من قريش فقال الفضل لا اذن لا حاجة لى برؤية أحد من قريش فقال له ابن المبارك انه من العلم والعناية والفقه فيه بمكان فقال له الفضل أو ما علمت ان ابليس أفقه الناس فقال له ابن المبارك انه سيد قريش فى زمانه هذا وفوقهم واعلم انه فوقهم فى الدنيا وسيدهم فقال له الفضل فان كان كما تقول فليدخل فدخل الرشيد فسلم عليه ثم جلس بين يديه فتحدثوا ساعة فقال له ابن المبارك يا أبا الحسن أتدرى

من هذا قال لا أدرى فقال له هذا هارون بن محمد الرشيد أمير المؤمنين فنظر اليه الفضل بن عياض ساعة ثم قال هذا الوجه الجميل يسأل غدا عن أمة محمد و يؤاخذ بها لئن كان العفو والغفران يسعك مع ما أنت فيه ان هذا هو الفضل المبين وكان الرشيد من أجمل الناس خلقا وأحسنهم نطقا وأبلغهم لسانا وأعذبهم كلاما وأكثرهم علما وفهما ثم جعل الفضل ابن عياض يعظه و يخوفه حتى بكى هارون بكاء شديدا قال ابن المبارك ما رأيت احدا يبكى بكاء الرشيد يومئذ ثم أفاق من بكائه فجعل الفضل يذكر مثالبه ومثالب أهل بيته ورداءة سيرتهم وخلافهم الحق ثم لم يدع شيئاً يعيبه به ولا أمرا ينتقصه فيه الا واستقبله به فقال له الرشيد يا أبا الحسن أما لك ذنوب تخاف ان تهلك بها ان لم يغفرها الله لك فقال الفضل بلى فقال الرشيد فما جعلك بأحق ان ترجو المغفرة منى وانا على دين يقبل الله فيه الحسنات و يعفو عن السيآت ومع ذلك فانى والله ما كنت لاخير بين شىء و بين الله الا اخترت الله تعالى على ماسواه الله الشاهد على قولى والمطلع على نيتى وضميرى وكفى به شهيدا وانا مع هذا ألى من الاصلاح بين الناس والجهاد فى سبيل الله والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ما لا تليه أنت فما جعلك أحق ان ترجو المغفرة منى فسكت الفضل ساعه ثم قال ما ظلمك من حجك ثم قام هارون للخروج فقال الفضل يا أمير المؤمنين انى أخشى أن يكون العلم قد ضاع قبلك كما ضاع عندنا فقال الرشيد أجل انه ما قلت فلما قدم الرشيد العراق كان أول ما ابتدأ فيه النظر ان كتب الى الامصار كلها والى امراء الاجناد أما بعد فانظروا من التزم الاذن عندكم فاكتبوه فى ألف من العطاء ومن جمع القرآن وأقبل على طلب العلم وعمر مجالس العلم ومقاعد الادب فاكتبوه فى ألفى دينار من العطاء ومن جمع القرآن و روى الحديث وتفقه فى العلم واستجر فاكتبوه فى اربعة آلاف دينار من العطاء وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الامر من المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم فاسمعوا قولهم واطيعوا أمرهم فان الله تعالى يقول « اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » وهم أهل العلم قال ابن المبارك فما رأيت عالما ولا قارئا للقرآن ولا سابقا للخيرات ولا حافظا للمحرمات

فى أيام بعد أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام الخلفاء والصحابة أكثر منهم فى زمن الرشيد وايامه لقد كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثمان سنين ولقد كان الغلام يستبحر فى الفقه والعلم ويروى الحديث ويجمع الدواوين ويناظر المعلمين وهو ابن احدى عشر سنة

﴿ ذكر الحائك المتطفل ﴾

وذكروا ان الرشيد لما انصرف من الحجاز وصار بالرقة قال لوزيره عمرو بن مسعدة مازلت تكلمنى وتستلطفنى فى الرجحى حتى وليته الاهواز فقعد فى سرة الدنيا يأكلها خضما وقضما ولم يوجه الينا درهما فاخرج اليه من ساعتك هذه حتى تحل ساحته ثم لاتدع له حرمة الاانتهكتها ولاا كرومة الااهنتها ثم لاتسمع له حجة يرفعها ولاتقبل منه كلمة ينهيها ان اعتذر فلاتقبل له عذرا وان قال فلاتقبل له قولا فشر قائل واكذب متظلم فقلت فى نفسى أبعد الوزارة أصير مستحثا على عامل خراج ولكن لم أجد بدا من طاعة أمير المؤمنين اذ كانت ولايته بسببى فقلت أخرج يا أمير المؤمنين قال فاحلف انك لاتلبث فى بغداد الايوما فحلفت له ثم انحدرت الى بغداد ثم خرجت فلما صرت بين دير هرقل وبين دير العاقول اذا رجل يصيح ياملاح رجل منقطع فقلت للملاح قربه الى الشط فقال ياسيدى هذا رجل شحاذ وان قعد معك آذاك فلم التفت اليه وامرت الغلمان فادخلوه فقعد فلما حضر الغداء دعوته فكان يأكل أكل جائع بنهامة الاانه نظيف الاكل فلما رفع الطعام أردت ان يقوم ويغسل يديه فى ناحية لم يفعل فغمزه الغلمان فلم يفعل فتشاغلت عنه ليقوم ثم قلت له ياهذا اما صناعتك قال لى حائك فقلت فى نفسى هذه شر من الاولى ماألوم غير نفسى اذ لم أقبل ممن نصحنى وصرت أواكل الحوكة فقلت توضأ يا أخى فتوضأ ثم قال لى جعلت فداك قد سألتنى عن صناعتى فما صناعتك أنت فقلت فى نفسى هذه شر من الاولى وكرهت ان اذكر الوزارة وقلت اقتصر على الكتابة فقلت له كاتب فقال ان الكتابة على خمسة اصناف كاتب رسائل يحتاج ان يعرف الفصل من الوصل والصدور ورقيق الكلام والتهانى والتعازى والترهيب والترغيب والمقصور والممدود وجملا من العربية وكاتب جند يحتاج الى

ان يعرف حساب التقدير وشيات الدواب وحلى الناس ونعوتهم وكاتب قاضى يحتاج أن يكون عالما بالشروط والاحكام عارفا بالناسخ والمنسوخ من القرآن والحلال من الحرام والفروع والمواريث وكاتب شرطة يحتاج ان يكون عالما بالجروح والقصاص والديات فقيها فى احكام الدماء عارفا بدعوى التعدى وكاتب خراج يحتاج ان يعرف الزرع والمساحة وضروب الحساب فايهم أنت اعزك الله قلت فوالله ماقضى كلامه حتى صار أعظم الناس فى نفسى وأحبهم الى وصار كلامه عندى اشهى من الماء البارد العذب على الظمآن فقلت له أصلحك الله تقدم الى وادن منى اكلمك واقعدك المقعد الذى يقعده مثلك فلولا ان من البر يكون عقوقا لاقعدتك مقعدى هذا قال مقعدى الذى أنا به أولى بى فقلت أمتع الله بك انا كاتب رسائل قال فاخبرنى لو كان لك صديق تكتب اليه فى المحبوب والمكروه وجميع الاسباب فتزوجت أمه كيف كنت تكتب اليه تهنئه أم تعزيه قلت والله مادرى كيف الوجه فى هذا وهو بالتعزية أولى منه بالتهنئة قال صدقت كيف كنت تعزيه فقلت والله ما أقف على ما تقول قال فلست بكاتب رسائل فأيهم انت قلت كاتب خراج قال فما تقول اصلحك الله وقد ولاك السلطان عملا فبثثت عمالك فيه فجاء قوم يتظلمون من بعض عمالك فاردت ان تنظر فى أمرهم وتنصفهم اذا كنت تحب العدل وتؤثر حسن الاحدوثة وطيب الذكر وكان لاحدهم براح فاردت مساحته كيف كنت تمسحه قلت اضرب العطوف فى العمود وانظر الى مقدار ذلك قال اذا تظلم الرجل قلت فامسح العمود على حدته قال اذا تظلم السلطان قلت والله مادرى قال لست بكاتب خراج فايهم انت قلت كاتب جند قال فما تقول فى رجلين اسم كل واحد منهما احمد احدهما مقطوع الشفة العليا والآخر مقطوع الشفة السفلى كيف كنت تنعتهما وتحليهما فقلت كنت اكتب احمد الأعلم واحمد الاعلم قال فكيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق ذاك ألف درهم فيقبض هذا عطاء ذاك وذاك عطاء هذا فتظلم صاحب الالف قلت والله مادرى قال فلست بكاتب جند فايهم أنت قلت كاتب قاضى قال فما تقول فى رجل خلف سرية وزوجة وكان للزوجة بنت وللسرية ابن فلما كان تلك الليلة التى مات

الرجل أخذت الحرة ابن السرية فادعته وجعلت ابنها مكانه فتنازعتا فيه فقالت هذه ابني وقالت هذه ابني كيف كنت تحكم بينهما وأنت خليفة القاضي فقلت والله ما أدري قال فلست بكاتب قاضي فأيهم أنت فقلت كاتب شرطة قال فما تقول في رجل وثب على رجل فشجه شجة موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه شجة مأمومة كيف كنت تقضي بينهما فقلت ما أعلم قال فلست بكاتب شرطة فقلت اصلحك الله قد سألت فقسر لي ما ذكرت فقال اما الذي تزوجت أمه فتكتب اليه اما بعد فان احكام الله تجري بغير محاب المخلوقين والله يختار للعباد فخار الله لك في قبضها اليه فان القبر اكرم لها والسلام واما البراح فتضرب واحدا وثلثا في مساحة العطوف فمن ثم بابه واما أحمد وأحمد فتكتب حلية المقطوع الشفة العليا أحمد الاعلم والمقطوع الشفة السفلى أحمد الاشرم واما المرأتان فيوزن لبن هذه ولبن هذه فأيهما كان أخف فهي صاحبة البنت واما صاحب الشجة فان في الموضحة خمسا من الابل وفي المأمومة ثلاثا وثلاثين وثلثا فيرد صاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلثاً فقلت اصلحك الله فما أتى بك ههنا قال ابن عم لي كان عاملا على ناحية فخرجت اليه فالفيته معزولا فقطع بي فانا خارج اضطرب في المعاش قلت ألست قد ذكرت انك حائك فقال جعلت فداك انما أحوك الكلام ولست بحائك الثياب قال فدعوت المزين فاخذ من شعره وادخل الحمام وطرحت عليه من ثيابي فلما صرت الى الاهواز كلمت فيه الرجحي فاعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معي فلما صرت الى أمير المؤمنين ألفيته قد توقد على ناراوامتلاً غيظا وقد حلف بالمشي الى الكعبة ان ينالني منه يوم سوء لطول مقامي واشتغالي عنه بالرجل فلما دخلت عليه قال ما كان من خبرك في طريقك وما الذي شغلك بعد أمري لك ان لا تلبث ببغداد الا يوماً واحدا ويمينك على ذلك فاخبرته خبري حتى حدثته بحديث الرجل وقصتي معه قال لقد جئتني باعظم الفوائد فلاى شيء يصلح ويحك قلت هو والله يا أمير المؤمنين أعلم الناس بالفقه والعلم والحلال والحرام والهندسة والفلسفة والحساب والكتابة فولاه هارون البناء والمرمة والمهم من الامور وأولاه على عمال الخراج يتقاضاهم ويحاسبهم فكنت والله ألقاه في المواكب

العظيمة فينحط عن دابته ساعيا حتى يقبل على يدى يقبلها فاحلف عليه فيقول سبحان الله أعماهذه نعمتك وبك نلتها ويقول

فلوأن للشكر شخصا يرى اذا ماتأمله الناظر
لمثلته لك حتى ترا ه فتعلم أنى امرؤ شاكر

قال عمرو بن مسعدة ثم قال لى هارون ويحك لما ابطأت على حلفت بالمشى الى الكعبة ان ينالك منى يوم سوء ولا والله ماهذا جزاؤك لدى قال الرأى قلت ياأمير المؤمنين أنت أعلى عينا وأولى من بر يمينه فقال والله ماأريد ذلك قلت فليكفر أمير المؤمنين يمينه فان النبى عليه السلام قال من حلف على يمين فرأى خيرا منها فليكفر وليأت الذى هو خير فقال ويحك ان العلماء عيروا الكفارة فى هذا واغما أولوا قوله عليه السلام فى الايمان بالله تعالى وقد أجمعت على المشى والمضى الى الكعبة راجلا قلت أنى لك بذلك وكيف تصل راجلا قال لابد من ذلك فقال عمرو ياأمير المؤمنين فامهل عامك هذا وتأن حتى أسهل لك طريقا واجدد لك مراحل واوقت لك مواقيت يسهل عليك ذلك ان شاء الله قال ذلك لك فامر عمرو بالانهار فعرجت عن مسيلها وبالاكام والجبال فسويت وبالخنادق والاودية فردمت حتى صار ما بينه وبين مكة كالراحة الموزونة وصارت الانهار والاودية تسايره على طريقه ثم صنع له مراحل قد حدد له عند كل مرحلة حدا وابنى فى كل مرحلة دارا وكانت المرحلة بريدا اقدرها اثنا عشر ميلا ثم أمر بالمراحل ففرشت بالبسط الرهاو بةونصب له جدارا بالستور وسمكها باكسية الخز الرفيع الملون وقد ضرب عند كل فرسخ قبة مزوقة قد أقام فيها الفرش الممهدة وقد أحاط بها الظلال الممدة بالرواقات الكثيفة فيها أنواع الطعام والشراب وألوان الفواكه فلما تم صنعه ذلك وابرم أمره قال ياأمير المؤمنين قد تم ماأردته وكمل ماحاولته فانهض على اسم الله العظيم وكانت زبيدة زوجته التى قد أغرته عليه وحملته على اليمين لمعاقبته فخرج الرشيد ماشيا ومعه دابته وزبيدة فكانت المرحلة تفرش والستور تنصب والسمك ترفع فيمشى ثلاثة أميال ثم ينزل فى قبة امامها رواق فينال راحته ويصيب ما اشتهى من لذة فى مأكل ومشرب ثم ينهض ثلاثة أخرى

فينزل على مثل ذلك فاذا استكمل مشى اربع فراسخ نزل فى قصر قد شيد له ودار قد بنيت فيها حمام طيب ينال فيها راحته مع أهله ويصيب لذته مما شاء وكيف شاء ثم يكسر فيه يوما ثم يخرج فى اليوم الثانى الى مثل ذلك قد شايعه فى طريقه الوزراء والقواد وأمراء الاجناد والعلماء والفقهاء والجنود والعساكر قد صاروا منه بمعزل يحاذونه فى طريقه اذا نزل فى الرواق صار الخصيان حوله بحيث يسمعون كلامه ولا يرون شخصه فلا يشتهى شيئا من معرفة اخبار الامصار والبلدان الا وخط فيه كتابا يأمر فيه بايصاله لحيث شاء من الاماكن مسيرة الايام والليالى فيأتيه الجواب من يومه على النجائب من مسيرة ثمانية ايام ويأتيه الجواب من يومه من مسيرة شهر ونحوه على أجنحة الحمام يعلق الكتاب فى جناحه فيرتفع فى الجو ارتفاعا يغيب شخصه عن من فى الارض وينقض على وطنه وموضع فراخه فاذا نزل لا يستقر نزوله حتى يؤخذ الكتاب من جناحه فيجاوب بما أحب ثم يسرح غيره فيرتفع فى الجو حتى يوازى وطنه وموضعه من بعد تلك الاماكن التى عليها طريق أمير المؤمنين فيؤخذ الجواب منه وقد صار الموكلون بذلك لا يهتمون بغير ما قلدوا ولا يتشاغلون بغير ما حملوا فلم يزل كذلك ماشيا حتى وصل الى مكة فى ثلاثة أشهر فقضى حجه وشهد مناسكه ومشاعره ثم انصرف قافلا الى بغداد وذلك فى آخر شهر ذى الحجه من سنة ثمانين ومائة فلما هم بالانصراف وذكر القفول الى العراق رفع اليه أهل مكة كتابا يسألونه فيه أن يولى عليهم قاضيا عدلا فادخلهم على نفسه فقال ان شئتم فاختاروا منكم رجلا صالحا أوليه قضاءكم وان أحببتم بعثت اليكم من العراق رجلا لا آلوكم فيه الاخير فخرجوا فاختاروا رجلا فاختلفوا فيه فاختارت طائفة منهم رجلا واختارت أخرى رجلا آخر فلما اختلفوا ارتفعوا الى الرشيد يذكرون اختلافهم فقال لهم هارون ادخلوا على هذين الرجلين اللذين اختلفتم فيهما فاذا برجلين أحدهما شيخ من قريش والآخر غلام حدث من الموالى فلما نظر اليهما الرشيد قال للشيخ ادن منى فدنا منه فقال له الرشيد أيها القاضى أن بينى وبين وزيرى هذا خصومة وتنازعا فاقض بيننا بالحق فقال الشيخ قصا على قصتكما فقصا عليه فقال الشيخ تقيم البينة يا أمير المؤمنين على ما ذكرته أو يحلف وزيرك هذا

فقال له هارون ان أخى لا يدافعنى ما أقول ولا ينكر الا قليلا مما أدعى فلم يزالا يترددان القول بينهما و يتنازعان حتى قضى القاضى لامير المؤمنين على الوزير فقال له قم فقام عنه ثم دعا بالغلام الحدث الذى دعته الطائفة الاخرى فدخل عليه فقال له ادن منى فدنا منه فقال لهما هارون ان بينى و بين وزيرى تنازعا وخصومة فاسمع منا قولنا ثم اقض بيننا بالحق قال لهما ان مقعدكما مختلف ومجلسكما متنائى وأخشى اذا اختلف مجلسكما أن يختلف قولكما فاذا تفاضل مجلس الخصوم اختلف بينهما القول وكان صاحب المجلس الارفع ألحق بحجته وادحض لحجة صاحبه وكان اصغاء الحاكم الى صاحب المجلس الارفع أكثر واليه أميل ولكن تقومان من مجلسكما هذا الذى قد استعليتما فيه فتجلسا بين يدى ثم أسمع منكما قولكما واقضى لمن رأيت الحق له ثم لا أبالى على من دار منكما فقال الرشيد صدقت و بررت فى قولك فقام الرشيد وقام عمرو بن مسعدة حتى صارا بين يديه جالسين فلما جلسا بين يديه ذهب الرشيد ليتكلم فقال له القاضى لو تركت هذا يتكلم فانه أسن منك فقال الرشيد ان الحق أسن منه فقال القاضى بلى ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحويصة ومحيصة كبر كبر يريد ليتكلم عمكما لانه أسن منكما وأكبر فتكلم عمرو بن مسعدة ثم تكلم الرشيد وتنازعا الخصومة وترافعا الحجة بينهما حتى رأى القاضى ان الحق لعمرو فقضى له به على الرشيد فلما قضى عليه قال لهما عودا الى مجلسكما فعادا فعجب الرشيد من قضائه وعدله واحتفاظه وقلة ميله فالتفت الى عمرو فقال ان هذا أحق بقضاء القضاة من الذى استقضيناه فقال عمرو بلى والله ولكن القوم أحق بقاضيهم الا ان يأذنوا فيه فدعا الرشيد برجال مكة فادخلهم على نفسه واجزل لهم العطاء وأحسن على قاضيهم الثناء ثم قال لهم هل لكم ان تأذنوا أوليه قضاء القضاة فيسير الى العراق يقضى بينهم فقالوا نعم يا أمير المؤمنين أنت أحق به نؤثرك على أنفسنا فارسل اليه الرشيد فقال انى قد وليتك قضاء القضاة فسر الى العراق لتقضى بينهم وتولى القضاة فى البلدان والامصار من تحت يدك وتوليتهم اليك وعزلهم عليك فقال القاضى ان يجبرنى أمير المؤمنين على ذلك فسمعا وطاعة وان يخيرنى فى نفسى اخترت العافية وجوار هذا البيت الحرام

فقال الرشيد ما ينبغي لى ان ادع المسلمين وفيهم مثلك لا أوليه عليهم فخذ على نفسك فانى مصبح على ظهر ان شاء الله فخرج الرشيد ومعه الفتى حتى قدم العراق فولاه القضاء وجعل اليه قضاء القضاة فلم يزل بها قاضيا حتى توفى وذلك بعد ثلاثة أعوام من توليته فلما توفى اغتم الرشيد وشق عليه فجعل الناس يعزونه فيه علما منهم بما بلغ منه الغم عليه فسأل عن قاضي يوليه قاضى القضاة والعراق بعد ذلك فرفعت اليه تسمية عشرة رجال من خيار الناس وعلمائهم وأشرافهم فلما رفعت اليه التسمية أمر بهم فادخلوا عليه رجلا رجلا ليتفرس فيهم من يوليه القضاء فنظر الى رجل منهم توسم فيه الخير والعلم فامر به فقدم اليه فلما صار بين يديه قال له ما اسمك قال معشوق قال فما كنيتك قال أبو الهوى قال فما نقش خاتمك قال دام الحب دام وعلى الله التمام فقال له قم لا قمت ثم دعا بالآخر وكان قد تفرس فيه ما تفرس فى صاحبه فقال له ما نقش خاتمك فقال «مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين» فقال له أخرج فدعا الرشيد يحيى بن خالد بن برمك وكان ممن رفع اليه أسماؤهم فعنفه بهم وقال رفعت الى أسماء المجانين قال له والله ما فى العراقين أعقل من الرجلين اللذين سألت ولا أفضل منهما فقال ويحك انى اختبرت منهما جنونا قال يحيى انهما والله كانا كارهين لما دعوتهما اليه وانما أرادا التخلص منك قال ويحك أعدهما على فطلبا فلم يوجدا

﴿ذكر الاعرابى مع هارون الرشيد﴾

وذكروا ان اعرابيا قدم على هارون الرشيد مستجديا فاراد الدخول عليه فلم يمكنه ذلك فلما رأى انه لم يؤذن له أتى عبد الملك بن الفضل الحاجب فقال له توصل كتابى هذا الى أمير المؤمنين وكان الرشيد قد عهد الى حاجبه أن لا يحبس عليه كتاب أحد قرب أو بعد فاعطاه الاعرابى كتابا فيه أربعة أسطر السطر الاول فيه الضرورة والامل قادانى اليك والثانى العدم يمنع من الصبر والثالث الانقلاب عنك بلا فائدة شماتة الاعداء والرابع فاما نعم مثمرة وآمالا يائسة مريحة فلما وصل الكتاب الى الرشيد قال هذا رجل قد ساقته الحاجة ووصلت اليه الفاقة فليدخل فدخل فقال له الرشيد ارفع حاجتك وحويجاتك تقض كلها فقال الاعرابى تأمر لى ياامير المؤمنين

بكلب أصيد به فضحك الرشيد ثم قال له قد أمرنا لك بكلب تصيد به فقال تأمر لى
ياامير المؤمنين بدابة اركبها فقال الرشيد قد أمرنا لك بدابة تركبها فقال تامر لى
ياامير المؤمنين بغلام يخدم الدابة فقال له الرشيد قد أمرنا لك بغلام قال الاعرابى
تأمر لى ياامير المؤمنين بجارية تطبخ لنا الصيد وتطعمنا منه فقال الرشيد قد
أمرنا لك بجاريتين جارية تؤنسك وجارية تخدمك فقال الاعرابى لابد لهؤلاء
من دار يسكنونها فقال له الرشيد قد أمرنا لك بدار قال الاعرابى ياامير المؤمنين
يصيرون فيها عالة وعلى كلالة لابد لهم من ضيعة تقيمهم فقال له الرشيد قد اقطعتك
مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة فقال الاعرابى وما الغامرة ياامير المؤمنين
قال الرشيد غير معمورة تأمر بعمارتها فقال الاعرابى انا أقطعتك الف الف جريب
من أرض أخوالى بنى أسد بالحجاز تأمر بعمارتها فضحك الرشيد وقال قد أقطعتكها
عامرة كلها ثم قال الرشيد تمت حوبجاتك كلها يااعرابى فقال نعم وبقيت حاجتى
العظمى فقال له الرشيد ارفعها تقض فقال أقبل رأسك ياامير المؤمنين فقال له الرشيد
هذا لاسبيل اليه فقال الاعرابى أتمنعنى حقا هو لى وتدفعنى عما بذلت لى ياامير المؤمنين
فقال الرشيد هذا الامر لايكون يااعرابى ولاسبيل الى مثل هذا فقال الاعرابى لابد من
أن أصل الى حقى الاان أغصبه فقال له الرشيد يااعرابى أشترى منك هذا الحق الذى
وجب لك فقال له الاعرابى هذا الحق مما لا يشترى وهل فى الارض من المال مايكون
ثمنا لهذا أوعوضا منه لاوالذى نفسى بيده مافى الدنيا صفراء ولا بيضاء يشترى بها
هذا فقال الرشيد تبيعه ببعض ماتراه من الثمن فانه لايكون ولايتوصل اليه فقال له
الاعرابى فاذا قد أبيت فاعطنى مما أعطاك الله فامر له بمائة الف دينار فاتى بها اليه
فقال الاعرابى ماهذه فقيل له هذه مائة الف دينار تأخذها فقال الاعرابى هى للغرماء
على وهم أولى بها منى فضحك الرشيد ثم أمر له بمائة الف أخرى فقال ماهذه فقيل
له مائة الف ثانية والاولى للغرماء وهذه لك فقال الاعرابى هذه لضعفاء أهلى بصلهم
بها اميرالمؤمنين فما اوسع على نفسى فأمر له الرشيد بمائة الف ثالثة فقيل له هذه
مائة الف ثالثة توسع بها على نفسك فى معيشتك أرضيت يااعرابى فقال نعم رضيت

فرضي الله عنك يا امير المؤمنين وابني فضالة يقرأ السلام عليك و يسالك مائة الف يستعين بها في نكاحه و يتزين بها في دنياه وانه قد جمع لقرآن وعرف شرائعه واحكامه وعلم ناسخه ومنسوخه وتفنن في ضروب من العلم وأحكم أنواع الادب وقد جمع الدواوين والكتب وتبحر في فهم الحديث والاثر قد أخذ من كل علم أهذبه ومن كل ضرب امحضه الى لب لبيب وعقل رصين وعلم ثابت ونظر عجيب وفضل ودين يصوم النهار كله و يقوم الليل أكثره وقد صار في كثير من الاهل والعيال وعدد من البنين والصبيان فقال الرشيد أولست تذكر يا اعرابي انه يريد الاستعانة على النكاح والتوسع في المعاش ثم أراك تصفه بكثرة العيال وعدد البنين والصبيان فقال الاعرابي يا امير المؤمنين انه ذو ثلاث نسوة من حرائر النساء وتسعة من سرائر الاماء وهو ذو خمسة من الولد من كل حرة وذو سبع بنات من كل أمة و يبتغي نكاح الرابعة الحرة استتماما لما أمر الله به في التنزيل المحكم وأباح في كتابه الناطق بكلامه الصادق فقال الرشيد يا اعرابي لقد سألت كثيرا فهلا سألت مائة الف درهم فيعطاها قال الاعرابي فاعطه يا امير المؤمنين تسعين الف دينار واحطط عنك عشرة آلاف دينار فقال الرشيد والله لقد سألت كثيرا وحططت قليلا قال الاعرابي انما سألتك يا امير المؤمنين على قدرك وحططت على قدري فاختر ما شئت فقال الرشيد يا اعرابي انما تريد مغالبتي لا غلبتني اليوم فامر له بمائة الف دينار ذهبا فقال له أمير المؤمنين أرضيت يا اعرابي فقال ما بقي لي شيء يا امير المؤمنين الا الحملان والكسوة وطرائف الكوفة وتحف البصرة وجوائز الضيافة وحقها فقال الرشيد وما يصلح لك من الحملان يا اعرابي فقال اقصد ما يكون دابة للجمال وأخرى للحملان وثلاثة للاسترسال ولابني مثل ذلك ومن الكسوة ما لا بد منه من ثياب المهنة والاستشعار وما لا غنى عنه من الوطاء والدثار مع زائغ الثياب التي تكون للجمال والجماعات والاعياد ولابني وبني ابني مثل ذلك فدعا الرشيد بجعفر بن يحيي وقال ارحني من هذا وأمر له بما سال من الحملان وما أراد من ثياب المهنة والجمل وأغدق عليه من التحف والطرائف ما ترضيه بها وأخرجه عني فخرج جعفر فامرله بما سال وأعطاه ما اراد ثم انصرف الاعرابي راجعا الى الحجاز

باموال عظيمة لا يوصف أكثرها ولا يعرف أقلها وكل هذا يقل عندما عرف من جود الرشيد وسخائه وجزيل عطائه

﴿ قتل جعفر بن يحيي بن برمك ﴾

قال عمرو بن بحر الجاحظ حدثني سهل بن هارون قال والله كان سجاعو الخطب ومحبرو القريض لعيالا على يحيي بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيي ولو كان كلام يتصور دراً ويحيله المنطق السرى جوهراً لكان كلامهما والمنتقى من لفظهما ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد في بديهته وتوقيعاته في اسافل كتبه عيين وجاهلين أميين ولقد عبرت معهم وأدركت طبقة المتكلمين في ايامهم وهم يرون ان البلاغة لم تستكمل الا فيهم ولم تكن مقصورة الا عليهم ولا انقادت الا لهم وانهم محض الانام ولباب الكرام وملح الايام عتق منظر وجودة مخبر وبجزالة منطق وسهولة لفظ ونزاهة نفس واكمال خصال حتى لو فاخرت الدنيا بمليل ايامهم والمأثور من خصالهم كثير أيام من سواهم من لدن آدم أبيهم الى نفخ الصور وانبعاث أهل القبور حاشا أنبياء الله المكرمين وأهل وحيه المرسلين لما باهت الا بهم ولا عولت في الفخر الا عليهم ولقد كانوا مع تهذيب اخلاقهم وكريم اعراقهم وسعة آفاقهم ورفق ميثاقهم ومعسول مذاقهم وسنا أشراقهم ونقاوة اعراضهم وطيب اغراضهم واكمال خلال الخير فيهم الى ملء الارض مثلهم في جنب محاسن المأمون كالنفثة في البحر وكالخردلة في المهمه القفر قال سهل انى لمحصل ارزاق العامة بين يدي يحيي بن خالد في داخل سرادقه وهو مع الرشيد بالرقة وهو يعقدها جملا بكفه اذ غشيته سآمة وأخذته سنة فغلبته عيناه فقال ويحك ياسهل طرق النوم شفرى عيني وأطلت ألسنة خواطرى فما ذاك قلت طيف كريم ان أقصيته أدركك وان عاليته غلبك وان قربته روحك وان منعته عنتك وان طردته طلبك فنام أقل من فواق بكية أو نزح ركية ثم انتبه مذعوراً فقال ياسهل لامر كان ذهب والله ملكنا وذل عزنا وانقطعت أيام دولتنا فقلت وماذاك أصلح الله الوزير قال كأن منشداً انشدني

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فأجبته عن غير روية ولا اجالة فكر

بلى مانحن كنا أهلها فأبادنا   صروف الليالى والجدود العواثر

فوالله مازلت أعرفها فيه وأراها ظاهرة منه الى الثالث من يومه وانى لفى مقعدى ذلك بين يديه اكتب توقيعات فى أسفل كتبه لطلاب الحوائج اليه قد كفانى اكمال مما نيها باقامة الوزن فيها اذ وجدت رجلا ساعيا اليه حتى أومأ مكبا عليه فرفع رأسه وقال مهلا ويحك ماأكتتم خيراً ولا استرشر أقال له قتل أمير المؤمنين الساعة جعفرا قال أوفعل قال نعم فما زادان رمى بالقلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة قال سهل فلو انكفأت السماء على الارض ماتبرأ منهم الحميم واستبعد عن نسبهم القريب وجحد ولاءهم المولى واستعبرت لفقدهم الدنيا فلا لسان يخطر بذكرهم ولا طرف ناظر يشير اليهم وضم يحيى وبقية ولده والفضل ومحمدا وخالدا بنيه وعبد الملك ويحيى وخالدا بنى جعفر بن يحيى والعاصى ويزيدا ومعمرا بنى الفضل بن يحيى ويحيى وجعفرا وزيدا بنى محمد بن يحيى وابراهيم ومالكا وجعفرا وعمرو بنى خالد بن يحيى ومن لف لفهم أو هجس بنفسه أمل فيهم قال سهل وبعث الى الرشيد فوالله لقد أعجلت عن النظر فدخلت ولبست ثياب أحزانى وأعظم رغبتى الى الله الاراحة بالسيف والا نعيت كما نعى جعفر فلما دخلت عليه ومثلت بين يديه عرف الذعر فى تعرض ريقى والتمايد فى طريقى وشخوصى الى السيف المشهور يصرى فقال لى هارون ايها يا سهل من غمط نعمتى واعتدى وصيتى وجانب موافقتى أعجلته عقوبتى فوالله ماوجدت جوابها حتى قال ليفرخ روعك وليسكن جأشك ولتطب نفسك ولتطمئن حواسك فان الحاجة اليك قربت منك وابقت عليك بما يبسط منقبضك ويطلق معقولك فاقتصر على الاشارة قبل اللسان فانه الحاكم الفاصل والحسام الناصل واشار الى مصرع جعفر وهو يقول

من لم يؤدبه الجميل   ففى عقوبته صلاحه

قال سهل فوالله ما أعلمنى انى عييت بجواب أحد قط غير جواب الرشيد يومئذ فـ عولت فى شكره والثناء عليه الا على تقبيل يديه وباطن رجليه ثم قال لى اذهب فقد احللتك محل يحيى بن خالد ووهبتك ماضمته ابنيته وحوى سرادقه فاقبض الدواوين واحص جباءه وجباء جعفر لنأمرك بقبضه ان شاء الله قال سهل فكنت كمن نشر عن

كفن وأخرج من حبس فاحصيت جباءهما فوجدت عشرين الف الف دينار ثم قفل الى بغداد راجعاً وفرق البرد الى الامصار بقبض أموالهم وغلاتهم وأمر بجيفة جعفر فنصبت مفصلة على ثلاث جذوع رأسه فى جذع على رأس الجسر مستقبل الصراط و بعض جسده فى جذع آخر فى آخر الجسر الاول واول الجسر الثانى و باقيه فى جذع على آخر الجسر الثانى مما يلى بغداد قال سهل فلما دنونا من بغداد طلع الجسر الذى فيه وجه جعفر لنا اولا واستقبلنا وجهه واستقبلته الشمس فوالله لخلتها تطلع من بين حاجبيه وأنا عن يمينه وعبد الملك بن الفضل عن يساره فلما نظر اليه الرشيد كأنه قنى شعره وطلى بنور بشره أربد وجهه وأغضى بصره قال عبد الملك بن الفضل لقد عظم ذنب لم يسعه عفو أمير المؤمنين فقال الرشيد واغرورقت عيناه حتى لعرفنا الجهش فى صدره من يرد غير ماءه يصدر بمثل داءه ومن اراد فهم ذنبه يوشك ان يقوم على مثل راحلته على بالنضاحات قال سهل فنضح عليها حتى احترقت عن آخرها وهو يقول أما والله لئن ذهب اثرك لقد بقى خبرك ولئن حط قدرك لقد علا ذكرك قال سهل وأمر بضم أموالهم فوجد من العشرين الف ألف التى كانت مبلغ جباءهم اثنى عشر الف ألف مكتوب على بدورها صكوك مختومة تفسيرها رقيا حبوا بها فما كان منها جباء على غريبة أو استطراف ملحة تصدق يحيى بها وأثبت ذلك فى ديوانها على تواريخ أيامها وساعات اعطياتها فكان ديوان انفاق واكتساب فائدة وقبض من سائر أموالهم ثلاثين ألف الف وستمائة الف وستين ألفا الى سائر ضياعهم وغلاتهم ودورهم ورباعهم ورياشهم والدقيق والجليل من مواهبهم فانه لا يصف أقله ولا يعرف اكثره الا من احصى الاعمال وعرف منتهى الآجال وابرزت حرمه الى دار البانوقة ابنة المهدى فوالله ماعلمته عاش ولا عشن الا من صدقات من لم يزل متصدقا عليه وصار من موجدة الرشيد فيما لم يعلم من ملك قبله على آخر ملكه وكانت أم جعفر بن يحيى فاطمة بنت محمد بن الحسن بن قحطبة بن شبيب قد أرضعت الرشيد مع جعفر وكان ربى فى حجرها وغذى برسلها لان أمه ماتت عن مهده فكان الرشيد يشاورها مظهر الاكرامها والتبرك برأيها وكان قد آلى على نفسه وهو فى كفالتها ان لا يحجبها وأن لا تستشفعه لاحد الا شفعها وآلت عليه أم جعفر ان لا دخلت

عليه الا ماأذونا لها ولا تشفعت لاحد لغرض دنيا قال سهل فكم أسير فكت ومهم عنده فتحت ومنغلق منه فرجت قال واحتجب الرشيد بعد قدومه فطلبت الاذن عليه من دار البانوقة ومتت بوسائلها اليه فلم يأذن لهـا ولا أمر بشيء فيها فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها واضعة لثامها محتفية فى مشيتها حتى صارت بباب قصر الرشيد فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب فقال ظئر أمير المؤمنين بالباب فى حالة تقلب شماتة الحاسد الى حنين الوالد وشفقة أم الواحد فقال له الرشيد ويحك يا ابن الفضل أوساعية فقال نعم أصلح الله أمير المؤمنين حافية فقال ادخلها يا عبد الملك فرب كبد كريم غذتها وكربة كشفتها وفرجة فرجتها وعورة سترتها قال سهل فوالله ماشككت فى شيء قط ماشككت يومئذ فى طلابها واسعافها بحاجتها فلما دخلت ونظر اليها داخلة محتفية قام محتفيا حتى تلقاها بين عمد المجلس فاكب على تقبيل رأسها ومواضع ثديها ثم اجلسها معه فقالت يا امير المؤمنين أيعدو علينا الزمان ويجفون خوفا لك الاعوان يحردك بنا البهتان ويوسوس لك بأذانا الشيطان وقد ربيتك وأخذت برضاعى لك الامان من دهرى فقال لهـا وماذلك ياام الرشيد قال سهل فآيسنى من رأفته بتركه كنيتها آخرا ما كان اطمعنى منه فى بره بها أولا قالت له ظئرك يحيي وابوك بعد أبيك ولا ارشحه باكثر ممـا عرفه به أمير المؤمنين من نصيحته له واشفاقه عليه وتعرضه للحتف فى شأن موسى أخيه فقال ياام الرشيد قدر سبق وقضاء حم وغضب من الله نزل قالت يا امير المؤمنين يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب فقال الرشيد صدقت فهذا ممـا لا يمحوه الله فقالت الغيب محجوب عن النبيين فكيف عنك يا امير المؤمنين قال سهل فاطرق الرشيد يسيرا ثم قال

واذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

فقالت بغير روية ماأنا ليحيي بتميمة يا امير المؤمنين وقد قيل

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخرا يكون كصالح الاعمال

هذا بعد قول الله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فاطرق هارون قليلا ثم قال

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد   اليه بوجه آخر الدهر تقبل

فقالت يا امير المؤمنين وهو يقول

ستقطع فى الدنيا اذا ماقطعتنى   يمينك فانظر أى كف تبدل

قال الرشيد رضيت فقالت يا امير المؤمنين فهبه لله تعالى فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك شيئا لله لم يوجده الله فاكب الرشيد ملياً ثم رفع رأسه وهو يقول لله الامر من قبل ومن بعد قالت يا امير المؤمنين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ثم قالت أذكرك يا امير المؤمنين باليتك ان لا استشفعتك الا شفعتنى فقال وانا اذكرك ياام الرشيد باليتك ان لاشفعت لاحد تعرض لدنيا قال سهل فلما رأته صرح عنها ولاذ عن مطلبها اخرجت له حقا من زمردة خضراء فوضعته بين يديه فقال الرشيد ماهذا ففتحت عنه قفلا من ذهب فاخرجت منه حدائه وخفضه وذؤابته وثناياه وقد غمس ذلك بمسك نثير فى الحق فقالت يا امير المؤمنين أستشفع اليك واستعين بالله وبما صار معى من كريم جسدك وطيب جوارحك ليحيي عبدك وظئرك فاخذ الرشيد جميع ذلك فلثمه ثم استعبر وبكى بكاء شديدا وبكى أهل المجلس ومضى البشير الى يحيي فلم يظن الا ان البكاء رحمة عليه ورجوع الرشيد عنه فلما أفاق من بكائه رد جميع ذلك فى الحق وقال لها لحسنا ماحفظت الوديعة فقالت فأهل للمكافأة أنت يا أمير المؤمنين فسكت وضم الحق ودفعه اليها وقال « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها » قالت وقال عز وجل « واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وقال تعالى « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » فقال لها وماذاك ياأم الرشيد قالت ماأقسمت لى به يا امير المؤمنين ان لا يحجبك عنى حاجب فقال لها ياأم الرشيد أحب ان تشتريه محكمة فيه قالت انصفت ياأمير المؤمنين وقد فعلت غير مستقبلة لك ولا راجعة عنك قال بكم قالت برضاك عن من لم يسخطك قال ياأم الرشيد أمالى عليك من الحق مثل الذى لهم قالت بلى ياأمير المؤمنين انك لاعز على وهم أحب الى قال لها فتحكمى فى ثمنه بغيرهم قالت بلى قد وهبتكه وجعلتك فى حل منه وقامت عنه فبقى الرشيد مبهوتا مايحير لفظة قال سهل وخرجت عنه فلم

تعداليه ولا واللهان رأت عيني لعينها عبرة ولا سمعت اذنى لنعمها آنة قال سهل وكان الامين رضيع يحيي بن جعفر فت اليه يحيي بن خالد بذلك فوعده استيهاب أمه اياهم ثم شغله اللهو عنهم فكتب اليه يحيي وقيل انها لسليمان الاعمى أخي مسلم بن الوليد

ياملاذى وعصمتى وعمـادى	ومجيرى من الخطوب الشداد
بـك قام الرجاء فى كل قلب	زاد فيـه البـلاء كل مزاد
انمـا أنت نـعـمة أعقبتهـا	أنـعم نفعـها لـكل العباد
وعدمولاك أتممنه فأبهى الدر	مازين حسـنه بانعـقـاد
ماأظلت سـحائب اليأس الا	خلت فى كشفها عليك اعتمادى
ان تراخت يداك عـنى فواقا	أكلتنى الايام أكل الجـراد

و بعث بها اليه فبعثها الامين الى أمه زبيدة فاعطتها الرشيد وهو فى موضع لذاته وفى اقبال من أريحيته وتهيأت للاستشفاع وهيأت جواريها ومغنياتها وأمرتهن بالقيام اليه معها فلما فرغ الرشيد من قراءتها لم ينقض حبوته حتى وقع فى أسفلها عظيم ذنبك أمات خواطر العفو عنك و رمى بها الى زبيدة فلما رأت توقيعه علمت انه لا يرجع عنه قال واعتل يحيي فلما اشفى دعا برقعة فكتب فى عنوانها ينفذ أمير المؤمنين الرشيد ابقاه الله عهد مولاه يحيي بن خالد وفيه بسم الله الرحمن الرحيم قد تقدم الخصم لموضع الفصل وانت على الاثر والله الحكم العدل فلما ثقل قال للسجان هذا عهدى توصله الى أمير المؤمنين فانه ولى نعمتى وأحق من نفذ وصيتى فلما مات أوصل السجان عهد يحيي الى الرشيد فلما قرأه استمد فكتب ولا ادرى لمن الرقعة فقلت يا أمير المؤمنين ألا اكفيك قال كلا انى أخاف عادة الراحة ان يقوى سلطان العجز فيحكم بالغفلة و يقضي بالبلادة قال سهل فوقع فيها الحكم الذى رضيت به فى الآخرة لك هو أعدى الخصوم عليك فى الدنيا وهو من لا ينقض حكمه ولا يرد قضاؤه ثم رمى بالكتاب الى فلما رأيته علمت انه ليحيي وان الرشيد أراد ان يؤثر الجواب عنه قال سهل قلت لبعض من أثق بوفائه واعتقد صدق اخائه من خصيان القصر المتقدمين عند أمير المؤمنين والمتمكنين من كل ما يكون لديه ما الذى يعني جعفر ابن يحيي وذويه عند أمير المؤمنين وما كان من ذنبه الذى لم يسعه عفوه ولم يأت عليه رضاه

فقال لم يكن له جرم ولا لديه ذنب كان والله جعفر على ماعرفته عليه وفهمته عنه من اكمال خصال الخير ونزاهة النفس من كل مكروه ومحذور الا ان القضاء السابق والقدر النافذ لا بد منه كان من أكرم الخلق على أمير المؤمنين وأقربهم منه وكان أعظمهم قدرا وأوجبهم حقا فلما علم ذلك من حسن رأى أمير المؤمنين فيه وشديد محبته له استأذنته أخته فاختة بنت المهدى شقيقته فى اتحاف جعفر ومهادانه فاذن لهـا وكانت قد استعدت له بالجوار الرائعات والقينات الفاتنات فتهدى له كل جمعة بكرا يفتضها الى ما يصنع له من ألوان الطعام والشراب والفاكهة وأنواع الكسوة والطيب كل ذلك بمعرفة أمير المؤمنين ورأيه فاستمرت بذلك زمانا ومضت به أعواما فلما كانت جمعة من الجمع دخل جعفر القصر الذى استعدت له ولم يرع جعفر الا بفاختة ابنة المهدى فى القصر كأنها جارية من الجوارى اللاتى كن يهدين له فأصاب منها لذته وقضى منها حاجته ولا علم له بذلك فلما كان المساء وهم بالانصراف أعلمته بنفسها وعرفته بأمرها وأطلعته على شديد هواها وافراط محبتها له فازداد بها كلفا وبها حبا ثم استعفاها من المعاودة الى ذلك وانقبض ممـا كان ينا له منها من جواريها واعتذر بالعلة والمرض فاعلم جعفر أباه يحيي فقال له يا نبى أعلم أمير المؤمنين ما كان معجلا والا فائذن لى فاعلمه فانى أخاف علينا منه يوم سوء ان تأخر هذا و بلغه من غيرنا واعلامك له فى هذا الوقت يسقط عنا ذلك الذنب فهى أحق بالعقوبة منك قال جعفر لا والله لا اعلمته به أبدا فالموت على أيسر منه وأرجو أن لا يطلعه الله عليه فقال له يحيي لا تظن هذا يخفى عليه فاطعنى اليوم وأعلمه فقال جعفر والله لا افعل هذا أبدا ولا أتكلم به وبالله أستعين فلم يرع الرشيد ان رفعت اليه جارية من جواريها رقعة وأعلمت ذلك فيها فاستحق ذلك عند الرشيد باستعفاء جعفر لمـا كان من اتحافها واعتذاره بالعلة من غير مرض ينهكه فعفل عنه الرشيد ولم ير لذلك جفوة ولا زاد له الا كرامة ولا لديه الا حرمة ورفعة حتى قرب وقت الهلاك ودنى منقاب الحتف والله أعلم

قتم بعون الله تعالى ما به ابتدأنا وكمل وصف ما قصصنا من أيام خلفائنا وخير أئمتنا وفتن زمانهم وحروب أيامهم وانتهينا الى أيام الرشيد ووقفنا عند انقضاء دولته اذلم يكن فى اقتصاص أخبار من بعده ونقل حديث ما دار على أيديهم وكان فى زمانهم كبير منفعة ولا عظيم فائدة وذلك لما انقضى أمرهم وصار ملكهم الى صبية اغمار غلب عليهم زنادقة العراق فصرفوهم الى كل جنون وادخلوهم الى الكفر فلم يكن لهم بالعلماء والسنن حاجة واشتغلوا بلهوهم واستغنوا برأيهم وكان الرشيد مع عظم ملكه وقدر شأنه معظما للخير وأهله محبا لله تعالى ورسوله ولما دخلت عليه سنة تسعين ومائة أخذته الحمى التى أخبر بها جده أبو جعفر المنصور وهو فى المهد صغيرا فعرف انه قد دنى أجله وحان هلاكه فاجتمع اليه أطباء العراق يعالجونه ثم استعان باطباء الروم والهند واستجلبهم من الآفاق فلم يزالوا يداوونه حتى مضت له ثلاثة أعوام ولا أقلعت عنه ولا يزيده العلاج الاشدة فلما دخلت سنة أربع وتسعين ومائة أثرت به وانهكت بدنه واشتد ألمه وتمادى به وجعه فذكر البيعة لابنه المأمون فلما سمعت بذلك زبيدة وكان ابنها منه محمد الامين هجرته وتغاضت عنه واكربها ذلك وأغمها حتى ظهر ذلك عليها وأثر الغم فى وجهها فدخلت عليه تعاتبه فى ذلك أشد المعاتبة وتؤاخذه أعنف المؤاخذة فقال لها الرشيد ويحك انما هى أمة محمد ورعاية من استرعانى الله تعالى مطوقا بعنقى وقد عرفت ما بين ابنى وابنك ليس ابنك يازبيدة أهلا للخلافة ولا يصلح للرعاية قالت ابنى والله خير من ابنك واصلح لما تريد ليس بكبير سفيه ولا صغير فهيه أسخى من ابنك نفسا وأشجع قلبا فقال هارون ويحك ان ابنك قد زينه فى عينيك ما يزين الولد فى عين الابوين فاتق الله فوالله ان ابنك لاحب الى الا أنها الخلافة لا تصلح الا لمن كان لها أهلا وبها مستحقا ونحن مسئولون عن هذا الخلق ومأخوذون بهذا الانام فما أغنانا ان نلقى الله بوزرهم ونتقلب اليه بأثمهم فاقعدى حتى أعرض عليك ما بين ابنى وابنك فقعدت معه على الفراش فدعا ابنه عبدالله المأمون فلما صار بباب المجلس سلم على أبيه بالخلافة ووقف طويلا وقد طأطأ برأسه وأغض بصره ينتظر الاذن حتى كادت قدماه ان ترمى ثم أذن له بالجلوس فجلس

فاستأذن بالكلام فامر له فتكلم فحمدالله على مامن به عليه من رؤية أبيه و يرغب اليه فى تعجيل الفرج مما به ثم استأذن فى الدنو من أبيه فدنا منه وجعل يلثم أسافل قدميه و يقبل باطن راحتيه ثم انثنى ساعيا الى زبيدة فاقبل على تقبيل رأسها ومواضع ثديها ثم انحنى الى قدميها ثم رجع الى مجلسه فحمدالله اليها فيما من به عليها من رضى أبيه عنها وحسن رأيه فيها و يسأله تعالى العون لهما على بره وأداء المفروض عليها من حقه و يرغب أن يوزعها شكره وحمده فقال الرشيد يا بنى انى أريد أن أعهد اليك عهد الامامة واقعدك مقعد الخلافة فانى قد رأيتك لها أهلا و بها حقيقا فاستعبر عبدالله المأمون باكيا وصاح منتحبا يسأل الله العافية من ذلك و يرغب اليه أن لا يريه فقد أبيه فقال له يا بنى انى أرانى لما بى وأنت أحق وسلم الامر لله وارض به واسأله العون عليه فلابد من عهدى يكون فى يومى هذا فقال عبدالله المأمون ياابتاه أخى أحق منى وابن سيدتى ولا اخال الا انه أقوى على هذا الامر منى وأشد استطلاعا عرض الله لك ما فيه الرشاد والخلاص وللعباد الخير والصلاح ثم أذن له فقام خارجا ثم دعا هارون بابنه محمد فاقبل يجر ذيله و يتبختر فى مشيته فمشى داخلا بنعليه فدأنسى السلام وذهل عن الكلام نخوة وتجبرا وتعظما واعجابا فمشى حتى صار مستويا مع أبيه على الفراش فقال هارون ماتقول أى بنى فانى أريد أن أعهد اليك فقال ياأمير المؤمنين ومن أحق بذلك منى وأنا أسن ولدك وابن قرة عينك فقال هارون أخرج يابنى ثم قال لزبيدة كيف رأيت ما بين ابنى وابنك فقالت ياأمير المؤمنين ابنك أحق بما تريد وأولى بما لديك فقال هارون فاذا أقررت بالحق وأنصفت مما رأيت فانا أعهد الى ابنى ثم الى ابنك بعده فكتب عهد عبدالله المأمون ثم محمد الامين بعده فلما كان سنة خمس وتسعين ومائة توفى الرشيد رحمه الله وعبدالله المأمون خارج عن العراق وكان وجهه أبوه بالجيوش الى بعض الفرس لشىء بلغه عنهم فاظ بمحمد الامين قوم من شرار أهل العراق فقيل له معك الاموال والرجال والقصور فادفع فى نحر أخيك المأمون فانك أحق بهذا الامر منه وأعانته على ذلك أمه زبيدة فقدم أخوه عبد الله بغداد ومعه الجيوش قد أخذ يمتهم فنهض اليه الامين قاصدا ومعه الجيوش فلم يرجع

ولم يمانع ولم يختلف عليه أحد ثم انه غدر باخيه الامين لما بلغه عنه فنهض المأمون الى القصر فدخله فأخذ أخاه وشدوثاقه وحبسه وأشار الى أمه لما أعانته عليه فهرب محمد من الحبس فبعث المأمون فى طلبه فأخذ وقتل والله تعالى أعلم

(يقول مصححه الفقير الى الله محمد مصطفى رمضان الازهرى)

بعون الملك الوهاب قد تم طبع هذا الكتاب المستطاب المسمى بالامامة والسياسه وهو للامام الاوحد والفقيه الامجد أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هـ الشهير بوصفه الغنى عن التعريف به وذلك (بمطبعة الفتوح الادبيه) التى مركزها
بجوار جامع أصلان بشارع النبويه ادارة أحمد فتوح
وشريكه كان الله لهما وبلغهم فى الدارين
مأمولهما وكان ختامه فى شهر
رجب الاصم سنة ١٣٣١
هجريه على صاحبها
أفضل الصلاة
وأزكى التحيه
آمين

فهرست

الجزء الاول من كتاب الامامة والسياسة

للامام الفقيه أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

﴿ تم فهرست الجزء الاول ﴾

(فهرست)

الجزء الثانى من كتاب الامامة والسياسه

﴿ تم فهرست الجزء الثانى ﴾